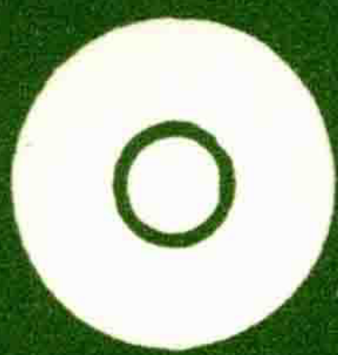
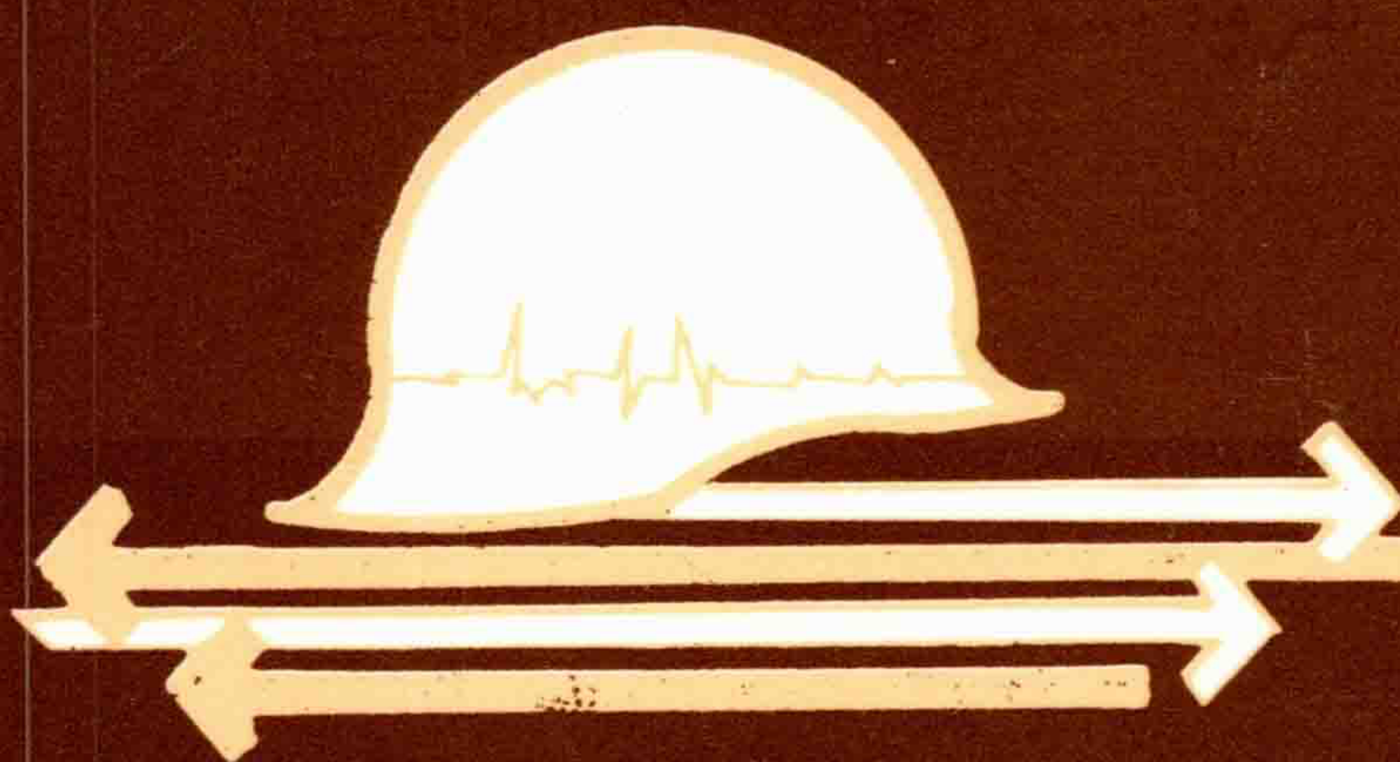


تأليف: العقيد البرت ميرغلن

حَرْبُ المباغتة

ترجمة: المقدم بسام العسلي



المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

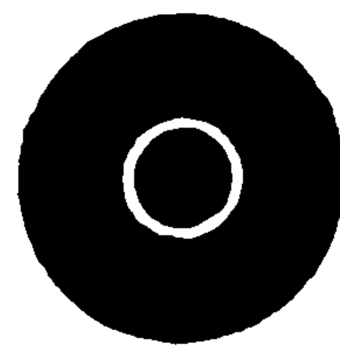
حَـــزْبُ المباغتــة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون. ساقية الجنزير. ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً: موكيالي بيروت. ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الثانية

١٩٨٩



تأليف: العقيد البرت ميرغلن

حَرْبُ المباغتة

ترجمة: المقدم بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

صدر هذا الكتاب بعنوان:

La guerre de l'inattendu
Par le col. Albert Merglen

مقدمة المترجم

(بوغت، فرأى في الموت مصيره)(*) تلك جملة قالها شاعر فرنسي، فعادل فيها بين المباغتة والموت. وفي الحقيقة، فان هذه المعادلة تستمد صحتها وواقعيتها من تجربة الحياة الانسانية، ومن خلال صراع الانسان مع أخيه الانسان في بعض الأحيان، وفي صراعه مع الطبيعة وكائناتها المختلفة في أحيان أخرى. ولقد عرف الانسان منذ القدم أهمية المباغتة، فمضى في استنفار قدراته الفكرية لتطويرها بصورة مستمرة، مستفيداً من مصادر الرعب الطبيعية وهي: الظلمة والفراغ، للوصول الى ما هو غير متوقع، ولتحقيق المباغتة، ومن ثم الافادة من تأثيرها لهزيمة الخصم وتدميره.

وهكذا تطور مبدأ المباغتة عبر التجربة الانسانية الطويلة، ليُحتل مكانته في طليعة مبادىء الحرب. وليس هناك من ينكر الأثر الذي يتركه التماع مدية في الظلام وهي تنقض على عنق خفير يقف لحراسة ثكنة، فيقتله الذهول (ذهول المباغتة)، قبل أن تقضي عليه طعنة المدية. كما أنه ليس هناك من ينكر ما تتركه من الأثر مجموعة من الظلال، تظهر مباغتة وسط الغابات، أو من خلال التلال، لتنقض على هدفها، وتدمره بالرعب، قبل أن تدمره بما تحمله من الأسلحة.

(*) Il Sest Jugé Perdu - Puisqu'il Est Surprise (Alfred De Yigny): من قصيدة (موت الذئب) للشاعر الفرنسي - الفريد دوفيني.

اعتبر مبدأ المباغتة في طليعة الأسلحة التي يتسلح بها المقاتل للقضاء على خصمه وتدمير عدوه. وقد عكفت الأبحاث والدراسات، في العصور الحديثة، على تحقيق هدف مزدوج، أولهما: تطوير المباغتة. وثانيهما: انقاص التأثير الناجم عن المباغتة. وفي مجال تطوير المباغتة، ظهر هناك نوع من المباغتة المركبة، التي تضع في اعتبارها تعقيدات العصر الحديث، لتبرز المباغتة في اطار يضم أكثر من عامل واحد من العوامل التي تحقق المباغتة (بمعنى دمج المباغتة الزمنية بالمباغتة المكانية مع المباغتة في استخدام أسلحة جديدة واستخدام طرائق مبتكرة لخوض الصراع المسلح الخ..)، مما يفسح مجالاً أوسع لأحداث مؤثرات عميقة تصعب معالجتها قبل أن تأخذ المباغتة كل أبعادها وتحقق أهدافها. أما في مجال انقاص التأثير الناجم عن المباغتة، فقد تركزت الأبحاث لزيادة العتبة النفسية لدى المقاتلين، والاقلال من مرحلة الذهول الناجمة عن المباغتة، والوصول بالتالي الى خلق ردود فعل سريعة لدى المقاتلين وقيادتهم في مجابهة ما هو غير متوقع. وأمكن في الواقع نقاص عتبة الاستجابة، من خلال التدريب المتطور والاعداد النفسي، والوصول الى نتائج ايجابية لدى المقاتلين.

وتبقى المباغتة مرتبطة في فكرتها وتنفيذها بعملية الخداع والتمويه، تماماً على نحو ما كانت عليه منذ آلاف السنين. ولكن اذا كانت المباغتة بصورتها البدائية ترتبط بقدرة المقاتل، أو حتى مجموعة المقاتلين، على خداع الخصم وتضليله، فقد باتت اليوم أشد تعقيداً، ولم يعد من الغريب أن يرتبط وضع مخطط العمليات بمخطط خداعي يشمل اقامة مواقع هيكلية، أو مراكز تبادلية، أو حتى القيام بمجموعة من الهجمات على محاور ثانوية، كل ذلك بهدف خداع الخصم، وضمان أفضل الظروف لتحقيق المباغتة. وعلى هذا الأساس، قسمت المباغتة (نظرياً) من حيث ارتباطها بمؤثراتها ونتائجها الى «مباغتة تكتيكية» و «مباغتة عملياتية» و «مباغتة استراتيجية».

ويمكن هنا التعرض لما يطلق عليه اسم (استراتيجية الهجوم غير المباشر)، والتي تهدف الى التوغل عميقاً في ترتيب مسرح العمليات، للوصول الى المؤخرات ومناطق الشؤون الادارية، أو بلوغ ذلك بقفزة واحدة، عن طريق الانزالات الجوية أو البحرية. ويظهر تحليل المفهوم الأساسي لاستراتيجية الهجوم غير المباشر، أن هذه الاستراتيجية ليست أكثر من تطوير نظري لمفهوم المباغتة، وتحقيق ما هو غير متوقع.

ويبقى الهدف الأساسي من المباغتة على مختلف المستويات، خلق موقف يجعل الخصم عاجزاً عن القيام بردود فعل صحيحة خلال فترة زمنية معينة، مما يسمح للطرف ـ صاحب المباغتة ـ بالانفراد بحرية العمل العسكري. ومن هنا تظهر أهمية المباغتة كعامل

يسمح بخلق مواقف جديدة باستمرار (مباغتات جديدة)، يمكن أن يطلق عليها اسم (الامساك بالمبادأة). فاذا لم يتحقق ذلك، فستضيع كل أهمية للمباغتة، إذ لا يلبث الخصم طويلاً حتى يستفيق من ذهول المباغتة، ليعمل على تقديم ردود فعل مناسبة في اطار حوار الارادات المتصارعة. وعلى هذا فان المباغتة لا تحتفظ بأهميتها، وبقيمتها، الا اذا أمكن تطويرها عن طريق خلق مواقف مباغتة جديدة، تحرم العدو من حرية عمله، وترغمه في النهاية على الاستسلام لارادة خصمه.

لقد جاءت التطورات العلمية والتقنية لتزيد من أهمية مبادىء الحرب، وفي مقدمتها (مبدأ المباغتة). فقد بات أفق البحر، وأفق الفضاء، من الآفاق التي تطرح كل الاحتمالات لتحقيق المباغتة وتطويرها. ومقابل ذلك، ساعدت هذه التطورات العلمية والتقنية ذاتها على الحد من تأثير المباغتة، فأقمار التجسس وسفن الفضاء ووسائط الحرب الالكترونية باتت قادرة على الوصول الى أعماق بلاد العدو، واكتشاف كل ما يسبق الصراع المسلح من استعدادات. وهكذا، ومع تطور أساليب التضليل والخداع، والتطور المقابل لأحداث المباغتة، بقي حسم الصراع مرتبطا بارادة الصراع وبالقدرة الابداعية للقادة والمنفذين على السواء، من أجل (مباغتة الخصم) أو الحد من تأثير (مباغتته).

ويبقى الانسان المبدع هو ذلك الذي يستطيع الافادة من كل معطيات الصراع لبلوغ هدف الحرب. ولقد تطورت الحروب المحدودة بتأثير «الرعب من الأسلحة الدفينة»، وعرف العالم العربي أشكالاً متلاحقة من هذه الحروب عن طريق الصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ واستأثر بأكبر قدر منها، وكان للمباغتة في هذه الحروب دورها المعروف. ومن هنا تظهر أهمية دراسة التجربة التاريخية للمباغتة وتطوراتها في الأزمنة الحديثة، وهو ما حاولت التعرض له في دراسة أضفتها الى هذا الكتاب المترجم. وتبقى التجربة التاريخية، أفضل مورد متوافر لتعلم الحرب.

بسام العسلي

المدخل

الحرب المباغتة

«ان من يقاتلون ، يجدون أنفسهم دائمًا أمام وضع جديد، غير متوقع ـ جزئياً على الأقل».

(شارل ديغول ـ حد السيف)

ان ما ليس متوقعا هو الذي يصنع الانتصارات في الحرب، ومن الملاحظ في فترة الاستعداد للحرب، انه لا يُعار أبدا ما يستحق من الاهتمام.

ان الدراسات التاريخية التالية تظهر بعضا من الحالات غير المتوقعة التي تم تنفيذها بروح معنوية عاليه، وبأسلوب فني يوازيها، والتي أحدثت نجاحا عظيما، وفي بعض الأحيان نجاحا حاسما.

وبصورة عامة، فان هذه الدراسات قد تركزت ـ بصورة مقصودة ـ في محيط الحرب الثورية، وحرب القوات المحمولة جوا، وعمليات القوات البرمائية، تلك العمليات التي لا نعرف عنها الا القليل ـ والتي لم يتم الكشف عنها تماما.

وفي الواقع فان «المفاجأة» قد عبرت عن ذاتها في السنوات الحديثة بصورة خاصة على شكل مفاجأة تقنية وتكتيكية مذهلة، وذلك في محيط العمليات الاستراتيجية الجوية، وهبوط المظليين من الجو. وقد تم تنفيذ تلك العمليات بصورة خاطفة لم تستغرق أكثر من أسابيع قليلة فقط، أمكن بنتيجتها تدمير جيوش كانت تعتقد نفسها أنها الأفضل في العالم، كما أنها أنهكت القوة الحيوية لأكثر الشعوب فخرا، خلال فترة عدد من السنين.

لقد تمت دراسة «عامل المفاجأة» بعناية وحماسة من قبل المؤرخين والعسكريين، وأن

عناصر المفاجأة قد أصبحت الآن معروفة تماما، وتتلخص في تنسيق أعمال المدرعات والطيران، وزجها بمعارك كبيرة للتطويق والابادة، بينما تعمل قاذفات القنابل على تدمير المصانع، ووسائل المواصلات والروح المعنوية، وأخيرا تأتي القنبلة الذرية لتحويل المدن الكبرى الى رماد.

ومن ناحية أخرى، فان أعمال الاغارات الحديثة وعمليات القوات المحمولة جوا والعمليات البرمائية، هي أقل ذيوعا كما أن نصيبها من الدراسة أقل حظا وأسباب ذلك عديدة ، من أهمها:

١ ـ انها قوات خفيفة تنتشر فوق منطقة شاسعة، وتوجه ضرباتها غالبا الى أعماق العدو والى قدراته الاقتصادية، أكثر مما توجهها الى وحداته المقاتلة، وهي لذلك لا تستطيع أن تحتفظ بسجلات تفصيلية لعملياتها.
٢ ـ ان نتيجة عملها لا تظهر الا في وقت متأخر، وعندما تظهر هذه النتيجة فانها تأخذ أشكالا لا تلقاها في البيانات والتقارير العسكرية غالبا.
٣ ـ ان قادة الحرب يفضلون قيادة القوات المسلحة التقليدية الضخمة، والتي تتميز بالسهولة والعظمة.
٤ ـ ان المؤرخين نادرا ما يكتشفون الوثائق والشهود لمثل هذه المشاريع المتهورة والخفية ضد مواقع العدو الخلفية.

ان الدراسات التي ستأتي قد أجريت بمعونة الوثائق التاريخية لكل من فرنسا وألمانيا، وانكلترا، وأمريكا، واليابان، وبعض هذه الوثائق لم تنشر. وكل واحدة من هذه الدراسات تتضمن:

١ ـ السياق العام والشروط الخاصة لمختلف الاغارات وعمليات القوات المحمولة جوا والقوات البرمائية.
٢ ـ تطورها والنتائج التي أمكن الوصول اليها.
٣ ـ الدروس العامة التي أمكن استخلاصها حتى يومنا هذا.

ان عمل حوالي المائة شخص ـ كما سيظهر بوضوح ـ سيكون معادلا لزج مئة ألف، كما أن مسرح العمليات قد يكون في أوربا أو أفريقيا أو أمريكا أو آسيا.

وفي عصر الاعتماد المطلق على العقل، فان هذه الأمثلة التاريخية الخاصة، ستظهر بأن ما هو غير متوقع في الحرب سيبقى دائما ممكنا حدوثه، وسيبقى النصر على الأغلب حليفا له، وأنه لمن المفيد أن نتذكر ذلك.

إن السياسيين والعسكريين يميلون دائما الى الاعتقاد بأن كل شيء سيحدث في المستقبل تماما كما فكروا. ففي شهر آب من عام ١٩٤٤، كان الجميع يعتقدون بأن الحرب لا يمكن أن تدوم لأكثر من بضعة أشهر على أكثر تقدير. ثم ظهرت أسباب جوهرية لا يمكن دحضها ، وبررت خطأ تلك التنبوءات والاعتقادات.

وانه لمن الضروري التذكير بضرورة التفكير الدائم بأهمية عنصر المفاجأة وتفوقه. ففي عام ١٩٤٠، كان التفكير المستند الى التعليل المنطقي الناتج عن التخطيط المسبق، يعتمد على أن «الآردين» لا يمكن اختراقها بواسطة قوى العدو الآلية والمدرعة. وقد تكرر ذلك في عام ١٩٥٤ اذ أن نفس التفكير قد وقع وبصورة جازمة، بأن العدو لن يتمكن من حشد أكثر من فرقة واحدة حول «ديان بيان فو»، وأنه لا يستطيع تطويقها بالمدفعية.

وأخيرا فان المؤرخين والفلاسفة، عندما ينظرون الى هذه الأعمال والجهود والتضحيات المنمقة، فانهم سوف يكتشفون من جديد الحقيقة العميقة لقول الكاتب الأخلاقي :

«ان الحياة يجب أن تختطفنا دوريا من خداع التفكير، وذلك للتفكير الذي يعيش في فضائل وأعمال شعب آخر».

ألبير ميرغلن

الفصل الأول

الحرب الشعبية في القرن التاسع عشر: كوبا ١٨٦٨ - ١٨٩٨

منذ سنوات، ودول الغرب تهتم اهتماما متزايدا بالحرب الثورية، ذلك لأن الشيوعية تستخدم هذا النوع من النضال بمهارة، حتى أن بعض الشعوب، أخذت تنظر اليه على أنه خاصة من خصائص «الماركسية». ولكن التاريخ الذي لا يُعرف أبدا، ولا يُكترث به مطلقا، يثبت غير ذلك . فالحروب الثورية قد وقعت وتكرر وقوعها عبر القرون جميعها، وأن دراسة هذا النوع من القتال الذي وقع فوق أرض جزيرة «كوبا» بين عام ١٨٦٨ - وعام ١٨٧٨، ثم تكرر وقوعه بين عام ١٨٩٥ و ١٨٩٨، تثبت هذه الحقيقة. وان دراسة أسباب هذه الحرب وتطورها مع تحليلها، مفيد جدا للمؤرخين وللجنود على حد سواء.

ولنبدأ أولا، وحسب نظام الخدمة العسكري، بتعريف مفهوم الحرب الثورية وتحديده بشكل واضح: «تحدث الحرب الثورية داخل حدود بلد ما، ضد السلطات السياسية القائمة فيه، ويقوم بها قسم من شعب ذلك البلد، بمساندة ودعم من خارج الحدود أو بدونها. وهدف هذه الحرب، تشويه القيادة وعزلها عن السلطة، أو شلها عن الفعالية والعمل، في أضعف الاحتمالات».

إنها نوع من الحرب، تلتحم فيه القوة السياسية بالعمل. وقد ظهرت في أوربا خلال القرن السابع عشر في كل من هولاندا والبرتغال، كما ظهرت في أمريكا الشمالية في نهاية القرن الثامن عشر. أمّا في وسط وجنوب أمريكا، فقد ظهرت في مطلع القرن التاسع

عشر. واذا ما تم وضع انكلترا جانبا، فقد كان على اسبانيا أن تواجه هذا الشكل الخاص من أشكال القتال والنضال، الذي لم يثر الا اهتمام عدد قليل من المؤرخين العسكريين، الذين يميلون الى المعارك النظامية الرائعة. وما من شك، في أن باستطاعة اسبانيا أن تظهر أكثر أشكال الأدلة الوثائقية تنوعا، وأوفاها خبرة، في موضوع الحرب الثورية.

وبهدف اعطاء صورة واضحة عن الحرب الثورية في «كوبا»، تلك الحرب التي وقعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينبغي أن نعطي في البداية وصفا لأوضاع العالم الأسباني في القرنين السادس عشر والتاسع عشر، وبذلك تتوضح الأسباب البعيدة لهذه الحرب. وأخيرا، يبقى علينا النظر الى مرحلتين هامتين، وما تميزتا به، وهما: مرحلتا الحرب من ١٨٦٨ الى ١٨٧٨، ومن ١٨٩٥ الى ١٨٩٨.

* * *

١ - العالم الاسباني من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر:

ان اكتشاف العالم الجديد في عام ١٤٩٢، أعطى اسبانيا مباشرة ثروة طائلة ولكن هذا التوسع بحد ذاته، هو السبب الذي أدى الى انحسار ظل أسبانيا، وانحدارها تدريجيا خلال القرون التالية. وقد شهد القرن السابع عشر أعلى نقطة في الخط البياني وصلتها الامبراطورية الأسبانية في تطورها، حين بسطت نفوذها على كل من أوروبا وأمريكا، ثم تبع ذلك كسوف مستمر. ان الحروب الخارجية الطويلة التي خاضتها أسبانيا، لضم الأقاليم للصراع ضد الاسلام، قد انتهت بها الى درجة من البؤس والفقر، زادهما وضوحا الانحسار الكبير في التجارة والتقهقر في الزراعة. ومنذ القرن السابع عشر وما بعده، وجدت لدى الحكومات المسؤولة فكرة «الحكومات المطلقة»، وهي تشبه تماماً فكرة التفوق العرقي في القرن الذي نعيشه.

وقد اصطدمت هذه الفكرة مع مولدها برد فعل الشعوب الأخرى في أوروبا، بصورة مباشرة. فاندلعت فيها أول ثورة عامة في عام ١٥٦٧، ضد السلطات الحاكمة، وتبع ذلك نجاح كبير في تطوير الجيوش، وأساليب الضغوط والمؤامرات والمساومات السياسية. الى أن انتهت بتدخلات خارجية. وحصلت هولاندا على استقلالها في عام ١٦٤٨. أما البرتغال، وكانت قد ضمت الى أسبانيا في عام ١٥٨٠، فقد بدأت بالتمرد منذ عام ١٦٤٠، الى ان انفصلت عنها في عام ١٦٦٨. وفيما عدا ذلك، بقيت الامبراطورية الاسبانية ـ الأمريكية مستقرة خلال تلك الفترة، وكان لها معين كبير من الدخل يساعدها على هذا الاستقرار.

ولكن في نهاية القرن الثامن عشر، أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية الفتية على

اشعال نيران حرب ثورية ضد انكلترا، وذلك في الفترة ما بين عام ١٧٧٥ ـ ١٨٨٣. وتلقت هذه الحرب مساعدة خارجية وصلتها عن طريق فرنسا. لقد كان من الواجب أن تنظر الحكومة الأسبانية الى هذه الحرب كتحذير، يقتضي منها القيام بالتطورات السياسية اللازمة، كوسيلة لخنق المحاولات التي تنتهي بالحرية، وكمحاولة تمكنها من الاحتفاظ بأواسط أمريكا وجنوبها. ان هذا الأسلوب من الحرب الثورية، التي قام بها المدنيون ضد وحدات عسكرية نظامية تتفوق عليهم في عددها، وفي الدعم الذي تتلقاه من المتطوعين المناصرين لانكلترا، قد ظهر في ذات الحقبة من التاريخ التي قامت فيها انكلترا باحتلال الهند. وكان لحرب الاستقلال الأمريكية أثرها في الكشف عن ضرورة توفير الامكانات للتنسيق بين توجيه السياسيين وبين الأعمال العسكرية، وتنظيم الشعب وحشده حول السلطات، مع المحافظة على الأهداف الرئيسية وعدم التساهل في المواقف الهامة. ذلك لأنه عندما تنتظم مجموعة من الظروف وتتطابق، تبدأ الظواهر بالانفجار، وذلك على نحو ما يحدث تماما في المأساة العائلية، عندما يصل الابن الى مرحلة من العمر يتمرد فيها على طغيان الأبوين.

يعود الاحتلال الفرنسي لأسبانيا، بين ١٨٠٨ و ١٨١٢ ، في جذوره الى الاستقرار الطويل الذي عاشته أسبانيا. ولكن الموقف الضعيف الذي تبنته الحكومة المهيمنة، والتصدع الذي كان يمزق صفوف الشعب ويترك أثره في العلاقة مع السلطة المحتلة، والفقر المدقع الذي كان يتزايد في قسوته مع استمرار الحرب البعيدة الآفاق والقاسية، الى جانب الاهتمامات الخاصة، وظهور الأشخاص المتميزين بالطموح، والذين كانوا يعملون على خنق أية مشاعر وطنية صحيحة لدى المواطنين وأية مفاهيم نبيلة لدى الحكومة، بالاضافة الى التنافس المحموم للحصول على السلطة والثروة في آن واحد، كل هذه العوامل، خلقت صراعا عنيفا بين الأحزاب السياسية التي كانت تعمل لخلق آفاق ثورية. ولقد عبر هذا الصراع عن ذاته في المستعمرات ، على شكل مجموعة من الأسس والقواعد العسكرية، فرضت وجودها في الادارة وفي انشاء الحقوق التجارية.

ان الانفجار الكاسح في كل من أمريكا الجنوبية والوسطى، قد اندلع بتأثير من أفكار الثورة الفرنسية، وبتأثير مفهوم الاستقلال الذي أحرزته الولايات المتحدة الشمالية. فعلى الرغم من قسوة الضغوط العسكرية، وتطبيق الاجراءات المشددة، فان الهيمنة الاسبانية بدأت تنحسر بعيدا، وبدأ استقلال أمة بعد أخرى. فالأرجنتين في عام ١٨١٦، وشيلي في عام ١٨١٨، وبوليفيا في عام ١٨٢١، والمكسيك في عام ١٨٢٣، وبيرو في عام ١٨٢٤.

كان من البديهي أن تشكل هذه الحقائق والدروس المستخلصة منها قاعدة مفيدة، يمكن لأية حكومة ذكية وفعالة أن تستند اليها. ولكن أسبانيا تعرضت خلال القرن التاسع عشر لصراعات سياسية، ناتجة عن تجارب الحرب الأهلية والتدخل الخارجي، ونجم عن هذه الصراعات قيام عدد من العسكريين بالتمرد، وأعلنوا الحرب على السلطة. ومع هذا فقد أرسلت الحملات الاستعمارية الى المغرب في عام ١٨٥٩، وضد «بيرو» في عام ١٨٦٦. وبقي الأمر على ذلك الى أن جاء الجنرال «بريم» وأمسك بالسلطة في عام ١٨٦٨. ومن هذا يمكن تسجيل بداية مرحلة جديدة استمرت ستة أعوام، تم خلالها تجربة ثلاثة أشكال من الحكومات.

ونتيجة لذلك، فانه لم يكن أمرا مباغتا أن تتحول أرض جزيرة «كوبا» الى مسرح للحرب الثورية، التي ابتدأت في عام ١٨٦٨، واستمرت بعد ذلك لفترة طويلة، على الرغم من العزلة الجغرافية والرخاء الاقتصادي مما كانت تنفرد به الجزيرة دون سواها. ولقد كانت اسبانيا حريصة على ابقاء سيطرتها على الجزيرة وعلى استمرار امتلاكها لها، نظرا لما كانت تنفرد به من الأهمية.

٢ ـ الأسباب البعيدة

تم اكتشاف جزيرة «كوبا» على يد «كريستوف ـ كولومبس»، وذلك منذ رحلته الأولى إلى أمريكا. وتبلغ مساحة الجزيرة ١١٥٠٠٠ كلم مربع، لها شكل طولاني يمتد الى مسافة ١٢٠٠ كلم. وتتميز كوبا بضيقها الشديد، اذ لا يتجاوز المعدل الوسطي لعرضها ١٠٠ كلم. وتتشكل طبيعة الأرض فيها مساحة مستوية، باستثناء المنطقة الشرقية، حيث ترتفع الجبال. وقد حكمت أسبانيا جزيرة كوبا كمستعمرة لمدة ثلاثة قرون. تزرع فيها القهوة والسكر والتبغ على نطاق واسع. وفي الفترة ما بين عام ١٥١٢ وعام ١٨٨٠. تم نقل ما يقارب المليون زنجي وادخالهم الى الجزيرة. وكان عدد سكان «كوبا» في عام ١٨٦٠ يقارب المليون وأربعمائة ألف نسمة، وكانت نسبة الأسبانيين بينهم تقارب الثمانية بالمئة، الى جانب، ست وأربعين بالمئة من المستوطنين البيض، وأربع وأربعين بالمئة من الزنوج. وتبلغ نسبة العبيد بينهم الثلثين. أما الصينيون فلم تكن نسبتهم تتجاوز الاثنين بالمئة.

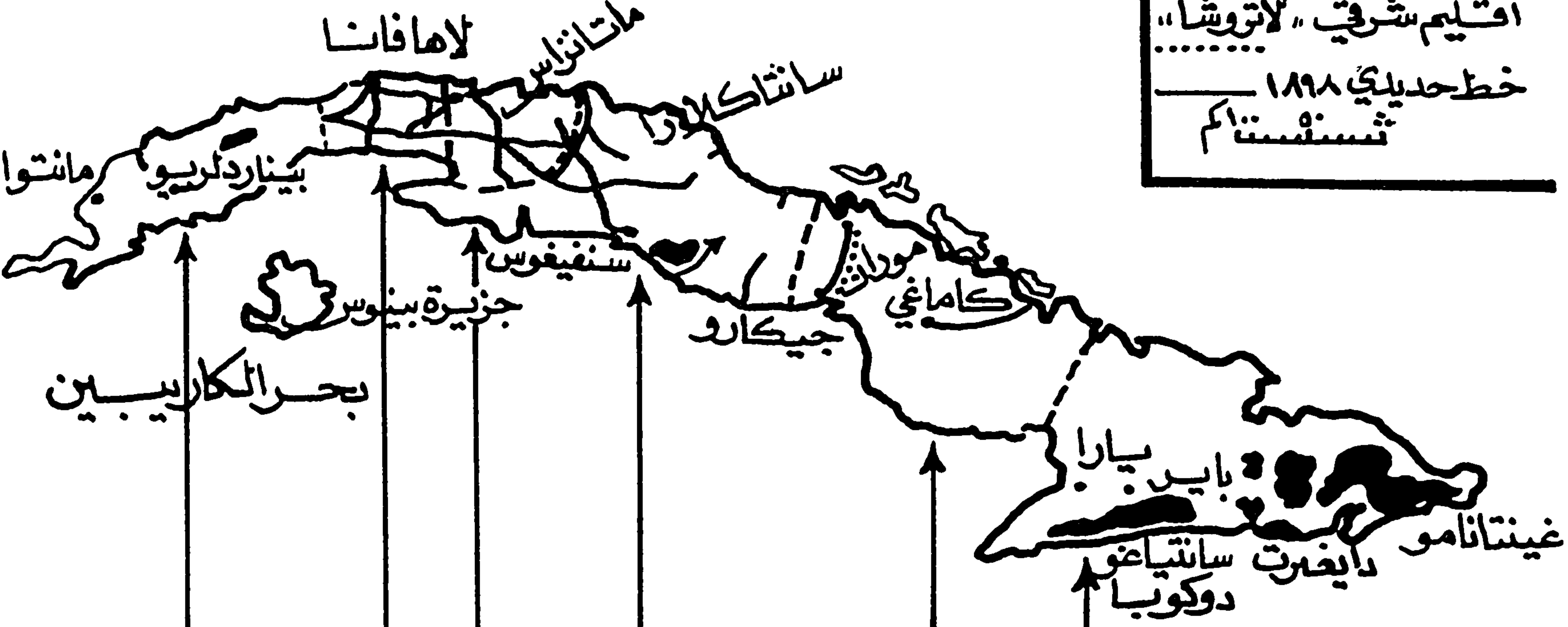
يعود تاريخ ثراء كوبا وغناها الى عام ١٧٩١، عندما قام الزنوج بثورة في «تاهيتي» و «سانتو دومينو»، وقذفوا على أثرها بالفرنسيين الذين كانوا من الرواد الأوائل لهذه الأقاليم، وأبعدوهم عن بلادهم، وكانت «هاييتي» في تلك الفترة تنتج ٧٥٪ من سكر العالم.

كوبا

١- حرب العشر سنوات ١٨٦٨ - ١٨٧٨
٢- حرب الاستقلال ١٨٩٥-١٨٩٨

التواريخ الرئيسية

- ١٠ ت١- أكتوبر ١٨٦٨ ثورة يارا في الشرق
- ١٨٧٨/٢/١٠ معاهدة زانخون في كاماغي
- ١٨٩٥/٢/٢٤ الثورة في بايير في الشرق
- ١٨٩٨/٢/١٥ انفجار المركب الأمريكي مارين في هافانا
- ١٨٩٨/٤/١٩ الولايات المتحدة الأمريكية
- ١٨٩٨/٨/١٢ الهدنة الكوبية الامريكية الاسبانية
- ١٨٩٨/١٢/١٠ معاهدة باريس واستقلال كوبا



عدد السكان في الأقاليم	بينار ديل ريو	هابانا	ماتانزاس	لاس فيلاس	كاماغاي	اورينت
الأرقام = سنة ١٨٩٨	١٧٠,٠٠٠	٤٢٥,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٨٥٠,٠٠٠	٨٥,٠٠٠	٣٢٠,٠٠٠
النسبة المائوية في كوبا (١,٥٥٠,٠٠٠)	١١٪	٢٧٪	١٣٪	٣٥٪	٥٪	٢١٪

وهرب الفرنسيون البالغ عددهم (٢٧٠٠٠) نسمة، وتوجهوا الى «كوبا»، وابتدأوا فيها بتطوير انتاج السكر، ومزاولة قيادة انتاج العالم في مادة السكر. وفي مطلع القرن التاسع عشر، كانت كوبا غنية بثرواتها، وكان يعيش فوق أرضها مجموعة من العروق المختلفة، وهي تنام منعزلة في وسط البحر.

وكان يقيم فوق أرض الجزيرة عدد من الجنود الِأسبان ـ بصورة دائمة ـ اذ كانت كوبا مركزا لتجمع الوحدات وتنقلها، في طريقها الى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. وكان الأقليم يعيش بسلام، حتى أن اسبانيا قد اعتادت على أن تنشد أناشيد الثناء لهذه الجزيرة الدائمة الولاء.

في مطلع القرن الثامن عشر، وقعتٍ بعض الاضطرابات، وصدرت على أثرها في عام ١٧١٧ مجموعة من العقوبات، أخذت شكل سلسلة من الاجراءات القاسية. ولم تكن تلك الاضطرابات الا احتجاجا على الاحتكار الاسباني المفروض على التبغ. ولكن، وفي مطلع القرن التاسع عشر، كان الجو العام يسيطر عليه الهدوء ، لا سيما وأن كوبا قد أصبحت في هذه الفترة تنتج ثلث ما ينتجه العالم بأكمله من مادة السكر. وكانت تصدر منه ٦٣٪ الى الولايات المتحدة الأمريكية، و ٢٢٪ الى انكلترا، و٣٪ فقط الى اسبانيا. ونتيجة لضيق أفق تفكير الحكومة الاسبانية وقصر نظرها، فانها قررت تبديل هذه النسب بدون تأخير.

انتقلت عدوى السلطة المطلقة الى مدريد منذ عام ١٨١٤، على أثر الاحتلال الفرنسي، وقد تم تسجيل هذه العدوى في «كوبا»، حيث ظهرت العدوى على شكل اجراءات حكومية غير متعقلة. ثم جاءت ثورة أمريكا اللاتينية، وعلى أثرها تم تطبيق مجموعة من التدابير وفي عـام ١٨٢٧، فرضت الأنظمة العسكرية على الأقاليم، وحلت السلطة العسكرية مكان الحكومة المدنية، ودُمجت أقاليم الجزيرة البالغ عددها (٢٧) اقليما، في ثلاث مناطق تقوم على ادارتها قيادة عسكرية. ولقيت هذه الخطوات الصارمة الدعم اللازم من قبل المحرضين والداعين الى تقوية العناصر الاسبانية، الهاربة من المستعمرات الضائعة، ومما كان يزيد من سوء الموقف، تدخل التجار الاسبانيين وأصحاب المراكب البحرية، الذين كانوا يطالبون بالمحافظة على امتيازاتهم، ويقاومون أية محاولـة لاجراء انتخابات عامة، كل ذلك مع الابقاء على الضرائب الجائرة المفروضة.

أما الحاكم العام ـ وقد تعاقب من الحكام ٣٨ حاكما فيها بين عام ١٨٠٩ وعام ١٨٩٨ ـ فكانت اهتماماته تنحصر في تطوير ثروته، وإغناء نفسـه. ولذلـك انتشرت الرشاوى بحيث أصبحت عامة، كما رافق ذلك اهمال تام لكتل الجماهير من المواطنين

الذين بلغت نسبة الجهل والأمية في صفوفهم الـ ٧٢٪، وذلك في عام ١٨٩٩. كما أن آخر مجموعة من العبيد لم يتم تحريرها الا في عام ١٨٨٠. كل ذلك خلق شرحا عميقا وهوة فاصلة بين السلطة السياسية والجماهير الواسعة من الشعب، وقد تزايد كبت الحريات بعد عام ١٨٢٥، وأخذ أشكال رقابة بوليسية صارمة، هدفها تأمين السيطرة الداخلية على الجزيرة.

كانت هذه الأسباب المباشرة والقوية، هي التي خلقت التناقض واثارته فيما بين الأكثرية من السكان الأصليين والاقلية الأسبانية. ولقد كان طابع اللامبالاة بين كتل الجماهير يتغاير في فعاليته زيادة ونقصانا، تبعا لبعض العوامل، كوجود بعض الشبان الأرستقراطيين الكوبيين ممن أشبعوا بروح الحرية، وظهور بعض التجار ممن قرروا تحرير أنفسهم من ظلم الضرائب الجائرة وكوجود العبيد الذين كانوا يريدون تحرير أنفسهم من ربقة العبودية. وكالمعتاد، بدأت ولادة التنظيمات السرية، وظهرت بعض البوادر التي تشير الى وجود الأزمة.

في شهر آذار من عام ١٨٢٦، تم تنفيد حكم الاعدادم بشاب ثائر اسمه «فرانسيسكو دو آيغيرو» وأصبح هذا واحدا من أوائل الشهداء.

وفي كل من عام ١٨٣٧ و ١٩٤٨، أمكن اكتشاف مؤامرات ضد السلطة. وكان والد الشاعر «جوزيه ماريا دوهيريديا» من بين المشتركين فيها. ولكن تم توفير الظروف المناسبة لفراره.

في أيار من عام ١٨٥٠، وفي آب من عام ١٩٥١، وطئت أرض كوبا مجموعات من الثائرين، كانوا قد حضروا من الخارج، ولكنهم أبيدوا على يد السلطة، ونجحت الشرطة في منع جذور التمرد من الظهور للعيان. وقام بعد ذلك البعض من التجار الأسبانيين المقيمين في «هافانا»، بارسال نداءات تطالب ببعض الاصلاحات، ولكن ذلك أدى الى سياسة أكثر حزما وصلابة. وكرد فعل لهذه السياسة، استطاعت فكرة الاستقلال أن تكتسب قاعدة جديدة، وأصبح اسم «كوبي» شعارا يرفعه المواطنون لكل ما هو ضد آسيا. واعتبارا من عام ١٨٦٥، بدأ المواطنون الكوبيون يطالبون باقامة حكم ذاتي على أرض الجزيرة.

كانت حكومة «مدريد» ضحية للظروف ولسوء الطالع. ولذا فقد كانت عاجزة عن اتخاذ الاجراء المناسب لاتباع سياسة حرة، يمكن بواسطتها تجنب اندلاع الحرب الثورية، وكان كل ما تستطيع السلطة أن تقوم به، هو المزيد من التدابير البوليسية الصارمة، مع اجراءات اقتصادية تعسفية. وأدى ذلك، الى جانب تعفن الجهاز الاداري وفساده، مع

التمسك بأسلوب السياسة المستبدة والمستوحاة من مبدأ الحكم المطلق، الى ظهور أول ثورة كوبية، كان موعد انفجارها في اليوم العاشر من شهر تشرين الأول لعام ١٩٦٨.

٣ ـ حرب السنوات العشر (١٨٦٨ ـ ١٨٧٨)

في العاشر من تشرين الأول عام ١٨٦٨، قام شاب أرستقراطي كان يعمل مزارعا في «يارا» من اقليم أوريانت، ومعه ١٤٧ من رفاقه، وأعلنوا استقلال «كوبا». وابتدأت بذلك حرب السنوات العشر، وكان حصادها يزيد على ٢٠٠ ألف قتيل، علاوة على تدمير الجزء الشرقي من الجزيرة تدميرا تاما. وكان من أول ثمار الثورة، اعلان الغاء الرق، وذلك بهدف استمالة الجند وتطويعهم، كما تم الاعلان عن قيام أول مجلس تأسيسي، وذلك في يوم ٢٩ نيسان عام ١٨٦٩، ولكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية رفضت الاعتراف بالحكومة المؤقتة لجمهورية «كوبا».

ولم يكن باستطاعة الثوار مزاولة الحرب الثورية الا في المناطق الجبلية، كما أن الأسلحة التي كانت بأيديهم قليلة، وقد جاء بعضها سرا من الخارج، بالاضافة لما أمكن أخذه من أيدي الوحدات الاسبانية، ولهذا فقد اقتصرت العمليات على تخريب مراكز العدو عن طريق القيام بهجمات مباغتة، بالاضافة الى احراق ممتلكات أنصار الأسبان والمتطوعين لديهم.. ورد هؤلاء بتخريب ممتلكات الكوبيين انتقاما منهم ودارت حرب رهيبة، تصرف خلالها كل من الطرفين بقسوة متساوية.. ونجم عنها خراب الاقليم الشرقي من الجزيرة وبقيت «هافانا» بعيدة عن الصراع الدائر، ولم تتأثر به كثيرا، كما أن الذين أسهموا في هذه الحرب لم يتجاوزوا ربع سكان الجزيرة. وأدى تمركز الصراع في اقليم واحد من جهة، وخصائص الحرب الثورية من جهة أخرى، إلى انهاك قوى الطرفين، بحيث لم يكن باستطاعة أحدهما تحقيق نصر حاسم.

في العاشر من شهر شباط عام ١٨٧٨، استفاد الجنرال الأسباني «ماتينيز كامبون» من الوضع القائم، ونجح في انجاز اتفاق حمل اسم «اتفاقية زانخون»، ووضع الثوار على أثر هذه المعاهدة أسلحتهم، بعد أن أخذوا وعدا باجراء انتخابات عامة يتم على أثرها تثبيت درجة معينة من الحكم الذاتي. وكانت النتائج الأولية لهذه الحرب، تحرير جميع العبيد، والاختفاء الكامل لأي أثر فرنسي من مصانع السكر في اقليم أوريانت.

وما ان زال الخطر، حتى تناست السلطات الاسبانية في أسبانيا ذاتها، وفي جزيرة كوبا، كل وعودها السابقة، وكانت الظروف الاقتصادية على العكس ناجحة، فقد ظهرت أهمية انشاء الخطوط الحديدية، وتطورت التجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وتوسعت مجالات العمل. وفي عام ١٨٩٤، وصل انتاج السكر الى الذروة، فبلغ مليون طن، وذلك

لأول مرة، وكانت الأزمة العالمية في السنة السابقة ـ أي في عام ١٨٩٣ ـ قد تسببت في خلق مجموعة من الاضطرابات، ولكن هذه الاضطرابات اقتصرت على الأوساط التجارية والمالية، ولم تتجاوزها الى الجماهير.

في شباط من عام ١٨٩٥، أصدرت الحكومة الأسبانية قانونا حمل اسم «الادارة الذاتية» ، وبموجبه أمكن ضمان حد معين من التمثيل لسكان كوبا، تحت اشراف حكومة يتم تعيينها من قبل «مدريد». ولكن هذا القانون قوبل بالسخط الشديد من قبل اسبانيي «هافانا»، وهكذا ضاعت الفرصة، وفي يوم ٢٤ شباط من عام ١٨٩٥، انفجرت الثورة من جديدة في «بير» من إقليم أوريانت.

٤ ـ حرب الاستقلال: ١٨٩٥ ـ ١٨٩٨

كانت الشروط العامة للثورة في كوبا متوافرة، بعد انقضاء عشر سنوات من السياسة الأسبانية المتعثرة، والمجردة من أية كفاءة، تلك هي حقيقة لا مجال للشك فيها. ولكن من الواضح أيضا بأن انفجار العنف، كان من صنع وعمل رجل واحد، هو «خوزيه مارتي». فهو الذي نظم حزب «الثورة الكوبية» منذ عام ١٨٩٢، وذلك عندما كان منفيا في «نيويورك»، كما أنه هو الذي شكل القاعدة الثورية وأمدها بالمال، ونظم الجناح السياسي، والمجموعات المقاتلة، كما عمل على تأمين الامدادات وارسالها بصورة سرية عن طريق البحر، بالاضافة الى تنظيم جهاز الأعلام للدعاية في داخل الجزيرة وخارجها. وفي ٢٤ شباط من عام ١٨٩٥، أقدم «خوزيه» على تحريك جذوة الثورة. وفي يوم ١١ نيسان، عاد منظم الثورة الى الجزيرة، ووطئت قدماه أرضها، الا أنه قُتل في يوم ١٩ أيار، بعد أن غدر به واحد من الكوبيين، وأوقعه في كمين كان قد تم اعداده له. وابتهجت اسبانيا بموت «زعيم الثورة» كان ميزان القوى الأولي عبارة عن ٣٥ ألف جندي اسباني، مقابل بضع مئات من الثوار. وكان نجاح السلطات السياسية في مهمة القضاء على الثورة أمرا مضمونا حسبما كان ظاهرا. وقد صرح رئيس وزراء أسبانيا آنذاك «كانوفاس» بقوله: «ستبقى كوبا مع اسبانيا، حتى لو كلفنا ذلك ارسال آخر جندي، وانفاق آخر بيزيتا».

ولكن الحقيقة كانت خلافا لما كان ظاهرا، اذ أن مصرع «خوزيه» أجج نيران الثورة، وابتدأت حرب السنوات الثلاث، تلك الحرب التي كان ما أزهق فيها من أرواح، وما تم خلالها من تدمير وخراب، يعادل ما وقع خلال حرب السنوات العشر.

في ١٣ أيلول من عام ١٨٩٥، تم تشكيل حكومة ثورية برئاسة «سيز نيروس ـ ي

بيتانكورت» ، كما تولى الجنرال «غوميز» منصب القيادة العليا لجيش الثورة الكوبي. وقد بذلت كافة الجهود منذ البداية لتجنب حصر الحرب في منطقة واحدة، والابتعاد عما حدث في حرب السنوات العشر، عندما كان الأقليم الشرقي وحده مسرحا للثوار، وكان نشر الثورة وجعلها عامة، عاملا أساسيا للنجاح.

اعتمد الأسبانيون على أسلوب حشد القوات التي كان يتم ارسالها من أسبانيا، لقتال من كانوا يطلقون عليهم لقب «العصابات». كان عدد سكان أسبانيا في تلك الفترة قد بلغ ثمانية عشر مليونا، ولذا فقد كان باستطاعتهم ارسال قوات كبيرة الى الجزيرة، فوصل عدد أفراد الجيش الأسباني في كوبا الى (١٦٠٠٠٠) من الجنود النظاميين، وكان يعمل معهم (٤٢٠٠٠) من الكوبيين كجنود غير نظاميين، الى جانب بضعة آلاف من المتطوعين، وكانت القوات الاسبانية تتحرك وتتنقل فوق أرض الجزيرة بحرية، وكأنها كانت تقوم بذلك فوق أرضها وفي بلدها.

ولعب الخط الحديدي دورا هاما في تنقل الوحدات وتحركاتها، وكذلك كان دور المراكب البحرية. ونتيجة لذلك، فقد كان باستطاعة القيادة أن تقوم بتحريك الوحدات بسرعة. وكان بامكان الأفواج أن تنتقل مسافة ١٠٠٠ كلم، أي ما بين «سانتياغو» و «هافانا»، في مدة ستة أيام فقط. وبالاضافة الى ذلك فان ثلاثة أرباع سطح أرض الجزيرة كان مستويا قليل التضاريس. وفي مثل هذه الأرض، كان استخدام الفرسان أمرا ممكنا.

كان عدد الثوار في البداية لا يزيد عن بضعة آلاف، ثم تزايد هذا العدد، حتى بلغ عددهم في حده الأعلى ٣٠ الفا. وكان ذلك في الفترة الأخيرة من الحرب. وكانت المشكلة الكبرى أمام قيادة الثورة هي توفير الامدادات، وتأمين الأسلحة والتموين، ولم تكن عمليات الانزال السرية، على شواطىء طولها ٤٠٠٠ كلم، كافية لتلبية متطلبات الثوار.

في نيسان من عام ١٨٩٥ عاد الجنرال «ماتينيزكامبوس» الى كوبا، وهو القائد الذي حقق الانتصار في حرب السنوات العشر، وقد صمم على حصر مجال الصراع في اقليم أوريانت، ولذا عمل على انشاء حاجز دفاعي أسماه «تروشا»، وذلك لشطر الجزيرة من الشمال الى الجنوب، من «مورون» الى «خوكارو». وكان الخط عبارة عن خط حديدي، يؤمن تنقل الوحدات وتحرسه مخافر متصلة بالنظر، وتستند الى تحصينات دفاعية مجهزة ومسلحة بالمدفعية. وكان الهاتف والأجهزة الضوئية تحقق الاتصالات فيما بين هذه التحصينات. ولكن احتلال الجنرال «كامبوس» لكل المدن الرئيسية، واقامة المخافر على طول الطرق والسكك الحديدية، اديا الى تجميد كتلة رئيسية من قواته، وشلها عن الحركة، وسط السكان البالغ عددهم ١,٥ مليون كوبي.

على الرغم من كل ذلك، واعتبارا من شهر تشرين الثاني لعام ١٨٩٥، ابتدأت قوات جيش الثورة باختراق «التروشا» ، ووصلت طلائعها، على شكل مجموعات متفرقة، حتى غرب الجزيرة، وكانت هذه الطلائع مكونة من الفرسان الذين كانوا يزاولون مهماتهم على شكل يماثل عمل مفارز الاستطلاع. وكان ثلثا هذه القوات مكونا من الزنوج، الذين كانوا يلقون كل دعم ومساعدة من أبناء عرقهم عند اجتيازهم للحقول والمزارع. وفي كانون الثاني من عام ١٨٩٦، وصلت قوات الثورة الى ضواحي العاصمة «هافانا». وفي شهر شباط كانت قوات الثورة تحيط بمدينة «مانتوا» الواقعة في أقصى غرب الجزيرة، وتقوم بتطويقها. وبذلك تحطمت هيبة الجنرال «كامبوس» ، فتم استدعاؤه الى اسبانيا.

كان أهم نجاح حققه قائد جيش الثورة الجنرال «غوميز» ، هو أنه جعل الثورة عامة، كما أنه حقق نجاحا في أسلوب العمل، وذلك بتجنبه لأي نوع من أنواع الالتحام مع قوات العدو الكبيرة، والعمل في الوقت ذاته على نشر أعمال العصابات فوق أرض الجزيرة بأكملها، واعتماد أسلوب الاغارات، والكمائن، وتدمير ممتلكات السكان ممن لم ينضموا الى القتال كطريقة لتعزيز مواقع الثورة. وبهذه الوسيلة أصبحت جميع اراضي «كوبا» تلتهب بنيران الحرب.

كان رد فعل الحكومة الأسبانية مماثلا لما كان عليه من قبل. وهو اتباع أسلوب القمع العنيف. وقد تم تعيين الجنرال «ويلر» لقيادة الجيش الأسباني «في كوبا»، فوصلها في شهر شباط من عام ١٨٩٦، ومعه الأوامر الدقيقة والتعليمات الصارمة. وقد صرح لدى وصوله بقوله: «سيتم سحق التمرد حالا، على أن توقف الولايات المتحدة الأمريكية كافة مساعداتها للثوار، وامدادها لهم بالسلاح». وكان يعمل تحت قيادة «ويلر» خمسة قادة برتبة عماد، وتسعة برتبة لواء، و٢٦ برتبة عميد، مع اثنين برتبة «أدميرال» في البحرية. أما تعداد قواته فقد وصل الى ١٧٦ ألفا من الجنود النظاميين، و ١٩١ مدفعا لذا فقد تأهب للبحث عن الثوار وملاقاتهم.

بدأ «ويلر» بتنفيذ مهمته، باتباع أسلوب جديد يعتمد على «سياسة العزل». وكان يتم تنفيذ هذا الأسلوب بجمع السكان في المدن الأسبانية، أو في معسكرات مؤقتة، ثم القيام بعد ذلك بتدمير كافة الأماكن الأخرى المأهولة. والى جانب ذلك كانت تتخذ التدابير الصارمة بحق كل من يتعاطف مع الثوار. ثم شرعت الأرتال المتحركة باجتياح الأقليم، ونجحت في قتل نائب قائد الثورة، الجنرال ماسيو، الأمر الذي زاد ثقة الأسبانيين بالنصر. وأضحى مصير السكان رهيبا، لأن الثوار مارسوا بدورهم سياسة «الأرض المحروقة» والارهاب.

في نهاية عام ١٨٩٦، كان الجنرال «ويلر» قد خسر أربعة من قادته برتبة جنرال، وستة وستين ضابطا و٤٨٤ صف ضابط، بالاضافة الى ١١٣٠ قتيلا من صفوف الجنود، كما أن الحمى الصفراء فتكت بـ ١٠٤٧٥ من أفراد القوات الأسبانية، إذ كان تأثيرها على الاسبانيين القادمين من القارة الأوربية أكثر من تأثيرها على الكوبيين الذين كانوا حسب قانون انتخاب الطبيعة، في حصانة ضد هذا الوباء منذ طفولتهم. كانت نتيجة الجهود المبذولة من قبل القيادة الاسبانية في كوبا مفزعة، وأصبحت غالبية الأوساط الكوبية ميالة الى منح كوبا استقلالها، كرد فعل على الفظائع الاسبانية. وكان الشعب بائسا جدا، حتى تبلد شعوره ولكنه كان يتمنى من كل قلبه جلاء الاسبانيين الذين تحولوا الى جيش للاحتلال. وأخيرا ظهرت ردود فعل عالمية لا سيما في الولايات المتحدة وأوربا ضد أسلوب العزل، الذي كان سببا في انتشار الأوبئة والمجاعة، وارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال والنساء الى درجة رهيبة. وقد لعبت كل هذه المظاهر دورها في فضح الأسلوب الاسباني، واظهاره على شكله الشائن والبشع. ونتيجة لذلك، تم استدعاء «ويلر» الى اسبانيا، وذلك في أواخر عام ١٨٩٧.

في تشرين الثاني من عام ١٨٩٧، وصل الجنرال «رامون بلانكو» الى كوبا خلفا لمن سبقه. وقد أعلن لدى وصوله برنامجا للاصلاح، وانهاء «سياسة العزل»، واعطاء قسط من الحكم الذاتي. وفي الأول من كانون الثاني ١٨٩٨، تم وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ، ولكن ذلك لم يرض المتطرفين من الأسبانيين الذين كانوا متعصبين لأسلوب القتال حتى النهاية. فعملوا على مهاجمة برنامج الاصلاح. وفي «هافانا» قام الضباط الاسبان بالهجوم على دور الصحف ومكاتبها بحجة اقدام هذه الصحف على اهانة الجيش وتحقيره. أثارت هذه الأحداث ردود فعل قوية، فتم ارسال نداءات تطالب بالنجدة. وكان وراء تلك النداءات السفير الأمريكي في كوبا، الذي كان قد تأثر بتلك الأحداث الى حد كبير، وأصبح يخشى على حياة مواطنيه وممتلكاتهم. وعلى أثر ذلك وصلت الدارعة الأميركية ماين Maine، لتلقي مراسيها في ميناء «هافانا»، ومعها كل المستلزمات التي يتطلبها نظام «البروتوكول».

٥ ـ التدخل الأمريكي في كوبا عام ١٨٩٨

كان الرأي العام في الولايات المتحدة بادي العطف على ثوار كوبا، غير أن الحرب الأهلية الأمريكية بين عام ١٨٦١ وعام ١٨٦٥، وما تبعها من الاستنزاف الاقتصادي، ثم الجهود المبذولة لاعادة البناء، حالت دون كل مساعدة، مع أن السياسة الأمريكية آنذاك

والمنبثقة عن مبادىء الثورة الأميركية، كانت تقتضي تقديم العون لثوار كوبا ودعمهم، بالاضافة الى ما كان بين الولايات المتحدة وكوبا من علاقات اقتصادية هامة، والى ما كان لموقع كوبا من أهمية استراتيجية بسبب قربها من الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى كل حال، قام عدد من الصحف والسياسيين الباحثين عن المكاسب المتمثلة بالشعبية السهلة بتشجيع الولايات المتحدة على سلوك السبيل المؤدية الى التدخل العسكري في كوبا.

ووقع حادثان عجلا في هذا التدخل: أولهما نشر تقرير قدمه السفير الاسباني في واشنطن، تضمن اهانة موجهة الى الرئيس الأمريكي، ماك كينلي، وثانيهما انفجار الدارعة «ماين» بشكل غامض أدى الى مصرع ٢٦٠ بحارا، وذلك في ١٥ شباط عام ١٨٩٨.

أرسلت أمريكا تحذيرا تطالب فيه اسبانيا بانهاء «سياسة العزل» والشروع في التفاوض مع الثوار الكوبيين. وعلى الرغم من قبول مجلس النواب الاسباني هذا الانذار فان الكونغرس الأمريكي، خضع لضغط الرأي العام الأمريكي، وأعلن في يوم ١٩ نيسان عام ١٨٩٨، أن كوبا دولة حرة مستقلة، وأعلن ارسال قوات أمريكية لاجلاء الأسبان.

تتابعت أحداث الحرب الاسبانية ـ الأمريكية خلال عام ١٨٩٨ بشكل غريب، وكان بعضها يدل على الحماقة، والبعض الآخر لا يمكن تصديقه. وكان سكان الولايات المتحدة الأمريكية سبعين مليونا. ولكن جيشها النظامي لم يكن يتجاوز عشرين ألف رجل، موزعين فوق قارة شاسعة. وكان على هذا الجيش أن يواجه الجيش الاسباني البالغ تعداده ٢٠٠ ألف جندي، والذي يقوم بازعاجه ١٥ ألفا من الثوار. والحقيقة أن عدم الاستعداد الأمريكي، ونقص المخططات والوسائط (الذي كان يؤدي أحيانا الى اتباع الجيش البري لأساليب اجرامية)، اصطدما مع عجز الاسبان عن استغلال عدة مميزات متاحة. وسمحت البحرية الأمريكية لقطع الأسطول الاسباني في البداية، أن تتجمع في ميناء «سنتياغو دي كوبا» وقامت بمحاصرتها، ثم طلبت من الجيش الأمريكي مساعدتها على تدميرها، وذلك بالاستيلاء على القلاع المسيطرة على محاور الاقتراب من الميناء.

وهكذا نزلت القوات الأمريكية في ديكيري الواقعة شرق سانتياغو دي كوبا، في ٢٢ حزيران ١٨٩٨، ورحب بمقدمها الثوار الكوبيون ودافع جنود المشاة الاسبانيون بشجاعة ومهارة عن المواقع المتتابعة، ضد كتلة أمريكية متفوقة تمتلك شجاعة كبيرة وتقودها قيادة سيئة. في حين أن القيادة الاسبانية، التي أمضت عدة سنوات وهي تزاول نوعا من القتال السهل ضد خصم يرفض القتال، وقفت عاجزة عن الحركة، ومشوشة أمام حرب من نوع آخر. على أثر ذلك، أصدرت حكومة مدريد أوامرها الى الأسطول الاسباني الموجود في سانتياغو دي كوبا بالخروج من الميناء وخوض المعركة. ولكن مصروفات الحرب

الثورية طوال السنوات الماضية، وفي أمريكا كلها، جعلت الأسطول الاسباني متخلفا كالجيش البري الاسباني. وفي ٣ تموز ١٨٩٨، تم اغراق قطع البحرية الاسبانية بكاملها، بينما لم يخسر الأمريكيون سوى جندي واحد.

وبذلت فرنسا جهودها للوساطة بين الطرفين، وتقدمت اسبانيا بطلب للهدنة وتم لها ذلك، وأبرمت اتفاقية الهدنة بتاريخ ١٢ آب ١٨٩٨. ثم جرى توقيع الصلح في باريس بتاريخ ١٠ كانون الأول، وبموجب هذا الصلح، تم اعلان استقلال كوبا، رغم أن المفاوضين الاسبانيين طلبوا من الولايات المتحدة خلال المباحثات الحاق كوبا بها، وذلك للمحافظة على أرواح وممتلكات مواطنيها المقيمين فوق أرض الجزيرة.

في الأول من كانون الثاني لعام ١٨٩٩ أبحرت آخر القطعات الاسبانية مغادرة أرض الجزيرة، ومخلفة وراءها حالة من البؤس الشديد. فقد كانت القرى مهدمة والمزارع مخربة، وتعداد السكان أقل بكثير مما كان عليه قبلا، وكان الفقر، سببا في انتشار أعمال قطاع الطرق في الأقاليم المهجورة، أما الخزينة فكانت خالية خاوية. وأخذت الادارة العسكرية الأمريكية على عاتقها اعادة بناء جميع المرافق العامة، فأعادت تنظيم الأجهزة الادارية، وأمنت سيادة القانون، مع الابقاء على القوانين الاسبانية، وأعادت ترميم الطرق واصلاح الخطوط الحديدية، وقامت بحملات ناجحة ضد وباء الحمى الصفراء.. الخ. وفي يوم ٢١ كانون الأول من عام ١٩٠١، أعلن في كوبا دستور مأخوذ عن الدستور الأمريكي، وتم تحديد شهر شباط من عام ١٩٠٣ موعدا لتنفيذ ذلك. وفي ٢٠ أيار عام ١٩٠٢ ـ وهو يوم الاستقلال ـ قامت الحكومة الكوبية وعلى رأسها الرئيس «إسترادا بالما» باستلام مقاليد الأمور في كوبا.

بعد أن عاشت كوبا تحت الحكم الاسباني مدة ثلاث قرون ونصف قرن، وتلقت من اسبانيا حضارتها واستفادت من أفكارها الخاصة بالمشروعات! شنت ضدها خلال ١٣ عاما حربا ثورية حقيقية، أسفرت عن استقلال الجزيرة. ومع هذا، فخلال الثلاثين سنة الأولى من حياة الجمهورية الكوبية ـ أي ما بين عام ١٩٠٢ و ١٩٣٢ بلغ عدد المهاجرين الى كوبا ١٣٠٠٠٠٠ شخص، من بينهم ٧٦٠٠٠٠ إسباني جاءوا من الوطن الأم. وهذا يعني أن حرب الاستقلال لم تندلع بسبب معارضة اسبانيا ذاتها، بل بسبب رفض أساليبها آنذاك.

الطبيعة الثورية لهذه الحروب

تعتبر هاتان الحربان ما بين عام ١٨٦٨ و ١٨٧٨ وما بين عام ١٨٩٥ و ١٨٩٨، نموذجا للطبيعة الدائمة للحرب الثورية، والاعتراف بذلك شيء أساسي. وهو ينطبق مع التعريف الذي جاء في مقدمة هذا البحث. يمكن تقسيم مراحل مسار هذه الحرب وفقا للأسلوب التقليدي في الدراسة الى خمس مراحل:

١ ـ اظهار وعرض التناقضات الداخلية الكامنة ، بغية الافادة منها سياسيا، وذلك ما بين عام ١٨٢٠ وعام ١٨٥٠.

٢ ـ اعمال متفرقة معزولة هدفها استثارة الجماهير، وفصلها تدريجيا عن ادارة السلطة الحاكمة ، وذلك فيما بين عام ١٨٥٠ وعام ١٨٦٨.

٣ ـ القيام بالثورة وانتشار مجموعات من الثوار للسيطرة على اقليم من أقاليم البلاد، وتحطيم السلطة المحلية، وذلك اعتبارا من عام ١٨٦٨ والى ما بعد ذلك.

٤ ـ تشكيل جيش للتحرير وانشاء حكومة ثورية، خلال حرب السنوات العشر، ثم خلال فترة حرب الاستقلال.

٥ ـ الهجوم العام على كافة الجبهات، وتنظيم هذا الهجوم ليكون سياسيا وعسكريا، مع بذل الجهود للتعاون مع الرأي العام العالمي، خلال فترة حرب الاستقلال ما بين عام ١٨٩٥ و ١٨٩٨. ولقد أضافت الظروف أيضا تدخلا عسكريا خارجيا، توج العمل الثوري الداخلي.

كانت مراحل التطور آنذاك بطيئة ـ اذا ما قيست بما يمكن أن يكون عليه تطورها في الوقت الحاضر ـ ويعود السبب في ذلك، الى ضعف امكانات النقل ووسائله، والى ندرة وسائل الاتصال، والى أساليب القتال، وأسلوب نشر الدعاية والأعلام. ومع هذا، فقد كانت قوتها كبيرة: فعلى الرغم من عزلة الجزيرة جغرافيا، وتنوع سكانها العنصري ، وعلى الرغم من الجمود العام في المواقف، ووجود الشرطة والجيش والامكانات المالية التي كان باستطاعة الحكم القائم أن يفيد منها، على الرغم من ذلك كله، استطاعت الثورة أن تضرب بجذورها وتتطور وتحقق النصر، ليس بفضل العدد بل بفضل فاعلية قلة محدودة. قلة متباينة تتألف من شبان ارستقراطيين مثقفين، وارقاء من الزنوج، وتجار للأسلحة، بل وبعض المجرمين والمتطوعين الأجانب.

وهكذا شهدت أرض «كوبا» خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حالة حرب ثورية حقيقية، ولم يكن لهذه الثورة «اللون الماركسي» اذ كانت الماركسية خلال تلك الفترة لا تزال في مرحلة طفولتها. ان النظر الى هذه الأحداث من الزاوية التاريخية، يحملنا على الاعتراف بأن نجاح الثورة، كان نتيجة مباشرة للأخطاء الفادحة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، وقد ارتكب الاسبان كل ذلك لأنهم لم يعتبروا بالتجارب الفاشلة السابقة في الفلاندر، والبرتغال، وأمريكا الوسطى، وأمريكا الجنوبية. ان التشبث الأحمق بالسلطة القوية المركزية، تحت تأثير المصالح الخاصة قد أعاق بشكل تام قيام أي نوع من أنواع التطور، ذلك التطور الذي لا بد منه لحياة الأمم، ولحياة الأفراد على حد سواء.

لقد كان باستطاعة تدابير الشرطة والجيش وحدها أن تؤخر التحرك، ولكن لم يكن بمقدورها ايقافه، في حين كان القضاء على الأخطاء السياسية والاقتصادية والاجتماعية، قادراً على اجراء التغييرات الجذرية، واعادة بناء الثقة وارادة الحياة المشتركة، ولقد أدرك بعض الساسة الاسبان ذلك منذ حرب السنوات العشر. ولكنه لم يكن باستطاعتهم أن يسمعوا الآخرين أصواتهم ، وسط العاطفة الوطنية الجامحة، وحجج المصالح التي كانت تؤثر على المطالب التي كانت تحرص مدريد على فرضها حتى نهاية ١٨٩٧ .

إن هذه الحروب الثورية في كوبا، مثلها كمثل الكثير من الحروب التي سبقتها أو التي أتت بعدها، ما كانت الا نتيجة لأخطاء الساسة ، التي ثارت ضدها غالبية أهالي الجزيرة. ولقد برهنت هذه التجربة من جديد، على أن الوقاية خير من العلاج. وأن الشفاء بحاجة للصبر، والعدالة، والوقت، لأن المعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تعالج إلا خلال زمن طويل.

* * *

ان دراسة هذه الأحداث والحقائق التاريخية الماضية، تساعدنا على فهم مشاكل الوقت الحاضر وادراكها بشكل أعمق، وأن مشكلة الحرب الثورية، يجب العودة بها الى المنظور التاريخي. ومن الخطأ، بل ومن الخطورة بمكان، اعتبار هذه الحرب أداة للفكر والعمل الماركسيين فقط.

ويجب ألا يغيب عن الذاكرة، بأن السنوات الأخيرة قد شهدت اندلاع نيران حروب ثورية لم يكن الفضل فيها للماركسية، وكانت مفاهيم العمليات العسكرية هي الظاهرة المسيطرة فيها. وكانت موجهة ضد دول المحور في أوربا، وبورما، والفيليبين ، والصين.

وهذا يعني أنه لدى دراسة الأساليب الخاصة بالشيوعية في هذا المجال، يتوجب علينا ألا نقتصر على التعلّم منها وحدها، وألا نخضع لأساليبها الخاصة، ذلك لأن هناك حروبا ثورية أخرى تستحق على الأقل. بعضا من الدراسة والتمحيص والتفكير. وان حرب كوبا ومعاركها تقع ضمن اطار هذه الحروب. وتصبح الرؤية الصحيحة أكثر وضوحا، عندما يتم وضع التناقضات وحصرها ما بين عاملي القوة والسياسة ضمن المفهوم الانساني العام. وبذلك يمكن ادراك ابعاد الحرب في أصولها وفي طبيعتها وفي تطورها. فالحرب الثورية، ككل حرب، ليست سوى امتداد للسياسة، وانفجار الأولى عبارة عن نتيجة لفشل الثانية.

الفصل الثاني

قوات المظليين الألمان
١٩٣٥ - ١٩٤٥

في شهر مايس ١٩٥٨ - تم وضع مجموعة تعبوية من الفرقة الألمانية الأولى للقوات المحمولة جوا - والحاقها بقيادة قوات حلف شمال الأطلسي. وقد جاء مولد وحدات المظليين من جديد - ليعيد تقويم الدراسة العامة لماضي هذه القوات - وأعمالها فيما بين عام ١٩٣٥ - وعام ١٩٤٥ -. وهناك نقطتان يجب تسليط الأضواء عليهما:

١ - قضية الأهمية التاريخية، من حيث استخدام أسطول من التشكيلات الجوية، والقيام بتنفيذ عمليات المظليين بمساندة سلاح الطيران ودعمه، واجراء هذه العمليات بتخطيط من القيادة الألمانية وتنفيذ من الوحدات، وقد كان لهذه الأعمال ميزات خاصة، وطابع خاص، ارتسم على لوحة الحرب العالمية الثانية.

٢ - الموقف في الوقت الحاضر مع مراعاة أهمية التقدم الفني وامكان قيام الجيش المحمول جوا بالعمليات. وظهوره كسلاح حاسم في الحرب الذرية أو في الحرب التقليدية، أو في عمليات الحرب الشعبية، أو في المعركة التصادمية المحدودة.

وان الدراسة التاريخية التالية ستتضمن:

١ - وصفا لبداية ونشوء الوحدات الألمانية المحمولة جوا، وذلك ما بين عام ١٩٣٥ - وعام ١٩٣٩.

٢ - سنوات النصر، وذلك ما بين عامي ١٩٤٠ - ١٩٤١.

٣ ـ وأخيرا فترة التقهقر، وزوال الأمل الخادع وذلك فيما بين عام ١٩٤٢ ـ وعام ١٩٤٥.

ثم تأتي بعد ذلك الدروس السوقية والتعبوية والفنية المستخلصة من هذه التجارب، ومما لا شك فيه أن هذه الدروس تستحق عناية فائقة.

لقد كتبد الفيلد مارشال «مولتكه» ما يلي:

«اننا ونحن نستعد للقتال، نستطيع استخلاص أفضل الدروس من تجاربنا الخاصة. ولكنه يجب علينا أيضا، وباستمرار أن نستفيد من تجارب الآخرين، لكي لا نقف ضمن أفق محدود».

في عام ١٩٣٥ انجز الألمان تنظيم أول كتيبة للمظليين، ألحقت كوحدة من قوات سلاح الجو الألماني بقيادة «الجنرال غورينغ».

في خريف عام ١٩٣٦، قام الألمان باجراء أول تظاهرة عامة لقفز المظليين أمام الجمهور.

في نيسان من عام ١٩٣٧، تم الانتهاء من تنظيم أول لواء للمظليين.

في عام ١٩٣٨، أخذ الجنرال «اشتيودنت» على عاتقه مسؤولية تنظيم وتدريب القوات المحمولة جوا.

ولد الجنرال «اشتيودنت» في عام ١٨٩٠، وفي الحرب العالمية الأولى كان طيارا من طياري القتال، وأحرز خمسة انتصارات. كما أصيب مرتين بجراح. ثم أصبح ضابطا في سلاح المشاة قبل قيام الرايخ الثالث. وفي عام ١٩٣٤عاد الى سلاح الجو من جديد وكان برتبة عقيد، والتحق في البداية في فرع البحوث والتجارب قبل أن يتخصص بأعمال القوات المحمولة جوا، ومهامها الحربية. وكانت مَهمته في هذه الفترة مماثلة لمهمة زميله «الجنرال غودريان» الذي تخصص في أعمال الدبابات وقتالها وكانا يتمتعان بخيال خصب في وضع المخططات. وقدرة واضحة على وضع هذه المخططات موضع التنفيذ.

ابتداء من عام ١٩٣٨، كان لدى الجيش الألماني قوات محمولة جوا مكونة من فرقة المظليين الثانية ولواء الهجوم المنقول جوا وكلاهما ملحق بقيادة القوات الجوية بالاضافة الى الفرقة الجوية الثانية والعشرين والتي كانت من المظليين أيضا، ولكنها كانت من تنظيمات الجيش الأرضي.

في خريف عام ١٩٣٨، وفي أثناء احتلال أراضي «السوديت» تم تنفيد أول انزال للمظليين من الجو فوق أراضي اقليم «مزودنتال» ، وقد تم استخدام المظليين والقوات

المنقولة جوا في وقت واحد. وبذلك أصبحت فكرة اجراء التحرك في العمليات عن طريق الجو أمرا واقعا، وقد حقق استخدام المظليين كسلاح للمباغتة انتصارا حاسما.

* * *

في ٢٢ أيلول من عام ١٩٣٩، تم استخدام المظليين في معركة «بولونيا» بسهولة كبيرة.. فقد تم نقل مجموعة تعبوية بقوة كتيبة من الفرقة ٢٢ وتحريكها جوا الى أرض المعركة..

في ١٩ نيسان ١٩٤١، أمكن استخدام القوات المحمولة جوا من جديد أثناء معركة «النروج»، وقد تم تنفيذ العملية بتشكيلات واسعة وذلك للقيام بمهمة الاستيلاء على النقاط الرئيسية الموصلة الى «أوسلو».

ثم كان مخطط تنفيذ العمليتين الاثنتين كما يلي:

١ ـ تقوم سرية من المظليين بالهبوط فوق أرض المطار مباشرة ومعها مجموعة من الفنيين وذلك لاحتلال أرض المطار، واعداده لاستقبال القوات الرئيسية لجيش الغزو. والاتصال بعد ذلك بالقوات الأرضية التي يتم انزالها من البحر.

٢ ـ تقوم سرية من المظليين أيضا بالهبوط وذلك للقيام بمهمة قطع طرق مواصلات الحلفاء قرب «نامسوس» وتطويق حامية «نارمنيك» ومنع الامدادات من الوصول اليها.. وقد تم اتخاذ التدابير لنقل متطلبات هذه المعركة من أشخاص ومعدات، وتحريكها جوا.

في العاشر من مايس ١٩٤٠ تم وضع مخططي العمليتين المذكورتين موضع التنفيذ. وكان الدور الذي قام به المظليون فيهما ذا أثر حاسم في غزو كل من بلجيكا وهولندا.

كانت العملية الأولى ذات طابع تعبوي، بينما كانت الثانية ذات مضمون استراتيجي. تم تنفيذ العملية الأولى بوساطة مجموعة مكونة من مئة وخمسين مظليا تقريبا. ثم نقل أكثرهم بالطائرات الشراعية وكانت مهمتهم احتلال الجسور القائمة فوق قناة «ألبرت» ثم صيانتها وأبطال المواقع الدفاعية المجهزة تجهيزا حديثا، مع العمل في آن واحد على احتلال تحصينات قلعة «ابين اميل» التي كان يدافع عنها ألف ومئتا مقاتل بلجيكي.

أما العملية الثانية فقد اشترك فيها فيلق الجنرال «استيودنت» المنقول جوا وكان هذا الفيلق يتكون من فرقة المظليين السابعة وفرقة المشاة ٢٢، وقامت بحمل ونقل هذه القوة مجموعة من طائرات أجونكرز / ٥٢/ بلغ عددها الخمسمائة طائرة. كانت مهمة الفيلق النزول من الجو لتطويق الجيش الهولندي المكون من أربعة فيالق وعدد من التشكيلات

الاحتياطية العامة. وكان هذا الجيش مستنفرا ومستعدا للقتال قبل ثلاثة أيام من يوم الغزو. وكانت قواته تحتل المواقع الدفاعية المحصنة.

وقد أجبرت هذه القوات على القاء السلاح بعد أربعة أيام فقط من الغزو. وذلك قبل أن تتاح لها الفرصة كي تقاتل بجدارة. وأنه على الرغم من وقوع بعض الأخطاء التعبوية التي ارتكبتها قوات الغزو فان المهمة بمجموعها قد حققت نجاحا استراتيجيا رائعا.

معركة ثانوية في اطار معركة كبرى:

كان على الحرب في البلقان عام ١٩٤٤، أن تجابه النجاح الرائع الذي حققه المظليون الألمان في غزوهم لجزيرة من الجزر كانت تدافع عنها بحزم قوات من البحرية الملكية اليونانية. وهذه هي العملية الوحيدة من معارك المظليين التي يعرفها المؤرخون العسكريون جيدا لما لها من الصفات والميزات الهامة. وأن أكثر ما يميزها هو أنها حدثت فوق مسرح عمليات محدد الأبعاد وكان لها هدف استراتيجي.

ابتداء من ٢٦ نيسان ١٩٤١ أخذ الألمان يستخدمون مجموعات ألوية المظليين ويعملون على انزال هذه الألوية فوق المواقع المختلفة ـ كاليونان مثلا ـ وذلك لقطع طريق انسحاب القوات البريطانية، وعلى الرغم من النجاح التعبوي الموضعي الذي حققته تلك العمليات.. فقد أخفقت من الناحية الستراتيجية ولم تؤد الى أية نتيجة ايجابية ويعود السبب في ذلك الى أن تنفيذها قد جاء بعد فوات الأوان، وبعد أن كان القسم الأكبر من القوات البريطانية قد تجاوز الجسر القائم فوق قناة «كورنيث».

في ٢٠ مارس ١٩٤١ كانت معركة كريت تدخل مرحلتها الحاسمة، وكان الفيلق الجوي الحادي عشر بقيادة الجنرال «اشتيودنت» يضم اليه فرقة المظليين السابعة ولواء الهجوم المنقول جوا والذي كان يتم نقله بالطائرات الشراعية، وفرقة المظليين الجبلية الخامسة أما عدد الطائرات المخصصة لعمليات هذه القوات، فكانت تتألف من /٥٠٠/ طائرة جونكر (٥٢) و ١٠٠ طائرة شراعية. وقد قامت هذه الفرقة بانزال وحداتها فوق ماليم ـ وتيمور ـ وهير الكيون. وتمكنت من الانتصار في عملياتها بعد أن تكبدت الخسائر الفادحة ـ اذ لم يبق على قيد الحياة من الأفواج التسعة التي تتشكل منها الفرقة السابعة الا ثلاثة أفواج ونصف فوج. كما أن مجموع قتلى لواء الهجوم المنقول جوا قد وصل الى /٥٠/ ضابطا و /١٠٠٠/ جندي وكانت هذه نهاية عمليات المظليين.

وفي الواقع فان امتداد أفق الحرب فوق مساحات روسيا الواسعة وفقدان السيطرة

الجوية باستمرار وفقدان المبادهة الستراتيجية، كل ذلك حال دون قيام القيادة الألمانية العليا بالاقدام على تنفيذ أية عملية من عمليات المظليين وبذلك انتهى عهد امجاد وحدات المظليين الألمان ، وابتدأ عصرهم بالكسوف والانحسار.

وبين عام ١٩٤١ ـ وعام ١٩٤٥، تم وضع عدد من المخططات لتنظيم وتطوير أقسام الجيش الجوي الألماني ولكن ظروف الحرب، واستنزافها المستمر للأركان أجبر القيادة على اجراء تغييرات عميقة في ميزات وخصائص هذه القوات، وفي مجال عملياتها أيضا وهكذا ومنذ عام ١٩٤١، لم يبق للمظليين الألمان الا ظلال باهتة، من أمجاد العمليات الحاسمة التي سبق تنفيذها في عامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤١.

في شهر نيسان من عام ١٩٤١ كانت القيادة الألمانية العليا تعتقد بأن معركة روسيا ستنتهي في فصل الخريف وكان المخطط العام لاعادة تنظيم القوات الأرضية يتضمن تشكيل ما يلي:

تكوين ٢٤ فرقة مدرعة، ست فرق منها محمولة جوا مع ٢٤ فرقة خفيفة وعشر فرق جبلية، بالاضافة الى تشكيل مجموعتين من طائرات النقل تستطيع كل مجموعة منها نقل فرقة كاملة.

في الشهر الثاني من عام ١٩٤١ تم للمرة الثانية اعداد المخططات للقيام بعملية كبرى على نطاق واسع وكان ذلك باشراف «اشتيودنت» والهدف الاستيلاء على، مالطا وجبل طارق وقناة السويس ولينغراد». وانتهت الاستعدادات لهذه العملية التي لم تنفذ بنتائج هامة على صعيد الاعداد الفني.

كانت وسائل النقل الجوي، تعتمد بصورة أساسية على طائرات الجونكر ـ ٥٢ القادرة على حمل /١٥/ رجلا فقط. وكما أن الطائرة الشراعية د. ف. س. «٣٠٠» كانت تستطيع نقل اثني عشر رجلا ـ وكان لا بد من تطوير هذه الوسائل وزيادتها. وقد جاء هذا التطوير باعتماد النموذج الذي كان يحمل اسم (العملاق . م و ٣٢٣) كطائرة للنقل ذات ست محركات. باستطاعتها أن تحمل مئة جندي، كما تم اعتماد الطائرة الشراعية القادرة على نقل مدفع مضاد للدبابات من عيار ٧٥ مم مع سدنته. أما بالنسبة للمدفع عديم الارتداد من عيار ٧٥ مم /١٠٠/ مم. فقد كانت أسلحة ملائمة جدا للمظليين وكذلك الأمر بالنسبة للأسلحة الآلية. وقد تم تصميم عبوات يمكن تحويلها فوق أرض المعركة الى عربات صغيرة يستطيع الرجال جرها. كما أن عبوات الامداد بالذخيرة كانت بسيطة وعملية لا تضع أية صعوبة أمام تحرك الوحدات في ميدان القتال.

انتهت الاستعدادت الفنية بنتائج ايجابية. ولكن الوضع العام لم يعد يتيح تنفيذ عمليات المظليين على نطاق واسع وقد مرت فترة أصاب فيها الشلل القسم الأكبر من تشكيلات المظليين التي كان قد تم تنظيمها واعدادها. وهكذا وكما أصبح معروفا فان المشكلة لم تكن مشكلة النقص في الاحتياجات فعلا. بقدر ما كانت ساعة الغرور الذي أصاب ماريشال الجو «غورينغ».

منذ عام ١٩٤٣ ابتدأ الجيش الألماني بتشكيل /٢١/ فرقة الى جانب فرق المظليين التسع ولكن الجهود المبذولة لهذه الغاية لم تتوصل في النهاية الى اعداد أكثر من فرقتين الفرقة الأولى والفرقة الثانية. اللتين أصبحتا على درجة من الاستعداد النسبي للقتال. وكانت الفرقة الأولى تضم (٥٠٪) من أصل تعدادها ممن تم تأهيلهم للقفز اما الفرقة الثانية فان نسبة المؤهلين فيها لم تتجاوز الثلاثين بالمئة وفي عام ١٩٤٣، أيضا وفي النهاية أمكن انجاز تنظيم الفرق الأربع الأولى أما الفرق الخمس الباقية فقد تم تنظيمها في عام ١٩٤٤. ولم تقم أي منها بعملية من عمليات المظليين.

أما تنظيم هذه الفرق ضمن تشكيلات أكبر ووضعها على شكل فيالق. فقد جاء على مراحل:

في عام ١٩٤٣ تم اعداد تنظيم فيلق المظليين الأول..

في عام ١٩٤٤ تم اعداد تنظيم فيلق المظليين الثاني..

وأخيرا عين الجنرال «اشيتودنت» قائداً لجيش المظليين الأول، الذي لم يوجد الا بالاسم فقط.

وبعد ذلك.. وكان مجرد اطلاق «مظلي» على وحدة عسكرية، ما، يجعل منها وحدة ممتازة، فقد أنشئت في ربيع عام ١٩٤٤ فرقة مظلية مدرعة أطلق عليها اسم «هرمان غورنغ» ثم تحولت هذه الفرقة الى فيلق في نهاية العام ذاته.. كانت هذه التشكيلات الكبرى التي استهلكتها المعارك الأرضية قسما من أقسام سلاح الجو الألماني كما أن قيادتها كانت تابعة لقيادة سلاح الجو. أما ضباطها فكان يتم أخذهم من ضباط الجيش البري. وكان سبب اعتماد هذا الأسلوب هو الاستناد الى فكرتين خاطئتين هما:

١ ـ اعتبار النقل الجوي هدفا بحد ذاته لا وسيلة لتحقيق هدف..
٢ ـ بما أن القوات الجوية تنفرد بامكانات كبرى. ومتطورة فانها تستطيع أن تقوم بتشكيل وحدات القتال الأرضي بنفسها.

ولقد بدأ الاضطراب واضحا في تفكير الجيش الألماني وآرائه في القوات المحمولة جوا

وما يعلق عليها من آمال، مع أنها ليست أكثر من قوات برية محمولة جوا، وهو الجيش الذي كان رائدا في عمليات هذه القوات.

أما بالنسبة لعمليات المظليين الخاصة والمستقلة فقد كانت ذات أهمية محدودة وها هي بعض من اللمحات عنها.

في شهر تموز عام ١٩٤٣ تم تكليف أحد ألوية المظليين بالهبوط في صقلية وذلك لدعم الوحدات المقاتلة فيها.

في ١٧ أيلول هبطت عشر طائرات شراعية في اغارة جريئة. أمكن بواسطتها اختطاف «موسوليني».

في ١٧ تشرين الثاني، قامت كتيبة من المظليين بالهبوط فوق جزيرة «ليروس» في «الدوديكانيز».

أما في روسيا، فقد هبطت سبع طائرات شراعية فوق أرض «فيليكي ـ لالي» حاملة معها للحامية المحاصرة الامداد بالسلاح والمدافع المضادة للدبابات من عيار ٧٥ مم.

وفي عام ١٩٤٤ ـ تم تحميل عدد من الطائرات الشراعية ـ بالعناصر اللازمة لدعم هجوم رجال المقاومة الفرنسيين على قلعة «فيركو» في فرنسا.

وفي يوغوسلافيا، قامت كتيبة من المظليين بالهبوط فوق مقر القيادة العسكرية للجنرال «تيتو» آنذاك.

وأخيرا ـ وفي شهر كانون الأول من عام ١٩٤٤ ـ قامت مجموعة مكونة من ١٢٠٠ مظلي ألماني، بالهبوط بمظلاتها في ظروف جوية سيئة عند بزوغ الفجر، وذلك لتنفيذ مهمة طلائع هجوم الجيش البري الألماني في الأردين. وكانت هذه العملية من العمليات الفاشلة بسبب الأسلوب الخاطىء الذي تم فيه زج المظليين بسبب طبيعة الأرض ووعورتها كما كانت هذه العملية العقيمة آخر عمليات المظليين الألمان في الحرب العالمية الثانية.

ولكن مع كل ذلك، أصبحت تلك التجارب، وما رافقها من تضحيات، المنارات التي أضاءت الطريق الصحيح لاستخدام المظليين.

وبعد، وفي نهاية هذه اللمحة الوجيزة، عبر تاريخ وحدات المظليين الألمان، يمكن القول أن هناك الكثير من الدروس الهامة التي يمكن استخلاصها في المجالات الستراتيجية والتعبوية والفنية.

!

لقد استطاعت القيادة الألمانية العليا، أن تستخدم الطابع الستراتيجي لـوحدات المظليين بشكل تام، واستفادت من ميزات هذه الوحدات، وامكاناتها على الاختراق البعيد للوصول الى قلب بلاد العدو، ويبدو ذلك واضحا في النظرية التي تم الاستناد اليها في تنفيذ ثلاث من العمليات التي كان مسرحها في «النروج وهولندا» وانها لميزة كبرى، وخاصة من الخصائص الأساسية لوحدات المظليين والقوات المحمولة جوا، قدرتها على الوصول الى مقر الحكم، واحتلال مقر الحكومات.. وبذلك يمكن دحر العدو، وتوجيه الضربة الى قلبه مباشرة. وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو مستحيلا فان ظهور القوات وعملها في قلب مراكز دفاع العدو، يفقد المواقع الدفاعية في كل ما لها من أهمية، ويعجل في انهيار المقاومة.

ان عملية كيريت حققت فكرة احتلال بلد بالهجوم عليه من الجو، وكانت عملا استراتيجيا جديدا يحمل في جذوره اصالة عميقة.

كان الأسلوب التعبوي الذي استخدمته الوحدات الألمانية من قوات المظليين أسلوبا فعالا وناجحا، ويعود السبب في ذلك الى التعاون الوثيق بين المظليين وسلاح الحو خلال مرحلة التحضير للعملية، وقيام هذا الأخير بتقديم الدعم اللازم في مرحلة الهبوط، وخلال المعركة الأرضية، علما أن وحدات المظليين كانت تشكو من نقص الامكانات اللازمة خلال مرحلة التحضير، وقد يكون السبب في ذلك الافتقار الى التجارب والخبرات السابقة، والى عدم معرفة متطلبات المعركة الأرضية في أوساط القوات الجوية وأوساط أركان الوحدات. ويظهر ذلك على سبيل المثال، وبشكل واضح في معركة «كريت» اذ أن الخسائر الفادحة التي نزلت بالمظليين تعود الى نقص المعلومات عن طبيعة الأرض وعن العدو، مما أدى الى اختيار مناطق للهبوط رديئة، كما نتج عنها زج ثلاث مجموعات متعادلة من القوات للعمل فوق مساحة واسعة من الأرض، وانفراد كل واحدة بالعمل وهي بمعزل عن الآخرين، بدون حدود واضحة للمهام، وبدون أي تنسيق لتوثيق عرى التعاون وازالة كل مجال لسوء التفاهم، ولو أن قيادة هذه القوات كانت تابعة لقيادة الجيوش الأرضية وليست ملحقة بسلاح الجو، لكانت خسائرها ـ كما يحتمل ـ أقل بكثير خلال مرحلة قتالها البري.

وأخيرا ـ وفي مجال التطور الفني ـ فان مخططات تطوير المعدات والتجهيزات قد أصبحت بعد عام ١٩٤١، غير قادرة على اللحاق بمتطلبات الحرب الحديثة، فحتى ذلك التاريخ كانت طائرة الجونكر ٥٢، هي المركبة المستخدمة في عمليات النقل الجوي، وكانت هذه الطائرة تتميز بسرعتها البطيئة مما كان يجعلها هدفا لنيران العدو تسهل اصابته، كما أن المظلة الألمانية كانت تتميز بصعوبة السيطرة عليها بسبب كبر زاوية أرجحتها، من طرف

الى ما يقابله من الطرف الآخر، كما كانت أحزمتها القصيرة سببا في صعوبة فكها وتخلص الجندي منها بسهولة.

ومن المفيد أن نذكر هنا بأن الجنرال «فون - دير - هايدت» كان قائدا للقوات التي قامت بآخر عملية من عمليات المظليين في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٤ ولما كانت ذراع هذا القائد مصابة بجراح، فقد عمد الى استخدام مظلة روسية مثلثة الشكل، قليلة الأرجحة، وبذلك تمكن من القفز، واستطاع حماية ذراعه الجريح.

وبالاضافة الى ذلك، كان المسؤولون عن التخطيط دون المستوى الجيد اللازم توافره ولم يحسن اختيارهم، وقلة خبراتهم وتجاربهم تسبب بعض الكوارث. ففي «كريت» أيضا، هبط عدد كبير من المظليين على مقربة من «ماليم» بسبب انطلاقهم من الطائرات في وقت مبكر. كما حدث أثناء هجوم «الأردين» ان قامت سرية من المظليين بالقفز فوق الراين شمال «بون» بينما كان يجب انزالها فوق منطقة الهبوط الواقعة الى الجنوب من «اوين».

وقصارى القول: ان النقاط الهامة والتي يجدر ذكرها، تتركز حول الفكرة الرائعة لاستخدام المظليين الألمان في المجال الستراتيجي، وأسلوبهم الفعال في تنفيذ العمليات ضمن اطار من التعاون الوثيق مع سلاح الجو، مما كان يطفي على نقاط الضعف التي كانت تظهر في الأسلوب التعبوي.. أو الوسائل الفنية. وأن الفضل في تحقيق تلك النتائج الرابعة يعود الى الامكانات التي تم توفيرها لممارسة هذا النوع من القتال، كما يعود الى مستوى الوحدات الرائع ومزاياها. وأن هذه الحقيقة ترتبط دائما بوجود المظليين، لذلك يجب أن لا تغرب عن البال في أية حرب مقبلة.

لقد أصبح الجيش الألماني - فيما بعد - قادرا على تنفيذ عمليات المظليين على نطاق محدود فقط. وقد عمد بعض قادة هذا السلاح الى مراجعة الماضي والنظر الى التطور الفني الهام الذي أحرزه سلاح الطيران، وتوصلوا الى نتائج أهمها وجود مجالات كبرى لاستخدام المظليين والقوات المنقولة جوا في عمليات المستقبل.

وها هو الجنرال «هالدر» رئيس هيئة أركان حرب الجيش الألماني أثناء فترة سنوات النصر فيما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٥ يكتب ما يلي:

«ان الصراع بين الأيدلوجيات المتنافسة (حركات المقاومة، التنظيمات الثورية، تنظيمات الأنصار، عناصر متمردة) في عصر القوميات السائرة نحو الضعف، سيعمل على انقسام الدول الكبرى والأمم المتحضرة، ومن شأن هذا أن يخلق شروطا ملائمة لعمليات الانزال الجوي داخل أراضي العدو، ومن شأنه أيضا أن يدفع الى المحافظة على قواعد

العمليات التي تم احتلالها داخل أرض العدو».

وبعد أن قامت مجموعة من الضباط الألمان، بدراسة عمليات القوات المحمولة والقوات المنقولة جوا، التي تحققت ونفذت في الماضي، ثم بدراسة الامكانات التي توصل اليها التطور الفني في الوقت الحاضر، استنتجت ما يلي:

«كان لظهور الستراتيجيات التي تم فيها استخدام المركبات المدرعة في بداية الحرب العالمية الثانية أثر هام في تغيير مفهوم الحرب التقليدية، كما كان مطبقا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وأنه لمن المحتمل جدا، بأن يكون لاستخدام تشكيلات القوات المنقولة والمحمولة جوا، التأثير ذاته في الحروب المقبلة».

بعد هذه اللمحة الموجزة عن تاريخ الوحدات الألمانية المحمولة جوا، نرى أن آراء واستنتاجات الرجال الذين قادوها الى النصر، ولم يتمكنوا من تجنيبها التضحيات وخيبات الأمل، في المرحلة الأخيرة من الحرب، جديرة بالتأمل وبالدراسة الجدية.

الفصل الثالث

المظليون الألمان والمباغتة
١٩٣٩ - ١٩٤٥

١

من ميزات الجيش الألماني البارزة في الحرب العالمية الثانية، استخدامه الخيال المبدع مع تنفيذه الجيد في مرحلتي التحضير للعمليات وتنفيذها. وقد ساعده على ذلك عاملان أساسيان:

١ ـ وجود جهاز ضخم من العناصر الممتازة بصلابتها، وانضباطها الرائع، وقد بلغ عدد أفراد عناصر هذا الجهاز مئة ألف ما بين ضابط وضابط صف وجندي.
٢ ـ وجود المناخ الملائم للعمل والقدرة على معالجة مشاكل الحرب الحديثة بعقلية متفتحة ومتحررة من قيود الروتين التي تتعارض مع مصلحة القوات المقاتلة والعاملة على تنظيم ذاتها وتجهيز قواتها دون الالتزام باستخدام المعدات القديمة.

ولذا فلم يعد هناك مجال للدهشة في أن تعمل القيادة الألمانية العليا للجيش بحثا وتدقيقا من أجل خلق وسيلة أفضل من وسائل الطرق والخطوط الحديدية وذلك لحل مشكلة الحركة الستراتيجية والتعبوية في قتال الوحدات ضمن آفاق بعيدة وكان من الطبيعي أن يتوجه التفكير نحو استخدام الفضاء. وهكذا أصبحت الطائرة والمظلة والوحدات المحمولة جوا موضوع التجارب الدقيقة للارتفاع بها الى مستوى التشكيلات الكبرى وقد جاءت ولادة هذه التشكيلات من أصل القوات الجوية كفرقة المظليين السابعة. كما جاء البعض الآخر من صلب تنظيم الجيش الأرضي. كفرقة المشاة المحمولة جوا ـ ٢٢ ـ.

ولما كان الهدف من دراسة التاريخ هو الحصول على معرفة جديدة، فأننا نستطيع تحقيق ذلك عن طريق القاء نظرة فاحصة سريعة على هذه الفرقة، ذلك لأنها تعتبر دليلا على الأسلوب الجيد الذي اتّبعته القيادة الألمانية العليا، وبرهانا على توافر الظروف الملائمة من أجل معالجة مشاكل الحرب الحديثة.

كانت القيادة الألمانية تبدأ بالنظرية وتضعها تحت التجربة مع تركيز الاهتمام واليقظة على المعلومات المستخلصة وعلى انضباط الوحدات ومن ثم يبدأ اعداد جهاز الضباط والأعوان الملائم. ومن أجل الالمام بصورة شاملة بهذه المراحل، فاننا سنبدأ باستقراء مراحل التنظيم والتدريب الفني لفرقة المشاة المحمولة جوا ٢٢ وذلك فيما بين عام ١٩٣٧ و ١٩٤٠. لنصل بعد ذلك الى أعمال هذه الوحدة الكبرى خلال عملية «هولندة» وذلك في الفترة الواقعة ما بين ١٠ مايس و ١٥ مايس ١٩٤٠ ـ وأخيرا التجارب والتطورات التي وصلتها الفرقة ما بين أعوام ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤.

* * *

كانت فرقة المشاة «٢٢» بقيادة «بيرمان» تتكون بصورة أساسية من لواء المشاة ـ ١٦ ـ ولواء المشاة ـ ٤٧ ـ. ولواء المشاة ـ ٦٥ ـ وكان كل لواء من هذه الألوية يضم ثلاثة أفواج. كما كانت الفرقة تضم فوج المدفعية ٢٢ المكون من أربع بطاريات، ولما كان هدف تشكيل هذه الفرقة هو الاضطلاع بمهمة تشكيل رؤوس جسور جوية خلف خطوط العدو ـ فقد بدأت التجارب على ذلك منذ عام ـ ١٩٣٧ ـ وكان العمل مستمرا في وضع الأسس وتعديل الأساليب والمعدات حسب نتائج التجارب. وقد تم تكوين اعداد الوحدات وتطويرها بعد تنفيذ عدد من تجارب الانزال ـ بدأت على مستوى الفوج ثم انتقلت الى أفق أوسع عندما أجريت التجارب على مستوى لواء. وقد قامت المصانع بانتاج المعدات اللازمة للأسلحة فقدمت معامل «سكودا» الأسلحة الثقيلة وجهزت الوحدات بالمدفعية من عيار ٧٥ مم.

أما طائرة النقل فقد كانت «الجونكر ـ ٥٢» وقد تم تثبيت حجم الحمولة القادرة على نقلها كالتالي:

ـ ١٦ الى ١٨ جندي مشاة مع أسلحتهم الخفيفة وذخيرتهم..
أو ـ مدفع من عيار ٧٥ مم + حصان + سائق ورام.
أو ـ مقطورة ذخيرة للمدفع ٧٥ مم + السدنة البالغ عددهم خمسة جنود.
أو ـ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ مم مع سدنته وذخيرته.

تمت التجربة الأولى على مسرح العمليات في خريف عام ١٩٣٨ - وذلك أثناء احتلال «السوديت» فقام لواء المشاة السادس عشر ومعه وحدات من مظليي الفرقة السابعة باعداد منطقة للهبوط في منطقة «فرودنتال» - وليس من المعروف اذا كانت هذه التجربة قد استرعت نظر القيادة العليا لقوات الحلفاء.. وعلى كل حال فان هذه العملية كانت مفيدة جدا بالنسبة للعملية التي تلت ذلك وهي «احتلال - هولندة».

ان معركة «هولندا» قد تطورت بسرعة كبيرة - ولذا لم تتح الفرصة لكي تساهم فرقة المشاة المظليين - ٢٢ بكاملها بهذه العملية، وذلك حسبما كان مقررا لها من قبل، وانما اشتركت فيها بارسال وحداتها مجزأة، فتشكلت مجموعة تعبوية مؤلفة من لواء المشاة المظليين - ١٦ - ومعه بطارية مدفعية ومفرزة طبية وفصيلة شؤون ادارية. وقد تم حمل هذه المجموعة جوا في يوم ٢٢ أيلول عام ١٩٣٩ وتم وضعها في منطقة «ويجز بتشو» وقد ساهم ذلك في الاختراق الذي جاء عن طريق «بورزا» والذي تم كالتالي:

بعد كانون الأول من عام ١٩٣٩ اتخذت الفرقة لها مكانا للتمركز يقع في (ويستغاليا) بعد أن تلقت الأوامر بالاستعداد للانزال فوق أراضي هولندا.

في يوم ٨ مايس ١٩٤٠ - أرسل الجنرال «سبونيك» أوامر العمليات الى قادة المجموعات التعبوية الثلاثة. كان على الفرقة ٢٢ أن تقوم بانزال الألوية ٤٧ - و ٦٥ - فوق ثلاث مناطق تحيط بـ «لاهاي» وذلك الى الشمال من التحصينات الهولندية.. وبعد أن يتم احتلال هذه على أيدي مظليي الفوجين الأول والثاني من اللواء الثالث تصبح مهمة الفرقة التوجه الى العاصمة واحتلالها، وعزل الحكومة وأخذ الملكة أسيرة..

تم وضع لواء المشاة السادس عشر من الفرقة ٢٢، تحت قيادة الجنرال «اشتيودنت» قائد فرقة المظليين السابعة، للعمل في جنوب التحصينات الهولندية.. وكانت مهمته العمل مع مظليي الفرقة السابعة، لاحتلال «روتردام» والاستيلاء على جسور «دوردريخت» والمحافظة عليها وذلك لمساعدة تقدم الوحدات المدرعة المنطلقة من اقليم «آخن» ولكن العملية التي تم الاعداد لها بدقة تامة، وبكامل تفاصيلها، لم يقدر لها أن تنفذ حسبما كان مخططا لها، فقد كانت الوحدات الهولندية في حالة استنفار ولم يعد هناك مجال للمفاجأة. ونتيجة لذلك فان هبوط ألوية المشاة المظليين ٤٧ و ٦٥ ونزولهم الى الأرض، جاء فوق منطقة مزروعة بالألغام جزئيا، تم الدفاع عنها بضراوة، حتى أن الاغارات الجوية التي مهدت للعملية وجهود الموجة الأولى من المظليين لم تتمكنا من ازالة المقاومة وإبطالها. كما أن الموجة الأولى من فرقة المظليين ٢٢ تلقتها لدى هبوطها في الجنوب، نيران كثيفة من أسلحة المشاة والمدفعية ، وعلى هذه الصورة انتهى الحلم الجميل بالتحرك عن طريق الجو.

أما بالنسبة للطائرات الشراعية، فقد التهمت النيران بعضها لمجرد وصولها الى الأرض، بينما اضطر البعض الآخر الى العودة بحمولته ليهبط من جديد فوق أرض ـ ذات المطار الذي تم الانطلاق منه، بينما هبطت بعض الطائرات الأخرى مصادفة وعلى غير هدى ونزلت في وسط الأقليم، أو فوق التلال، أو حتى فوق الدروب والخطوط الحديدية وقد تحطم عدد من هذه الطائرات الشراعية ـ هذا كله ـ علاوة على اختلاط الطائرات بعضها ببعض وهي لا تزال في الجو وعلى محاور الاقتراب من الأهداف.

كان من نتيجة نقل وحمل القوات ووصولها على تلك الصورة، أن تناثر المظليون فوق مساحة تقدر بثلاثين ميلا مربعا. وبذلك أصبح الغموض ووقوع ما هو غير متوقع أمراً محتملا. وقد تميزت الظواهر الخاصة لعمليات المظليين هؤلاء بانعزال الوحدات الملتحمة وضياعها وعجزها عن تنفيذ مهامها حسبما كان مخططا لها، بالاضافة الى نقص التجهيزات والامدادات.

وجدت قيادة الفرقة نفسها عاجزة عن مزاولة ادارة معركة الفرقة بسبب ضياع الأجهزة اللاسلكية ذات القدرات العالية. ولم يبق أمامها الا أن تقاتل كوحدة من وحدات المشاة العادية. وقد انضم اليها عناصر من وحدات راكبي الدراجات وأفراد من الفصيلة الجبلية وعناصر من وحدات الاستطلاع والمظليين ورجال المدفعية بدون مدافعهم.

قام الضابط رئيس الخدمات الطبية للفرقة، بجمع مفرزة مكونة من «٢٠٠» مئتي رجل من مختلف الوحدات وانطلق بهم الى القتال.

أما قائد لواء المدفعية ٢٢ وكان برتبة عقيد، فقد استطاع أن يحتل جسر (دوردريخت) وأخذ يدافع عنه بمدفع واحد فقط. بينما كان قائد الشرطة العسكرية يقاتل مع عناصر المشاة.

وهكذا فان الفرقة ٢٢ التي قامت بانزال (٢٠٠٠) ألفين من قواتها تناثرت على شكل أربع عشرة مجموعة، بينما بقي (٥٠٠٠) خمسة آلاف مقاتل مع أسلحتهم الثقيلة بعيدين عن المعركة. كما أن عناصر الخدمات الطبية أيضا لم يتمكنوا من اللحاق بالمعركة.

وفي هذا الموقف، لم يكن باستطاعة لواء المشاة المظليين ٤٧ الذي تم انزاله الى الشمال من «الهاج» أن يزاول القتال حسبما كان مخططا له، وكذلك الأمر بالنسبة للواء المشاة المظليين ٦٥ الذي تم انزاله الى الغرب والى الجنوب من «الهاج».

وخلال ليلتي ١٠ و ١١ مايس بذلت القيادة الألمانية العليا أفضل ما يمكن بذله لتنفيذ المهمة التي بدأت بالفشل، فتخلت نهائيا عن محاولاتها للاستيلاء على العاصمة



منطقة انزال فرقة المظليين الألمانية السابعة

منطقة هبوط الطائرات

منطقة هبوط اضطرارية

ل. مش مظليين من ف ٢٢ طائرات شراعية

اتجاه التحرك

وأصدرت أوامرها الى كافة وحدات الفرقة ٢٢ للتوجه الى «روتردام» والهجوم على المدينة من الشمال والعمل لمساندة مظليي الفرقة السابعة الذين كانوا يحاصرون المدينة من الجنوب.

ان الانزال الوحيد الذي تم تنفيذه بدقة حسبما كان مخططا له، هو ذلك الذي قامت به وحدات لواء المشاة المظليين السادس عشر، والذي تم قرب «ووهافن» الواقعة الى الجنوب من «روتردام» والتي تم احتلالها مع أول ضوء.

قامت مجموعة تعبوية مؤلفة من لواء المشاة المظليين السادس عشر، بأوامر المقدم «فون غوليتز» وكان مع اللواء بطارية مدفعية، وسريتا مهندسين وبطارية مدفعية مضادة للطائرات وفصيلة طبية. وقد هبطت هذه القوة بطائراتها الهيدرولية، فوق سطح مياه نهر الموز، في قلب «روتردام» ذاتها. وتمكنت وحدات المظليين من احتلال منطقة طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال، ثم دافعت عن هذه المنطقة لمدة ثلاثة أيام ضد الهجمات الهولندية التي تميزت بعدم تعاونها وبروحها المعنوية اليائسة.

وفي يوم ١٣ مايس انضمت هذه المجموعة التعبوية الى قوات فرقة مدرعات البانزر التاسعة.

وفي يوم ١٤ مايس، تمت عملية الاستيلاء على «روتردام».

وبذلك انتهت مهمة احتلال «هولندا» وابتدأت عملية اخلاء القوات.

كانت الخسائر التي نزلت بالمظليين فادحة، اذ وصلت الى ٤٢٪ في صفوف الضباط و ٢٨٪ بين صفوف الرتباء والجنود، هذا بالنسبة لمجموع الألفين التابعين للفرقة، أما بالنسبة للطائرات فان ٩٠٪ من أصل طائرات الجونكر، التي اشتركت في حمل الموجة الأولى ذهبت ولم تعد الى قواعدها.

لقد استطاعت عملية المظليين على الرغم من كل ذلك، أن تحقق فائدة كبرى اذ أنها تمكنت من تجميد ثلاث من الفرق الهولندية، وتثبيتها في مواقعها خلال تلك الأيام الحاسمة، كما أنها أوقعت القيادة الهولندية العليا، في حالة من الحيرة والارتباك.. بالاضافة لما أصاب الروح المعنوية من الانهيار.

لم يكن هناك دقائق تفصيلية عن يوميات عمليات المظليين، كما لم يكن هناك وجود لأوامر العمليات، وهذا خطأ من الناحية الأكاديمية، أو المدرسية.

ولكن.. ولنضع ذلك في عقولنا دائما.

بما أن الهدف الأساسي من الحرب هو قهر العدو أينما كان، والحاق الهزيمة به، فان

هذه الوحدات المدربة على مزاولة القتال ضمن اطار هجومي معين، وهي على درجة عالية من الكفاءة، استطاعت أن تتلاءم بسرعة مع المواقف غير المتوقعة وتمكنت من تحويل الفشل في المخططات الى نصر ساحق فوق أرض المعركة. والحقيقة المستخلصة من ذلك هي أن القوة الأولى في الحرب، والمعين الأساسي لها، يبقى في أيدي الرجل، فهو الذي يقاتل، وهو الذي ينتصر.

وبعد معركة «هولندا» هذه، لم تشترك فرقة المظليين ٢٢ أبدا في أية مهمة من مهام المظليين كوحدة كاملة ضمن تشكيل أكبر، ولكن استعداداتها للقتال وتجاربها من أجل تنفيذ ذلك بقيت مستمرة.

في نهاية مايس من عام ١٩٤١، صدر الأمر الى لواء المشاة المظلي السادس عشر بالاستعداد للانزال في «نارفيك» بمهمة دعم «مجموعة الداتيل» ولكن هذه المهمة لم تنفذ.

بعد شهر تموز، تمركزت الفرقة في هولندا، وأخذت بالاستعداد للانزال فوق أرض «انكلترا» وتركزت التعليمات على توجيه التدريب نحو استخدام كافة الأسلحة الانكليزية واجراء الرماية بالذخيرة الحية على كافة الأهداف الأرضية، ومزاولة ذلك في الليل والنهار.

في شهر شباط من عام ١٩٤١ تم نقل الفرقة الى منطقة «ماجد بورغ» بهدف أكمال المرحلة التدريبية، وذلك بالتعاون مع مظليي فرقة المظليين السابعة. وفي هذه الفترة تم تسليم لواء مدفعية الفرقة بالمدافع من عيار ١٠٥ مم، والقادرة على مزاولة الرماية على الأهداف التي تبعد حتى مسافة خمسة آلاف وخمسمائة ياردة. وكان يتم قطر هذه المدافع بقاطرات صغيرة مجهزة بحقيبة للتوابع وأدوات لفك المدافع وتركيبها، كما تم استبدال الخيول بقاطرات عادية من أجل حمل ونقل الذخائر فوق أرض المعركة.

ان احتلال الألمان لقارة أوربا بمساحتها الواسعة وما يتبع ذلك من ضرورة المراقبة لها والسيطرة عليها قد أجبر بالضرورة على استخدام وحدات المظليين، وكان ذلك الاستخدام على جانب كبير من الأهمية، ومثال على ذلك:

«في نهاية شهر آذار عام ١٩٤٤، قامت مجموعة تعبوية من الفرقة ٢٢ مكونة من لواء المشاة السادس عشر والفوج الثاني من لواء المشاة ٦٥، وفصيلة استطلاع وتحركت بالطائرات الى رومانيا».

«كما تم وضع المخططات لانزال المظليين فوق اقليم «اسكوبلج» من «يوغوسلافيا» ولكن هذه المهمة لم تنفذ بسبب وعورة الأرض وكثرة تضاريسها وبسبب امكانية تحريك القوات ونقلها بواسطة الآليات والطرقات الجبلية ووصولها بذات السرعة المطلوبة

للتدخل».

لقد كان من الطبيعي استخدام الفرقة ٢٢ في عملية انزال عن طريق الجو للهبوط فوق أراضي «كريت» وذلك في شهر مايس لعام ١٩٤١، ذلك لأن هذه الفرقة كانت في أصلها فرقة جبلية. وهكذا أقلعت طائرات الجونكر - ٥٢ حاملة معها هذه الفرقة دون أي تدريب أو اعداد مسبق، وذلك بمهمة دعم المظليين والوحدات المنقولة جوا بالطائرات الشراعية، وقد تم تخصيص مجهود الفرقة للمهمة الخطرة، وهي الدفاع عن حقول البترول في «بلودستي» ضد أي تدخل محتمل قد يقوم به مظليو العدو.

أما بالنسبة للحرب ضد الاتحاد السوفييتي، فقد تم استخدام الفرقة ٢٢ - ضمن اطار عمليات مجموعة جيوش الجنوب، وذلك للعمل كتشكيل كبير بمهمة التقدم كرأس حربة عبر أراضي «أوكرانيا» وقد تم تنفيذ ذلك الى أن تم الاستيلاء على «سياستوبول» في أول تموز من عام ١٩٤٢، واضطلعت الفرقة بتنفيذ أعمال القتال الموكولة اليها بشكل رائع.

وفي نهاية شهر تموز من عام ١٩٤٢ ، وبعد أن كانت هذه الفرقة قد تعرضت للكثير من الخسائر التي لم تصلها أية فرقة من فرق الجيش الألماني حتى نهاية الحرب، تم سحبها من الجبهة الشرقية ونقلها الى اليونان لاعادة تنظيمها واستكمال تجهيزها بمختلف التجهيزات المتنوعة، وذلك للقيام بتنفيذ المهام المختلفة، أي للعمل كفرقة من فرق المظليين، أو كفرقة من فرق المشاة الآلية، للقتال فوق مسرح العمليات المحتمل من أرض أفريقيا الشمالية.

كانت النية متجهة بشكل طبيعي لاستخدام الفرقة فوق أرض مسرح عمليات شمال أفريقيا وانزالها على مقربة من مواقع القتال في العلمين، وقد عكفت الفرقة على اجراء دراسة خاصة للمشكلة الرئيسية، وهي نقل الأسلحة والمعدات الثقيلة، وعربات النقل الكبيرة والجرارات ومدافع الميدان الهاوتزر من عيار ١٠٥ مم، ومركبات الاستطلاع المدرعة وقد تمت تجربة نموذج الطائرة «ج - م أو ٣٢٣» التي كانت تستطيع حمل ونقل مئة جندي. كان باستطاعة هذه الطائرة ذات المحركات الستة، أن تقوم بالهبوط على الأرض كطائرة هجوم، وذلك بفضل تجهيزها بالمعدات والأدوات اللازمة للهبوط، وكان باستطاعتها أن تنقص من سرعتها بواسطة الشكائم، وعن طريق عجلاتها البالغ عددها عشر عجلات.

كما تم اعتماد نموذج الطائرة الشراعية المعدلة القادرة على نقل ذات الحمولة وكان من الممكن سحب هذه الطائرة وجرها بواسطة الطائرة «الهنيكل ١١١ - ز» ذات المحركات الخمسة.

وهكذا ابتدأت الفرقة ٢٢ عملياتها باستخدام الطائرة القديمة والمتينة وهي (الجونكر) ٥٢ ـ ذات الحمولة ٢ طن، وانتهت باستخدام طائرة النقل الثقيلة «الهنيكل ١١١ ـ ز» والتي تستطيع حمل ١٠ ـ ١٣ طنا من الاعتدة الثقيلة. وكان من أكثر ميزات هذه الطائرة أهمية قدرتها على الهبوط فوق مهبط أرضي لا يزيد طوله عن بضع مئات من الياردات.

وفي الوقت ذاته، كان أركان حرب الفرقة ٢٢ يتابعون التخطيط للعملية. وكانت آخر مهمة طلب منهم اجراء التحضير لتنفيذها، هي الاستعداد للهبوط فوق أرض منطقة قناة السويس. ولكن الواقع الذي كان من الصعب ايجاد تبرير له أو تفسيره في ظروف الحرب العالمية الثانية، والذي أصبح الآن واضحا، هو أن ألمانيا تعاني من الخسائر التي فقدتها، ولذا عمدت الى ايقاف مخططاتها التوسعية، والحد من استخدام فرقة المشاة المظليين ٢٢ وذلك حتى نهاية ١٩٤٤ ـ بعد ذلك تم وضع الفرقة في «كريت» بهدف اعادة تنظيم الفرقة على كافة المستويات، وذلك لتكون كفرقة مشاة آلية وبقيت هناك في انتظار أية بادرة لاحتمال نزول الحلفاء فيها. وهكذا بقيت الفرقة طوال فترة كبيرة دون أن تقوم بأي عمل فعال، وبدون أية فائدة، فيما عدا مساهمة بعض عناصرها في عمليتي انزال للمظليين وفي عملية واحدة للانزال البرمائي.

كانت العملية الأولى من أصل العمليتين اللتين سبق ذكرهما، هي تلك التي تم تنفيذها في نهاية تشرين الأول من عام ١٩٤٢، وقام بتنفيذها الفوج الثالث من لواء المظليين السابع، فأقلعت طائرات الجونكر ٥٢، تحمل هذا الفوج، وتم انزال مظلييه في طبرق بمهمة الاشتراك في حماية انسحاب القوات الألمانية نحو «تونس».

أما العملية الثانية ـ والتي تعتبر من عمليات الالتحام البالغة الأهمية بالنسبة للمجموعات التعبوية، فقد تم تنفيذها بواسطة فوجين من لواء المشاة المظليين ٤٧ ـ ومعهما بطارية مدفعية من لواء المدفعية ٢٢ المضاد للطائرات والمسلح بالمدافع الرباعية بالاضافة للمدافع المضادة للدبابات من عيار ٧٥ مم، ومدافع الهاوتزر، وكلها وحدات آلية. . «تم تحريك هذه المجموعة مع كامل أسلحتها ومعداتها، وذلك في منتصف شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٢ ـ وقد تم تنفيذ هذا التحرك على مرحلتين، المرحلة الأولى من «أثينا الى أوجينو» في ايطاليا، وقد استخدمت في هذه المرحلة طائرات الجونكر ٥٢ وطائرات «م أ و ٣٢٣» أما المرحلة الثانية فكانت من «أجينو» في جنوب ايطاليا الى تونس حيث قامت طائرات الجونكر ٥٢ بنقل الأفراد. بينما تم نقل المعدات الثقيلة عن طريق البحر. . وقد وقعت هذه القوات في أيدي الحلفاء عند رأس «بونه»، وقد تم أسر عناصرها في ٩ مايس عام ١٩٤٣.

شهدت نهاية عام ١٩٤٣، عملية مشتركة، قامت بها مجموعة تعبوية من المظليين بالمساهمة في عمليات الاستيلاء على عدد من جزر «الدوديكانيز» في «كوس وركاليمنوس، وليروس، وساموس».

لنعد الى يوم ٢ تشرين الأول من عام ١٩٤٣، ففي هذا اليوم تم احتلال جزيرة «كوس» بهجوم مباغت، اذ هبطت سرية من لواء المظليين الثاني وقامت بهجوم مفاجىء، في الوقت الذي كان يتم فيه انزال برمائي لقوات المجموعة التعبوية المكونة من وحدات لوائي المشاة (١٦ و ٦٥) ومعها بطاريتا مدفعية. كما كان يساند هذه المجموعة فوج من لواء« براندنبورغ» وفي يوم ١٢ تشرين الثاني ابتدأ الهجوم على «ليروس»، وقام مظليو الفوج الأول من لواء المظليين الثاني بالقفز مع أول ضوء فوق أرض الجزيرة. اما لواءا المشاة المظليين (١١ و ١٦) فقد تم قيامهما بعملية برمائية ونفذا الانزال خلال فترة الصباح، ووقعت معركة عنيفة استمرت حتى يوم ١٦ تشرين الثاني، حيث انتهت العمليات بسقوط الجنرال الانكليزي «تيلني» ووقوعه أسيرا في قبضة القوات الألمانية. . وكان هذا النجاح الأخير في الجزر النائية للبحر الأبيض المتوسط، نهاية ما توصلت اليه الأحلام العظيمة عن القيام بانزال كبير يتم بواسطته اقفال قناة السويس، وشطر الامبراطورية البريطانية الى شطرين.

في الفترة الواقعة ما بين نهاية عام ١٩٤٣ و آب ١٩٤٤، كان على فرقة المشاة المظليين ٢٢ أن تقاتل كفرقة من فرق المشاة الراجلة.

وخلال الفترة الواقعة ما بين نهاية عام ١٩٤٤، وبداية عام ١٩٤٥، ابتدأت هذه الفرقة بالتراجع والانسحاب عن طريق اليونان ـ يوغوسلافيا.

وفي ١١ مايس عام ١٩٤٥، تم أسر هذه الفرقة.

من خلال تجارب هذه الفرقة، يمكن استخلاص ثلاثة دروس أولها تعبوي وثانيها فني، والأخير يتعلق بالروح المعنوية.

أما الدرس التعبوي فيتلخص في أن اجراء التجارب باستمرار ، وعلى كافة المستويات، واعادة التجارب والتمارين في أكثر المواقف تغيرا، وفوق جميع الأنواع من الأراضي، قد سمح بانتقاء ـ لا بفرض ـ مجموعة من القواعد والأساليب التي يمكن استخدامها في العمليات. وقد كان التفكير المنهج، واجراء التماس مع الواقع يبعث الحياة من جديد في المواقف اليائسة، وكان هذا هو المنقذ من الخطر. . خطر الفشل بالاصطدام على صخور العقلية النظرية الصرفة.

ولقد وجدت الفرقة ذاتها مجبرة على تعديل واجباتها ومهامها، بسبب ظهور بعض الضرورات القاهرة، ولكن هذا التعديل كان يأتي عرضيا، اذ كانت الفرقة تحاول دائما أن تبقى على استعداد للاضطلاع بمهامها الخاصة وواجباتها الأساسية وهذه نقطة هامة تجدر ملاحظتها. .

أما من الناحية الفنية، فان المشكلة الرئيسية التي كانت تعترض المظليين هي ضرورة توفير الامدادات بالأسلحة الثقيلة، والآليات، والمركبات المدرعة ومواد التموين وغير ذلك مما تحتاجه الوحدات بعد القفز والوصول الى أرض المعركة. ومما يعتبر توافره شرطا أساسيا لنجاح المعركة. . وقد أمكن حل هذه المشكلة عن طريق تسخير طائرات الجونكر ٥٢ ـ في البداية ـ وطائرات م، أو ٣٢٣ فيما بعد، وكان للألمان الريادة وأحراز قصب السبق في مجـال تحركات القوات المسلحة.

وأخيرا، فان الدرس الأساسي الواجب تعلمه من عمليات المظليين الرئيسية التي قامت بتنفيذها الفرقة (٢٢) هو أن الروح المعنوية، يجب أن تكون عالية بحيث تصل الى أعلى نقطة من القمة. وبدون توافر هذه الروح، لن تكون أفضل المخططات اعدادا ـ أكثر من مجرد قصاصات ورقية ـ. ولو تم الاستسلام للمخططات فقط ، لكان أمر الوقوع في مواقف شديدة الخطورة من حيث النتائج شيئا محتملا. لقد كان اعداد المخططات يتم طبقا للنظرية قدر المستطاع كما كان يتم استخلاص أوامر العمليات من هذه المخططات بشكل منطقي ومراعاة أكثر التفاصيل دقة، وأن كل ذلك يعتبر واجبا مقدسا من واجبات الأركان. . ولكن سيبقى ثابتا بأن أسباب نجاح المعركة مع العدو، سيعتمد أولا والى حد كبير على قدرة الرجال وعلى روحهم المعنوية، وان الطاقة الكبرى في العملية تبقى جاثمة وراء الوحدات وما لها من روح هجومية، كما تبقى رهن امكانات الضباط وقدرتهم على المبادأة وما ينفردون به من القدرة والخيال. كل ذلك الى جانب الانضباط والاقدام والتضحية مما يجب أن يتوافر لدى الرتباء والجنود.

الفصل الرابع

النقل الجوي سيد الموقف في عمليات النروج و هولندا و العراق ١٩٤٠ - ١٩٤١

«إن تأمل كتلة الأحداث التي تقع حالياً، ودراسة الاستعدادات للحرب، يتيحان لنا استخراج القاسم المشترك والهام الذي يبقى صحيحاً بالنسبة للمستقبل».

- «إن هذه الجملة ليست إلا مجرد تكرار لقول شائع».

- وانطلاقاً من هذا القول الشائع - فسيتم هنا استقراء ثلاث من المعارك التي وقعت أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية - وسيتم وصفها بإيجاز وهي: معركة النروج في نيسان من عام ١٩٤٠، ومعركة هولاندا في مايس عام ١٩٤٠، وأحداث العراق في مايس عام ١٩٤١، ثم الذهاب إلى ما وراء الحقائق المجردة لمسيرة العمليات، بهدف البحث عن العامل الذي لم يتضح ظهوره بصورة كافية، والذي يعود اليه الفضل الأكبر في نجاح العمليات الثلاث، ولهذا فسيتم التركيز عليه.

إن هذا العامل هو النقل الجوي للوحدات الأرضية، وعلى الرغم من أن عمليات النقل هذه كانت محدودة في عددها، إلا أن ظهور الوحدات المنقولة على مقربة من مواقع العدو، كان كافياً لتمكينها من احتلال النقاط العامة والاستيلاء على التحصينات بسهولة وبذلك كان يتم إحراز نصر سريع على عدو له التفوق العددي فوق أرض مسرح العمليات.

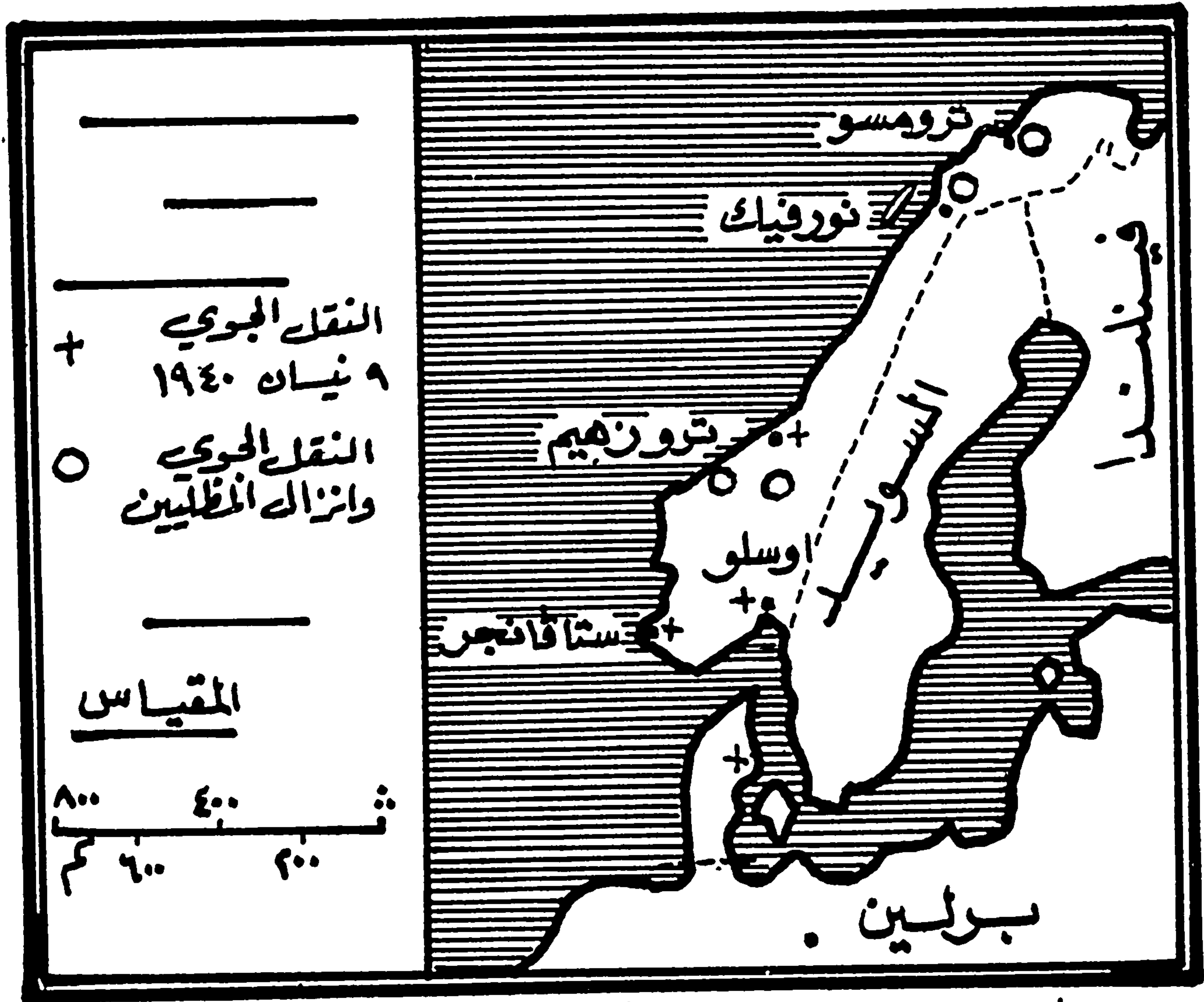
وإن لهذه الظاهرة أبعاداً شاسعة، فعن طريق استخدام هذا الأسلوب الجديد في القتال، أصبح من الممكن زج قوات يتم احضارها من مسافة بعيدة عن أرض المعركة وذلك لتوجيه ضربة جسدية ونفسية إلى قلب العدو، ومثل ذلك كمثل الملاكم الذي تلقى ضربة على كليته، فانهار مباشرة، وسقط على الأرض. وهذا هو ما حدث بالضبط في كافة العمليات الثلاث. لقد كانت العمليتان الأولى والثانية من العمليات الهجومية. بينما كانت العملية الثالثة دفاعية. وسنستعرض هنا مراحل التحضير والتنفيذ لهذه العمليات لنصل إلى نتائجها وذلك كله بصورة موجزة، على اعتبار أن هذه العمليات كانت باكورة عمليات النقل الجوي، محاولين بذلك الخروج ببعض المبادىء التي لا تزال مجهولة تماماً.

* * *

إن احتلال النروج في عام ١٩٤٠ وضع القيادة الألمانية العليا أمام مشكلة ذات صعوبة خاصة، ولقد فرضت هذه المشكلة وجودها على الصناعة وعلى الاقتصاد، كما فرضت ذاتها على البحرية وعلى الاعتبارات السوقية، وبالاضافة إلى ذلك فقد تسبب في التورط بغزو «الدانمرك» وذلك للاستفادة من مطاراتها. وكان يجب القيام بتنفيذ عملية غزو النروج بأقل حجم ممكن من القوات وإنجاز المعركة خلال أقصر فترة زمنية ممكنة، وذلك لأنه على الرغم من طبيعة هذه المعركة، وكونها ثانوية إلا أنه كان يجب حساب نتائجها واتخاذ قراراتها بسرعة. وقد كان هناك هدف هام يكمن وراء ذلك، وهو عدم التورط بحرب طويلة الأمد قد تستنزف الكثير من الجهود والامكانات في أقليم يتميز باتساعه الكبير ويجباله الكثيرة.

ولقد ظهرت الخطورة الكبرى لتلك المشكلة بشكل واضح للغاية، ويمكن ادراك أبعادها من خلال التصريح الذي قاله قائد القوات البحرية الألمانية في يوم ٩ آذار عام ١٩٤٠ والذي كان كالتالي: «إن من واجبي أن أوضح ميزات وخصائص هذه العملية البحرية، ذلك لأنها تسير مخالفة لكل الدروس البحرية المستخلصة عبر التاريخ. ونتيجة لذلك، فإنه يجب أن تكون لنا السيادةالمطلقة على البحر، وإننا لم نحصل على هذه السيادة بعد...».

وبالاضافة إلى هذه الكلمات المنذرة المحذرة. فقد ذكر قائد القوات البحرية الملاحظة القوية التالية: «إن تاريخ الحرب يشتمل على الكثير من الأمثلة التي كانت مخططاتها ومشاريعها تتحدى جميع أنظمة الحرب وترفض قواعدها، وهي مع ذلك تمكنت من إحراز النصر، ذلك لأنها برهنت على امتلاكها للعناصر التي تضمن تحقيق المباغتة».



• النروج - نيسان عام ١٩٤٠ •

وقد جاء تنفيذ العملية بعد ذلك، مطابقاً لأصل مفهوم هـذه النظريـة التي تم الاستناد اليها، كان على مخطط غزو النروج أن يجابه عمليتين اثنتين يتم تنفيذهما في اليوم الأول. وتهدف الأولى إلى إنزال جوى مباغت للاستيلاء على موقعين يمكن بواسطتهما القيام باحتلال «أوسلورو وستافانجر». ثم العمل بعد ذلك على دعم هذه القوات بإنزال بحري، وكانت هذه العملية الثانية.

كانت «أوسلو» هي الهدف الرئيسي، لا بسبب أهميتها العسكرية فحسب، بـل بسبب أهميتها السياسية أيضاً. فبحرها ومطاراتها وخطوطها الحديدية وطرق مواصلاتها كل ذلك يجعلها أكثر القواعد قرباً من ألمانيا، وأكثرها تهديداً لها، كما أنها كانت تضم مقر الحكومة النروجية، ومركز قيادتها العليا، ومقر الملك «هاكن»... وقد جاءت ـ مخططات العمليات واضحة للغاية ومحققة للهدف الرئيسي المتمثل في احتلال العاصمة وقد تضمنت المخططات الوسائل لتحقيق المباغتة اللازمة لاعتقال أعضاء الحكومة. والقادة العسكريين وبطانة الملك وذلك بهدف ضـمان الغرض لعدم قيام أية مقاومة أمام عمليـة احتلال النروج. أما «ستافانجر» فقد كانت تضم الميناء اللازم والضروري لإنزال القوات الرئيسية المخصصة لغزو جنوب النروج، كان مخطط احتلالها يهدف إلى توفير سلامة انزال القوات البحرية من جهة، وعزلها عن أي تدخل قد يأتي عن طريق تنظيمات وقوات العدو البعيدة جداً من الجهة الأخرى...

وكان مخطط الانزال الجوي واحداً بالنسبة للمدينتين.

تقوم سرية من المظليين بالهبوط مع أول ضوء، وبعد أن يتم الانزال فوق أرض ـ المطار ويتم للمظليين احتلاله تأتي الموجة الثانية بعد ذلك.. وتتألف هذه من مجموعة تعبوية مكونة من فوجين من أفواج المشاة ومعهم سرية مهندسين ومجموعة مدفعية مضادة للطائرات، ومجموعة مدفعية، ومفارز لمراقبة المطار... وقد تم وضـع عدد كبـير من تشكيلات طائرات النقل تحت تصرف المجموعة (٢١) المكلفة باحتلال النروج والتي كانت بقيادة الجنرال «هولكن هورست» وكانت هذه التشكيلات تضم:

٧ مجموعات من طائرات النقل تحمل الأرقام من ـ ٧٠١ ـ إلى ٧٠٧ ـ وتشتمل بمجموعها على / ٥٥٠ / طائرة جونكر ٥٢ س. ذات محركين وتستطيع كل واحدة منها حمل ٢٥ مظلياً، بالاضافة إلى / ٢٠ / طائرة جونكر «٩٠ـس» ذات أربع محركات وتستطيع كل واحدة منها حمل / ٤٠ / مظليا.

في الوقت الذي كانت فيه القوافل البحرية المحملة بالاعتدة تغادر الموانىء الألمانية في الثالث من نيسان، كانت المراكب البحرية الحربية المحملة بالجنود تستعد لمغادرة الموانىء

الألمانية في اليوم السادس من نيسان. بينما كان على التشكيلات الجوية لطائرات النقل أن تقلع من المطارات في الساعة الواحدة من صباح يوم ٩ نيسان.

كانت عملية الهجوم على «ستافانجر» ناجحة وقد بدأت العملية بتمهيد من قنابل الطائرات التي قامت بالقائها طائرات «الشتوكا». ثم قامت سرية المظليين الثالثة من اللواء الأول باحتلال مطار «سولا» وقد تم لها ذلك، دون أن تطلق عياراً نارياً واحداً. وبعد ذلك بزمن قصير قامت المجموعة التعبوية من لواء المظليين / ١٩٣ / بالهبوط فوق أرض المطار. وفي نهاية فترة الصباح من ذلك اليوم تم إجراء التماس مع القوات الرئيسية القادمة من طريق البحر.

ولكن العملية الرئيسية، ذات الأهمية الخاصة من الناحية السياسية، والتي كانت تهدف إلى احتلال «وارسو» لم تلق من النجاح، ما لاقته العملية الأولى. وذلك على الرغم من أنه في اليوم السابق للعملية وهو يوم ٨ نيسان، كان رئيس أركان المجموعة /٢١ /، وهو العقيد «بوهلمان» قد وصل إلى «أوسلو» بواسطة مركب صغير «لنش» وهو متنكر بثياب مدنية، وذلك لتوجيه وحدات المظليين، بالاضافة إلى ضابط الماني آخر من السفارة الألمانية في «أوسلو» كان على ظهر مركب آخر، في «فجورد» في انتظار وصول القافلة البحرية، ولكن ظهور عدد من الأسباب أعاق تنفيذ العملية بشكل دقيق وحسبما كان مخططاً لها.

مع أول ضوء من يوم ٩ نيسان، كان هناك ضباب كثيف يغطي أرض المطار، ولذا فإن سرية المظليين لم تتمكن من إجراء القفز. وعندما وصلت الطائرات الأولى من مجموعات النقل، كان في استقبالها نيران كثيفة من الأسلحة المضادرة للطائرات، وهكذا أصبح لزاماً على طائرات الهجوم المقاتلة أن تتدخل لإبطال عمل الأسلحة المدافعة عن مطار «فورنبو» وبنتيجة ذلك، فإن المجموعة التعبوية من قوات اللواء (٣٢٤) لم تتمكن من الوصول إلى أرض المطار قبل الساعة (٨,٤٠) أي بتأخير ثلاث ساعات عن الوقت المحدد من قبل.

في الساعة (١٢,٠٠) لم يكن قد وصل من القوات إلا ست سرايا فقط من لواء المظليين الأول ولم تكن هذه القوة بقيادة العقيد (بوهلمان) كافية لاقتحام (أوسلو) ولهذا أرسل طلباً لتحريك الاحتياط ونقله بسرعة عن طريق الجو.

أما الإنزال البحري فقد جاء أيضاً متأخراً عن موعده، ويعود السبب في ذلك إلى غرق الطراد «بلوخر» في مياه خليج «فجورد» وكان هذا الطراد يحمل على ظهره هيئة أركان القوات البحرية وهيئة أركان فرق المشاة (١٦٣)، وبنتيجة ذلك كانت عملية الإنزال إلى

الشاطىء في حالة من الاضطراب الشديد.

وفي الناحية الأخرى، كانت الفرقة النروجية الأولى تحيط بالعاصمة «أوسلو» من الجنوب. أما من الشمال فكانت الفرقة النروجية الثانية هي المكلفة بالدفاع عن المدينة بالاضافة إلى ثمان سرايا كانت تحتل العاصمة وتدافع عنها وذلك في يوم ٩ نيسان، وكانت هذه السرايا من قوات المظليين الخفيفة. ولقد لعبت الهجمة المباغتة في قلب المواقع الدفاعية النروجية أثراً كبيراً، وهزت قرارات القيادة النروجية هزاً، وقلبت مخططاتها رأساً على عقب، وخلقت جواً من الحيرة والتردد.

- في يوم ١٠ نيسان وصل أثنان من الأفواج الألمانية وقاما باستعراض في شوارع المدينة. . . -

- وفي يوم ١١ - و ١٢ نيسان تم نقل فوج آخر إلى «أوسلو» عن طريق الجو - بينما كانت آخر وحدات الكتلة الرئيسية للهجوم تغادر رصيف الميناء الألماني وتركب البحر.

- لقد جاءت الضربة الحاسمة عن طريق الصدمة التي وجهتها قوات المظليين - والقوات المنقولة جواً - خلال الساعات الأولى من العملية. . كما لعب النقل الجوي دوراً هاماً في ارسال النجدات والدعم بنقل القوات، وتوفير الامدادات، وبذلك أمكن التغلب على الأزمة التي وقعت في اليوم الأول ، ولكن فشل الهجوم المباغت في الوصول إلى العاصمة بهدف أسر الملك وأفراد الحكومة قد مكن هؤلاء من الفرار وتنظيم المقاومة.

ولقد برهن النقل الجوي خلال هذه العملية على أهميته من جديد، عندما تطلب الأمر دعم الحامية الألمانية في «نارفيك» والتي كانت مجبرة على التراجع في اتجاه الحدود السويدية، أمام هجمات القوات «الأنكلو - فرنسية» المرسلة لدعم جبهة القتال في «النروج».

- في يوم ١٩ مايس، لخصت القيادة الألمانية العليا الموقف بالكلمات التالية: «بسبب تناقص القوة الألمانية الموجودة في «نارفيك» وتعرضها للكثير من الخسائر. . . فقد أصبح كل شيء متوقعاً على ارسال الامدادات بسرعة عن طريق الجو، وايصالها إلى القوات».

- وهكذا، فعلى الرغم من سوء الأحوال الجوية، وعلى الرغم من تدخل سلاح الجوي الملكي البريطاني تمكن الألمان من ارسال الامدادات، واسقاطها بصورة خاصة بواسطة المظلات، وبهذه الوسيلة ذاتها تم إرسال فوج من المظليين وسريتين من القوات الجبلية إلى شمال النروج. وقد تم تدريب السريتين الجبليتين على مزاولة القفز بالمظلات خلال فترة عشرة أيام فقط. - وفي يوم ١٢ حزيران - قامت سرية من المظليين بالقفز من

طائراتها «الجونكر ـ ٥٢ س» وذلك فوق منطقة في أقصى الشمال من النروج. وتمكنت من احتلال «ترومسو».

قام سلاح الجو الألماني خلال هذه المعركة ببذل جهود جبارة، أمكن بواسطتها تنفيذ ما يزيد على /٣٠٠٠ / ثلاثة آلاف طلعة طيران. كان من أصلها / ١٢٠٠ / ألف ومئتا طلعة لنقل التجهيزات والمعدات أما الطلعات الباقية فقد تم بواسطتها نقل القوات.

فبالنسبة للجيش الأرضي، تم نقل / ٢١ / واحد وعشرين فوجاً من المشاة والمهندسين وتسع وحدات من أركان قيادات الفرق والألوية بالاضافة إلى عدد من بطاريات المدفعية الجبلية وما يزيد على أربعمائة طن من المعدات، والامدادات...

أما بالنسبة للجيش الجوي، فقد تم نقل ألف ومئتي طن من الوقود ومئات من رجال الخدمات الفنية وصيانة الطائرات.

لقد كانت عملية النروج، أول عملية تتضمن استخدام النقل الجوي على نطاق واسع في تاريخ الحرب، ولقد ساعد استخدام هذا الأسلوب الجديد في القتال، الألمان، على احراز نصر سريع وحاسم..

هولندا

إن غزو هولندا، واندحارها في شهر مارس ١٩٤٠، جاء نتيجة لمخطط استند في أساسه أيضاً على النقل الجوي ذلك لأن النقل الجوي جاء حلاً أمكن بواسطته مجابهة المشاكل الصعبة الأخرى، كارسال الدعم بسرعة، ونقل الحد الأدني من المقاتلين بصورة عامة وزجهم ضد قوات الحلفاء، «الانكلو ـ فرنسية ـ البلجيكية» وبهذه الوسيلة أمكن تحقيق نصر كامل، فوق أراضي أقليم كان من الصعب التحرك فوقه بأية وسيلة سهلة، وذلك بسبب كثرة القنوات المائية، وكثرة الفيضانات فوق أرضه.

كانت القوات الهولندية تتكون من أربعة ألوية قوية، ومن عدد آخر من التشكيلات الصغرى، وكان لهذه القوات ميزة هامة هي قدرتها على استخدام المواقع الدفاعية المجهزة قررت القيادة الألمانية العليا توجيه ضربة حاسمة إلى قلب المواقع الدفاعية الهولندية عن طريق الهجوم على القلعة الهولندية، وهي المركز القومي للدفاع، ولهذه الغاية تم تشكيل فيلق مظلي يتكون من، فرقة المظليين السابعة، وفرقة المشاة المظليين ٢٢.

كانت أهداف الهجوم في «هولندا» مزدوجة وذلك على غرار ما كانت عليه عملية هجوم «النروج» وكان الهدف الأول سوقياً بينما كان الآخر سياسياً، وتقرر أن يتم احتلال

النقاط الهامة والمسيطرة على «موردجيك و - دوردريخت - وجسور روتردام». بواسطة القوات المنولة جواً وبذلك يتم تحقيق الهدف الأول، أما الهدف الثاني فهو اعتقال الملك والعائلة المالكة وأعضاء الحكومة، وأفراد القيادة الهولندية العليا، وعزلهم عن العمل، وكانت هذه من مهمة المظليين.

ولقد تمت دراسة هذه العملية بالتفصيل كما جاء في الفصل السابق، وإن ذكرها من جديد يهدف إلى اعادة النظر في العمليات الفاشلة التي قامت بها فرقة المظليين ٢٢ وتقييمها بصورة صحيحة، وفي الواقع فإن الألفي رجل فقط الذين تمكنوا من الهبوط بالقرب من «الهاج» كانوا لا يستطيعون القيام بتنفيذ المهمة، والاستيلاء على العاصمة المدافع عنها بقوات تفوقهم كثيراً في عددها. ولكن هذه العملية لم ينظر اليها بصورة كافية من زاوية النظر السوقية، ولو تم ذلك لكانت نتائجها الهامة قد ظهرت مباشرة وبصورة واضحة للعيان. ولقد عمل فرع التاريخ العسكري للجيش الهولندي على ايضاح هذه الصورة فكتب ما يلي:

«ان الفيلق الأول بفرقتيه، قد انهار، مع الوحدات الاحتياطية الأرضية التابعة للقيادة الهولندية. وكان ذلك بنتيجة المفاجأة، كما تبددت الهجمات فوق المواقع الدفاعية القريبة، وقد انسحبت ثلاثة ألوية من خطوطها الدفاعية في «جيوب»»، بينما كان بقاء تلك القوات في خطوطها أمرا أساسيا وهاما، وهذا بالاضافة الى الفوضى التي دبت في أوساط القيادة، والرعب النفسي، والشلل الذي أصاب الحكومة.

قد يكون هناك فشل تعبوي، ولكن مما لا جدال فيه، فقد كان هناك نصر حاسم حققته السوقية، وأن الفضل في ذلك يعود للمباغتة الناتجة عن استخدام النقل الجوي.

وأخيرا فهناك معركة مجهولة نسبيا، لعب النقل الجوي فيها أيضا، دورا رئيسيا وفي هذه المرة. كان لمصلحة الجيش البريطاني..

لقد كان ذلك في معركة العراق أثناء فصل الربيع من عام ١٩٤١.

العراق

ان العراق البلد المستقل والذي أصبح عضوا في هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٥٠ كان مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدة تسمح لهذه الأخيرة، بأن تستخدم في حالة الحرب اثنين من المطارات مع حق المرور بكافة الوسائل اللازمة لقواتها. وكان المطار الأول يقع في الحبانية على بعد ستين ميلا تقريبا في اتجاه جنوب غرب بغداد. أما المطار الآخر فهو مطار

تركيا
بحر قزوين
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
الموصل
كركوك
مهابط ومطارات
تحرك بحري وأرضي
دمشق
بغداد
ح ٤
الرطبة
مطار الحبانية
ايران
فلسطين
شرق الأردن
العراق
مصر
المملكة العربية السعودية
البصرة
مطار شيبا
عبدان
الخليج العربي
البحر الأحمر
من الهند
ثـ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ كم

السشرق الأوسط - نيسان عام ١٩٤١

«شيبا» وهذا يقع على بعد عشرين ميلا في اتجاه الغرب من البصرة.

في عام ١٩٤٠، أصبح العراق يمثل ضرورة حياتية ذات أهمية خاصة بالنسبة لبريطانيا، من أجل الوصول الى الهند وذلك بسبب الحاجة الى أرض العراق الواسعة وما بها من مطارات، وطرق مواصلات وعقد اتصال للخطوط الجوية. هذا بالاضافة الى وجود حقول النفط في كل من الموصل وكركوك، وحاجة بريطانيا الى هذه المادة التي لا غنى عنها للمجهود الحربي..

كان على رأس الحكومة العراقية في بغداد، خلال تلك الفترة رشيد عالي الكيلاني وكان العرق قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع ألمانيا في بداية الحرب، ولكنه لم يقطعها مع ايطاليا، وقد قرر رشيد عالي الكيلاني، أن يغير من خط سير السياسة العراقية، كان لدى العراق أربع فرق، اثنتان منها في بغداد بالاضافة إلى لواء آلي مدعم بثلاثين دبابه، وفوجي مشاة منقولين على عربات نقل كبيرة، وستين طائرة حديثة نسبياً وكان الكيلاني يعتقد بأن لديه الوسائل اللازمة لإحداث تبديل في السياسة العراقية، وكان هذا التبديل يتلخص في منع القوات البريطانية من تجاوز الحدود العراقية. وتنفيذ ذلك بالقوة إذا اقتضى الأمر، وقد كان ذلك يشكل تهديداً خطيراً للغاية خلال تلك الفترة التي كانت فيها المعارك لا تزال ملتحمة في ايطاليا، وفي أفريقيا الشرقية، كما كان الهجوم الألماني في كل من ليبيا واليونان يشد اليه كل القوات البريطانية الموجودة في الشرق الأوسط.

ما هو حجم القوات البريطانية التي كانت موجودة في العراق؟

كان مطار «شبيا» يضم سرب قاذفات القنابل - ٢٤٤ - والمكون من ثلاثين طائرة. وكان في مطار الحبانية، المدرسة الرابعة لتدريب الطيارين. وكانت تضم ثمانين طائرة أكثرها من النماذج التي ألغي استخدامها، بالاضافة إلى ١٨ عربة مدرعة قديمة.

كان مارشال الجو «هنج سمارت» هو القائد لجميع هذه القوات، وكان معروفاً بعدم قدرته على مجابهة مثل هذه المواقف، وفي الواقع، لقد تم اعداد مخطط يتضمن زج قوات آلية وادخالها عن طريق فلسطين بهدف احتلال الحبانية، والتقدم إلى بغداد مع انزال لواء هندي عن طريق خليج البصرة للاستيلاء على مطار «شبيا» ولكن هذه القوات كانت ضعيفة، كما أن بعد المسافة وطول الطريق الأرضي والبحري كان سيجبر القوات على أن تقضي فترة زمنية طويلة في التحرك، مما قد يجعل وصولها إلى أهدافها في وقت متأخر جداً. وبذلك تفقد العملية أهميتها مما قد يعرض المخطط بأكمله للفشل...

هذا بالاضافة إلى أن قوات الانزال البحري في البصرة قد تصطدم بالقوات

العراقية، إذاً، فقد كانت هناك ضرورة تحتم تنفيذ العملية بسرعة كبرى، ولو كان ذلك بقوات قليلة. ولم يبق إلا اعتماد وسائل النقل الجوي كطريقة لانقاذ الموقف.

في يوم ١٧ نيسان تحركت قوة مكونة من أربعمائة ضابط وجندي من قوات اللواء الملكي البريطاني الخاص واستقلت الطائرات إلى «شبيبا» وشرعت في العمل منذ وصولها فوراً بهدف مساعدة اللواء الأول للفرقة العاشرة الهندية وتمكينه من النزول فوق أرض خليج البصرة، وبعد تنفيذ هذه المهمة كان على القوة ذاتها أن تتحرك جواً إلى الحبانية حيث كان الموقف يتزايد خطورة.

وفي الواقع، كان رشيد عالي الكيلاني، قد أحاط المطار بأحد عشرة فوجاً ومعهم / ٥٠ / مدفعاً. . وتوقف تدفق النفط من أنبوب كركوك ـ حيفا، وكان دخول قوات بريطانية جديدة إلى العراق قد أصبح ممنوعاً بأمر من الحكومة العراقية، كما كان المركز البريطاني في «الرطبة» عند الحدود، قد تعرض للهجوم مما اضطر القوات المتمركزة فيه إلى التراجع والانسحاب في اتجاه محطة أنبوب النفط «ح ـ ٤» بالاضافة إلى أن قاعدة الانطلاق قد أصبحت مهددة.

في هذا الموقف المتدهور، وبعد أن أصبح ماريشال الجو «سمارت» في حالة عزلة عن القوات الضعيفة المكلفة بالدفاع، وعلى مسافة تفصله عنها بمقدار ثلاثمائة ميل، في هذا الموقف، اتخذ قراره بالهجوم، على اعتبار أن الهجوم هو أفضل وسيلة لديه للدفاع.

وقد أعطى رئيس مجلس وزراء بريطانيا آنذاك (وينستون تشرشل) تعليماته حيال الأزمة، وأصدر أوامره في الوقت ذاته باستخدام القوة، والضرب، إذا ما اقتضى الأمر، على أن تكون الضربات قوية وحاسمة قدر المستطاع.

اعتباراً من يوم ٢ مايس، ابتدأت طائرات القوات الجوية القاذفة منها والمقاتلة بالاقلاع من مطار الحبانية، والهجوم على القوات العراقية ومواقعها ومطاراتها ومعسكراتها بالاضافة إلى الإغارات على الطرق العراقية، وفي اليوم الأول، تم اسقاط ٣٥ طناً من القنابل، واضطرت الطائرات للقيام بـ ٢١٠ طلعات من أجل اسقاط هذه الكمية، وبعد ذلك أصبح من الممكن لوحدات المشاة التي كانت قد وصلت عن طريق الجو، أن تبدأ بالهجوم على القوات العراقية وأن تتمكن من أجبار هذه الوحدات على التراجع حتى حدود مراكزها.

خلال ليل ٥ ـ ٦ مايس تم تنفيذ عملية استطلاع جريئة، أمكن بواسطتها الوصول إلى المعرفة الدقيقة عن وقوع خسائر كبيرة في صفوف العراقيين، وصلت إلى / ٥٠٠ /

قتيل، وتدمير ٧٥ مركبة هذا بالاضافة إلى / ٤٠٠ / أسير كانوا قد وقعوا في قبضة قوات الهجوم البريطانية.

ولكن إذا كان الضغط المباشر قد تناقص بنتيجة ما سبق ذكره، فقد ظهر تهديد جديد وخطير.

ففي يوم ٨ مايس وصلت أول طائرة المانيه وهبطت في مطار الموصل.

ففي يوم ١٦ مايس قامت ثلاث طائرات يقودها الألمان، بالهجوم على مطار «الحبانية» نتيجة لذلك، أصبح على القوات البريطانية أن تقوم باحتلال مطار (الحبانية) وذلك بأقصى سرعة ممكنة، لأن الجيش العراقي الذي أمكن تجريده من سلاحه قبل التدخل الألماني قد يصبح عاملاً له وزنه الكبير، وفي هذه الفترة لم يكن باستطاعة القوات الهندية أن تغادر البصرة بعد أن كان الفيضان قد أقعدها في أماكنها، وهكذا فإنها كانت عاجزة عن الوصول والتدخل في الوقت المناسب.

كان من الممكن تكليف اللواء الآلي القادم من فلسطين، بتنفيذ هذه المهمة والاضطلاع بها بصورة جيدة. نظراً لكونه من التنظيمات الخفيفة الحركة نسبياً، ولكن هذا اللواء كان ملزماً على السير لمسافة أربعمائة ميل فوق الأراضي الصحراوية، من أجل الوصول الى العراق.

ومرة أخرى، لم يبق إلا النقل الجوي وسيلة يمكن بواسطتها تنفيذ مخطط ـ الهجوم بأقصى سرعة ممكنة.

قامت سرية من اللواء «ايسيكس» الأول بالتحرك جواً، ووصلت أرض المعركة في الساعة الرابعة صباحاً وانضمت اليها قوات أخرى، وبدأ السباق للوصول إلى الحبانية من جديد، وقد قامت القوات الآلية بحركة التفاف واسعة نحو الجنوب وذلك لتجنب الصدام مع المواقع الدفاعية العراقية، وفي الوقت ذاته، تم تدعيم الحامية المدافعة عن المطار باثنين من أفواج المظليين. وكان الفوج الأول من قوات لواء «أيسيكس الأول» أما الفوج الثاني، فهو فوج «غوركا الرابع» بالاضافة إلى لواء البصرة. وكان وصول هذه القوات في يوم ١٨ مايس بالاضافة للاتصال الذي تم مع عناصر استطلاع اللواء المتقدم من فلسطين، قد جعل بالامكان القيام بالهجوم على بغداد، وتم البدء بتنفيذ ذلك على الفور وبدون تأخير.

وفي يوم ١٩ مايس اقتحمت ثلاثة أرتال بعض خطوط القوات العراقية وقامت سرية من مظليي لواء «أيسيكس الأول» بمساندة هجوم هذه الأرتال، وذلك بالهبوط على مقربة من القوات العراقية، وقد تم انزال سرية المظليين هذه بمهمة منع وصول النجدات العراقية

المتحركة من بغداد، وابتدأت بذلك مرحلة المعارك العنيفة على أبواب العاصمة، استمرت لمدة عشرة أيام، واشتركت فيها الدبابات العراقية، كما ساهمت بها الطائرات الألمانية.. ولكن قوة دفع القوات البريطانية التي كانت مدعمة بامكانات مادية ضخمة، بدأت بإحراز التفوق التدريجي.

أثناء هذه الاشتباكات. أطلقت المدفعية العراقية المضادة للطائرات نيرانها بصورة خاطئة على طائرة ألمانيا، وينتج عن ذلك قتل الماجور «أكسل فوف بلو مبرغ» الذي كان يحلق بطائرته فوق أرض المعركة لتوجيه العمليات الألمانية، العراقية، ضد البريطانيين.

في ٣١ مايس ، فرّ رشيد عالي الكيلاني من بغداد والتجأ إلى ايران.

وفي يوم ١ حزيران، دخل البريطانيون بغداد.

أصبح على البريطانيين، بعد ذلك أن يضمنوا لأنفسهم حقول النفط في كل من الموصل وكركوك وأن يتم لهم ذلك خلال أقصر فترة زمنية ممكنة، فبدأ رتل آلي بالتحرك نحو الشمال. وكان قد سبقه منذ يوم ٢ حزيران، فوج من المظليين، وهو الفوج الثاني من لواء غوركا الرابع» وقد ساعد الحظ هذا الفوج فتمكن من اعتقال عدد من الطيارين الألمان، مع الاستيلاء على طائراتهم الجاثمة فوق أرض مطار الموصل، وهكذا انتهت معركة العراق، وتمكن البريطانيون من احراز النصر، على الرغم من أن المعركة قد دارت فوق منطقة واسعة من الأرض.

ويعود الفضل في ذلك، إلى سرعة التدخل ومرونة القوات الصغيرة من المظليين الذين تم انزالهم فوق النقاط الهامة..

لقد أظهرت معارك العراق، الامكانات والمهمات التي يستطيع سلاح الطيران الاضطلاع بها، خلال العمليات التي تدور فوق مساحة واسعة من الأرض، ومن أكثر هذه الأعمال أهمية، القيام بدعم ومساندة الحاميات المحاصرة، ونقل طلائع قوات - الأرتال الأرضية، والهجوم على المواقع الدفاعية من مسافة قريبة، واحتلال أقليم بعيد ولكنه هام من الناحية الاقتصادية.

إن فحص هذه النماذج الثلاثة من أمثولات التاريخ العسكري، يعطينا عدداً من الدروس الهامة:

١ - في ظروف الحرب، وعندما تدور المعارك فوق مناطق واسعة، وضد خصم يتفوق عددياً، يكون من الأهمية بمكان، أن تصبح القوات الأرضية قادرة على استخدام

وسائل النقل الجوي، ومستعدة للاستفادة من مرونتها وذلك بهدف تحقيق المباغتة في التدخل، والعمل من قلب المواقع الدفاعية للعدو، لأن من شأن ذلك أن يقلب موازين القوى لدى الخصم، وأن فوجاً واحداً، يتم انزاله مع الفجر، فوق النقاط الرئيسية قد يستطيع القيام بعمل لا تستطيعه عشرة ألوية زاحفة عن طريق الأرض ولا تستطيع الوصول إلى أهدافها قبل المساء

٢ ـ تغاير الأهداف وتنوعها مما تطاله أيدي المظليين في إطار ظروف الحرب الحديثة، كطرق المواصلات، والمطارات، والموانىء، والمصانع أيضاً، ومناطق المناجم، بالاضافة إلى قيادة المقاومات والتنظيمات في مجال الادارة المدنية والقيادة العسكرية.

٣ ـ إمكانات الوحدات المحمولة جواً، وقدراتها على حل المشاكل بالقوة، وفي أقصر فترة زمنية وبأقل الوسائل تكاليف. وهذا هو سبب تفوق وحدات المظليين، والقوات المنقولة جواً على كل ما عداها من القوات المسلحة.

وعلينا أن نحتفظ بذاكرتنا دائمًا، بتلك الامكانات الواسعة، وذلك التأثير الحاسم سواء في مجال المعارك الموضعية، أو في أفق الحروب الخارجية، أو في المعارك السياسية، كالانقلابات، أو حتى في الكوارث الكبيرة، كوقوع حريق عام.

الفصل الخامس

المظليون ـ يباغتون قلعة «بن أميل»

١٩٤٠/٥/١٠

جاء في مذكرات الجنرال «غاملان» الفقرة التالية:

«إن احتلال الألمان للجسور القائمة فوق نهر الموز وماستريتش، في صباح يوم ١٠ مايس عام ١٩٤٠ واحتلالهم لقلعة «بن أميل» التي كانت جزءاً من تحصينات «لييج» قد جاء بمثابة ضربة أذهلت كل عقل».

وقد تحدث «ليدل هارت» المعقب العسكري البريطاني المشهور عن العملية ذاتها، فشدد على الفقرة التالية: «ذلك هو في الواقع أحد مفاتيح قضايا تاريخ الحرب الأخيرة»..

إن احتلال الألمان للجسور القائمة فوق قناة «البرت» واستيلاء قواتهم على التحصينات الحديثة والقوية على قلعة «بن أميل» كان انتصاراً تعبوياً موضعياً، إلا أنه مكن القيادة الألمانية العليا من القيام بالتوسع الستراتيجي لمعركة مايس ـ حزيران عام ١٩٤٠. وعلى كل فقد كان هناك سر يحيط بالهجوم المباغت، وبالخيال الجريء الذي أمكن بواسطته تنفيذ تلك العملية.

والآن ـ وأخيراً ـ فإن نشر الوثائق الألمانية والبلجيكية على حد سواء، قد جعل من الممكن اعطاء قيمة حقيقية لما حدث. وإن هذه المعرفة للماضي، مفيدة للمؤرخين بقدر ما هي مفيدة للمثقفين، ذلك لأنها تجعل من السهل علينا أنْ نتذكر المبدأ الذي يحتم علينا ألا نقبل ببساطة النظريات والمعطيات في الوقت الحاضر، وذلك في الأفقين المدني والعسكري:

ولهذه الغاية، فإننا سنعمل أولاً على ابراز الظواهر الأساسية في هذه العملية، مع دراسة المشكلة التي كانت تواجه الألمان والبلجيكيين، ثم ننتقل بعد ذلك إلى دراسة الاستعدادات التي اتخذتها القيادة الألمانية لحل هذه المشكلة، وأخيراً المعركة التي وقعت بين الخصمين في العاشر من مايس عام ١٩٤٠.

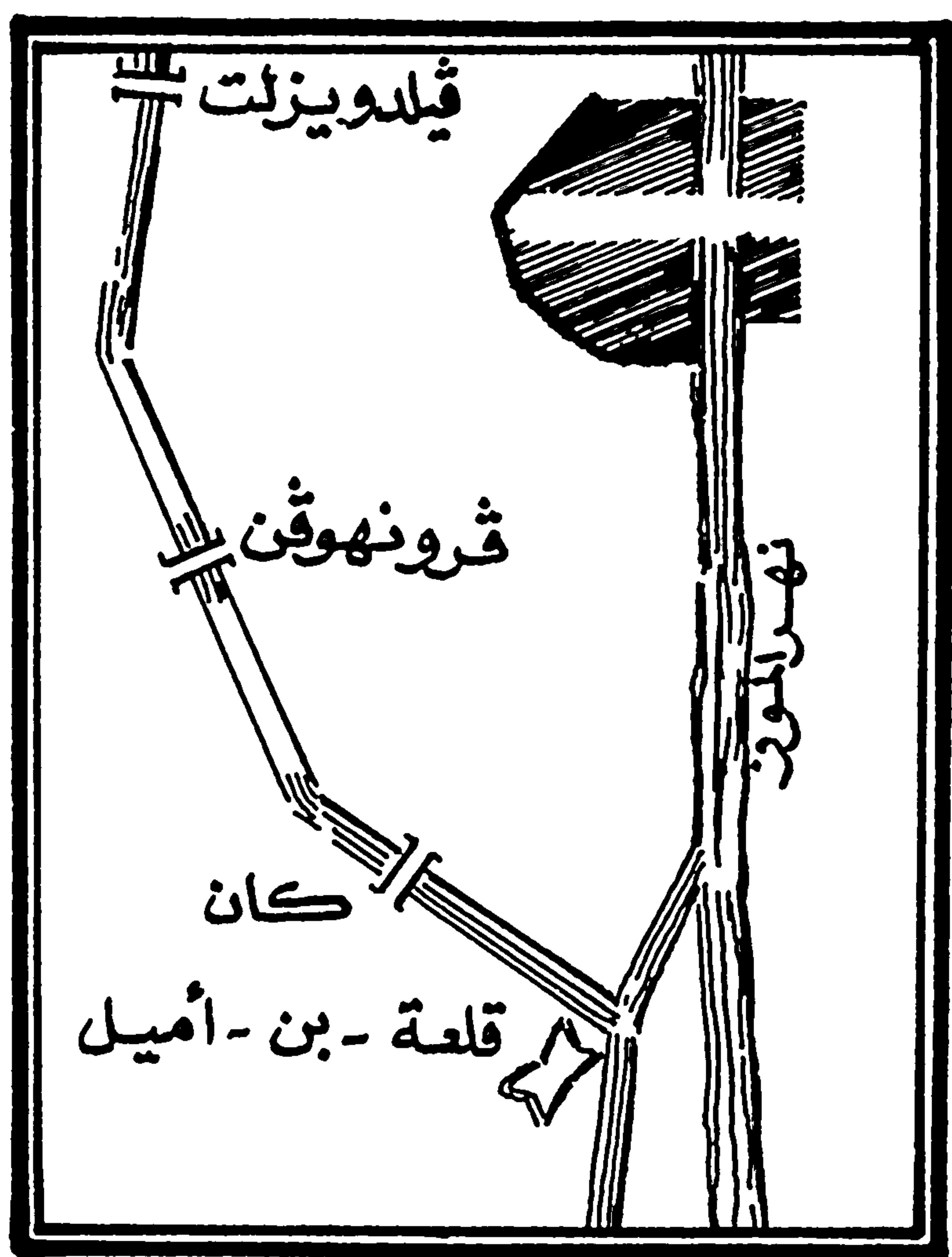
في بداية الحرب العالمية الثانية، كان على المخطط الألماني أن يجابه موضوع سحق التعاون الأنكلو ـ فرنسي، وذلك عن طريق احياء المخطط القديم الموضوع منذ حرب عام ١٩١٤، والمشهور باسم مخطط «شليفن» الذين كان يتضمن القيام بعملية التفاف واسعة عبر السهول الشمالية لبلجيكا وفرنسا لتطويق قوات الحلفاء وتدميرها.

وكان العيب الرئيسي في ذلك المخطط هو بعده الواضح عن الواقع.

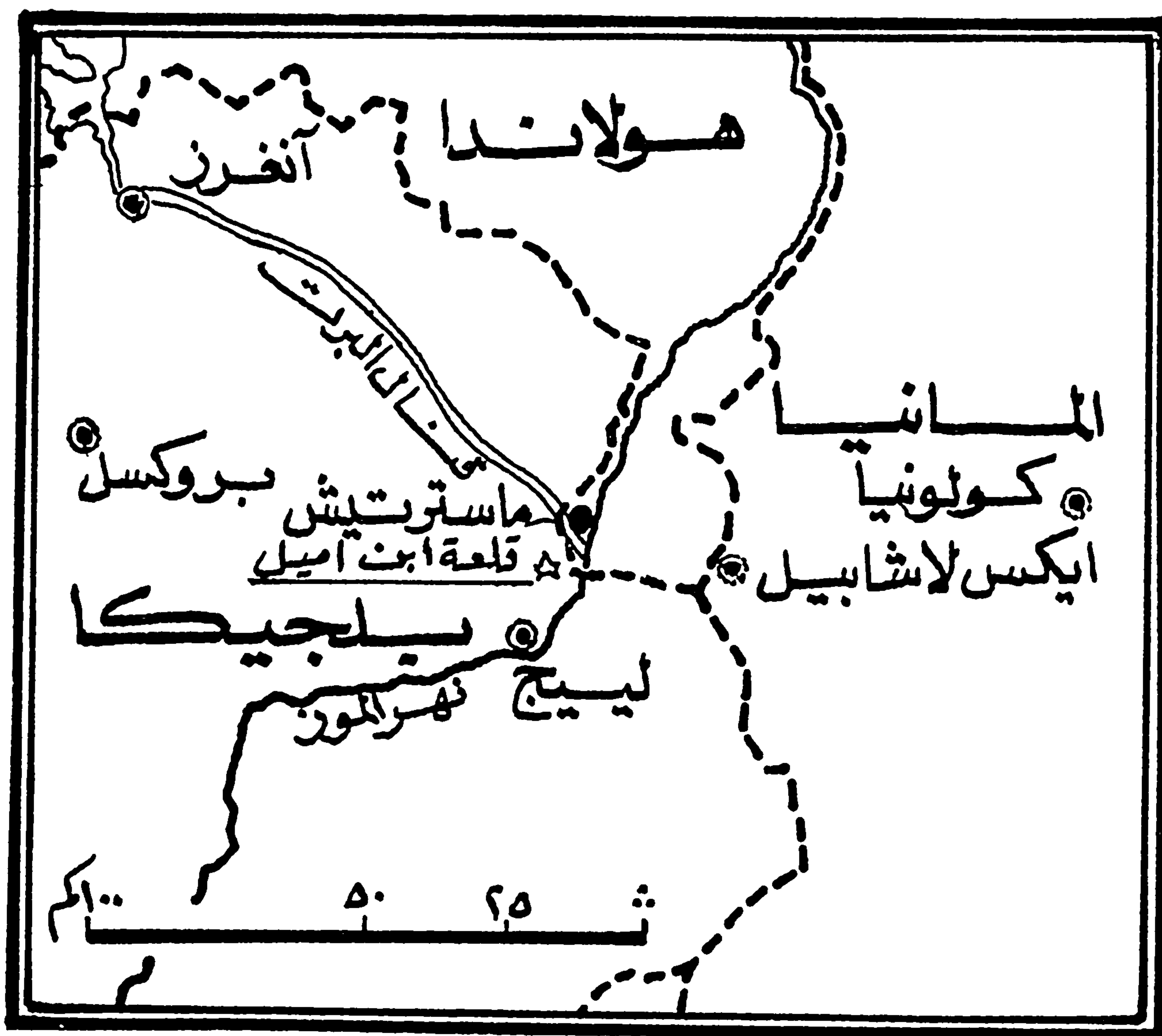
وكانت فكرة «هتلر» التي دعمتها حسابات بعض عقول الضباط الخصبة، كالجنرال «مانشتاين» تهدف إلى تغيير المبدأ الأساسي لمخطط الهجوم، وكانت النتيجة ظهور فكرة المناورة الستراتيجية التي تميزت بأحداث ثغرة قوية في المجنبة اليمنى تكون بمثابة هجوم خادع يهدف إلى تضليل قيادة الحلفاء عن مكان الهجوم الحقيقي للقوات الرئيسية والذي تحدد موقعه ليكون في الوسط أي في سيدان، مع اتخاذ الترتيبات اللازمة لإزالة العوائق التي تعترض محور الاختراق. وتقرر بعد ذلك اعطاء الثغرة اليمنى بعضاً من الاتساع ومزيداً من القوة كي تحمل القيادة العليا للحلفاء على الاعتقاد بأنها المحور الرئيسي للجهوم الألماني، فتعمل هذه على دفع قواتها في هذا الاتجاه، وتتوغل في العمق، وبعد وقوعها على هذه الصورة في المصيدة المهيأة لها، يمكن الاطباق عليها.

والآن، وبمجرد انطلاق القوات الألمانية الرئيسية من منطقة «كولونيا» في اتجاه «بروكسل» فإنها ستسير فوراً عبر العوائق المرعبة المتمثلة «بقناة البرت» وتحصينات «ليبج» وهنا، وإذا نجحت التشكيلات الانكلو ـ فرنسية الكبرى في احتلال مواقعها الدفاعية مقابل هذا المحور، فإن خوض معركة إبادة سيصبح أمراً لا مفر منه وتضيع فرصة المباغتة تماماً، وتصبح أية محاولة لاختراق منطقة الأردين عن طريق هجوم جبهي مستحيلة لذا فقد كان العمل على ابطال هذه العوائق أمراً أساسياً يجب تنفيذه بأقصى سرعة ممكنة أي خلال أربع وعشرين ساعة من بدء الهجوم.. ولم يكن باستطاعة الهجوم الجبهي مطلقاً أن ينجز ما يجب انجازه.

وفي الواقع، فإن قناة «البرت» التي كان قد تم الانتهاء من بنائها في عام ١٩٣٠ لوصل ميناء «أنتويرب» بنهر الموز، كانت لا تبعد أكثر من تسعين ميلاً عن الحدود الألمانية، وكانت تشكل فعلاً حاجزاً منيعاً أمام تقدم الدبابات، يتراوح عمقه بين ستين


ڤيلدويزلت
ڤرونهوڤن
نهر الموز
كان
قلعة -بن -أميل

٥ - " بن - اميل "


هولاندا
أنفرز
قنال البرت
المانيا
بروكسل
كولونيا
ماستريتيش
قلعة ابن اميل
ايكس لاشابيل
بلجيكا
ليبج
نهر الموز
١٠٠كم ٥٠ ٢٥ ٠

ومئة قدم، وكانت ضفة القناة الغربية تستند إلى عدد من التحصينات الصغيرة المجهزة بحقول رمي. . وكان هناك ثلاثة من الجسور القائمة فوق القناة في كل من «كان وفرونهوفن وفيدد ويزلت». وكانت هذه الجسور مجهزة بعبوات ناسفة، كما كانت تدعمها خنادق ومراكز محصنة، وكانت الحامية المدافعة عن الجسر مسلحة باستمرار بمدفع مضاد للدبابات من عيار ٤٧ ملم، بالاضافة لمدفع رشاش غير المدفع الرشاش الآخر في الملجأ المبني بالاسمنت المسلح.

أما الحامية المدافعة عن كل جسر من هذه الجسور فقد كانت تتكون من مجموعة تعادل السرية، وهذه المجموعة مشكلة من وحدات تابعة إلى لواء المشاة الثاني، وإلى لواء الخطوط الثامن عشر وإلى لواء المشاة الثاني.

وجميع هذه الألوية من تنظيم فرقة المشاة البلجيكية السابعة.

وعلاوة على ذلك، فقد كان وضع المياه في قناة البرت ونهر الموز، مماثلاً لما هو عليه اليوم، مما كان يضع محاور الاقتراب من هذه الجسور تحت سيطرة قلعة «بن أميل» القوية، وقد كانت هذه القلعة من أكثر تحصينات «لييج» قوة ومنعة، تقف فوق مرتفع يقارب مئة وثلاثين قدماً من فوق قناة البرت، وكان وجه القلعة المقابل لاتجاه الشمال الغربي يشكل منحدراً قوياً، كما كانت تشتمل على الأعمال الهندسية المصممة وفق أحدث الأساليب التي أمكن اختراعها، وتم تجهيزها بأحدث الوسائل والمعدات.

تشكل قلعة «بن أميل» مستطيلاً يبلغ طوله ٩٢٠ متراً، أما عرضه فيصل إلى ٧٣٠ متراً، وكانت الحامية المدافعة عن القلعة تشتمل على ألف ومئتي مقاتل، تم تسليحهم بمدفعين من عيار ١٢٠ مم، و ١٦ مدفعاً من عيار ٧٥ مم بالاضافة لعدد كبير من الرشاشات للرمي ضد القوات الأرضية وضد الطائرات. هذا علاوة على المدافع المضادة للدبابات، ومدافع الهاون. وقد كان من المحتمل جداً، أن تستطيع هذه القوة المحافظة على مواقعها، وأن تنجح في صد هجوم الألوية الألمانية، لو تركت لها الفرصة لاستخدام أسلحتها.

إن فترة التوتر التي جاءت مع فصل ربيع عام ١٩٤٠ وما رافقها من استنفارات متكررة قد جعلت من غير الممكن التمسك بمقتضيات الدفاع والقيام بترتيباته بما ينبغي من الدقة والأحكام.

لم تكن تحصينات «لييج» تحتوي على العمق اللازم للدفاع، ولهذا تم دفع فرقة المشاة البلجيكية السابعة لتنظيم عدد من المراكز الدفاعية. وقد كانت هذه العملية في الواقع،

بمثابة توزيع لقوات هذه الفرقة فوق مساحة شاسعة من الأرض تصل إلى أحد عشر ميلاً.

ومن البديهي أن نتصور بعد ذلك، بأن القياد الألمانية العليا، لن تتمكن من البدء في تنفيذ عملياتها الهجومية، ولن تحاول الاقتراب لمسافة تقل عن العشرين ميلاً من القناة، ما لم يتم لها احتلال الجسور القائمة فوق القناة والاحتفاظ بها سليمة قبل أربع وعشرين ساعة على الأقل، كما أن تدمير قلعة «بن أميل» الشائكة، يجب أن يتم قبل أربع وعشرين ساعة أيضا من بدء الهجوم.

وهذا، فإن تنفيذ المخطط الاستراتيجي بأكمله، واخراجه إلى عالم الوجود، كان يعتمد كلياً على ايجاد الحل المناسب لهذه المشكلة التعبوية.

لم يكن باستطاعة القوات الأرضية، الاضطلاع باعباء هذه المهمة، لذلك استنجد «هتلر» بوحدات المظليين التي كانت تعيش شباب عمرها، والتي كانت تفوق في حماستها واندفاعها غيرها من القوات وكانت الفرقة السابعة للمظليين تابعة لقيادة سلاح الجو وتتكون من وحدات المظليين والوحدات المقاتلة ويمكن نقلهم جميعهم بالطائرات والطائرات الشراعية.

وقد قامت قيادة فرقة المظليين السابعة بالتعاون مع فرقة المشاة المظليين ٢٢، بانتقاء العدد اللازم من العناصر ممن سيتم انزالهم فوق التحصينات البلجيكية. وبعد أن تم تحديد وانتقاء هذا العدد القليل، أنيط بهم أمر حل مشكلة «قناة البرت» وتحصينات «بن أميل».

وهكذا تقرر أن يتم توجيه ضربة جريئة، عن طريق انزال وحدات من الجو في قلب وحدات العدو وفوق أراضيه، ولكن كانت هناك مجازفة كبيرة، إذ أن عملية الانزال هذه ستتم في وسط الحامية المستنفرة واليقظة والمستعدة لاستخدام اسلحتها ومعداتها القوية والفعالة. ولذا فإن فرص النجاح كانت تتوقف على مقدار ما يمكن تحقيقه من المباغتة، وما تخلفه هذه المباغتة من الأثر خلال الدقائق القليلة، واستغلال ذلك لمحو العدو وإبادته، أو - على الأقل - منعه من القيام بأي عمل خلال الفترة الأولى من العملية.

ولما كانت طائرات نقل المظليين، تثير الكثير من الضجيج، فلم يكن استخدامها محتملاً في هذه المهمة، وهنا برزت فكرة استخدام الطائرات الشراعية لتحقيق هذه الغاية لأنها تستطيع الاقتراب بصمت من أهدافها، وعلامة على ذلك، فقد كانت هناك حمولة كبيرة من المعدات الفنية الثقيلة والتي لا غنى عنها لتدمير المواقع وابطال الملاجىء المحصنة ووضعها خارج العمل.

إن الاستخدام الجريء لأثنين من العناصر الجديدة في الحرب وهما: الطائرة الشراعية والحشوة الجوفاء، واستثمارهما بشكل رائع هو الذي أتاح فرص النجاح أمام الألمان، ولم يبق بعد ذلك، إلا مرحلة واحدة، هي اعداد الفصائل التي ستقوم بالهجوم واكسابها الخبرات والتجارب الضرورية، وتدريبها على استخدام الوسائل اللازمة للعملية.

كانت طائرة الهجوم الشراعية الألمانية «د. ف. س-٢٣» قادرة على نقل حمولة جيدة تعادل طناً واحداً، فإذا تم الطيران في الليل، وإذا تم انفصال الطائرات الشراعية عن الطائرات التي تقطرها فوق الحدود الألمانية - البلجيكية، وعلى ارتفاع ثمانية الآف قدم، فإنها تستطيع أن تبدأ الهبوط بزاوية قدرها ثماني درجات، وتسبح في الفضاء بسرعة ثمانية أميال في الساعة وهكذا، وعندما تصل إلى ما فوق الهدف تكون قد أصبحت على ارتفاع ألف قدم من أرضه، وإن هذا الارتفاع، يسمح للطيار بأن يختار منطقة جيدة للهبوط.

وكان باستطاعة هذا الطائرة أن تحمل في جوفها جماعة انقضاض مكونة من ثمانية أو تسعة مقاتلين، ومعهم حشوة جوفاء يبلغ ثقلها مقدار مئة ليبرة.

كانت الحشوة الجوفاء تنقسم إلى قسمين يبلغ ثقل كل منهما خمسين ليبرة. وكان يحيط بالمادة الشديدة الانفجار غلاف معدني. أما شكل الحشوة فهو كما يدل عليها أسمها «مجوفة» وعلى شكل هرمي مقعر، وكان الانفجار يتركز على طول المحور المقعر، مما كان يعطيها قدرةتدميرية كبيرة قادرة على اختراق درع معدني بسمك ١٠ أنشات، أما نصف الحشوة أو أنبوب الخمسين ليبرة، فقد كان باستطاعته اختراق مسطح معدني يتراوح سمكه فيما بين ٥ و ٦ أنشات.

ومنذ هذه الفترة أخذ مخطط العملية بالظهور على شكله الصحيح.

تقوم الطائرات الشراعية بالاقلاع من المطارات الألمانية في الليل، وجميعها مقطورة بعضها إلى بعض بوساطة طائرتين، وقبل وصول هذه القطارات الجوية إلى الحدود يتم انفصال الطائرتين القاطرتين، عن رتل الطائرات الشراعية التي تبدأ بدورها في الانضمام على شكل أربع مجموعات. وذلك للهبوط، بصمت، ومع أول ضوء من أضواء الشفق فوق الجسور الثلاثة، وفوق قلعة «بن أميل» وعندها يبدأ الهجوم مباشرة بقوة وضراوة وتستخدم فيه القنابل اليدوية، والمسدسات الرشاشة، وقاذفات اللهب، والحشوة الجوفاء، وكان يجب الانتهاء من تحقيق المهمة الرئيسية خلال فترة ربع ساعة فقط تتمركز بعدها جماعات الهجوم في أماكنها المخصصة لها وذلك في انتظار وصول القوات البرية.

تم تكليف السرية الأولى من لواء المظليين الأول مع فصيلة الاستطلاع التابعة لقيادة

الفرقة السابعة بمهمة تنفيذ عملية الهجوم هذه واخراج المخطط إلى الوجود، وقد وضع تحت تصرف هذه القوة (٥٠) طائرة شراعية نموذج «د. ف. س ٢٣» وذات العدد من طائرات «الجونكر ٥٢ - س» وتمت تسمية هذه القوة باسم «النقيب - كوخ» وهو قائد السرية المكلفة بالهجوم.

مع نهاية عام ١٩٣٩، ابتدأت الاستعدادات لتنفيذ العملية بدورة تدريبية فوق أرض مماثلة تماماً لأرض المعركة. . وقد بذلت في هذه المرحلة الجهود الجبارة، لحل المشكلات التي كانت تظهر خلال التمارين، بأسلوب ناجح، وذهن متوقد. ولذا جاءت الحلول عملية وواقعية، وكان يتم تطويرها بعد ذلك للوصول بها إلى درجة الكمال، وذلك عن طريق اعادة التجارب والاختبارات.

خلال مرحلة التدريب هذه، تم تدريب طياري الطائرات الشراعية على مزاولة الطيران بمجموعات، أثناء الليل والنهار، وكانت الطائرات الشراعية تحلق وهي مقطورة إلى طائرة الجونكر بواسطة حبل طوله (٢٣٠) قدماً. ثم جاءت مرحلة التدريب على الهبوط الدقيق في حالة الرؤ ية، وذلك بوضع الطائرة الشراعية عند الهبوط على مسافة لا تزيد عن عشرين ياردة من النقطة المحددة لها. كما تم تدريب طياري الطائرات الشراعية جميعاً على مزاولة أعمال القتال الأرضي لكي يشتركوا في الهجوم على الأهداف. أما الحشوة الجوفاء ذاتها، فقد خضعت هي الأخرى للتجارب وتم استخدامها لتدمير تحصينات «كزيك» في بوهيميا، كما تمت تجربتها في الخنادق البولونية، قرب «ليبجنيتز» وفي شهر آذار من عام ١٩٤٠، أجريت تجربة للهجوم فوق منطة تدريب «دويسلدورف» واستخدمت في هذه التجربة الذخيرة الحية، كما استخدمت الطائرات لنقل القوات، وأمكن بناء نموذج يماثل في شكله وأبعاده لما كانت عليه قلعة «بن أميل» واستخدم هذا النموذج لتدريب عناصر الاستطلاع. وفي الوقت ذاته أعطيت الأوامر للوحدات التي ستقوم بدعم هذه العملية، وتم تلقينها واجباتها بالتفصيل وكان مخطط دعم العملية كالتالي:

بعد ربع ساعة من وصول المظليين، وبدء الهجوم، كان على تشكيلات من طائرات «الشتوكا» ومن المقاتلات، أن تقوم بالتحليق فوق مناطق الجسور الثلاثة - وفوق القلعة - في الوقت الذي تكون فيه احدى طائرات الاستطلاع تحلق باستمرار فوق أرض المعركة وكان على المدفعية الثقيلة والبعيدة المدى، أن تقوم بتجهيز نيرانها للتدخل بناء على طلب القوات الذي يتم ارساله باللاسلكي وذلك اعتباراً من فترة الضحى وإلى ما بعد ذلك. .

وأخيراً، تم تكليف فرق «البانزر» المدرعة الأربع، بتأمين الاتصال مع المظليين خلال فترة ما بعد الظهر، ثم ضمهم إلى قوتها ووضعهم تحت قيادتها لتوجيههم إلى

الأهداف التي كان من أولها، «الاستفادة من الجسور السليمة والتي لم يتمكن العدو من تدميرها والبدء في التقدم باتجاه بروكسل».

وقد اتخذت تدابير أمن مشددة للمحافظة على السر، وقد كان ذلك على جانب كبير من الأهمية لضمان نجاح العملية. وكانت هذه التدابير ذات طابع مسرحي..

خلال ستة أشهر من الانتظار والاستعداد قبل العملية، تم عزل مجموعة الهجوم تماماً، وجرى حجزها في «هيلدشيم». كما تم وضع الطائرات الشراعية في «كولونيا» وقد تم تمويه هذه الأخيرة في مستودعات «هانكارات»، ثم أغلقت هذه المستودعات وتركت موصدة، فلم تثر أية شكوك ولم تلفت اليها أنظار قيادة المطار ذاته، ذلك لأنها كانت تحمل بصورة رسمية وصفاً لما كانت تحتويه «أعتدة خاصة لانتاج الستائر الدخانية».

وأخيراً ظهرت المخططات النهائية للعملية.

يقوم النقيب كوخ مع عناصر قيادته باستخدام اثنتين من الطائرات الشراعية للهبوط فوق أرض منطقة الجسر الأوسط، وهو جسر فرونهوفن، ويعمل على انشاء مركز قيادته هناك. بينما تقوم تسع طائرات شراعية بنقل المجموعة المكلفة بالهجوم على هذا الجسر والاستيلاء عليه.

أما الجسران الآخران، وهما جسر «كان» وجسر «فيلد ويزلت» فقد تقرر أن يقوم باحتلال كل منهما مجموعة مكونة من حمولة عشر طائرات شراعية.

وكان على الملازم «ويتزيغ» أن يقوم بالهبوط مع احدى عشرة طائرة شراعية، فوق قمة قلعة «بن أميل» على أن يلحق بها على الفور قوة مكونة من عشرة ضباط و ٣٥٥ رتيباً وجندياً. وقد تم تخصيص ٤٢ طائرة شراعية لنقل هذه القوة ووضعها في قلب المواقع الدفاعية للعدو.

كان على مجموعة الملازم «ويتزيغ» والمكلفة بالهجوم على تحصينات «بن أميل» أن تحمل معها كمية ٢,٥ طن من المتفجرات وحدها.

تقرر أنزال فصيلة مكونة من أربعين مظلياً، يتم انزالهم بالمظلات من طائرات «الجونكر ٥٢ ـ س» ومعهم الرشاشات الثقيلة، وكان على مفارز هذه الفصيلة أن تقوم بالهبوط بعد وصول وحدات الهجوم إلى الجسور بمدة أربعين دقيقة وذلك بمهمة دعم القوات المهاجمة والدفاع عن الجسور بعد أن يكون قد تم احتلالها.

وهكذا وصلت مرحلة التحضير للعملية بأكملها، إلى دراسة واعداد أكثر التفاصيل

دقة، وانتهى أمر تحديد الوسائل الواجب استخدامها، والامكانات الواجب توافرها من خلال كل ما أمكن اكتشافه أثناء التجارب السابقة. . وكانت كل فرضية ممكنة. وأي احتمال غير متوقع، موضعاً لدراسة دقيقة، وعناية خاصة، وقد جاء المخطط بنتيجة ذلك بسيطاً بقدر ما كان جريئاً، وتميز بقدرته على تحقيق المباغتة فنياً وتعبوياً. ولكن، وحتى آخر لحظة قبل التنفيذ، فإن فرص النجاح أمام المخطط كانت رهناً بقدرة الرجال الذين سيعملون على تنفيذه، إنهم يقيناً، لم يكونوا يعرفون بأن لديهم ميزات كبرى سيضعونها في خدمة الهجوم الذي جاء مع فجر يوم ١٠ مايس عام ١٩٤٠، ولكنهم سيبرهنون على وجودها.

حوالى الساعة ١٤,٢٠ من يوم ٩ مايس، أعطى الأمر الانذاري لكل من «هيلدهيم» و «كولونيا» وتحركت مجموعة الهجوم المباشرة فاستقلت الطائرات، وانتقلت إلى مطارين ثانويين في كولونيا حيث وصلتها في الساعة ١٨,٣٠.

كانت الأحوال الجوية ملائمة للغاية.

تحدد موعد الهبوط وبدء الهجوم ليكون في الساعة ٥,٢٥ حسب التوقيت الألماني من صباح يوم ١٠ مايس، أي قبل خمس دقائق بالضبط من الموعد المقرر لعبور الجيش الألماني الحدود الهولندية والبلجيكية واللوكسمبورغ.

ترى كيف كان الوضع في الجسور وفي قلعة «بن أميل»؟.

بين الدقيقة (١٠) والدقيقة (٣٠) من صباح يوم ١٠ أيار تلقت قيادة قلعة «بن أميل» وقيادة سرية حرس الحدود - راكبي الدراجات - وهي المسؤولة عن الدفاع لحماية الجسور الثلاثة، الأمر التالي:

«استنفار، اعتباراً من الدقيقة (١٠) صباحاً، توقف كافة الاجازات».

كما وجه أمر مماثل إلى الوحدات المتمركزة في القطاع، وتم على أثر ذلك اعداد العبوات الناسفة للجسور وتجهيزها للعمل. كما وجه انذار إلى السكان بأنه يتوجب عليهم التراجع إلى الخلف، والابتعاد لمسافة ربع ميل من الحدود، وحوالي نصف ساعة كان المدافعون قد احتلوا مواقعهم.

وفي الجانب الألماني، كانت مجموعات الطائرات الألمانية قد أقلعت من المطارات بحيث أن آخر طائرة شراعية كانت قد انفصلت عن الأرض في الساعة (٤,٤٠) وفي الطريق من «كولونيا» إلى «آخن» كانت قد تمت اضاءة اثنين من الشوارع بهدف توجيه الطائرات نحو الاتجاه الصحيح. كما تم استخدام المنارات البحرية، والأنوار الكشافة

المضادة للطائرات بهدف تأكيد الاتجاه الواجب اتباعه. وأخيراً فقد تم تعيين ألوان خاصة من الأضواء لتحديد مكان النقطة التي يبدأ من فوقها انفصال الطائرات القاطرة عن الطائرات الشراعية المقطورة، واعتباراً من هذه النقطة كانت تبدأ مرحلة الاقتراب الصامت من الهدف فوق أراضي الأقليم المظلم.

وقد تم اختيار محور الاقتراب المناسب بحيث تصل الطائرات الشراعية إلى أهدافها وهي متقدمة من اتجاه الغرب، أي وكأنها قادمة من داخل الأقليم البلجيكي ذاته.

لقد شاهد الحرس البلجيكي هذه الأجسام الغريبة السابحة في الفضاء، وتخيل بعضهم بأنها طائرات تعاني من خلل في أجهزتها، وقامت بعض الأسلحة الآلية بفتح نيرانها على ضوء نور الفجر الباهت الذي يسبق طلوع النهار، ولكن مجموعات الطائرات الشراعية هبطت بصورة مباغتة عند النهايات الجنوبية للجسور، كما هبط بعضها فوق قمة سطح قلعة «بن أميل».

وخلال الدقيقتين الأوليين، اللتين تبعتا هبوط الطائرات عند الجسور دارت معركة عنيفة وحاسمة، فقد اندفع أفراد مجموعات الهجوم عبر منافذ طائراتهم الشراعية، وذلك قبل أن تتمكن تلك من التوقف بصورة تامة، وأسرع الجنود إلى أهدافهم التي تم التدرب طويلاً على ما يماثلها، وشرعوا بقذف قنابلهم وتكنيس الخنادق بقاذفات اللهب في الوقت الذي كان يتم فيه وضع الحشوات الجوفاء في المواضع المحددة لها. وقد أصيبت الحامية المدافعة عن الجسور بالذهول التام على أثر هذه المفاجأة، ولقيت بذلك مصرعها، بحيث أنها لم تتمكن من تدمير الجسور، فيما عدا جسر «كان» إذ تمكنت الحامية المدافعة عنه من نسفه. أما جسرا «فيلد ويزلت وفرونكهوفن» فقد تم الاستيلاء عليهما وهما بحالة سليمة. وقد شرع المظليون على الفور بالهجوم على السرية المكلفة بدعم مراكز الدفاع عن الجسور وكانت معركة عنيفة وقصيرة لم تستمر طويلاً، وبالنتيجة، فإن السرية السادسة من كتيبة الرماة البلجيكية الثانية قد خسرت في معركة «جسر فيلد ويزلت» ٢٤ قتيلاً وسبعة جرحى من أصل قوتها البالغة ٤٤ رجلاً، أي أضاعت ما يعادل الفصيلة، وفي موقع آخر، سقط ١١ قتيلاً و ١١ جريحاً من أصل سرية أخرى. والجميع قد سقطوا في فترة دقائق قليلة.

اعتباراً من الساعة (٥,٤٣) أصبحت قيادة مجموعات الهجوم على الجسور في «فرونهوفن» على اتصال لاسلكي مع وحداتها عند الجسور الأخرى. وكانوا جميعاً بحالة جيدة، وفي الطريق السليم الذي تم التدريب عليه.

ومن ناحية أخرى فقد تعرض المظليون الذين قاموا بالقفز مع رشاشاتهم الثقيلة في

الساعة(٦,١٥) إلى الكثير من الخسائر، ولكن، اعتباراً من الساعة (٩,٠٠) تم توفير الاتصال اللاسلكي مع المدفعية الثقيلة البعيدة المدى التي قامت بتوجيه نيرانها لحماية المظليين.

وعندما حل الظلام على نهاية يوم ١٠ مايس كانت مفارز الاستطلاع الأرضي المتقدمة لفرق (البانزر) المدرعة الأربع، قد وصلت إلى الجسور وقامت باستلامها من أيدي المظليين، وقد مكنت هذه الجسور السليمة القوات المدرعة والوحدات الآلية من التدفق باستمرار في اتجاه (بروكسل).

كانت حصيلة معركة اليوم كالتالي:

٣٨ قتيلاً ومئة جريح، من أصل الأربعمائة مظلي ممن تم نقلهم بالطائرات الشراعية أو انزالهم بالمظلات. أما في صفوف البلجيكيين فتدل التقديرات على أن الخسائر قد بلغت تسعمائة قتيل تقريباً. بما في ذلك الخسائر التي تم وقوعها بنتيجة الاغارات والهجمات الجوية.

خلال يوم ١٠ مايس، لم يحاول البلجيكيون القيام بأي هجوم مضاد على أي مستوى وبأية طريقة، من أجل استرداد الجسور، وكان النقص في وصول المعلومات والمفاجأة التي أعقبت هذا الموقف غير المتوقع أبداً، وتعدد الاتجاهات للتحركات الألمانية، لقد كان ذلك كله السبب الذي أدى إلى هذا الموقف.

وفي الواقع، فبعد أن غادر المظليون طائراتهم الشراعية، وشرعوا بتنفيذ مهماتهم قامت اثنتان من الطائرات بالتحليق فوق المواقع القريبة التي كانت تحتلها الفرقة البلجيكية السابعة، وقامت بالقاء الدمى المحشوة بالقش وانزالها بالمظلات، كعملية انزال خادع، وقد ساعدت هذه العملية على نشر الذعر، وعلى توزيع الجهود البلجيكية في كافة الاتجاهات.

كان من المفروض أن تتكرر العمليات ذاتها وبنفس الدقة، وبالنسبة لمجموعة الهجوم المكلفة بمهمة قلعة «بن أميل» والبالغ حجمها حمولة احدى عشرة طائرة شراعية ولكن حادثاً معترضاً جاء في بداية العملية وأعاق انتظام العمل بالدقة المطلوبة. وكان هذا الحادث المعترض هو انقطاع حبل اثنتين من الطائرات الشراعية، وكان الملازم «ويتزيغ» قائد مجموعة الهجوم على القلعة في واحدة منها، واضطرت الطائرات الشراعية هذه إلى الهبوط فوق أرض حقل يقع على مقربة من «كولونيا» ولذا فقد وجدت الطائرات الشراعية التسع الباقية بأنها مجبرة على متابعة تنفيذ المهمة وحدها، وكان مجموع الأفراد يبلغ ٥٥ مقاتلاً استلم قيادتهم المساعد «ويتزل» وسار بهم إلى الهدف. وقد هبطت الطائرات

الشراعية التسع فوق سطح القلعة الذي ظهر واضحاً للرؤية وفوق مستوى الغلاف الضبابي الذي كان ينشر أجنحته الصباحية فوق المنخفضات وهنا ظهرت نتيجة التدريب المستمر، وحان موعد قطاف ثمار الجهد، إذ تم تدمير ثلاثة ملاجىء اسمنتية، وكان كل منها يضم ثلاثة مدافع من عيار ٧٥ مم. كما تم تدمير مساند المدافع من عيار ١٢٠ مم، واقتلاعها من جذورها من المسطحات المدرعة التي كانت ترتكز اليها المدافع، كما تم تدمير سبعة مساند أخرى علاوة على مواقع المدفعية المضادة للطائرات. وقد تم تنفيذ ذلك كله خلال فترة عشر دقائق فقط.

في الساعة (٥,٤٠) كانت قلعة «بن أميل» قد أصبحت في الواقع عمياء وصماء وفي حالة عزلة عن كل ما يحيط بها، والتجأت حاميتها إلى أوكارها الاسمنتية ذات المنافذ والأبواب المصفحة بالدروع، وأصبحت القوات المدافعة عاجزة عن القيام بأي هجوم مضاد، وقد قام المهاجمون بأعماء مداخل التحصينات والملاجىء والواقعة تحت مستوى الأرض وذلك عن طريق نشر القنابل الدخانية، ووضع مولدات الدخان تحت فتحات التهوية المجهزة بالقصبات التي يتم عن طريقها تبديل الهواء ومع انتهاء فترة الصباح، ابتدأ البلجيكيون بفتح نيران مدفعيتهم والضرب على الملاجىء والتحصينات. وفي هذه الفترة وصلت الطائرة الشراعية التي كانت تقل الملازم «ويتزيغ» بعد أن تم اخراجه من الحقل الذي كان قد هبط فيه عند الفجر، بواسطة طائرة «جونكر ـ ٥٢».

لقد كان الحظ في خدمة المظليين الستين الذين كانوا فوق سطح القلعة ذلك أن الخنادق العميقة والمربعة، والحفر، والقباب، كانت كلها توفر لهم مساند جيدة ضد قصف المدفعية البلجيكية، كما كانت تعيق في الوقت ذاته تحرك الحامية المعتصمة في ملاجئها، وتمنعها من الخروج إلى السطح.

خلال ذلك كانت بعض مجموعات الحامية لا تزال مستمرة في فتح نيرانها عبر منافذ التحصينات والرمي على محاور الاقتراب من فوق مياه قناة «البرت» بهدف منع وصول النجدات وانضمامها إلى وحدات المظليين.

كانت ليلة ١٠ ـ ١١ مايس، مرهقة بالنسبة للمظليين الذين أمضوا تلك الساعات تحت نيران المدفعية البلجيكية وقنابل الهاون. وهم ينتظرون قيام القوات البلجيكية بهجوم مضاد في كل لحظة.

في فجر يوم ١١ مايس، نجحت مفرزة من مفارز فوج هجوم المهندسين «٥١» بإكمال مهمتها وتمكنت من تدمير الملاجىء، كما استطاعت هذه المفرزة بفضل مساعدة ملازم «ويتزيغ» أن تدمر آخر خندق من الخنادق البلجيكية والذي بقي مستمراً في اطلاق

نيرانه، وعند الظهيرة، كانت عملية الاستيلاء على القلعة قد انتهت، هذه القلعة التي كانت حتى فجر يـوم ١٠ مايس، فـريدة في أهميتهـا ومميزة بقـوتها ومنيعـة بتحصينها واسلحتها، وتتفوق على كل ما عداها من الدفاعات البلجيكية.

تعرضت مجموعة الهجوم على قلعة «بن أميل» إلى الخسائر التالية:

عشرة قتلى وخمسة عشر جريحاً من أصل تعداد القوةالتي ساهمت بالعمليةوالبالغ مجموعها ٨٥ مقاتلاً. أما الحامية البلجيكية فقد خسرت مئة قتيل وذلك خلال فترة صباح يوم ١٠ مايس.

بدأت الفرق المدرعة، وفرق المشاة الآلية، تندفع كالسيل الجارف لمجابهة أفضل الوحدات «الانكلو ـ فرنسية» والعبور من خلال الثغرة الواسعة فيما بين كولونيا وبروكسل «وعبر الحاجز الهام لقناة «ألبرت».

لقد كانت القيادة الفرنسية العليا، تعتمد على المقاومة البلجيكية عند «قناة البرت» وتعتقد بأن هذه المقاومة قد تستمر لعدد من الأيام، ولكن سقوط قلعة «بن أميل» وجسور القناة بتلك السرعة، جاء وكأنه قيد ليمسك بأيدي القيادة، وانقلب كل شيء رأساً على عقب، وأصبح على القوات الفرنسية أن تقاتل فوق السهول البلجيكية بدون أن تكون مستعدة لحشد كل قواتها، ولم يكن ذلك إلا نتيجة لاستخدام استراتيجية جديدة، ولقد كانت تفرعات تلك الاستراتيجية ونتائجها، تتجاوز في أهميتها كل ما عداها.

وفي الواقع فإن الاحتلال غير المتوقع للجسور والامساك بها وهي بحالة سليمة، ثم تدمير القلعة المنظمة وفق أحدث الأساليب الدفاعية، وانجاز كل ذلك في فترة ساعات قليلة، قد صعق الانساق العليا في قيادات الحلفاء وأذهلها، فلقد كانت يقظتهم متوجهة، وهذا أمر طبيعي إلى المجـنبة اليسرى للدفاع، في محاولة للتمسك بها وايقاف العدو أمامها خلال الأيام الثلاثة الأولى من بداية المعركة، ولكن خلال هذه الأيام الثلاثة، كانت الفرق المدرعة للجنرال «غودريان» تنهب أرض «الأردين» نهباً، بارتالها الطويلة الفولاذية.

وفي يوم ١٣ مايس كانت هذه الأرتال قد شرعت في توجيه ضربتها ما بين «الموز وسيدان» أي في وسط دفاعات الحلفاء وبدأت تطوى أجنحة المجنبات طياً، مدمرة في طريقها أفضل الوحدات «الانكلو ـ فرنسية» وكامل القوات البلجيكية والهولندية تقريباً. ومنذ هذه اللحظة أصبح مصير معركة فرنسا مقرراً ومعروفاً.

جرت بعد ذلك بعض المعارك العسكرية، قامت بها مجموعات قليلة من الرجال خلال فترة قصيرة من الزمن، وكان لزاماً عليها بعد ذلك أن تخضع لذلك التأثير الحاسم

وهو الخيال الخصب في التأثير. وقد جاء التحضير الجيد والعنف في التنفيذ، ليضاعف من ذلك التأثير. وكان لاستخدام الوسائل الفنية الجديدة في أساليب القتال الفضل الأول في تحقيق المباغتة في كلا المجالين الفني والتعبوي.

ولم يعد هناك مجال للدهشة بأن تسجل النتائج التسوقية والنفسية تعادلاً يماثل تلك الوسائل والأساليب.

إن الاستيلاء على الجسور وهي سليمة، واحتلال قلعة ـ ابن أميل ـ قد جعل الباب البلجيكي مفتوحاً أمام غزو الجيش الألماني ـ وفي تلك الفترة التي أعقبت هذه العملية ـ وما خلفته من الذهول في أوساط قيادة الحلفاء برزت الايضاحات الكثيرة وظهرت التفسيرات المعقدة وكان بعضها متطرفاً في بعده عن الحقيقة. ولكن وعلى ضوء الوثائق ـ أصبح من الممكن حسبما أظهرنا الآن ـ تحديد العناصر الأساسية للعملية ومتابعة تطورها وأسباب نجاحها.

وإذا ما كان هناك ضرورة لإعطاء ـ فكرة موجزة عن بعض الحقائق ـ فيجب أن يكون في مقدمتها الخيال المبدع ـ وضرورة وجوده في كل المراحل من أجل تحقيق المباغتة.

وإننا إذا ما دققنا النظر وأعملنا التفكير في هذه العملية سواء في الحقل السياسي أو العسكري فإننا نجد ذلك العامل ذاته يكمن خلف كل ما يبرر زمن الحوادث ولهذا يجب أن يتم النظر إلى المستقبل في محاولة لرؤ ية كل ما لا يمكن رؤ يته. وأن ينظر إلى كل ما هو غير متوقع ـ كشيء ـ طبيعي.

وفوق ذلك فيجب عدم توقع حدوث ما يتكرر وقوعه باستمرار ـ واعتبار ذلك شيئاً مضموناً ـ أو كشيء يمكن التسليم به والاستسلام له بصورة عامة، ولقد كان مثل هذا الموقف العقلي هو التربة التي نبتت فيها جذور هزيمة الحلفاء ـ في حزيران من عام ١٩٤٠.

الفصل السادس

حرب شعبية و حرب تقليدية - الحملة الأثيوبية ١٩٤٠ - ١٩٤١

في صيف عام ١٩٣٩، كان بعض المفكرين العسكريين، ينطلقون بتفكيرهم إلى ما بعد خمسة أعوام ويتخيلون قيام جيش امريكي - فرنسي، بغزو ينطلق من شمال افريقيا ويبدأ بالهبوط فوق أراضي اقليم «بروفانس» في فرنسا وذلك لاختراق المواقع الدفاعية الألمانية القائمة عند شاطى ذلك الاقليم.

إن مثل هذا التفكير في سبق الأحداث، وفي توقع ما هو غير متوقع، هو ميزة من ميزات الحربِ وإن مثل هذا التفكير أيضاً، يحفزنا إلى دراسة المعارك التي لم تنتشر معرفتها، والتي ما زالت مغمورة، لا سيما ما كان منها مميزاً بكثرة الظواهر غير الطبيعية وذلك لاستخلاص الدروس من أجل المستقبل، بحيث يكون فيه كل شيء ممكناً ومتوقعاً.

ومن هنا تبرز أهمية تركيز الدراسة، وامعان التفكير في المعركة الأثيوبية التي حدثت فيما بين عامي ١٩٤٠ - ١٩٤١ والتي تعتبر حرباً تقليدية لعبت فيها الحرب الشعبية دوراً حاسمًا. وكانت حصيلتها مجموعة من الدروس الهامة التي يدل بعضها على أن الحرب غير النظامية لا تقتصر على دولة دون أخرى أو على شعب دون آخر، إنما يمكن اللجوء اليها حسب الأوضاع والحاجات والظروف الواقعة.

بعد وضع صورة للموقف العام الذي كانت عليه افريقيا الشرقية عند بداية الحرب العالمية الثانية، سيتم استعراض العمليات العسكرية التقليدية أولاً، والانتقال بعد ذلك

إلى وصف العمليات غير النظامية، لنصل في النهاية إلى استخلاص بعض الدروس العامة من هذه المعركة التي غالباً ما تصبح أحداثها في عالم النسيان.

في الثاني من تشرين الأول عام ١٩٣٥، اجتاحت ايطاليا القطر الأثيوبي.

وفي مطلع عام ١٩٣٦ انتهت المعركة بانتصار القوات الايطالية التي كانت تقودها قيادة حازمة وماهرة، وبنتيجة المعركة تم تدمير القوات الأثيوبية، وتمزيق وتشتيت من بقي منها، ويعود السبب في هذه الهزيمة إلى دخول القوات الأثيوبية الحرب بطريقة نظامية وحسب الأسلوب التقليدي، وكان ذلك خطأً فادحاً، بل من أكبر الأخطاء التي أدت إلى تلك النتيجة.

(تعتبر أثيوبيا أقليًا من أكثر أقاليم العالم في ارتفاع الحرارة وشدتها، كما تتميز بكثرة الجبال المنتشرة فوق مساحتها التي تزيد على مساحة فرنسا وايطاليا معاً، إذ تبلغ تسعمائة ميل من الطول، بينما يبلغ عرضها سبعمائة وخمسين ميلاً... ولا يعيش فوق هذه المناطق الشاسعة إلا خمسة عشر مليوناً فقط من السكان). ولقد تمت عملية غزو «أثيوبيا» بسهولة وانتصرت القوات المعتدية الغربية، وفر امبراطور أثيوبيا» هارباً إلى لندن. قابل الأثيوبيون الاحتلال الايطالي بالرفض، وانفجرت ثورة كبرى بين عامي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ وتركزت فوق الجبال الواقعة إلى غرب «غوجام» ولقد لفتت هذه الثورة انتباه القادة في كل من فرنسا وانكلترا الذين كانوا يرغبون في استثمار أية امكانية ولو على أيدي قلة من الأرثوذكسيين للحصول على بعض التوازن في القوى، ذلك التوازن الذي كان مع بداية الحرب العالمية الثانية وفي-عام ١٩٣٩ إلى جانب الطليان، بشكل واضح وجلي.

وفي الواقع، كان لدى الطليان خلال تلك الفترة قوة مكونة من (١١٣,٠٠٠) جندي ايطالي، إلى جانب (٣٦٠,٠٠٠) من المتطوعين، ومن أبناء الأقليم. أما التسليح فكان يشتمل على أربعمائة مدفع ومئتي دبابة وغشرين ألف مركبة نقل كبيرة، وثلاثمائة وخمس وعشرين طائرة. وكانت هذه القوة قد نظمت على شكل أفواج زاد عددها على مئة وستين فوجاً، بالاضافة إلى خمس وعشرين مجموعة مدفعية، وأربعة وعشرين سرباً من القاذفات وأربعة أسراب من الطائرات المقاتلة، وفرقتين للجنود البيض تم تخصيصهما كاحتياط عام.

وكانت قوات الحلفاء مكونة من عشرة آلاف جندي فرنسي، وثمانين ألف جندي انكليزي إلا أنها كانت منتشرة وموزعة على مساحات شاسعة تحيط بافريقيا الشرقية - الايطالية.

ومن ناحية أخرى، فإن العزلة التي كانت تحيط بالايطاليين، وقلة ما لديهم من

المعركة الأثيوبية
١٩٤٠ - ١٩٤١

الهجوم النظامي
الجنوب
الشمال
الاختراق التخريبي
في بداية العمليات الجارية في أديس ابابا

البحر الأحمر
اليمن
عدن
اريتريا الايطالية
كيرين
اسمرا
كاسالا
الخرطوم
٤١/١/١٩
غالابات
غوندار
أمبا الاغي
جيبوتي
ديرداوا
بربرا
الصومال البريطاني
السودان
٤٠/٨/١٢
دانغليا
غوجام
اليرموك
ديبرا ماركوس
أديس أبابا
٤١/٤/٦
اثيوبيا
غالا سيداموا
الصومال الايطالي
موغاديشو
اوغندا
كينيا
نيروبي
تانغانيكا
المحيط الهندي
٤١/٢/١٠
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم

مخزون الوقود وعجلات المركبات والنقص في «ورشات» الصيانة والعجز عن تحقيق هذه المتطلبات والحصول عليها بسرعة، كل ذلك أضعف من قدرات الايطاليين وحد من امكاناتهم.

كان موسوليني يغامر في خوض غمار حرب يريدها قصيرة الأمد، وهذا هو سبب ما تضمنته تعليماته إلى القوات الايطالية في افريقيا الشرقية، والتي أرسلت في شهر آذار من عام ١٩٤٠ إلى «دوق أوستا» وإلى «نائب الملك في الحبشة» قائد القوات الايطالية. كانت تلك التعليمات تقضي باعداد مخطط دفاعي استراتيجي، يستهدف قطع الطريق الرئيسي لمواصلات بريطانيا مع الهند عبر البحر الأحمر، والهجوم مع قوات «ليبيا» وجيوشها للاستيلاء على مصر.

وكان نقص الوسائل والامكانات لدى قيادة الحلفاء أيضاً قد فرض في البداية اتخاذ الموقف ذاته والاعتماد على استراتيجية دفاعية.

بعد شهر تموز من عام ١٩٣٩، طلب الجنرال «ويفل» القائد الأعلى لقوات الشرق الأوسط من ضباط أركانه، دراسة إمكان البدء في اشعال ثورة داخلية في أثيوبيا ذاتها.

وفي شهر أيلول، تم استدعاء العقيد «ساند فورد» وله خمسة عشر عاماً من الخبرات، والخدمات في المنطقة، وتكليفه بهذه المهمة.. وكانت فكرة الثورة، ومبرر وجودها، تدور حول شعار «التحرر الوطني» وهو الشعار القديم والأبدي ذاته، الذي رفعته بلاد الغال ـ فرنسا قديماً ـ كما رفعه الأفريقيون للثورة ضد روما، وكذلك الأسبان في حروبهم ضد «نابليون».

في اليوم التالي لإعلان ايطاليا الحرب. أي في يوم ١١ حزيران عام ١٩٤٠ تم توجيه الرسائل إلى الزعماء الأثيوبيين، وكانت تلك الرسائل تتضمن وعوداً بإرسال الدعم اللازم، والأسلحة، والأموال اللازمة للثورة.

وفي يوم ٣ تموز، وصل الامبراطور «هيلاسلاسي» إلى الخرطوم.

وفي يوم ١٢ آب، بدأ العقيد «ساند فورد» بتنفيذ أول مهمة بريطانية وهي المهمة (١٠١) ودخل أثيوبيا سيراً على قدميه، وتبعه في يوم ٣١ آب مبعوثون آخرون.

وفي يوم ١٨ أيلول، ابتدأت المعركة الأثيوبية على شكل «حرب شعبية».

كان بمقدرة الطليان أن يستفيدوا من ميزة تفوقهم في القوة وفي العتاد، ولهذا قاموا أولاً بتنفيذ سلسلة من العمليات الرائعة من الوجهة التعبوية، ولا أهمية لها من الناحية

الستراتيجية، وقد تمكنوا بواسطة هذه العمليات من احتلال «كسلا» وغلبات وكورموك، على الحدود السودانية، وموايال على الحدود الكينية، وذلك في مطلع شهر تموز عام ١٩٤٠، كما تمكنوا من احتلال «بربرا» عاصمة الصومال ـ البريطاني في ١٩ آب ـ قام البريطانيون بهجوم مضاد يستهدف استرجاع «غلبات» من أيدي الطليان، ولكن هذا الهجوم انتهى بالفشل، وهذا ما زاد «ويفل» ايماناً بفكرته التي تتلخص بأن «الحركة الوطنية» وهو الأسم الذي أطلقه على «المقاومة الأثيوبية» تستطيع أن تتيح أفضل الظروف ليفلت زمام الأمر من أيدي الطليان.

ـ وعلى كل حال ـ فإن الامدادات التي وصلته، لا سيما تلك التي جاءته من الهند ومن جنوب افريقيا، قد ساعدته على القيام بالحرب الشعبية ـ إلى جانب الحرب التقليدية وبالتنسيق التام فيما بينهما.

وهكذا نجح «الجنرال ويفل» في تحقيق ما يريده فوق هذا المسرح الفريد من مسارح العمليات والذي كان معبراً بصورة عامة كمسرح ثانوي. وقد تم تنفيذ ذلك في الزمان والمكان الملائمين وكل المعارك التي خاضها في ـ ليبيا ـ و ـ اليونان ـ و ـ كريت ـ و ـ العراق ـ وسورية وذلك في عام ١٩٤١.

إن الفكرة الأساسية التي كانت تختفي وراء المعركة «الأثيوبية» والتي كانت تتم اعادة النظر فيها باستمرار ـ لكي تجاري مسيرة الأحداث ـ وتتلاءم والظروف الطارئة تتلخص في قيام القوات النظامية بتشكيل «كماشة» يكون فكها الأول في السودان من الشمال، عبر ـ اريتريا ـ من جهة ـ بينما يكون الفك الآخر في الجنوب أي في كينيا «عبر الصومال» من الجهة الأخرى «على أن ينطبق طرفا الكماشة في الوسط من «أثيوبيا» أي إلى الشمال من العاصمة «أديس أبابا» ـ وكان على قوات الأنصار أن تعمل قبل تنفيذ هذه العملية وأثناءها على توجيه ضربات قوية ومباشرة إلى قلب الأقليم، مع تأمين المنطقة الغربية من أثيوبيا بأكملها.

ـ كانت القوات الايطالية في هذه الفترة تعاني من ضعف الشؤون الإدارية، كما كانت روحها المعنوية على درجة مماثلة من الضعف والتدهور وذلك بسبب انتشار القوات انتشاراً كبيراً بالاضافة إلى القلق المستمر. وكانت هذه العوامل تشكل خير مناخ مساعد لنجاح عمليات القوات النظامية وأعمال الحرب الشعبية على حد سواء.

في يوم ١٠ شباط عام ١٩٤١ ـ بدأ هجوم الفرقة الافريقية الآلية الحادية والعشرين ـ من الجنوب بقيادة الجنرال «كوننغهام».

في يوم ٢٥ شباط ـ احتلت الفرقة مدينة «مقديشو» عاصمة الصومال ـ الايطالي بعد أن تجاوزت في تقديمها مسافة مئتي ميل ـ خلال الأيام الثلاثة الأخيرة فقط.

قامت الفرقة ـ الحادية عشرة ـ بعد ذلك بمتابعة التقدم في طريق طوله (٦٠٠) ميل. وكان ثلث هذا الطريق جيداً ـ بينما كان ثلثاه الباقيان بحالة رديئةوكانت الوثبة الأولى من هذه المرحلة هي ما بين «مقديشو» و «دير ـ داوا» على أن يتم التحرك بعد ذلك بطريق الخط الحديدي الواصل ما بين «جبيوتي» ـ و ـ «أديس أبابا».

ـ وإلى جانب هذه العملية ـ كانت هناك عملية ثانوية أخرى. وتتلخص هذه العملية بقيام قوات تنطلق من عدن ـ ثم تعمل على انزال برمائي في «بربرا» وبذلك يتم استرداد الصومال البريطاني من أيدي الايطاليين ـ. وفي يوم ١٦ آذار ـ نفذت هذه العملية وبذلك تم تأمين طريق مستقيم ـ ومباشر لتقدم فرقتي الجنرال ـ كوننغهام نحو الشمال، وأصبح الطريق إلى أديـس ـ أبابا مفتوحاً. .

وقعت بعض الاشتباكات مع المؤخرات الايطالية المكلفة بحماية الانسحاب وإعاقة التقدم ـ ولكن على الرغم من ذلك ـ وعلى الرغم من عملية اعداد واصلاح الطرق التي كانت تتمشى مع مسيرة الزحف فقد تمكن لواء شرق افريقيا الثاني والعشرون من احتلال النطاق الخارجي للعاصمة وذلك في يوم ٥ نيسان وفي اليوم التالي، دخلت القوات إلى المدينة ـ وقامت بتحريرها بعد أن قطعت مسافة تسعمائة ميل في فترة اثني عشر يوماً تقريباً. . .

ـ وهكذا ـ تمكنت القوات البريطانية خلال ثمانية أسابيع من شق طريقها ـ والتحرك من كينيا ـ إلى أديس أبابا ـ عبر أقليم من أكثر أقاليم العالم صعاباً واتساعاً ـ. وكانت المسافة المقطوعة تزيد على / ١٥٠٠ / ميل ـ وتعتبر هذه المناورة ظاهرة خارقة من ظواهر الحركة الآلية للقوات الأرضية في وقت تم استخدامها وتنفيذها بهدف تحقيق «المباغتة» وتحطيم مجنبات دفاع العدو ومؤخراته ـ ولم يكن تنفيذ ذلك ممكناً لولا توافر جهود واضحة في تنظيم الشؤون الادارية. . .

ـ هذا بالنسبة لمحور الهجوم الجنوبي ـ أما مهمة المحور الشمالي فقد كانت أكثر صعوبة.

ـ أبتدأت الفرقتان الهنديتان الرابعة والخامسة. بقيادة الجنـرال «ميلات» عملياتها الهجومية بالاستيلاء على «كسلا» في جنوب السودان واستردادها من الطليان ـ وذلك في يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٤١ ـ ولكن عملية مطاردة القوات الايطالية توقفت تماماً بعد الثالث

من شباط بسبب اصطدام القوات المهاجمة بالمواقع الدفاعية القوية التي كان يحتلها الطليان حول «كيرون» في ـ ارتيريا ـ الايطالية ـ وابتدأت بذلك مرحلة من حرب الابادة استمرت حتى يوم ٢٧ آذار ـ حيث انتهت المعركة بسقوط «كيرون» في أيدي الفرق الهندية، وقامت بعد ذلك هذه الفرق بمتابعة تقدمها.

في يوم ١ نيسان تم احتلال «أسمرا» عاصمة ارتيريا».

في يوم ٨ نيسان دخلت القوات إلى «ماساو» وهي الميناء الرئيسي للأقليم على البحر الأحمر، وقد تم تدمير ستة زوارق طوربيد، كانت راسية في هذا الميناء، وبذلك زال التهديد، الذي كان مسلطاً على «بريطانيا» في قطع طريق المواصلات الهام إلى الهند وكان هذا الهدف الأول الذي أمكن تحقيقه من هدفي المعركة الاستراتيجيتين أما الهدف الثاني فهو القضاء على القوات الايطالية، ومن أجل ذلك كان على الفرق الهندية أن تتابع تقدمها نحو الجنوب. بينما تتجه قوات كوننغهام نحو الشمال وهي منطلقة في زحفها من «أديس أبابا» وهكذا يتم الاطباق على «دوق ـ أوستا» في «أمبا آلاغي».

في يوم ١٩ مايس ، انتهت المهمة، ولم يبق من أصل الجيش الايطالي الذي كان يبلغ تعداده في حزيران من عام ١٩٤٠، حوالي الثلاثمائة والخمسين ألفاً إلا عدد قليل من القوات والحاميات التي بقيت في أماكنها حتى شهر مايس من عام ١٩٤٥. وهكذا فبعد فترة أربعة أشهر من الحرب النظامية، أمكن القضاء على الكتلة الرئيسية من القوات الايطالية وضرب الحصار على من تبقى من الحاميات المنعزلة حول «غوندار» بالاضافة إلى عدد قليل من الفرق التي بقيت في مواقعها في الجنوب، فوق أرض منطقة «غاللا ـ سيدامو».

ومما لا شك فيه أن من أهم أسباب هذه الكارثة العسكرية التي نزلت بالقوات الايطالية هو القيام بتلك الأعمال التخريبية التي قامت بتنفيذها «منظمات المقاومة الأثيوبية» والتي أوحى بها وقام بتنظيمها داخل الأقليم كل من «ساند فورد ـ ووينغيت» وقد تم تنفيذ تلك الأعمال التخريبية طوال الفترة ما بين شهر آب عام ١٩٤٠ وشهر نيسان من عام ١٩٤١.. والواقع هو أن منظمات المقاومة داخل أثيوبيا كانت موجودة وكانت تشكل تهديداً للقوات الايطالية، منذ صيف عام ١٩٤٠، وكان اهتمام «دوق ـ أوستا» ينحصر في اقرار الأمن الداخلي وفي المحافظة على النظام»، كما أن وزير خارجية ايطاليا «الكونت شيانو» كان قد تنبأ بما سيحدث أخيراً، وذلك عندما قابل هتلر في ١٢ آب عام ١٩٣٩، إذ صرح بقوله: على الرغم من الهدوء المخيم على الحبشة، وهو هدوء ظاهري وسطحي وفي حالة قيام حرب عامة، فإن بعض الطائرات البريطانية ستقوم بالقاء المنشورات فوق أرض

الحبشة لتقول بأن العالم قد نهض في وجه ايطاليا، وأن النجاشي، امبراطور الحبشة، سيعود لقيادة الثورة، لاستعادة ملكه على الأقليم؟.. وهذا هو ما حدث بالضبط.

عمد الايطاليون إلى اثبات وجودهم فوق أرض الحبشة، بواسطة توزيع عدد كبير من الحاميات متفاوتة القوة والحجم، ونشرها على طول الطرق القليلة وفوف الممرات والمحطات الموجودة في الأقليم، وبذلت في الوقت ذاته الجهود السياسية الكبيرة، لبذر بذور الفرقة فيما بين القبائل المختلفة، ولكن ضعف الجهاز الإداري الايطالي، لم يمكنهم من تحقيق أي نجاح سياسي في العمق، كما أن إتساع الاقليم وعدم توافر وسائل النقل الملائمة قد جعلا أمر القيام بالعمليات العسكرية الفعالة، مجرد أمل لا مجال لتحقيقه ولذلك كانت الثورة قادرة على نشر دعايتها، وتوسيع أفق عملها، وهذا ما يوضح لنا سبب الانهيار الذي حدث، وهو الذي يفسر لنا أيضاً السرعة التي تم بها انزال الهزيمة بجيش «دوق ـ أوستا» وذلك قبل أن يبدأ الهجوم النظامي على أيدي الجنرال «بات» والجنرال «كوننغهام» وأن هذا الدرس هو من أكثر الدروس أهمية مما تضمنته المعركة الأثيوبية في ١٢ آب ١٩٤٠ كان «ساند فورد» المبعوث البريطاني، يدخل إلى أثيوبيا سيراً على قدميه وبعد ذلك بزمن قصير، تم استدعاء الماجور أورد وينغيت للخدمة للعمل بتوجيهات «ويفل» وكانت مهمة «وينغت» تتمثل هنا باذكاء حماسة الثورة وتوجيه عمليات المقاومة والبدء بتشكيل قاعدة للثورة في «غوجام» تكون مقراً للامبراطور، ثم العمل بعد ذلك على توسيع قاعدة الثورة، وكانت نواة الثورة تتكون من ستة أفواج من الأثيوبيين الفارين، وفوج من القوات السودانية.. وقد تم تشكيل وحدات خاصة أطلق عليها اسم «مراكز العمليات» ويتكون المركز من ضابط انكليزي وخمسة رقباء انكليز، وبعض المتطوعين من الإثيوبيين. وكانت مهمة «مراكز العمليات» هذه هي العمل على تنظيم الأنصار، وتدريبهم وتجهيزهم بالأسلحة والمعدات ثم قيادتهم إلى المعركة.. في يوم ٢١ كانون الثاني من عام ١٩٤١ اخترق الامبراطور وبرفقته «وينغيت» الحدود الأثيوبية، وارتفع علم «أسد يهوذا» من جديد فوق الأرض الأثيوبية وذلك لأول مرة منذ عام ١٩٣٥ وقامت وحدة أثيوبية بتأدية التحية للعمل، ومنذ ذلك التاريخ، لم تصل أية وحدات نظامية حليفة إلى الحدود الأثيوبية.

كان «وينغيت» يتميز ـ بكثرة تلاوته للتوراة. وقد أعطى الحرب الشعبية قوة.

بعد أن أطلق «وينغيت» على تنظيماته اسم «قوات ـ جدعون» وأمسك بقيادتها ـ ابتدأ العمل. وكانت أكبر صعوبة تواجهه هي مشكلة نقل الامدادات، فوق مسافة تقارب ستمائة ميل ـ عبر أقليم من أكثر أقاليم افريقيا وحشة وقفراً. وقد تم استخدام آلاف الجمال لتحقيق هذه الغاية. ولكن تلك الجمال هلكت جميعاً بسبب خطأ في حساب

الحمولة. إذ كانوا يعتقدون بأن في استطاعة الجمل الواحد أن يقوم بحمل مئتين وخمسين ليبرة ونقلها فوق هذه المساحة المقفرة، والتي لا يتوافر فيها العلف اللازم للحيوانات.

أعطت أعمال الحرب الشعبية نتائجها بسرعة ـ فاتسع نطاق الثورة، وكانت تقديرات القيادة الايطالية خاطئة، إذ أنها أفرطت في تعظيم قدرات القوة وأهميتها ولهذا عملت تلقائياً على سحب قواتها. وكان هذا يعني تحرير المنطقة الواقعة إلى غرب «غوجام» ـ في يوم ١٨ شباط تمكن الامبراطور من دخول «دانفيلا» وهي بلد يقع بين العاصمة القديمة «غوندار» وبين العاصمة الجديدة «أديس أبابا» وفي هذا الوقت كانت القوات النظامية قد بدأت زحفها فيما بين ـ الصومال ـ و ـ أريتريا ـ وأصبحت على مقربة من الحدود الأثيوبية.

استطاع بعد ذلك «وينغيت» أن يجبر الطليان على اخلاء بوراى ـ وأن يرغمهم على التراجع عن العاصمة وذلك بواسطة سلسلة من العمليات المرنة والصغيرة ـ كنصب الكمائن ـ والاغارات الليلية ـ والأعمال التخريبية المختلفة ـ والهجمات المفاجئة ـ وأعمال الإعاقة ضد القوات الايطالية..

في يوم ٦ نيسان ـ دخل الامبراطور «دابرا ـ ماركوس» وهو اليوم الذي سقطت فيه العاصمة «أديس أبابا» في أيدي القوات النظامية.

تمكنت قوات «جدعون» خلال الأسابيع الستة الأخيرة من تحرير «غوجام» بأكملها وطرد القوات الايطالية المكونة من / ١٦ / فوجاً للمستعمرات ـ وأربعة أفواج من ذوي ـ القمصان السوداء مع عتاد كثير من المدفعية ـ بالاضافة إلى الدعم الجوي الذي كانت تستفيد منه تلك القوات البالغ عددها خمسة وثلاثين ألف مقاتل... وقد ساعدت قوات الأنصار وساندت قوات «جدعون» في عملياتها هذه.

تابعت قوات «جدعون» مهماتها بعد تحرير العاصمة ـ متعاونة في ذلك مع أرتال القوات النظامية.. واستمرت في مطاردة جيش «دوق ـ أوستا» في اتجاه «آمبا ـ آلاغي» مع استمرار أعمال اثارة القبائل وتحريضها للعمل في شمال «بحيرة تانا» وذلك بهدف حصار الحاميات الايطالية ـ والقيام بكافة العمليات التي تهددها في أمنها.

كانت قيادة الحركات الوطنية الأثيوبية تلقى صعاباً كبيرة بسبب الانقسامات القبلية والمنافسات السياسية. وكان من أبرز الأعمال الناجحة التي حققها «وينغيت» هو تمكنه من التوفيق بين تلك المتناقضات ـ وهكذا ـ فبواسطة هذه الحرب الشعبية ـ وبفضل الاختراق العميق لقوات الحلفاء ـ عاد الامبراطور إلى بلاده منتصراً ـ وأصبحت «أثيوبيا» أول بلد

يتم تحريرها من الاحتلال الفاشي.

ويمكن تقييم انجازات «قوات جدعون» وأعمالها التي تمت بقيادة «وينغيت» من خلال مطالعة تصريحين من التصريحات المعبرة عن وجهات النظر البريطانية - التصريح الأول يتضمن ما يلي:

«إن نسبة الانتصارات التي حققتها قوات «وينغيت» تزيد في أهميتها كثيراً عن تلك التي حققتها الجيوش النظامية في عملياتها الهجومية على أجنحة الجيش الايطالي.

أما التصريح الثاني فقد أوضح النقطة التالية:

أنه لو أمكن توفير الدعم الجوي اللازم «لقوات جدعون» أثناء هذه المعركة لاستطاعت هذه القوات دونما ريب - إن تحقق الانتصار على الخمسة والثلاثين ألف إيطالي المسلحين بصورة جيدة والمتمركزين في «غوجام» ولتمكنت أيضاً من احتلال العاصمة - أديس أبابا - قبل وصول الجيوش النظامية أليها، بوقت طويل.

وهكذا تم تحقيق الأهداف الرئيسية للمعركة الأثيوبية بصورة نهائية في منتصف عام ١٩٤١... تلك الاهداف التي كانت تتمثل في تدمير القسم الرئيسي من القوات الايطالية في شرق افريقيا. وإزالة التهديد الذي كان مسلطاً على البحر الأحمر - وكانت النتائج المباشرة لذلك - إمكانية تنظيم مصر وهي في حالة تامة من الأمن وجعلها قاعدة للعمليات ضد ليبيا من أجل دعم الجيوش في برقة - كما أصبح بإمكان القطع البحرية الأمريكية أن تمخر عباب البحر الأحمر وهي في مأمن من أي تهديد أو خطر من أخطار الحرب.. وكان ذلك مما يخفف من الأعباء الثقيلة التي كانت تنوء تحت ثقلها الناقلات والبواخر البريطانية.

في الفترة الواقعة ما بين نيسان وتموز من عام ١٩٤١ - تم دحر آخر الوحدات الإيطالية الموجودة في «غاملا - سيدامو» - أما الوحدات الموجودة في إقليم «غوندار» فقد تم دحرها في الفترة ما بين تشرين الأول وتشرين الثاني - وبما أن معظم القوات البريطانية كان قد تم سحبها إلى مصر - فإن المساعدات التي كان يقدمها الأنصار الأثيوبيون - قد أصبحت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للقوات القليلة التي تم تركها لإتمام مهمة تصفية القوات الإيطالية، وقد قام هؤلاء الأنصار بإسداء جزيل الخدمات عن طريق نشر الدعاية والحصول على المعلومات ونصب الكمائن ومزاولة أعمال الإعاقة - وأعمال التسلل إلى داخل المواقع الدفاعية الإيطالية، وتنظيم الإغارات الخ...

إن هذه العمليات التي تم تنفيذها جميعاً فوق مسرح منطقة نائية من أفريقيا - وعلى مسافة بعيدة من مسرح العمليات الكبرى التي تمت في ليبيا عام ١٩٤١ - والتي لا يعرف

عنها شرق البحر الأبيض المتوسط ولا الاتحاد السوفييتي إلا النذر اليسير إن هذه العمليات ـ تتضمن عدداً من الدروس الهامة التي يمكن إستخلاصها والتي ستظل لها فائدتها وأهميتها.

ـ إن بعض هذه الدروس سياسية ـ وأولها ـ بأنه إذا ما تطلبت الحاجة لعمل على تنظيم المقاومة في إقليم من الاقاليم لتحريره بقيام حركة مقاومة، فلا بد من البدء بإجراء إتصالات مسبقة في مرحلة الإعداد وجمع المعلومات مع إجراء التماس مع القادة والموجهين السياسيين. فإذا ما تم بعد ذلك الإعداد الفني اللازم فإن تحويل المشاعر والعواطف إلى أعمال قتالية يصبح أمراً سهلاً من الممكن إنجازه بسرعة وذلك عندما يصبح الوقت ملائمًا للقيام بالاعمال الحاسمة والمعارك العسكرية النظامية..

ويجب التأكيد هنا ـ على أن الثورة الداخلية ـ والتدخل الخارجي ـ عملان يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب في الاطار الزمني ـ وإن هذا أمر أساسي ـ وشرط من أصعب الشروط اللازمة لنجاح الثورة ـ ذلك لأنـه إذا ما تم القيام بالثورة ـ دون أن يكون هناك تدخل خارجي ـ فإن مصير الثورة سينتهي إلى الفشل والهلاك...

وهناك شرط آخر ـ له أهمية كبرى ـ وهو الروح المعنوية ـ أو الشعار المعنوي أو النفسي الذي يستطيع أن يشد إليه الشعب بأكمله ـ ويدفع به إلى النضال ـ وإن أفضل تلك العوامل والشعارات النفسية وأكثرها تأثيراً في النفوس، نداء التحرير الوطني ـ وذلك حسبما دلت عليه التجارب منذ أقدم عصور التاريخ ـ ولا بد من وجود ذلك لإحراز النصر ـ بل أن النصر الذي يتم تحقيقه في النهاية ـ ليس إلا تتويجاً للشعار المطروح.

أما الدروس الأخرى فهي في أكثرها ذات طبيعة عسكرية ـ ومن أول هذه الدروس ـ القول بأن التحرك وإجراء العلميات الكبيرة ممكن في الأقاليم المتخلفة حيث يكون الطقس صعباً وحيث تكون طبيعة الأرض وعرة وليس بها إلا القليل من طرق المواصلات ـ وقد أثبتت إحدى تجاربي عام ١٩٤٠ صحة هذا القول، إذ تم تحريك وحدات كبيرة ونقلها بالمركبات والآليات المتوافرة لاجتياز الصحارى والجبال، وكانت هذه الوحدات الكبيرة ممثلة بمجموعة اللواء البلجيكي وتنقله أرضاً من الكونغو ـ البلجيكي «كنشاسا حالياً» إلى أثيوبيا ـ وذلك للمساهمة في عمليات التطهير ضد جيوب المقاومة الإيطالية.. وكان على رأس هذه القوات الجنرال «غيلليياردت» الذي أسندت إليه مهمة تطويق قوات «غاللا سيدامو» في تموز عام ١٩٤١.

ولكن هذه العمليات، تأخذ في الواقع مظاهر مشاكل الشؤون الإدراية أكثر مما تأخذ طابع العمليات التعبوية.. وإن توافر وسائل النقل الحديثة، وقدرتها على القيام

بالتحركات الأرضية على نطاق واسع وفوق المساحات الشاسعة لأراضي أفريقيا وآسيا، يجعل أمر التحرك الأرضي ممكناً إذا ما توافر التنظيم الإداري لذلك..

ومن الممكن وضع مثل هذه العمليات في إطارها الصحيح فيما إذا تم إسنادها إلى المظليين أو تم تنفيذها بواسطة النقل الجوي، وإن الافتقار إلى طائرات النقل في هذا المسرح الأثيوبي واعتباره من مسارح العمليات الثانوية، لم يمكن من القيام إلا بجهد محدود للعمليات الجوية إقتصرت بصورة رئيسية على الاستطلاع، وعلى الغارات ضد الهجمات المعاكسة التي كانت تقوم بها الوحدات الإيطالية الأرضية. ولقد تم استخدام بعض الطلعات لإلقاء المنشورات والامداد بالنقود والذخائر لعناصر الانصار..

بعد ذلك، وفي ربيع عام ١٩٤٤، قام «وينغيت» ذاته بتنفيذ عملية اختراق عميقة عن طريق الجو، فوق مسرح عمليات «بورما» وأثبت بها إمكان تحقيق مثل هذا الاختراق والوصول إلى قلب بلاد العدو وذلك من خلال قيادته لأول عملية كبرى تقوم بتنفيذها قوات المظليين الحلفاء في الحرب.

إن عملية أثيوبيا تعتبر في الواقع مورداً خصباً للدروس الهامة في موضوع الحرب غير النظامية، التي أضطلع بها الانصار، وبرهاناً على ما يتاح لهم من إمكانات كبرى في العمل، ولقد كان تحقيق الاستقرار الداخلي، شغل الطليان الشاغل، وكان ذلك أيضاً العبء الثقيل الذي أناخ بهم. ولقد كان الشعور العام بفقدان الأمن وتدهور الروح المعنوية بنتيجة الحرب الشعبية، هو السبب الذي يفسر لنا إندحار القوات الايطالية بمثل تلك السرعة، وفي الوقت الحاضر، أصبح، ممكناً تنفيذ مثل هذه العمليات بتأثير أكبر. وذلك بسبب التطور الفني الذي طرأ على أجهزة الاتصال اللاسلكية، والدعم الجوي، واستخدام الاسلحة الأكثر تأثيراً، والمتفجرات الأقوى تدميراً، وإن ذلك يخلق مجالات أكثر اتساعاً من الأفضل دراستها وتجربتها إلى أقصى حد ممكن.

وفي هذا العصر، الذي تتم فيه تسوية كل المشاكل على قاعدة دولية واحدة، فإن هذه المعركة تعتبر برهاناً كبيراً على ما يمكن تحقيقه من النتائج الهامة عن طريق تشكيل جيش واحد يضم إليه المقاتلين من الأمم المختلفة، والاجناس المتباينة، والديانات المتفرقة، والعادات المتفاوتة، ليعملوا جميعاً تحت قيادة واحدة، وقد كان المزيج الذي ساهم في المعركة الأثيوبية، يضم إليه عناصر من كينيا -... وأوغندا - وتانغانيكا - والسودان - وأثيوبيا - وشاطىء العاج - والهند - وجنوب أفريقا - وروديسيا - وبريطانيا - وفرنسا - وبلجيكا.

* وأخيراً: فإنه من الواضح بأن المشاكل الطبية، تحتل مكانة هامة في المعارك التي

يكون مسرحها فوق أراضي الأقاليم المتطورة. فلقد بلغ العدد الكامل لإصابات قوات الحلفاء في معركة شرق أفريقيا، ألفا ومئة وأربعا وخمسين إصابة، بينما تم إخلاء أربعةوسبعين ألف مقاتل لإصابتهم بالامراض، وقد مات منهم سبعمائة وأربعة وخمسون.

وهذا يبرهن على ضرورة حصر العمل في نطاق الوحدات الصغرى وحسب الحاجة فقط، على أن تكون هذه الوحدات على مستوى عال من الكفاءة. كما أن ذلك يتطلب تنظيم الشؤون الإدارية لتكون مساوية في حدودها الدنيا للمجهودات التعبوية.

والخلاصة:

إن الجهود المبذولة لاجتياز القوات لتلك المسافات الكبرى، تعتبر برهاناً على إمكانية القيام بمثل هذه العمليات إذا ما توافرت الوحدات المدربة تدريباً جيداً، وإذا ما تم تجهيزها وتسليحها بصورة خاصة لتكون خفيفة الحركة، فإن ذلك سيساعدها على إتاحة الفرص لتحقيق المباغتة وإتاحة تنفيذ القرار بسرعة وحزم.

تلك هي بعض النقاط العامة، والملامح الموجزة في العملية وفي الدروس المستخلصة منها، والمطلوب إجراء دراسة تفصيلية تتطلب مزيداً من الوقت ومن الفراغ، ولكنها يقيناً، ذات فائدة كبرى في أيامنا هذه.

إن من أول الأهداف التي يبغيها التاريخ العسكري، هوالإعداد الفكري لتوقع ما هو غير متوقع، وما هو من طبيعة الحرب.

ومن أجل ذلك، فإن انتقاء ما هو غير معروف من تاريخ الحرب، وما هو غير واضح للرؤية من معارك الحروب البسيطة، كالمعركة الأثيوبية في عامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ يمكن اعتباره أمراً على جانب كبير من الأهمية، نظراً لما له من القيمة التي قد تزيد على قيمة الدراسة المكررة والمستمرة للمعارك الكبرى ذات الطابع التقليدي الكلاسيكي.

الفصل السابع

المظليون يهاجمون «كورنيث»

١٩٤١/٤/٢٦

كان الاستمرار في الحرب التخريبية على شكل سلسلة من المعارك المحدودة، أمراً متوقعاً حدوثه فوق إقليم مساحته الشاسعة هي في طليعة ميزاته البارزة. وذلك خلال تلك الفترة الزمنية التي كان يتضح فيها أكثر فأكثر أن استخدام القنبلة الذرية في الحرب وعلى نطاق واسع، أمر بعيد الاحتمال.

ويمكن اعتبار عملية المظليين الالمان في يوم ٢٦ نيسان عام ١٩٤١ وإنزالهم فوق ضفتي قناة «كورنيث» في اليونان مثالاً لما تم في تلك الفترة. كما تعتبر تلك العملية غير المعروفة على نطاق واسع بمثابة نموذج للضربات الناجحة من الوجهة التعبوية، والفاشلة في خطوطها العامة من الناحية السوقية.. وإن بعضاً من الصور المميزة لتصرف القوات الأرضية المنقولة عن طريق الجو، تثبت إمكان تحقيق النجاحات الحاسمة، بفضل التصرف السليم في معالجة المواقف. كما تؤكد ضرورة وجود مثل هذا التصرف لدى القيادة المدركة لمهمات المظليين وإمكاناتهم في القتال.

وسوف تشتمل هذه الدراسة الموجزة على استعراض للحقائق، والاحاطة بالموقف العام والموقف الخاص، والانتقال بعد ذلك إلى مرحلة تحضير العملية ثم مراحل تنفيذها.. والوصول إلى النتائج وفحصها ذلك لأنها المنهل الذي تستخرج منه الدروس الواجب تعلمها.

في نهاية عام ١٩٤٠ كانت المانيا قد تمكنت من قهر فرنسا، ولكنها كانت قد فشلت في توجيه جهودها إلى «انكلترا» بصورة مباشرة. ولهذا قرر الالمان غزو روسيا واحتلالها في عام ١٩٤١، وكان هذا التحول نحو الشرق قد تركز في الاذهان وهدفه الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية. ومن بين هذه المكاسب فرض الالمان هيمنتهم على أوروبا الوسطى، والاستيلاء على حقول النفط في «رومانيا» مع حماية الالمان لانفسهم عن طريق تغطية مجنباتهم الجنوبية، وحمل الهجوم على انكلترا بصورة غير مباشرة وذلك بنقل الحرب إلى منطقة الشرق الأوسط.

وهكذا ، واعتباراً من نهاية عام ١٩٤٠، ابتدأت الاستعدادت العسكرية للتدخل في يوغوسلافيا واليونان، ولم تكن المناورات السياسية التي أخذت شكل ضغوط ووعود إلى جانب تحرك القوات والجيوش على امتداد هنغاريا ورومانيا وبلغاريا إلا دليلاً على وجود مثل ذلك التصميم.

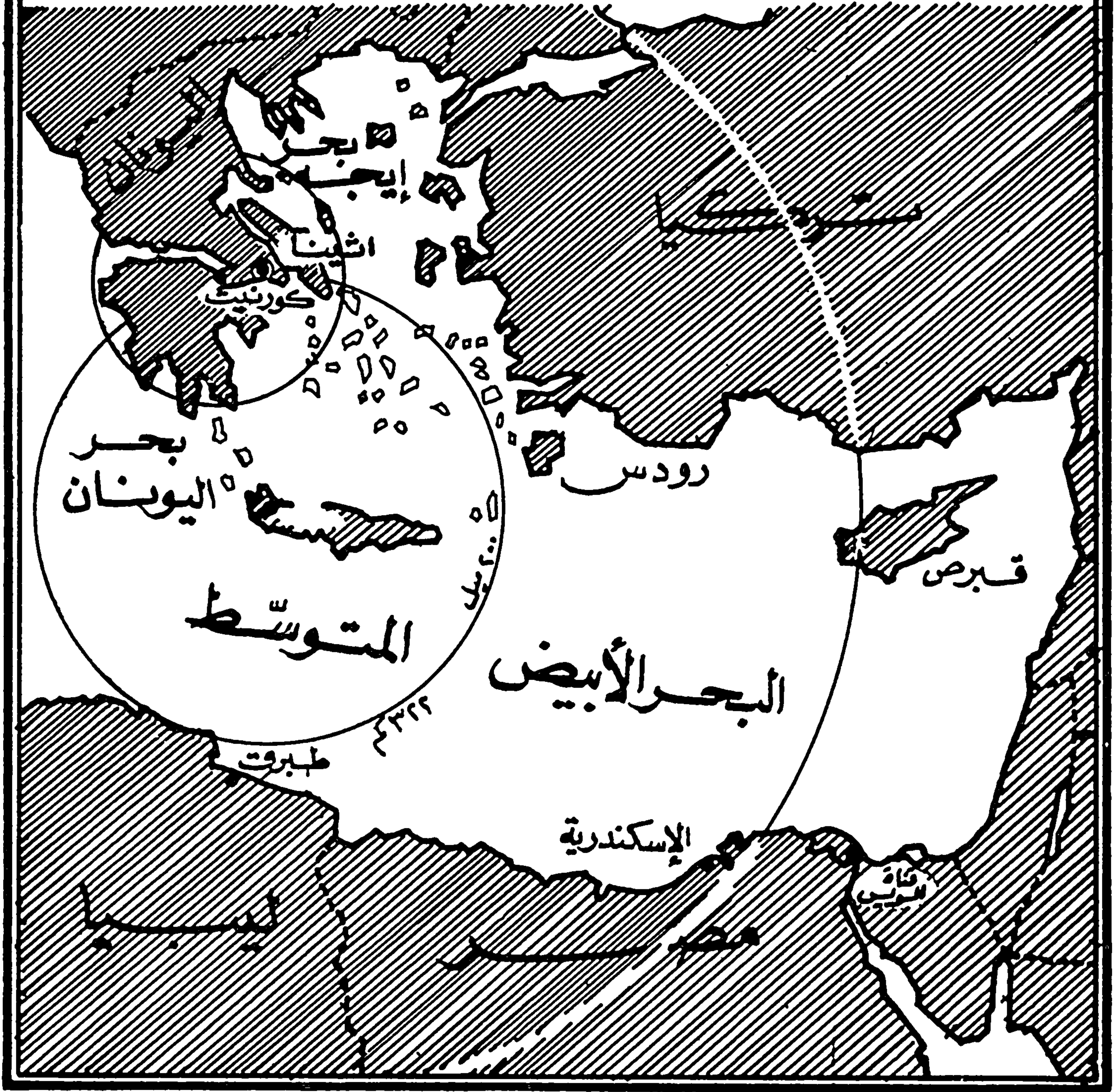
ولكن مجموعة من الاحداث الهامة برزت في هذه الفترة، وكان أولها قيام إيطاليا بعمل منفرد وهجومها على اليونان في يوم ٢٨ تشرين الأول من عام ١٩٤٠، وقيام المقاومة اليونانية على أثر ذلك بالنضال ضد العدوان العسكري الايطالي وضد الدعايات الالمانية، ثم الحركة اليوغسلافية في ٢٧ آذار عام ١٩٤١ التي نقلت يوغوسلافيا من صفوف دول المحور لتضعها في الصف المقابل.

وكان من نتيجة هذه الاحداث، إقدام المانيا على اتخاذ قرار بغزو كل من يوغوسلافيا واليونان، وقد تم تحديد يوم ٢٦ نيسان ليكون موعداً لانطلاق هذا الغزو الذي حملت عملياته إسماً اصطلاحياً هو «مارينا».

كانت إنكلترا قد وعدت اليونان بتقديم المساعدة، وبالاستناد إلى هذا الوعد تم توجيه فرقة المشاة النيوزيلاندية وفرقة المشاة الأوسترالية، واللواء المدرع البريطاني وجيمعها بقيادة الجنرال «ويلسون» ولكن هذه القوات كانت لا تزال مستمرة في النزول من القطع البحرية والتجمع فوق أرض الشاطىء عندما بدأ الالمان هجومهم.

وهكذا اقتحم الجيش الالماني المعركة بتجهيزاته الجيدة، وبما يمتلكه من التفوق الجوي، وجاء هجمومه في الوقت المناسب، وكان القوات الالمانية تتكون من ثلاث فرق مدرعة وفرقة مشاة آلية وفرقتين جبليتين، وأربع فرق مشاة هذا بالإضافة إلى عدد من التشكيلات الكبرى التي تم الاحتفاظ بها فوق الأراضي البلغارية والرومانية، كاحتياط عام للمعركة اليونايية.

٨ - الواقع السوقي لليونان و "كورنيث"



على الرغم من أن الجيش اليوناني كان دون مستوى الجيش الايطالي في عدده ومعداته، إلا أنه تمكن من رده وإيقافه. أما الآن فإنه لم يعد باستطاعته دخول المعركة ضد القوات الالمانية، باستثناء ما قامت به بعض الوحدات من معارك.. ولم يكن هناك شك في أن ظهور نتيجة معركة اليونان لن يتأخر كثيراً، فأمام هجوم المدرعا ،،، وأمام الوحدات الجبلية المدربة تدريباً عالياً، لم يكن باستطاعة القوات البريطانية أن تزاول أكثر من مجرد عمليات تأخيرية يتم تنفيذها بعناد ومهارة.

في وقت مبكر من يوم ١٩ نيسان، اتخذت القيادة البريطانتية العليا قراراً ـ بسحب قواتها من اليونان، ونقلها عن طريق البحر، وتم تحديد ليل ٢٨ ـ ٢٩ نيسان موعداً لهذه العملية، كما تم تعيين الموانىء الرئيسية التي يمكن استخدامها للصعود إلى القطع البحرية وهي: رافينا، بورتو ـ آفني، ميجارا، تولوس، مونومغازيا، كالاماتا ـ

ولكن موانىء شبه جزيرة «بيلوبونيز» وشواطئها كانت من أفضل الاماكن وأكثرها ملاءمة لأنها كانت تبعد مسافة طويلة عن العدو، كما أن استخدام هذه الموانىء ينقص من المسافة البحرية التي كان على المراكب والقطع البريطانية اجتيازها للوصول إلى كريت أو مصر ولم يكن هناك سوى طريق واحد يمكن بواسطته الوصول إلى تلك الموانىء، وهو يمر من فوق جسر يتم بواسطته عبور أرخبيل «كورنيث».

كان عرض أرخبيل «كورنيث» يبلغ الثلاثة أميال وكانت تقطعه قناة عرضها ثمانون قدماً وعمقها تسعة أقدام، وتستطيع المراكب البالغة حمولتها الخمسة آلاف طن العبور منها. ولما كانت هذه القناة تستقر في منهدم عميق، فقد تم صنع جسر فوقها يحوي كلا من الطريق والخط الحديدي. أما طول هذا الجسر فكان يبلغ الخمسين ياردة تقريباً.

نظراً لما ينفرد به موقع العبور هذا من الأهمية، فقد عمدت القيادة البريطانية إلى وضع عدد مناسب من الوحدات أطلقت عليها اسم «قوات الأرخبيل» وجعلت «كورنيث» مقراً لقيادتها، وكانت هذه القوات تتألف من ثلاث وحدات مدرعة خفيفة، وفرقتي مشاة والدبابات السريعة الحركة لقوة اثنين من الأفواج، بالاضافة لوحدات من المهندسين والمدفعية المضادة للطائرات والمسلحة بمدافع ٣٣,٧ انش، ومدافع ٢٣ انشاً، هذا علاوة على ستة عشر مدفع «بوفور» تم توزيعها على طول الطريق..

لم تكن أهمية نقطة العبور هذه خافية عن أعين القيادة الالمانية العليا، وكان واضحاً أن الاستيلاء عليها بواسطة عملية للمظليين هو ما يجب عمله. وكانت الوسائل اللازمة لهذه العملية، من مظليين وطائرات، متوافرة وجاهزة.

ولكن قيادة الجيش الارضي لم تكن تملك قيادة وحدات المظليين، وذلك لأن هذه الوحدات كانت تشكل قسمًا عضوياً من أقسام القوات الجوية.

وزيادة على ذلك، فإن «هتلر» كان يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ أي قرار للقيام بعملية من هذا النوع.

وإن الجنرال «هيلار» الذي كان رئيس أركان حرب الجيش الالماني، قد سجل هذه الحقيقة في مذكراته يوم ٢٢ نيسان عام ١٩٤٤، وعندما علق على هذه العملية بقوله: إذا ما ضاعت اللحظة المناسبة ستفوت الفرصة التي نجازف لاغتنامها.

كانت فكرة العملية بسيطة، تقلع الطائرات الشراعية المحملة بزمر المهندسين لتهبط عند نهايتي طرفي الجسر من الشمال ومن الجنوب، وذلك لتنفيذ مهمة رفع الحشوات المتفجرة، وإزالة مفعولها كي لا يتم تدمير الجسر، وفي الوقت ذاته، يتم إنزال فوج من المظليين عند كل طرف من أطراف القناة بمهمة احتلال وتشكيل رأس جسر جوي، وكان على القوات الجوية أن تقوم بالاستعدادت اللازمة لنقل المظليين وامدادهم وتوفير الدعم اللازم لهم. وقد تم إسناد هذه المهمة إلى لواء المظليّين الثاني بقيادة «العقيد ستورم» وكانت مجموعة هذا اللواء تتكون من أركان اللواء والفوجين الأول والثاني، ومفرزة إشارة، وسرية مهندسين، وسرية طبية، وبطارية مدفعية، ويتم إنزال هذه القوات بواسطة المظلات، باستثناء فصيلتين تقرر نقلهما بالطائرات الشراعية، وتم تحديد يوم ٢٦ أيلول موعداً لتنفيذ هذه العملية.

ـ قامت الطائرات الالمانية بغارات جوية، خلال الأيام القليلة التي سبقت العملية مباشرة وتمهيداً للهجوم، وفي الساعة السادسة من يوم السبت ٢٦ نيسان قامت الطائرات بالتحليق فوق منطقة «كورنيث». وكان الجو صحوا، والرؤية جيدة، ثم قامت هذه الطائرات بإلقاء القنابل الثقيلة من ارتفاعات عالية، فوق مواقع المدفعية البريطانية المضادة للطائرات، مما اضطر هذه المدافع إلى الانسحاب من المعركة. وبعد ذلك ظهر ما يقرب من مئة طائرة قامت بالانقضاض على المواقع البريطانية المكشوفة وتمكنت من تدميرها خلال نصف ساعة. وفي الساعة السابعة ابتدأت تشكيلات طائرات النقل بالظهور على شكل مجموعات ثلاثية، وهي قادمة من اتجاه خليج «كورنيث» محلقة على ارتفاع منخفض جداً، وموازية في خط سيرها للقناة، وعندما وصلت هذه الطائرات إلى ارتفاع أربعمائة متر من فوق الهدف ابتدأ القفز وابتدأ المظليون بمغادرة الطائرات من الابواب الجانبية، بينما تم إنزال عبوات الاعتدة من فتحات في وسط الطائرات، وبذلك تم إنزال فوج المظليين الأول في الشمال، بينما تم إنزال فوج المظليين الثاني إلى الجنوب من «كورنيث» وقد تمكنت هذه

القوات من تشكيل رؤوس الجسر بسرعة.

في الدقائق الأولى من العملية قام المهندسون بالهجوم وتمكنوا من احتلال الجسر، ثم انصرفوا بعد ذلك إلى رفع الحشوات المتفجرة، وكان هناك إثنان من الضباط البريطانيين برتبة نقيب، يرقدان على الأرض بثيابهما المموهة، وهما على بعد مئة وخمسين ياردة فقط من الجسر، وقد تمكنا من تفجير الحشوات، بواسطة رشات من اسحلتهما الآلية، فتطاير الجسر في الهواء وتطاير معه المظليون من جراء الإنفجار الكبير. وعلى الرغم من ذلك، فإن عملية احتلال الجسر انتهت في حوالي الساعة الثامنة، وبدأت سرية المهندسين ببناء جسر جديد، كان ينبغي إكماله في مساء اليوم ذاته وتمكن المظليون بعد ذلك من استخدام الدبابات والمركبات التي كان قد تركها البريطانيون وقاموا بالتحرك في اتجاه «كورنيث» وتم لهم احتلالها في فترة الصباح، كما تم لهم احتلال مطارها الذي قامت الطائرات الالمانية بالهبوط فوق أرضه بعد ذلك بمدة يسيرة.

بلغت خسائر المظليين الالمان في هذه العملية (٦٣) قتيلاً و(١٥٨) جريحاً و(١٦) مفقوداً. وقد تمكن الالمان من أسر ألف مقاتل بريطاني بالاضافة إلى ألف وخمسمائة أسير يوناني، مع استيلائهم على كمية كبيرة من الاعتدة. فالعملية إذن كانت ناجحة جداً من الوجهة التكتيكية... وفي اليوم التالي وهو يوم ٢٧ نيسان وصل قسم من فرقة دبابات البانزر الخامسة، واتصلت بالمظليين وعبرت من فوق الجسر المؤقت الذي تمت إقامته وقامت بمطاردة القوات البريطانية نحو الجنوب.

ترى هل حقق هذا النجاح التعبوي الموضعي الهدف السوقي الذي استهدفته العملية؟..

يقيناً لا...

ففي يوم ٢٤ نيسان، كان قد تم انسحاب ربع القوة البربيطانية تقريباً من اليونان واصحبت مراكبها في عرض البحر.

وفي يومي ٢٤ و٢٥ نيسان، كان القسم الرئيسي من القوات واخصها بالذكر اللوائين الاستراليين (١٦ و١٧) يقومان بالعبور من فوق جسر «كورنيث» في طريقهما للانسحاب من شبه جزيرة «بولوبونيز» وركوب البحر من موانئها. وهكذا فإن (٢٣,٣٠٠) رجل قد تم انسحابهم عبر هذا الطريق كما أن قائد هذه القوات وهو الجنرال «ويلسون» قام بعبور الجسر قبل بزوغ فجر يوم ٢٦ نيسان، أي قبل هجوم المظليين الالمان بساعات قليلة. وهكذا لم يتخلف عن الوصول إلى مناطق الإبحار إلا بعض عناصر اللواء النيوزيلاندي الرابع، وبعض عناصر الالوية البريطانية.

ڤولوس لاريسا

لاميا

تيبس

ميجارا

رافينا

أثينا

كورنيت

بولوبونيسوس

تولوس

بورتو رافتي

كالاماتا

مونو مثازيا

بحر ايجة

بحر اليونان

كريت

شواطئ الانزال

محور الجهد الالماني

سا ٢٤ نيسان

٩ - كورنيث وكريت

إن جلاء القوات البريطانية عن اليونان قد مكن من إنقاذ (٤٢,٠٠٠) من المقاتلين، وكانت خسائر الحلفاء في هذه العملية، ضياع ستة عشر ألف مقاتل، وثمانية آلاف مركبة، ولو تم تنفيذ هجوم المظليين الالمان قبل يومين أو ثلاثة من اليوم الذي تم فيه تنفيذ العملية، لكان من المحتمل أن تنقلب هذه الصورة بصورة تامة، وكان تنفيذ ذلك ممكناً لأن الجنرال «سوسمان» قائد فرقة المظليين السابعة كان موجوداً مع أركان قيادته في بلغاريا، منذ يوم ٢٦ آذار، كما كان لواء المظليين الثاني متمركزاً منذ يوم ٤ نيسان في «بلوفديف» وكان على اتم استعداد للعمل، أما تشكيلات النقل الجوي فقد كانت أيضاً تتمركز في المطارات البلغارية بدون أي عمل.

في يوم ١٩ نيسان، كان البريطانيون قد أتموا الجلاء عن قاعدة «لاريسا» في اليونان، بعد أن خلفوا فيها مخازن البترول، ومستودعات التموين، وهي بحالة سليمة. وقام الالمان باحتلال هذه القاعدة ووضعوا أيديهم على موجوداتها، وقاموا باستخدام مطار «لاريسا» لانطلاق الطائرات التي نقلت المظليين في عملية «كورنيث» يوم ٢٦ نيسان، ولكن هذه العملية جاءت بعد فوات الأوان.

إن هذا الفشل السوقي «فوق كورنيث» ثم دفع ثمنه بعد شهر تقريباً عندما تم إنزال الخسائر الفادحة في صفوف قوات المظليين الالمان الذي نفذوا عملية غزو «كريت». وكانت القوات التي نجحت في الجلاء عن اليونان هي التي أنزلت بهم تلك الخسائر. وقد أصابت تلك الخسائر أكثر ما أصابت وحدات لواء المظليين الثاني، إذ تم إبادة اثنين من أفواجه إبادة تامة، بعد أن اتموا القفز على مقربة من «روتيمور» في فترة ما بعد ظهر يوم ٢٠ مايس عام ١٩٤٠، وهكذا تمت إبادة ما يزيد على (٤٠٠) مقاتل، كما أن العقيد «ستورم» ذاته، وقع في قبضة الأسر، ولذلك فإن اللواء الذي حقق الانتصارات التعبوية في «كورنيث» قد دفع ثمن الفشل الاستراتيجي في العملية عندما قام بالانزال لتنفيذ عملية «كريت».

إن الدرس الرئيسي الذي ينبغي معرفته هو أن وحدات المظليين ليست في أساسها إلا قوات مقاتلة أرضية. يتم تحريكها عن طريق الجو. ولهذا فهناك ضرورة للتعاون الوثيق بين المقاتلين وبين وسائلهم وأن وسائل النقل هذه لم توضع إلا لتكون في خدمة هؤلاء الذين يستفيدون منها للعمل في الوقت المناسب.

ودرس آخر يجب تعلمه. هو أن فعالية سلاح المظليين. وضرورة استخدامه في الوقت اللازم، تتطلبان معرفة عميقة لميزات هذا السلاح من قبل القيادة، والاركان العاملة على إعداد هذا السلاح.

ومن الواضح. إن التخصص هنا شيء أساسي لا بد من مراعاته. لأنه كما هو شأنه

في كل مجالات العمل والدراسة. يعطي أفضل النتائج.

وثمة شيء آخر. إننا نستخدم كلمة «المظليين» هنا ضمن معناها العام والمقبول. ويمكن لهذه التسمية أن تضم كل نوع من أنواع التحركات التي يتم تنفيذها عن طريق الجو وتستخدم فيها المظلات. والطائرات الشراعية والهيلوكبتر في أيامنا هذه. كما أن هذه التسمية تستطيع أن تشمتل أيضاً في المستقبل على ما هو أكثر تنوعاً وأكثر تعوداً من الوسائل التي لم يظهر منها خلال السنوات العشرين الماضية، إلا جزء يسير لا نستطيع هنا في الوقت الحاضر سوى الإشارة إليه فقط.

ـ وأخيراً. فهناك درس من أفضل الدروس المتعلقة باستخدام المظليين في كل شكل من أشكال الحروب.

ـ إن الهدف الأساسي من استخدام المظليين، هو الاستفادة من إمكاناتهم الواسعة. واستغلالها لتحقيق المباغتة. والقيام بالهجوم من مسافات بعيدة للوصول إلى الأهداف الواقعة في قلب بلاد العدو. ولقد استوعبت القيادة الالمانية العليا هذه الحقيقة الأساسية عن طبيعة وحدات المظليين. وكانت عملياتها في النرويج، وهولاندا بصورة خاصة. وكريت في اليونان برهاناً واضحاً على ذلك.

ـ وقد أظهر الانكلو ـ ساكسون استعداداً مميزاً في هذا المجال. وأثبتوا قدرتهم على استخدام قوات المظليين، وتسخيرها لدعم المجهود التعبوي الرئيسي للعمليات الأرضية..

ـ كانت الصعوبات الكبيرة، والأخطار الكثيرة التي رافقت هبوط المظليين في عملياتهم المختلفة. قد حملت على الاعتقاد بأن حصيلة المهمات لا تعادل تلك الخسائر التي تنزل بالمظليين. ولهذا فإن علمياتهم ذات ثمن باهظ. ولكن... ومع التطور الكبير الذي تم الوصول إليه، فإن الظروف أصبحت أكثر ملاءمة لوضع استرتيجية جديدة لاستخدام المظليين، ولاسيما في هذا العصر الذي تكثر فيه معارك الحروب التخريبية ومعارك الحروب المحدودة والموضعية.

ـ وفي موقف استراتيجي سوقي ملائم للغاية. ومع امتلاك السيطرة الجوية. وتوافر الامكانات الجوية والأرضية. وتأمين المتطلبات الأساسية لكي تكون عمليات المظليين حاسمة وفعالة إلى جانب وجود الأهداف ذات الأهمية الخاصة، يصبح قطع طريق إنسحاب جيش من الجيوش وشطره إلى شطرين أمراً ممكناً.

ـ تعتبر عملية «كورنيث» مثالاً نموذجياً للنجاح التعبوي الموضعي الذي يحمل في طابعه العام فشلاً إستراتيجياً. وذلك لأنها تمثل انتقاء المكان الملائم أو الموضع المميز الذي

يستطيع المظليون احتلاله وفق المخططات العسكرية الموضوعة والتي تستهدف تحقيق ما يسمونه بنقطة التقاء الأهداف التعبوية والاستراتيجية. وأن هذه المعرفة المحدودة للعملية تستحق الدراسة والتأمل.

الفصل الثامن

كانت اليابان بعيدة عن سمع العالم وبصره. وجاءت عملياتها لتحتل المرتبة الثانية بعدعمليات أوروبا ـ ولعل من المفيد ونحن بصدد استعراض مختلف أشكال المباغتة ـ أن نلقي ضوءاً على بعض تلك العمليات وما كان لها من أثر في مسيرة الحرب، ومستخلصين في النهاية بعض الدروس المستقاة منها.

ـ عمليات المظليين اليابانيين ـ ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥

من الملامح البارزة التي تميزت بها المرحلة الأولى من حرب المحيط الهادي، السرعة التي تم بها غزو اليابان لجنوب شرقي آسيا واتساع هذا الغزو. فخلال فترة تقل عن أربعة أشهر إحتل اليابان أقاليم تزيد مساحتها على المليون ميل مربع من الأرض. يقطنها ما يقارب المئة والثلاثين مليوناً من السكان. . . وقد أتيح لهم ذلك عن طريق تنفيذ مخططات إستراتيجية جريئة، تم فيها، نقل عدد محدود نسبياً من الوحدات الأرضية عن طريق البحر، وقد بلغ حجم تلك الوحدات بكاملها إحدى عشرة فرقة، كما اشترك في تنفيذ تلك الهجمات، قوات منقولة جواً، تم فيها استخدام ألف ومئتي طائرة نقل. كانت أساليب النقل مماثلة لما كانت عليه الوسائل في تلك الفترة من الزمن. . وقد استطاعت وحدات المظليين اليابانييـن أن تساهم في تنفيذ مهمات ثانوية جداً، من المهم تكوين فكرة

عنها لا سيما وأنه من الصعب معرفة أي شيء عنها في أوروبا.

ولكي يتم سد هذه الثغرة في المعرفة، فإنه من الضروري إستعراض الموقف العام الذي تم فيه تنفيذ ثلاث عمليات هجومية في الفترة الواقعة ما بين كانون الثاني وشباط من عام ١٩٤٢. . وذلك لغزو جزر «سيليب، وسومطره، وتيمور» وكان طبيعياً أن تسقط هذه الجزر في أيدي الغزاة. وسنقدم، بعد ذلك عرضاً موجزاً لعملية رابعة من أعمال المظليين اليابانيين. . كان قد تم تنفيذها في موقف دفاعي خلال المرحلة الأخيرة من حرب «الفيليبين» وذلك في شهر كانون الأول لعام ١٩٤٤، إبتدأت القوات المسلحة اليابانية بتنظيم وتدريب المظليين منذ نهاية عام ١٩٤٠ وذلك بمساعدة مئة مدرب الماني تقريباً. وكان الجيش والبحرية، يعيران ما يستحقه من الاهتمام، ولكن العدد القليل من طائرات النقل المتوافرة، فرض حدوداً لمفهوم استخدام المظليين في تلك الفترة. وقد ابتدأت مرحلة التجارب والمناورة في كانون الثاني من عام ١٩٤١. وتم خلالها تجربة ثلاثة احتمالات للتدخل.

الأولى: هبوط المظليين بقوة فصيلتين ـ لتنفيذ مهمات التدمير داخل بلاد العدو.
الثانية: إنزال فصيلتين من المظليين، ومساندتهم بنيران الطائرات المقاتلة للقيام بمهمة إعداد منطقة للهبوط، وتنظيمها من أجل هبوط فوج من المشاة المظليين.
الثالثة: هبوط سرية مظليين مدعومة، مهمتها إحتلال منطقة هامة من أرض العدو.

في نهاية عام ١٩٤١ ـ ظهر إلى عالم الوجود تنظيمان من التنظيمات اليابانية:

الأول: وقد كونه الجيش، ويشتمل على لواء من المظليين وهو يشتمل على وحدات قيادة، كالإشارة والمهندسين، يتكون اللواء من ثلاث مجموعات، وسرية مدافع رشاشة، وإلى جانب ذلك تم وضع لواء من طائرات النقل يرتبط عضوياً بلواء المظليين، ويتألف من أربعة أسراب لطائرات النقل «ميتسوبيش» ذات الثلاثة محركات، وكان مجموع الطائرات يبلغ مئة واثنتي عشرة طائرة.

أما التنظيم الثاني، فقد تم منحه اسم «قوات إنزال البحرية الخاصة» وقد عمل سلاح البحرية على تكوين هذا التنظيم. . وتم تكوينه بثلاث سرايا مشاة، يشتمل تسليحها على عدد كبير من الأسلحة الآلية اللاسلكية، وقد بلغت قدرة هذه السرايا النارية وعدد أفراد كل منها مئة وتسعون رجلاً على تسعين بارودة آلية ـ وثمانية عشر مدفع رشاش مضاد للدرع، وإثني عشر مدفع رشاش، وتسعة عشر جهازاً لاسلكياً، مع الدراجات العادية التي يتم إنزالها بالمظلات، وكان ذلك شكلاً بدائياً من أشكال التنقل.

ـ كانت الفكرة الرئيسية التي استند إليها المخطط الستراتيجي، تهدف إلى احتلال إقليم جنوب شرق آسيا، بأقصى سرعة ممكنة لما له من أهمية إقتصادية وبشرية، وبذلك يتم إرغام القوات الانكلو ـ أمريكية، التي لم يتم استعدادها، وإجبارها على التسليم بالأمر الواقع.

ولتنفيذ ذلك، وبعد أن تم لليابانيين إبعاد الاسطول الأميركي بهجوم مباغت على «هاواى» كان على الجيش الجنوبي تنفيذ المخططات المتضمنة إجراء عدد من العمليات «البر ـ مائية» والتي كان قد تم إعدادها بدقة تامة، في الزمان والمكان، وكما يلي:

الاستيلاء على «الفيليبين» على أن يقوم به الجيش الرابع عشر المكون من فرقتين ونصف، وكان يتمركز في قواعده فوق أرض جزر «رواى ـ كواى» و «فورموزا».

الاستيلاء على «تايلاند ـ وسيام ـ وبورما» يقوم به الجيش الخامس عشر ـ المكون من فرقتين، وكان يتمركز في قواعده فوق أراضي الهند الصينية.

الاستيلاء على «مالايو» يقوم به الجيش الخامس عشر، المكون من أربع فرق، وكان يتمركز في قواعده في «الهند الصينية، وهانيان» «وكانتون».

الاستيلاء على الأراضي المنخفضة من شرق الهند، يقوم به الجيش السادس عشر، المكون من فرقتين ونصف وكان يتمركز في «فورموزا ـ وجزيرة بالو».

لم يكن تنفيذ هذا المخطط المعقد ممكناً لولا كثرة ما لدى اليابان من مراكب النقل التجارية القادرة على نقل ـ ٦ ـ مليون طن، ولولا المهارة التي تم فيها تنفيذ التحرك والانتقال من مطار إلى مطار آخر، مع توفير الدعم الجوي اللازم لضمان حركة مراكب النقل، ومساندة العمليات الأرضية، وأخيراً استخدام الوحدات الأرضية المتخصصة في عمليات الهجوم ـ البرمائي ـ وأعمال قتال الغابات، وإعدادها لتنفيذ العمليات الهجومية التعبوية الهادفة لإجراء التسلل عبر مواقع العدو ـ والقيام بتطويقه.

ضمن هذا الإطار العام، كان استخدام وحدات المظليين التي تم وضعها تحت تصرف الجيش السادس عشر، قد تركز على تنفيذ مهمات الاستيلاء على المطارات الهامة ـ والضرورية ـ وكانت هذه المطارات تقع فوق الأراضي المنخفضة من شرق الهند.

١ ـ «مانادو ـ سيلبيس» ـ ١٩٤٢ ـ

في كانون الثاني من عام ١٩٤١ ـ كان الجيش الهولاندي ـ البالغ عدده (٨٥,٠٠٠) رجل في الأراضي المنخفضة من شرق الهند، وكان هذا الجيش قد تجمع بتركيز فوق جزيرة

«جاوا» بصورة رئيسية، كما كان قد تم تدعيم قواته الجوية والبحرية الضعيفة بعناصر من القوات الأميركية، والأوسترالية، والبريطانية.

في ١٩ كانون الثاني عام ١٩٤٢ تم تنظيم القوات وجعلها تحت قيادة واحدة حملت إسم قيادة «آبد اكوم» أي، الأميركية، البريطانية، الهولندية، الأوسترالية وتعيين الجنرال «ويفل» على رأس هذه القيادة التي كانت مهمتها الوحيدة تنظيم «ملايو» وجعلها حصناً للدفاع عن محور - ملايو - سومطرة - جاوا - شمال أوستراليا.

في يوم ١١ كانون الثاني - ١٩٤٢ - كان اليابانيون بدأوا هجومهم على الأراضي المنخفضة شرق الهند وقاموا بتوجيه ضربة مزدوجة وفي وقت واحد إلى كل من «بورينو - وسيلبيس» وفي «سيليبس» هذه جاء الهجوم على شكل إنزال برمائي كان موعده قبل الشفق وكان مكانه أرض شواطىء «ماندو» و «كيما».

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، أقلعت (٢٨) طائرة نقل من مطار «دافاو» وقامت بإنزال (٣٣٤) مظلياً من قوات «اليوكوسكا» وهي المجموعة البحرية الأولى -. وكان إنزال هؤلاء المظليين فوق أرض المطار الواقع إلى الجنوب من «مانادو»

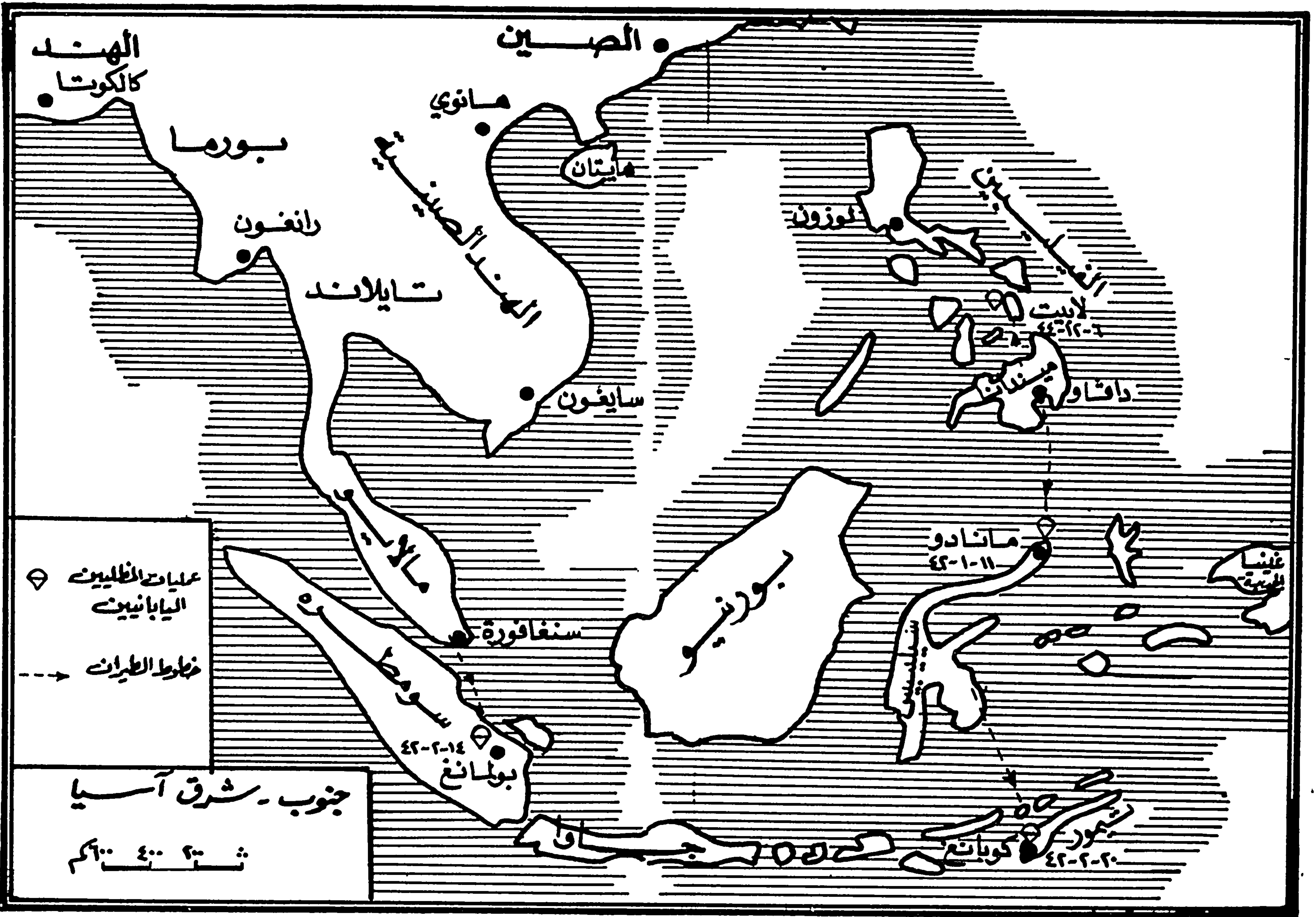
جاء هذا الهجوم الأول المباغت الذي قام به المظليون اليابان ضربة مذهلة للحامية الهولاندية البالغ تعدادها ألفا وخمسمائة رجل، وأصبحت تتعرض للتهديد من إتجاهين، إتجاه الشاطىء، وإتجاه المظليين.

تمكن المظليون من إحتلال أرض المطار بسرعة، وعملوا على تطهير المنطقة المحيطة به.

في صباح اليوم التالي، يوم ١٢ كانون، تم إنزال بقية أفراد المجموعة البالغ عددهم (١٨٥) مظلياً. وما أن أقبل المساء حتى كانت القوات اليابانية تسيطر على الأقليم بأكمله.

إنتقلت الطائرات اليابانية إلى هذا المطار مباشرة، وبدأت باستخدامه، وأصبح بإمكانها توسيع نطاق عملياتها في إتجاه الجنوب لمسافة تبعد مئتين وخمسين ميلاً.

إستمر التقدم الياباني في إتجاهين معاً، الأول نحو الغرب على امتداد الشاطىء «بورنيو» والثاني نحو الشرق عبر بحر «مولوكا» وأخذت دفاعات الحلفاء النموذجية تتساقط واحداً بعد الآخر أمام حشد القوات البرمائية، وأمام الهجمات الجوية للمظليين. وكانت الإجراءات المحضرة والمدروسة كفيلة بضمان نجاح «الضربة الحاسمة».


الهند
كالكوتا
بورما
رانغون
تايلاند
الهند الصينية
هانوي
الصين
هايتان
سايغون
لوزون
الفيليبين
لايت
٦-١٢-٤٤
ميندناو
داڤاو
مالايا
سنغافورة
سومطرة
بولمانغ
١٤-٢-٤٢
بورنيو
مانادو
١١-١-٤٢
غنيا الجديدة
جاوا
تيمور
كوبانغ
٢٠-٢-٤٢
عمليات المظليين اليابانيين
خطوط الطيران
جنوب شرق آسيا
٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم

٢ ـ «باليمبانغ ـ سومطرة» عام ١٩٤٢

في يوم ١٤ شباط عام ١٩٤٢، ابتدأ اليابان غزوهم «لسومطرة» وكان يجب أن يسبق هذا الهجوم إنزال للمظليين، هدفه إحتلال المطارين الموجودين في «باليمبانغ» بعملية مفاجئة. وكان هذان المطاران يقعان على بعد ستين ميلاً إلى داخل الجزيرة. كما كانت مهمة المظليين تشتمل على احتلال مصفاة البترول الموجودة في المنطقة ومنع العدو من تخريبها. في يوم ١٥ شباط ١٩٤٢. كان على فرقة «المشاة ٣٨، أن تقوم بإنزال ـ برمائي ـ فوق أرض الشاطىء إلى الشمال من «باليمبانغ» والإبحار إلى تيلانغ ـ ومووسي ـ ونهر سالم» بواسطة زوارق الانقضاض وذلك من أجل إجراء الاتصال مع المظليين.

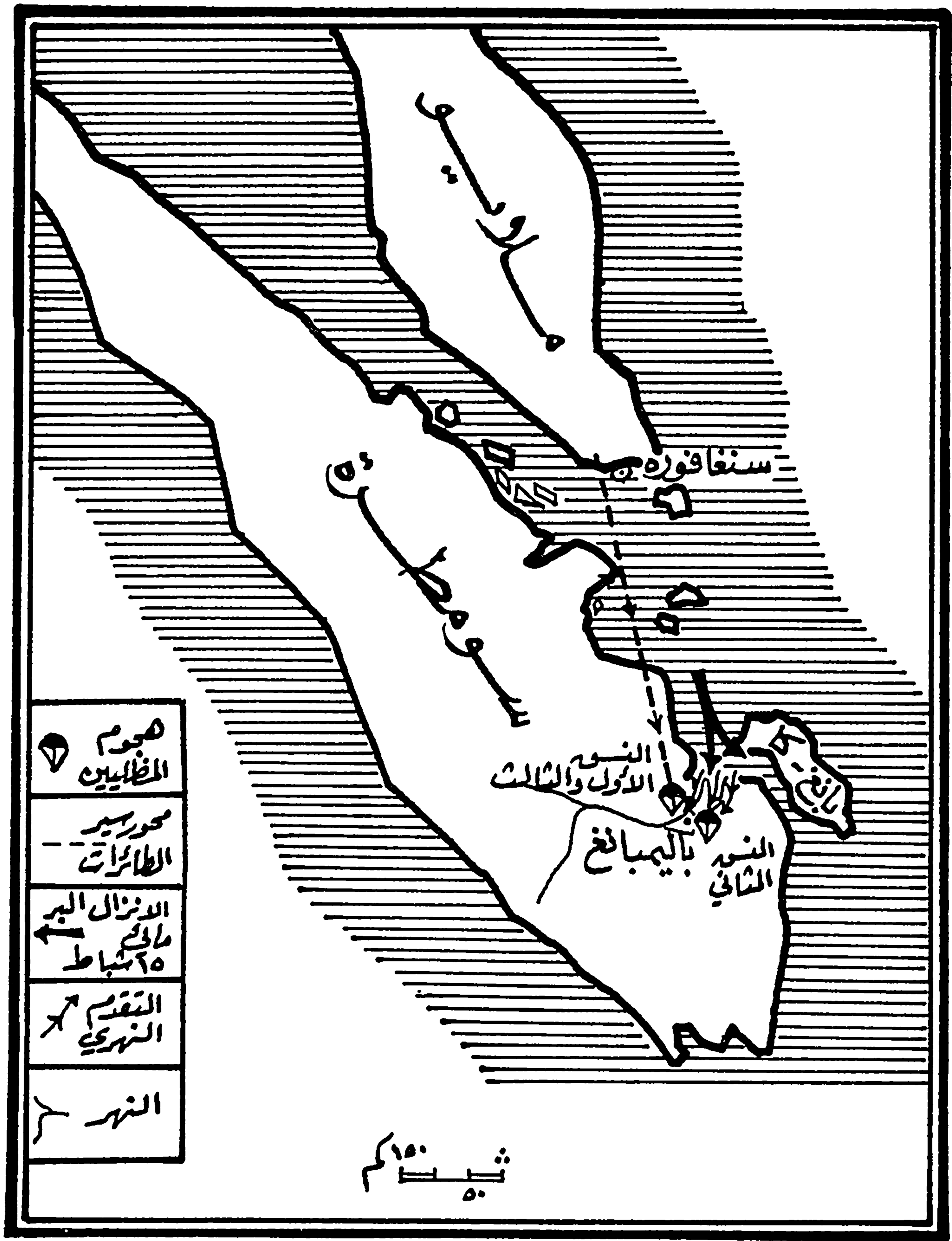
كانت مهمة الدفاع عن مطارات «باليمبانغ» منوطة بعقيد هولاندى، ومعه لتنفيذ هذه المهمة مجموعة من المقاتلين الهولانديين والبريطانيين والأوستراليين البالغ عددهم جميعاً ألف مقاتل، وكان يشترك في الدفاع عن المطارات مجموعة من المدافع المضادة للطائرات يبلغ عددها خمسة عشر مدفعاً، أما مصفاة البترول، فكان يسهر على حراستها (٥٥٠) مقاتلاً ومعهم عدد من المدافع المضادة للطائرات والمدافع الرشاشة.

كانت وحدة المظليين المكلفة بالمهمة. تابعة لقوة لواء المظليين الأول بقيادة العقيد «كيمو». وكان هذا اللواء قد تم تشكيله في اليابان بتاريخ الأول من كانون الثاني عام ١٩٤١، ويتضمن تنظيم هذا اللواء بصورة أساسية إثنتين من كتائب المظليين وكتيبة من طائرات النقل..

أقلعت طائرات النقل حاملة معها مفرزتين من مفارز لواء المظليين الأول، وكانت المطارات التي تم إقلاع الطائرات منها تقع في جنوب «الملايو».

في الساعة (١١,٣٠) تقريباً من يوم ١ ـ كانون ٢ ـ بدأ مظليو المفرزتين بالقفز في وقت واحد من طائراتهم بعد أن كانت الطائرات المقاتلة قد قامت بالإغارة على أهداف المظليين وتمكنت من إبطالها.

كانت المفرزة الأولى تتكون من: ـ عناصر قيادة العملية + السرية الثانية من كتيبة المظليين الثانية + عناصر من سرية المدافع الرشاشة + سرية مهندسين + فصيلة إشارة. ويلغ مجموع أفراد هذه المفرزة التي هبط أفرادها حول مطار «ب ـ ١» ـ الأربعمائة والستين مظلياً. كانت المفرزة الثانية تتكون من: السرية الأولى + عناصر من سرية المدافع الرشاشة. وقد بلغ مجموع المظليين الذين هبطوا حول مطار «ب» السبتمائة والخمسين ظلاً.



١١ - هجوم المظليين على « باليمبانغ » ١٤ - ١٥ شباط ١٩٤٢

قامت كتيبة من طائرات قاذفات القنابل. بإنزال الأعتدة الثقيلة فوق منطقة المفرزة الأولى.

بعد إنزال المظليين مباشرة بدأت معركة غامضة جداً فوق أرض مطار «ب ـ ١» الواقع في وسط الغابات، وبقيت طائرات الحلفاء تتابع إقلاعها وصعودها تحت نيران القوات اليابانية، وفي نهاية اليوم نجح المظليون اليابانيون في احتلال المطار وبدأت قوات الحلفاء المدافعة عن المطار في التراجع والانسحاب نحو «باليمبانغ» وفي الوقت ذاته، كانت المفرزة الثانية قد نجحت في احتلال «مصفاة ـ البترول» وتمكنت من صد هجوم مضاد لقوات الحلفاء، واستطاعت أن تعيق الحلفاء عن تدمير المصفاة الثانية. على الرغم من أن نصف تعداد مفرزة المظليين هذه كانوا قد سقطوا في مستنقع ـ موحل ـ.

كانت مفرزتا المظليين تعملان، كل منهما، في طرف من «باليمبانغ» وكان يفصل بينهما مسافة إثني عشر ميلاً، ولهذا فقد كانتا في موقف حرج، لا سيما ولدى الحلفاء عدد من الطائرات المقاتلة التي تستطيع العمل من مطار «ب ـ ٢».

ولكن في يوم ـ ١٥ شباط ـ إبتدأت الشائعات تنتشر عن إنزال قوات «برمائية» فوق أرض الشاطىء. وكان للتفوق الجوي الياباني، ولتناقص الذخائر في أيدي قوات الحلفاء، دورهما في منع قيام أي نوع من أنواع المقاومة الباسلة. . وبالإضافة إلى ذلك قامت مفرزة ثالثة مكونة من مئة مظلي، بالهبوط فوق أرض مطار «ب ـ ١» في الساعة /١٣,٣٠/ تقريباً. وبهذا الدعم، إبتدأ المظليون تقدمهم نحو «باليمبانغ» وتم لهم احتلالها في المساء. في الوقت الذي كانت فيه المفرزة الأخرى قد أنجزت عملية احتلال مصافي البترول جميعها.

خلال ليل ١٥ ـ ١٦ وضعت قيادة قوات الحلفاء خطة للانسحاب نحو الجنوب الشرقي من الجزيرة.

ـ في صباح يوم ١٦ ـ تم الاتصال أخيراً بين المظليين اليابانيين ـ وبين العناصر المتقدمة من قوات فرقة المشاة /٣٨/ وكان هؤلاء يتقدمون فوق مياه النهر على زوارق الهجوم.

ـ وهكذا تمكنت مفارز المظليين من المهام بنجاح تام ـ واستطاعت تشكيل رأس الجسر ـ بعد أن بقيت منعزلة لمدة تزيد عن الأربعين ساعة ـ وكانت مواقعها المنعزلة هذه تقع على بعد مسافة كبيرة من داخل مناطق العدو الدفاعية.

ـ حققت عملية المظليين اليابانيين في «باليمبانغ» نجاحاً رائعاً، وكان الفضل في هذا النجاح يعود إلى المخطط الجريء الذي كان قد تم إعداده. كما يعود الفضل أيضاً إلى

التنفيذ الحاسم الذي قامت به وحدات منتقاة ومختارة.. ولم يكن هذا النصر تعبوياً إقتصر فقط على احتلال مطارات وإنقاذ مصفاة ومنشآت، إنما كان نصراً إستراتيجياً أيضاً، إذ أنه أجبر الحلفاء على إخلاء جزيرة سومطرة. والجلاء عنها خلال أيام قليلة.. وكان العامل الأول في هذا النصر ـ تنفيذ الضربة المباغتة وتوجيهها إلى قلب المقاومة الهولندية على أيدي المظليين.

ـ كانت القيادة الهولندية في ـ سومطرة ـ تبدو وكأنها لم تتعلم الدرس الذي لقنها إياها المظليون الألمان عندما قاموا بهجومهم على قلب «هولندا» في العاشر من مايس /١٩٤٠/ وكان من نتيجته انهيار كل التنظيمات الدفاعية ـ وإلقاء الجيش الهولندي خارج كفة الميزان، وتحطيم روح الأمة المعنوية.

ـ ويمكن القول حقاً أن هناك عدداً آخر من قيادات الحلفاء لم تتعلم شيئاً لا من هذا الدرس ولا من الدرس الآخر الذي سطرته معارك بولونيا في أيلول من عام ١٩٣٩ والذي كان برهاناً واضحاً على إقلاع الطائرة الحاسم وعلى أهميتها كأداة ووسيلة لنقل القوات ـ وإمدادها.

٣ ـ «تيمور» عام ١٩٤٢

ـ تابع اليابانيون تقدمهم في بحر «مولوكا» ـ وفي يوم ٢٥ شباط ـ عام ١٩٤٢ قاموا بالهجوم على جزيرة «تيمور» التي كان يدافع عنها عدد من سرايا القوات الهولندية والأوسترالية.

ـ مع شفق يوم ٢٥ شباط ـ نزلت فوق أرض الشاطىء وعلى بعد /١٥/ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من إقليم «كوبانغ» قوة يابانية مكونة من فوجين يدعمهما عدد من الدبابات الخفيفة.

ـ وفي الساعة العاشرة.. قام /٣١٠/ مظليين تابعين للمجموعة البحرية الخاصة «اليوكوزاكا» بالهبوط فوق أرض مطار «بينفوا» ـ وكان هذا المطار يقع على بعد /١٥/ ميلاً إلى الشرق من الإقليم.

ـ في صباح يوم ٢٦ شباط ـ تم إنزال /٣٥٠/ مظلياً من المجموعة ذاتها ـ بمهمة دعم الوحدة الأولى.

ـ في صباح يوم ٢٧ ـ شباط ـ تم الإتصال بعناصر الوحدات ـ البرمائية.

ـ حاولت القوات الهولندية والأوسترالية ـ القليلة ـ أن تنسحب إلى داخل الجزيرة

ولكن طريق الانسحاب الرئيسي، كان بأيدي المظليين اليابانيين ـ وهكذا وقع القسم الأكبر منهم في الأسر.

ـ كان الإستيلاء على مطار «بينغوا» قد قطع فعلاً المسافة الجوية الفاصلة بين ـ أوستراليا واليابان والتي يبلغ طولها ألفا وأربعمائة ميل. وبذلك تم اختراق مجنبات الحزام الدفاعي لمحور «ملايو» سومطرة ـ جاوا ـ الخ. وأصبحت أوستراليا تحت تهديد اليابان، المباشر.

ـ في يوم ٩ آذار ـ تم تطويق الأرض المنخفضة ـ شرق الهند ـ وبذلك ضاعت كل أهمية الحزام الدفاعي ـ وأصبحت بريطانيا ـ منعزلة جغرافياً عن أمريكا ـ وكانت تلك هزيمة خطرة.

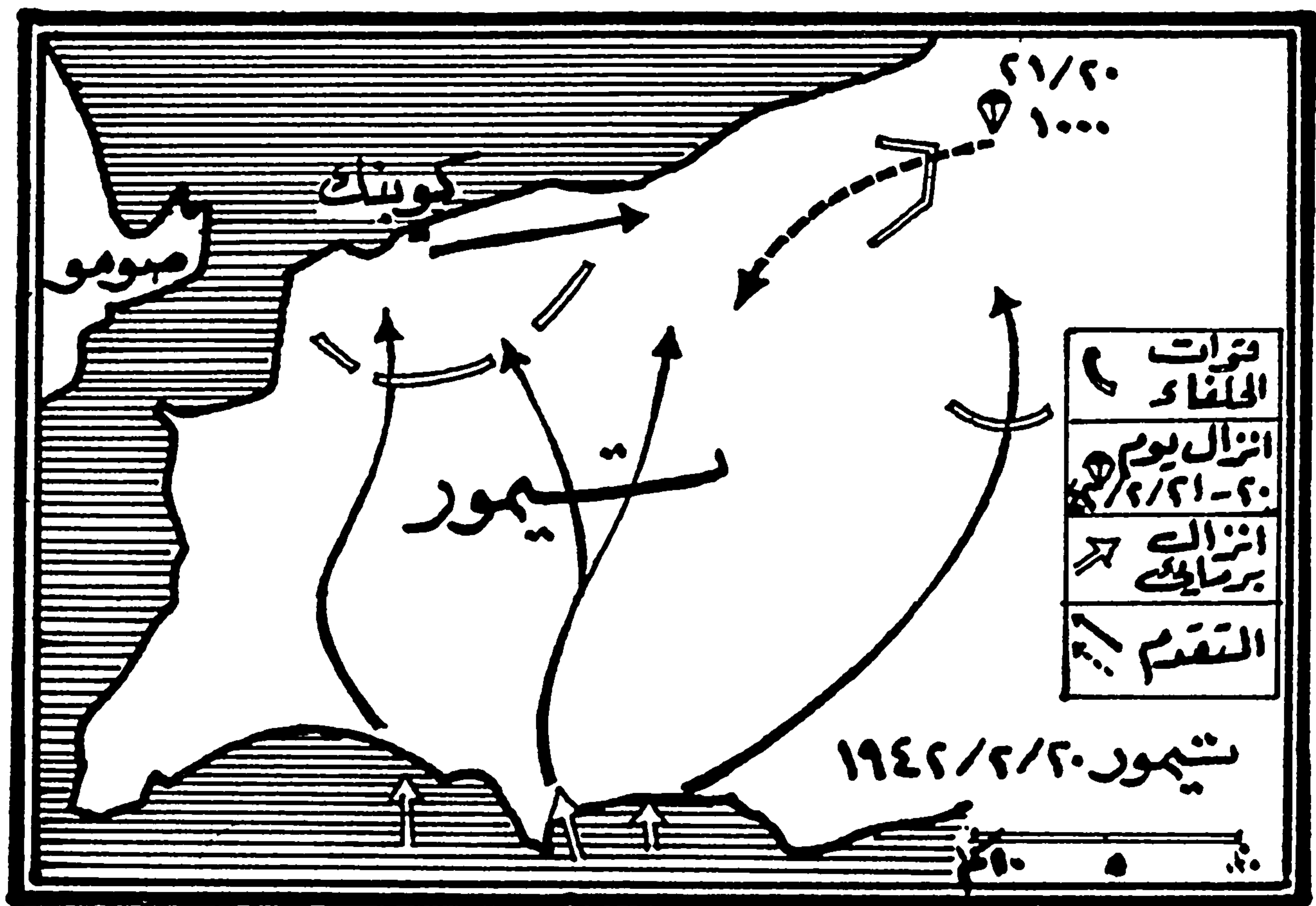
ـ خسر الحلفاء في هذه العمليات ما يزيد على /٢٥٠,٠٠٠/ مئتي، وخمسين ألف رجل ـ أما خسائر اليابانيين فلم تكن تصل إلى ١ ـ ١٠ واحد من عشرة من هذه النسبة.

ـ وهكذا ـ أمكن تحقيق النصر ـ بفضل السيادة الجوية ـ وبفضل الحركة الستراتيجية لوسائل النقل البحري ـ إلى جانب المهارة التعبوية التي أبدتها الوحدات الأرضية في تنفيذها لعمليات الإنزال البرمائي ـ والعمليات المشتركة. ولقد جاء هذا النصر برهاناً جديداً ـ على أن ما يمكن إكتسابه عن طريق العلم والشجاعة أكثر بكثير مما يمكن إكتسابه عن طريق القيمة العددية.

٤ ـ «لايت» عام ١٩٤٤

ـ خلافاً ـ لما كانت تتوقعه السياسة اليابانية ـ فإن الانكلو ـ ساكسون ـ لم يخضعوا ولم ييأسوا أمام احتلال اليابانيين لجنوب ـ شرق ـ آسيا ـ فعلى الرغم من الهزيمة الأولية التي نزلت بالانكلو ـ ساكسون ـ فإنهم عاودوا الصراع عن طريق هجمات مضادة موضعية إبتداء من منتصف عام ١٩٤٢ ـ وإلى ما بعد ذلك ـ وأصبح على القوات اليابانية أن تدافع عن تلك المنطقة الواسعة التي احتلتها، طوال السنوات الواقعة ما بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٤ ـ وكانت آخر عملية من عمليات المظليين اليابانيين الدفاعية تلك التي تم تنفيذها في «الفيلبين» خلال شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٤.

ـ في ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٤ ـ قامت القوات الأمريكية بالنزول فوق أرض «لاييت» كخطوة أولى لإعادة غزو «الفيليبين» وقد جرت معركة يائسة بين الجيش الأمريكي السادس بقيادة الجنرال «كروجر» وبين الجيش الياباني (٣٥) وقد أرغم اليابانيون على


٢٠/٢١
١٠٠٠
كوبنك
صومو
تيمور
قوات الحلفاء
انزال يوم ٢٠-٢١/٢
انزال برمائي
التقدم
تيمور ٢٠/٢/١٩٤٢
١٠ ٥ ٠ كم

التراجع ببطء، والانسحاب نحو داخل الجزيرة حيث الأقاليم الجبلية المقفرة، وقد جاء هذا الانسحاب نتيجة للعمليات الجريئة التي كانت تقوم بتنفيذها القوات الأرضية، لا سيما العمليات التي كانت تنفذها فرقة المظليين الأمريكية (١١) التي كانت قاعدة عملياتها وقيادتها تتمركز في ثلاثة مطارات محيطة «ببودوان».

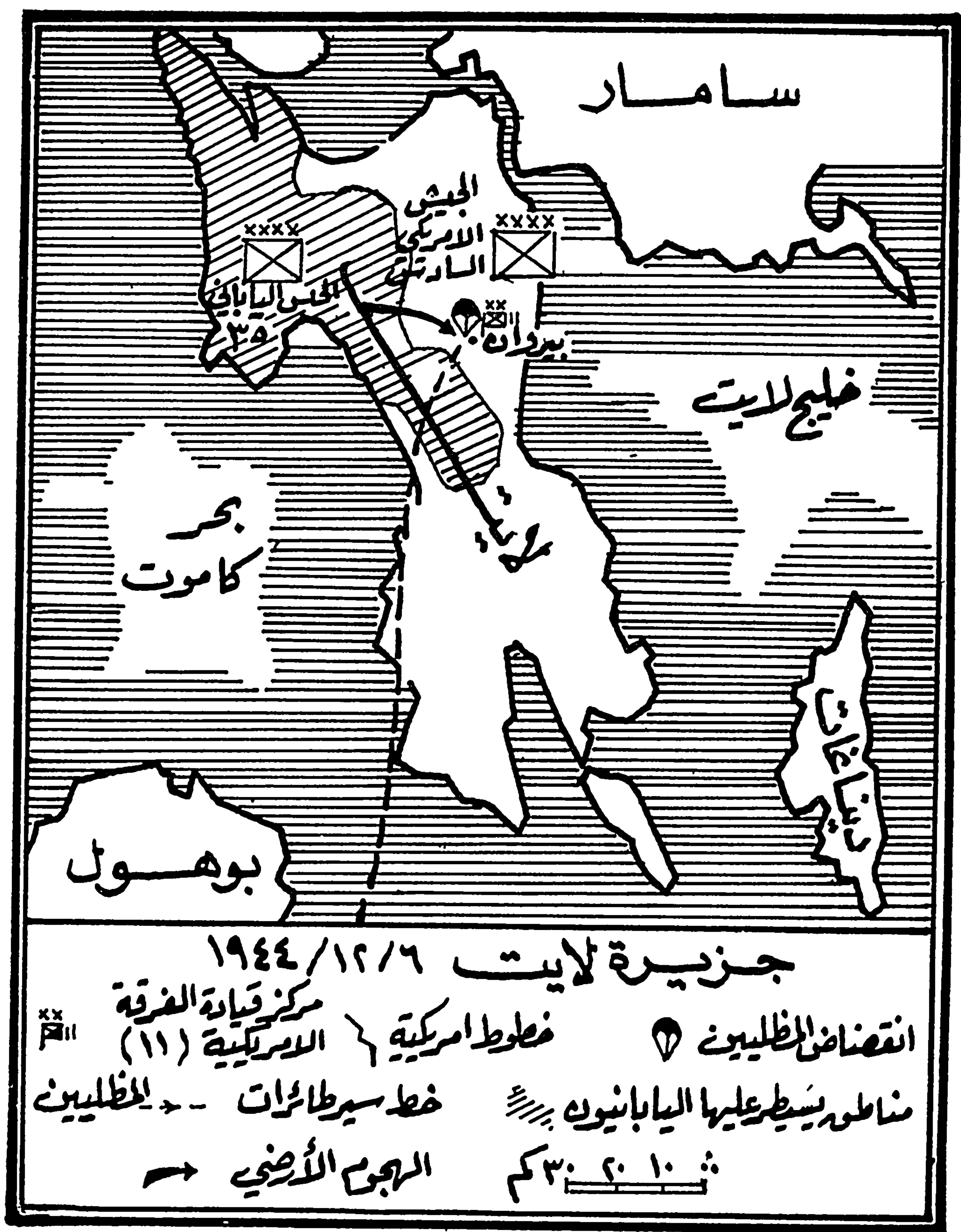
ـ عند ذلك، بدأت القيادة اليابانية بتنفيذ هجوم مضاد على نطاق واسع، يهدف إلى إيقاف ذلك الاختراق وما يرافقه من تهديد، وكان على فرقة المشاة اليابانية (٢٦) أن تقوم بالتسلل من الغرب إلى الشرق عبر الخطوط الأمريكية، وذلك للوصول إلى عمق المواقع الأمريكية والاستيلاء على المطارات الثلاثة التي كانت تحتلها فرقة المظليين الأمريكية (١١) وكان هدف اليابانيين من إحتلال هذه المطارات، الإعداد لهبوط مجموعات المظليين اليابانيين عليها.

ـ في الساعة ١٨,٠٠ ـ تقريباً من يوم ٦ كانون الثاني عام ١٩٤٤ ـ قامت مجموعة مكونة من (٣٥٠) مظلياً، مِن تنظيم «كاتوري ـ شيمبي» بالقفز فوق أرض مطار «سان باولو» بينما قامت ثلاثة طائرات نقل تحمل مجموعات التفجير بالهبوط فوق منطقة مكشوفة من أرض الإقليم تصلح لهبوط الطائرات. وخلال تلك الليلة، دارت معارك عنيفة غامضة بين المظليين اليابانيين والمظليين الأمريكيين. وأثناء هذه المعارك تم تدمير عدد من الطائرات الأمريكية مع بعض المستودعات.

ـ في صباح يوم ٧ كانون الثاني. قامت مجموعة مكونة من بضع مئات من جنود الفرقة اليابانية ٢٦ وعملت على دعم المظليين، ولكن القوات الرئيسية لهذه الفرقة كانت عاجزة عن التقدم عبر الغابات الكثيفة، وهكذا استمر القتال في منطقة «بوروان» لمدة أسبوع كامل، وقد نتج عن الهجوم الياباني المباغت سقوط عدد كبير من الخسائر من أفراد القوات الأمريكية.. كما حدث انقطاع خطير في إمدادات الفرقة (١١) للمظليين ولكن عملية اختراق القوات الأمريكية من بعض الوحدات اليابانية والتصدع الذي حدث بين القوات الأمريكية بسبب ذلك، لم يحقق أية نتيجة تعبوية هامة..

ـ وهكذا فإن عملية المظليين اليابانيين الأخيرة لم تحرز من النجاح أكثر مما أحرزته آخر عمليات المظليين الألمان والتي تم تنفيذها في ذات الوقت تقريباً، وكانت آخر عمليات المظليين الألمان هي تلك التي قام الماريشال «فون ـ رونشتد» بتنظيمها للهجوم على الأردين في يوم ١٦ كانون الثاني عام ١٩٤٤ وكانت ـ هذه العملية ـ هي آخر هجوم قام به المظليون الألمان..

ـ بناء على ما تقدم ـ يتضح بأن عمليات المظليين اليابانيين خلال الحرب العالمية



سامار
الجيش الامريكي السادس
الجيش الياباني ٣٥
بيروان
خليج لايت
بحر كاموت
بوهول
جزيرة لايت ٦/١٢/١٩٤٤
انقضاض المظليين
خطوط امريكية
مركز قيادة الفرقة الامريكية (١١)
مناطق يسيطر عليها اليابانيون
خط سير طائرات المظليين
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ كم
الهجوم الأرضي

الثانية، كانت ذات أهمية ثانوية جداً. وإن تلك الانتصارات التي تم تحقيقها كانت نتيجة الجرأة في التصميم، والتألق في التنفيذ خلال عمليات ـ باليمبانغ ـ وسومطرة في ١٤ شباط عام ١٩٤٢، وهنا يجدر بنا أن نعيد إلى الذاكرة بأن وسائل النقل الجوي خلال تلك الفترة من الزمن لم تكن قد وصلت إلى مرحلة متقدمة جداً في مجال التطور، وإن العامل الأساسي في النجاح كان يستند إلى مهارة القائمين بتنفيذ المهمات.

كما أن التوسع في استخدام النقل البحري والاستفادة من الأسطول التجاري الكبير الذي تمكنت القيادة اليابانية من حشده، لنقل العدد الضروري من الوحدات المكلفة بتنفيذ العمليات، كل ذلك من العوامل التي ساعدت على تحقيق النصر..

ـ كانت خسائر اليابانيين في عملياتهم زهيدة وقليلة إذا ما قورنت بالحدود التي عملوا على اجتياحها والتي تعادل في مساحتها لمساحة أوربا.

ـ وأخيراً، فإنه باستطاعتنا أن نتخيل إمكانية استخدام الفضاء في هذه الأيام لتطبيق الطريقة ذاتها والتي استخدمها اليابانيون في تنقلهم البحري، وإن ما وصل إليه التطور الفني في أفق النقل الجوي لهذه الأيام يجعل تحقيق ذلك ممكناً. ومن الممكن أيضاً استخدام ذلك مستقبلاً، وإلا فكيف يمكن تحقيق المرونة للسيطرة على المسافات الجغرافية الواسعة سواء كان ذلك في آسيا، أو أفريقيا.. أو أمريكا الجنوبية...

ـ إن كل محاولة للدفاع عن هذه الأقاليم بقوات تقليدية سينتهي بالكوارث المحتمة وذلك على نحو ما قامت به قوات الحلفاء في أسلوب دفاعها عن جنوب شرق آسيا خلال الفترة الواقعة ما بين نهاية عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢.

ـ وهكذا ـ وبفضل التقنية الحديثة ـ عادت المناورة لتغطية دورها التقليدي ولتحقق ميزاتها ذات الأهمية الحاسمة في الحرب، وإن استخدام المظليين ووسائل النقل الجوي، ضرورات حتمية لدى القيام بأية محاولة لحل مشاكل مرحلتي الهجوم والدفاع فوق منطقة واسعة من الأرض.

الفصل التاسع

عمليات غير معروفة من أعمال المظليين ١٩٤٣ - ١٩٤٥

- تضمنت مجلة المشاة الفرنسية في عددها عن شهر أيلول عام ١٩٣٩ - مقالاً لكاتب لم يفصح عن اسمه - وقد تضمن المقال الفقرة التالية في وصف مشاة الجو. «إن إمكاناتها واسعة جداً - وإذا ما تم استخدامها ضد خصم لم يؤهل نفسه لقتال هذا السلاح الجديد - فإن باستطاعة هذا السلاح إحراز النصر بسهولة - ذلك النصر قد يكون حاسماً».

- وبعد بذلك بثمانية أشهر - أي في اليوم العاشر من مايس عام ١٩٤٠ - عبرت هذه النبوءة عن ذاتها بصورة تامة من خلال العمليتين الشهيرتين - عملية قناة البرت - وعملية هولندا - ومنذ ذلك الوقت ابتدأت قوات المظليين تفرض وجودها بصورة مباشرة. حتى أصبحت ظاهرة طبيعية من ظواهر عمليات الحرب العالمية الثانية.

- ونتيجة لذلك - أصبح استخدام المظليين موضعاً للكثير من الدراسات التفصيلية. التي تخللتها مناقشات حادة - وتتلخص تلك المناقشات في رفض مبدأ استخدام المظليين كتشكيلات كبرى.

- إن الذين قادوا تلك المناقشات - حسبوا دونما شك حساب، إمكانات المظليين الواسعة في مجال العمليات التعبوية الستراتيجية - ولكنهم ركزوا كل انتباههم وكل يقظتهم أيضاً - وفي الوقت ذاته - على الاعباء الإدارية الثقيلة لتلك العمليات. وعلى ما تتطلبه من مجهود جوي لتوفير السيادة المطلقة في أفق مسرح العمليات الكبرى. وهذا هو السبب

الذي جعل استخدام التشكيلات الكبرى للمظليين ـ محاطاً بصورة عامة بعدد من الاعتبارات التي فرضت قيوداً من الحيطة والحذر ـ.

ـ ولكن ماذا يقال عن استخدام الوحدات الصغرى التي تتضاءل أمام مستوى التشكيلات الكبرى؟؟..

ـ إن الدراسة الحالية تهدف إلى إظهار بعض من عمليات المظليين التي طواها تاريخ الحرب العالمية الثانية ـ والتي تم تنفيذها على مستوى عدد محدود من المقاتلين ـ وإن التجارب التي تم اكتسابها في هذا المجال تغطي آفاقاً واسعة تزيد كثيراً عما قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى... وهذه الدراسة لا تقف عند حدود الفائدة التاريخية فحسب. بل إنها تتناول قضية تحتل الذروة ـ ويعود السبب في ذلك إلى أن الظواهر المشتركة لجميع هذه العمليات تضعها في إطار المعارك الموضعية الواقعة فوق مساحات كبيرة من الأرض. وهي لهذا تشابه عمليات الثائرين أو الحروب غير النظامية ـ تلك العمليات والحروب الخالدة والمستمرة والتي أصبحت في عصرنا أكثر شيوعاً وانتشاراً لأنها المرجع الذي تتم العودة إليه كلما تطلب الأمر حل المشاكل بالقوة.

ـ وسيتم هنا التعرض لوصف شكلين من الأشكال الخاصة بأعمال المظليين.

ـ الأول: ـ ويتمثل في الدعم الذي يتم تقديمه للقوات الأرضية.

ـ الثاني: ـ وهو الشكل الذي يتم فيه احتلال بلد أو إقليم لا يمكن الوصول إليه عن طريق الأرض. ومن الشكل الأول مثلاً، بعض العمليات الأمريكية ضد الهجمات المفاجئة التي قام بها المظليون اليابانيون في الفيليبين ـ خلال عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وعمليات المظليين الروس وإنزالهم خلف الخطوط الألمانية في الجبهة الشرقية وذلك في عام ١٩٤٣.

ـ هذا بالإضافة إلى مثل آخر هو استخدامهم كرأس حربة للقوات المدرعة فوق جبهة أوكرانيا وجبهة هنغاريا في عام ١٩٤٤.

ـ أما الشكل الثاني فيمكن إعطاء صورة عنه من خلال تلك المعارك التي وقعت بين البريطانيين وبين المظليين الألمان فوق بعض جزر «الدوديكانيز» عام ١٩٤٤. والتي يعد هجوم المظليين البريطانيين وإنزالهم فوق أرض اليونان عام ١٩٤٤ نموذجاً لها.

ـ وفي النهاية ـ فإننا سنقوم بتلخيص بعض الدروس المستقاة من هذه العمليات.

ـ في يوم ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٤٤ خطت القوات الأمريكية أول خطوة لها في

طريق انتزاع «الفيليبين» من يد اليابان وذلك عندما قامت بالنزول فوق أرض جزيرة «لاييت».

ـ في ١٨ تشرين الثاني ـ كانت فرقة المظليين الأمريكية الحادية عشرة تقوم لأول مرة بمهمات القتال كفرقة مشاة عادية ـ وقد خاضت وحدات الفرقة عمليات قتال مريرة داخل الغابات الموحشة ـ وذلك لتطويق الوحدات اليابانية والموجودة في الإقليم الجبلي والعمل على تدميرها ـ وكان الإقليم الجبلي يقع في مراكز الجزيرة ـ. ولم يكن هناك إلا قلة من المسالك والدروب المتناثرة هنا وهناك والتي لم يكن يطرقها أحد لوقوعها في أكثر مناطق جزر المحيط الهادي وعورة ـ.

ـ وكانت المعضلة الرئيسية في عمليات هذه القوات ـ ضرورة توفير الإمدادات للوحدات الأمريكية وتزويدها بالمعدات والأعتدة الثقيلة ومواد التموين بأسرع وسيلة ممكنة. ولم تكن هناك أفضل من الطائرة وسيلة لتحقيق هذه الغاية ـ. ومن بين أنواع الطائرات المختلفة تم انتقال طائرة «البير ـ كاب ـ ل ـ ٤» المخصصة لمهمات المدفعية الفرقية ـ نظراً لكونها طائرة خفيفة ـ.

ـ في نهاية شهر تشرين الثاني «كان العقيد» «تيبتون» من لواء المظليين المشاة ـ هو أول رجل يقوم بالقفز بالمظلة من طائرة «البير ـ كاب» إلى فوج كان اليابانيون يقومون بتطويقه وحصاره. وقد تم إنزال متطوع آخر وفي ظروف مماثلة ـ وذلك ليكون دليلاً للقوات التي تعمل على جمع الإمدادات المفقودة في الغابات.

ـ في ٤ كانون الأول ـ قام رئيس عمليات الفرقة بالقفز من طائرة «البير ـ كاب» وذلك للقيام بمهمة تنظيم مركز مؤقت للقيادة في الجبال ـ وقد انضم إليه القائد الثاني للفرقة مع ممثلين عن كل فرع من فروع العمليات ـ وكان مع كل من هؤلاء جهاز لاسلكي نموذج /٦٩٤/ وقد تم إنزال الجميع بالمظلات من طائرات «البير ـ كاب» وبالإضافة إلى ذلك قامت طائرات «البير ـ كاب» التابعة لقيادة مدفعية الفرقة ـ والبالغ عددها إحدى عشرة طائرة ـ بإنزال سرية من المشاة المظليين مع فصيلة من المهندسين. . بينما قامت طائرة «الداكوتا» بتنفيذ تسع طلعات تم بواسطتها إنزال بطارية مدفعية «هاوتزر ـ عيار ـ ٧٥ ـ مم» وذلك فوق منطقة للإنزال طولها ١٧٠ ياردة وعرضها ٥٠ ياردة.

ـ وبهذه الوسيلة ذاتها ـ كان يتم إرسال مواد التموين المستعجلة ـ وكان من الممكن تسليم واحد وعشرين طناً من الإمدادات في كل يوم عن طريق استخدام ست عشرة طائرة خفيفة.

ـ ولكن وفي حدود استخدام هذه الطائرات ـ وتسخيرها للعمل بكل طاقاتها من أجل توفير التموين والإمدادات لم يكن باستطاعة فرقة المظليين الحادية عشرة أن ـ تتحرك لاختراق جبال «لاييت» الموحشة ـ بالسرعة اللازمة وقد بقي الأمر على هذه الحال طوال شهر كانون الأول وخلال الأيام الأربعة الأولى من شهر كانون الثاني ١٩٤٥.

ـ وهنا جاء دور هجوم المظليين اليابانيين على مطار «سان ـ باولو» وكانت العملية كالتالي:

ـ في شفق فجر يوم ٦ كانون الثاني قام ثلاثمائة مظلي ياباني بالقفز فوق أرض المطار مباشرة. ولكن قوات المظليين الأمريكية المدافعة عن المطار تمكنت من طرد هذه القوة بعد مرحلة من القتال اليائس. وقد تم دفع اليابانيين قبل أن يتمكنوا من تنفيذ مهماتهم ومنها تدمير الطائرات الخفيفة لما كانت تقدمه هذه من المساعدة الفعالة للمظليين الضائعين في الغابات.

* * *

ـ في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٤٥ ـ ابتدأ الإنزال فوق أرض الجزيرة الرئيسية من مجموعة جزر «الفيلبين» وهي جزيرة «لوذون» ـ.

ـ اشتركت فرقة المظليين الأمريكية /١١/ في هذه العملية ـ متخذة من جزيرة «لاييت» منطلقاً لها ـ وكان الهجوم على الجزيرة ذا شطرين ـ نصفه برمائي ـ ونصفه مظلي ـ. وكان الهدف من هذا الهجوم المزدوج الوصول إلى المنطقة الواقعة إلى الجنوب من «تاسيجيو» التي تبعد مسافة /٥٠/ ميلاً إلى الجنوب من «مانيلا» وذلك لتضليل اليابانيين ـ وتحويل إنتباههم عن الجهد الرئيسي لهجوم الشمال الذي كان يتم في منطقة «لينغا ـ ين».

ـ بعد أن تم تنفيذ الإنزال «البرمائي» للمجموعة التعبوية ـ فوق أرض خليج «ناسيجبو» وذلك في يوم ٣١ كانون الثاني ـ تم إنزال كتيبة من المظليين تدعمها بكتيبة مدفعية هاوتزر /٧٥/ مم يبلغ عدد مدافعها إثني عشر مدفعاً. وذلك فوق منطقة للإنزال تقع إلى الشمال من جبل «تاغاى ـ تاى» ـ أي في منتصف المسافة ما بين خليج «ناسيجبو» ـ والعاصمة «مانيلا». وقد تم إنزال المظليين في صباح يوم ٣ شباط.

ـ في مساء يوم ٣ شباط ـ ذاته ـ تم الاتصال بين قوات شطرى «الهجوم» المظليين ـ والقوات البرمائية».

خليج
مانيلا
مانيلا
كوريجيدور
ل بش مظليين ۵۱۱
مج. مد مظليين ٤۵٧
سر طبيه ٢٢١
قمة توجاي تاي
قمة كاريلاو
ناسيجبو
قمة باتولاو
لاك
تال
لوس - بانوس
٢٣
١٧
١٩٦
طريق رئيسي ٦
انزال برمائي في يوم ١١ فرقة المظليين ي ٣١ كا - ٢ ١٩٤۵
التقدم ي ١١ فرمظليين من ٣١ كا - ٢ الى ٣ شباط
انزال المظليين ٣٠ شباط
ث ۵ ١٠ ١۵ ٢٠
كم

١٤ - عملية مظليين في «توجاي - تاي» لوزون - ٣ - شباط ١٩٤۵

ـ في مساء يوم ٤ شباط ـ بدأ المظليون هجومهم على نطاق أمن القوات المدافعة عن «مانيلا» وقد اصطدم المظليون بمقاومة عنيدة اضطرتهم إلى الوقوف في أماكنهم حتى يوم ٢١ شباط.

ـ في هذه الفترة ـ تم تنفيذ عملية جريئة أخرى بواسطة إنزال المظليين فوق منطقة تقع خلف الخطوط الدفاعية اليابانية وعلى بعد مسافة منها ـ وكان الهدف من هذه العملية إنقاذ /٢٤١٧/ أسيراً مدنياً وعسكرياً من أيدي اليابانيين وكان اليابانيون قد وضعوا هؤلاء الأسرى في معسكر للاعتقال يقع عند الأطراف المتاخمة لشواطىء خليج «كوس بانوس».

ـ بينما كانت سرية أميركية ـ تساندها قوات من الأنصار وتقودها مجموعة استطلاعية ـ تقوم بالتسلل داخل حدود العدو ـ قامت تسع طائرات داكوتا ـ بإنزال المظليين مع أول ضوء من يوم ٢٣ شباط ـ وقد هبط المظليون فوق حدود معسكر الإعتقال مباشرة. وتمكنوا من الإستيلاء عليه. وفي هذا الوقت كان فوج من أفواج المشاة تدعمه بطارية مدفعية ـ يقوم بالتحرك فوق المياه بواسطة /٥٩/ نقالة برمائية مدرعة ـ وتمكنت هذه القوة من عبور الأهواد والمستنقعات وقامت بالنزول عند الحدود الشمالية من المعسكر ومهمتها دعم المظليين.

ـ نجحت القوات في تنفيذ مهمتها واستطاعت إنقاذ الأسرى ـ وعاد الجميع مع الأنصار والأسرى الذين تم تحريرهم ـ وقد تم قتل /٢٤٧/ يابانياً في هذه العملية أما خسائر قوات الهجوم فكانت زهيدة اقتصرت على قتيلين وأربعة جرحى.

ـ في مطلع شهر نيسان ـ وبينما كانت تجري العمليات في القسم الشمالي من «لوزون» أتيحت الفرصة مرة أخرى لفرقة المظليين الحادية عشرة لكي تستخدم طائرات «البير ـ كاب». فبينما كان الجنرال ـ قائد الفرقة يحلق بطائرته على بعد /٢٥/ ميلاً من رأس كتيبة الاستطلاع لاحظ وجود مهبط مهجور للطائرات، كان يستخدم في حالة الطوارىء. وعند ذلك هبط قائد الفرقة فوق أرض هذا المهبط. واتصل بأحد المواطنين «الفيليبينين» وقد أفاد المواطن «الفيليبيني» هذا بأنه من السهل الإستيلاء على ما يجاور المطار من أرض «لوزون» بمساعدة الأنصار ودعمهم ـ وفي مساء اليوم ذاته ـ قامت مجموعة طائرات المدفعية الفرقية ـ البالغ عددها /١١/ طائرة ـ بير ـ كاب بنقل فصيلة استطلاع الفرقة ووضعتها فوق أرض المهبط المهجور ـ وذلك بمهمة مفرزة استطلاع متقدمة ـ وتم لهذه الفصيلة احتلال المنطقة قبل هبوط الليل ـ وقد مكنت هذه العملية القوات الأرضية من القيام بتقدم سريع لمسافة /٢٥/ ميلاً بدون أن تضطر هذه القوات إلى استخدام نيرانها.

ـ في ٢٣ حزيران ١٩٤٥ ـ كانت عملية تطهير أرض جزيرة «لوزون» تسير إلى

نهايتها ـ وفي هذه الفترة قامت مجموعة تعبوية من الفرقة /١١/ بتنفيذ عملية إنزال المظليين قرب ميناء ـ آباري ـ وقد استخدم لإنزال المظليين /٥٤/ طائرة «داكوتا ـ ث ٤٧ ـ س» إلى جانب /١٣/ طائرة «كوماندو ـ ث ٤٦ ـ س» ـ بالإضافة إلى سبع طائرات شراعية.

ـ وكانت المدة الوحيدة التي تم فيها تنفيذ عملية بهذا الحجم ـ خلال فترة حرب ـ المحيط الهادي ـ تمكنت مجموعة المظليين هذه متعاونة مع الأنصار الفيليبينيين من الإستيلاء على الإقليم وتم لها ذلك بسرعة. وانضمت القوات الأرضية النظامية إلى المظليين ـ بعد ثلاثة أيام فقط، من الإنزال.

ـ إن الإيمان بفكرة استخدام النقل الجوي والاقتناع بأهميته وفوائده الكبرى لا سيما في إقليم يتميز بالصعوبة، إلى جانب التصميم على الاستفادة من هذه الوسيلة في كل صورها وجميع أشكالها قد مكنت قائد فرقة المظليين الأمريكية /١١/ من تنفيذ الكثير من هذه العمليات، ودلت على أن الخيال والحزم يتيحان تكليف الوحدات القيام بأشق المهمات والواجبات وأحوجها إلى الإقدام والجسارة، بأقل الوسائل والإمكانات.

إنه لأمر طبيعي جداً أن يقرر الجيش الروسي، وهو الجيش الذي يحتل مركز الريادة في كل مجالات المظليين وأعمالهم العسكرية، استخدام جميع الوسائل الممكنة، ومنها النقل الجوي، لدحر القوات الألمانية.

ـ في عام ١٩٣٠، تم تكوين سلاح المظليين الروسي.

ـ وفي عام ١٩٣٢، كان لدى الاتحاد السوفياتي عدد من ألوية المظليين، إلى جانب مدرسة تضم /٤٥٠٠/ مظلي.

ـ ومنذ عام ١٩٣٤، ابتدأ دعم هذه الألوية بأفواج من المدافع الرشاشة يبلغ تعداد أفرادها /٣٠٠/ مقاتل.

ـ وفي عام ١٩٣٨ كان هناك ما لا يقل عن أربعة ألوية يبلغ عدد أفراد كل واحد منها ألفا ومئتي رجل من المقاتلين المدربين.

ـ إن هذا التطور المنهجي المنظم قد جعل الجيش الأحمر قادراً على تشكيل ثلاثة فيالق يتألف كل منها من ثلاثة ألوية، بالإضافة إلى ثلاثة ألوية مستقلة خاصة.

ـ كانت الخطوط العريضة لهذا التطور معروفة تماماً من قبل جيوش الأقاليم الأوروبية الأخرى. ولقد انتقلت إليها هذه المعرفة عن طريق قائدين أحدهما إنكليزي وهو الجنرال «ويفل» والقائد الآخر الألماني وهو الجنرال «استيودنت» وكان هذا القائدان قد حضرا مناورة

للجيش السوفياتي تم فيها إنزال ألف مظلي على شكل إنزال إجماعي يهدف إلى احتلال أرض المطار والعمل كمقدمة لنقل عدة آلاف من وحدات المظليين المقاتلين ووضعهم فوق أرض المطار للقيام بالهجوم وقد كتب الجنرال «ويفل» معلقاً على هذه التجربة بقوله:

«لو لم أشاهد هذه العملية بعيني ـ لما صدقت إمكان تنفيذها»

ـ بعد ذلك بأقل من ست سنوات وفي شهر مايس عام ١٩٤١ ـ التقى مرة أخرى القائدان اللذان شهدا معاً مناورة «كييف» ـ ولكنهما وقفا في لقائهما هذه المرة متقابلين ـ إذ كان الجنرال «ويفل» يضطلع بمهمة قيادة جيش مسرح عمليات الشرق الأوسط الذي كان يضم إليه جزيرة «كريت» التي قام فيلق المظليين الألماني الحادي عشر بقيادة الجنرال «امشيتودنت» بغزوها.

ـ والهجوم عليها من الجو ـ.

ـ إن الغزو الألماني للاتحاد السوفياتي في حزيران عام ١٩٤١ ـ مزق الجيش الأحمر تمزيقاً عميقاً ـ ومنع أي استخدام ممكن لفيالق المظليين ـ ولألوية المظليين الخاصة وكانت هذه التشكيلات قد لقيت مصرعها بسرعة خلال المعارك الأرضية.. ولكن القيادة

السوفياتية ـ بدأت من جديد محاولاتها لاستخدام المظليين في المواقف المختلفة وذلك طوال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤١ وعام ١٩٤٥ ـ وكانت الأشكال الرئيسية التي تم تكليف المظليين للعمل في إطارها تنحصر بما يلي:

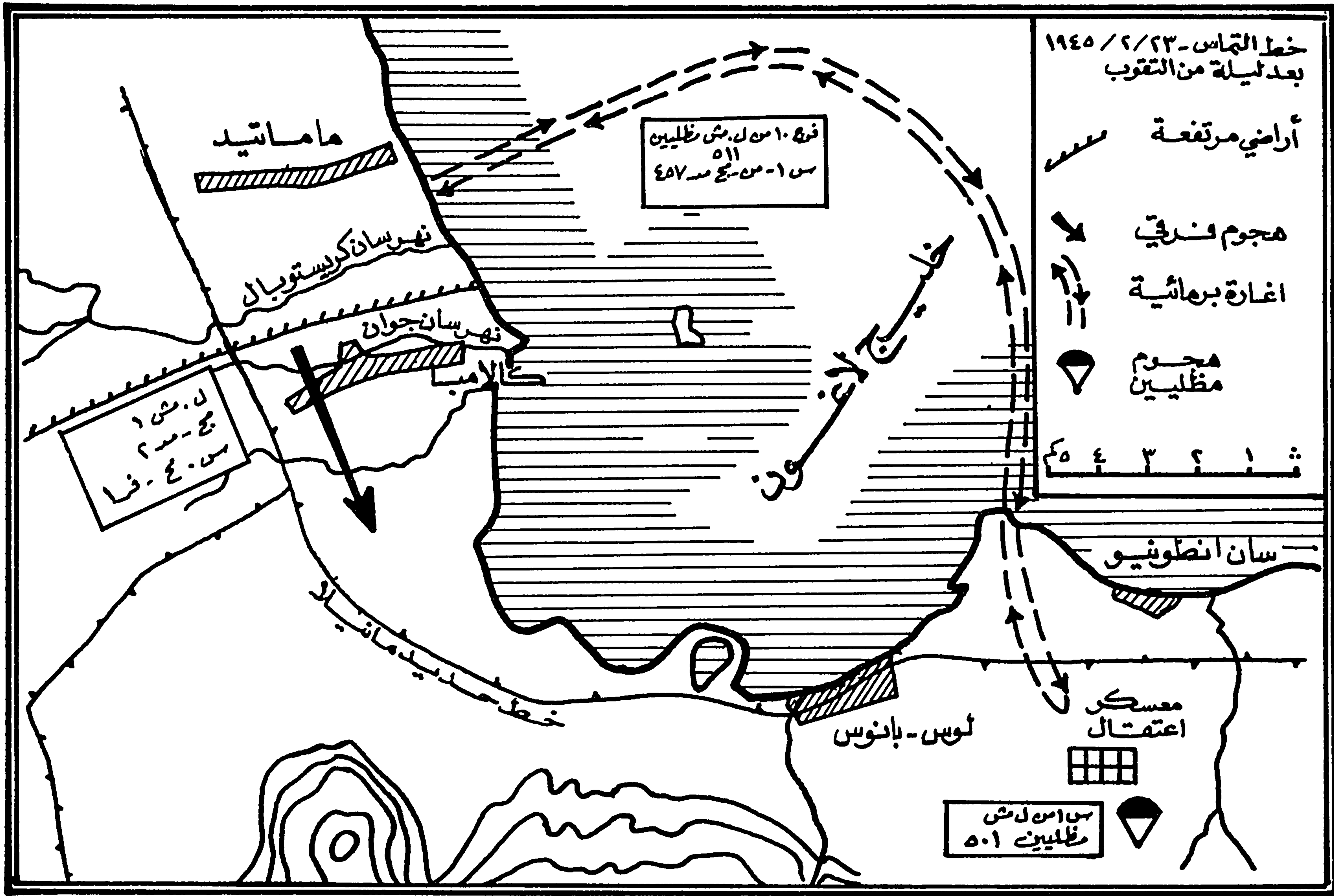
ـ تنظيم الأنصار ودعمهم وإمدادهم في مناطقهم القريبة من الألمان ـ.

ـ إختراق الثغرات أمام الوحدات الآلية ـ والتسلل إلى قلب مواقع العدو ـ واكتشاف الفجوات الموجودة في تنظيماته.

ومثالاً على ذلك: ـ

ـ في خريف عام ١٩٤٣ ـ كان الفيلق المدرع الألماني الثالث ـ يحتل قطاع «اورال ـ فيتوبسك» وقد أرسلت قيادة هذا الفيلق البرقية التالية:

«تتزايد التحركات في المناطق القريبة ـ ويقوم طيران العدو في الليل بجولاته على شكل مجموعات تزيد عن المئة طائرة ـ وذلك لدعم مناطق الأنصار الذين يحملون إسم «روذانو».



١٥ - الإغارة على لوس-بانوس ٢٣/ شباط ١٩٤٥

ـ كما عثر في وثائق الفرقة على عدد من التقارير التي تذكر بعض الحالات التي تم فيها إنزال ضباط من الأركان بالمظلات ـ وذلك لتوجيه مجموعات الأنصار ـ ومن بين هذه التقارير نطالع تقريراً يعود تاريخه إلى شهر نيسان عام ١٩٤٤ ـ وبه نقرأ ـ

«يتم إرسال الإمدادات للأنصار في كل ليلة تقريباً بواسطة العدد الكبير من الطائرات التابعة للقوات الجوية الحمراء وإن عدد من يتم إنزالهم في كل ليلة يزيد على ألفي رجل. كما وصل إلى «اوستاتشي» وهي منطقة عمل الأنصار ـ ضابط برتبة جنرال من رؤساء الأركان».

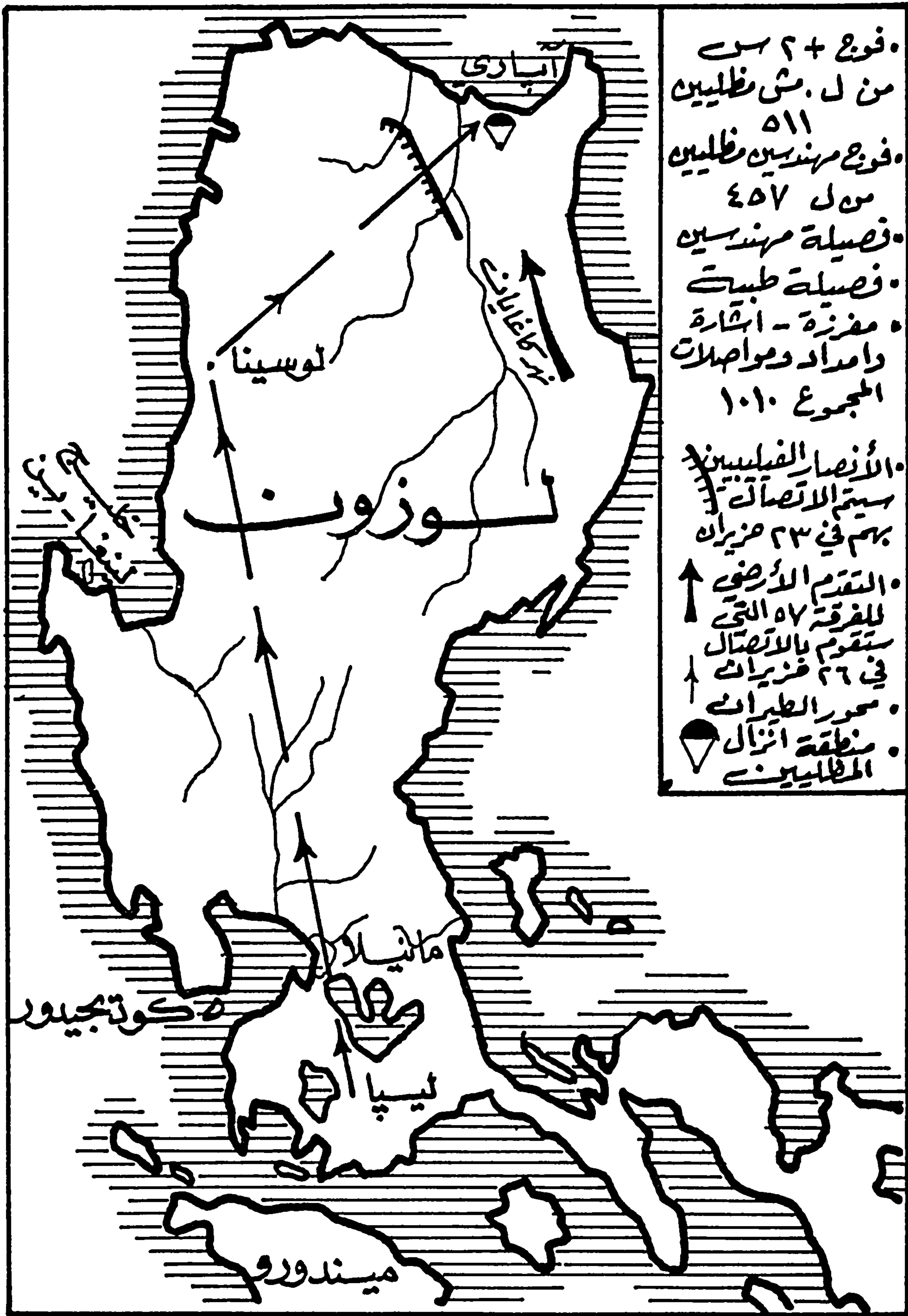
ـ عملت القيادة السوفياتية على استخدام المظليين أيضاً كطلائع متقدمة للقوات المدرعة وقد جاء ذكر ذلك في تقرير كان قد كتبه الماريشال «فون ـ مانشتاين» حيث قال:

«منذ نهاية شهر أيلول ١٩٤٣ ـ على وجه التحديد ـ وعندما بدأ الروس باستخدام القوة لاقتحام نهر «الدنير» وعبوره إلى الجنوب من «بيريا ـ سلاف» بواسطة أربعة فيالق مدرعة وفيلق مشاة آلية ـ تم إنزال عدد من ألوية المظليين عند الطرف الآخر من النهر ـ ولكن الهجوم الألماني المضاد ـ الذي ابتدأ في شهر تشرين الأول ـ نجح في تدمير هذه الألوية قبل أن تتمكن القوات المدرعة الروسية من الوصول إليها ـ وإجراء الاتصال بها».

ـ وقد تم استخدام هذا الأسلوب ـ على ما يظهر ـ في مرات كثيرة ـ وعلى مستويات من التشكيلات الهامة ـ وقد جاء ذكر ذلك في تقرير كانت قد وضعته قيادة فرقة المشاة الهنغاريين /١٦/ التي كانت تتمركز في مواقع دفاعية عند المنحدرات الشرقية «للكارباثيان» ويعود تاريخ ذلك التقرير إلى يوم ٥ آذار ١٩٤٤ ـ وبه نقرأ:

«في وقت مبكر جداً من الصباح وعندما كان الظلام لا يزال مخيّماً على الأرض قامت طائرة روسية بإنزال مفرزة من المظليين مكونة من ٢٥ مظلياً فوق منطقة «هوسنرت» وعلى أثر ذلك قامت قوة من الشرطة بحصار هذه المنطقة واشتبكت مع المظليين ومع العناصر المتعاونة معهم ـ إشتباكاً دامياً تحمل بنتيجته كلٌ من الطرفين خسائر فادحة وخلال فترة النهار ـ تمكنت قوات الشرطة من إعتقال الجنود الروس الذين كانوا يرتدون الثياب المدنية ـ وكانت مهمة هؤلاء تتلخص في القيام بالتسلل مع قوات الأنصار إلى أبعد مسافة ممكنة من «الكارباتيان» وذلك لاتخاذ الترتيبات اللازمة من أجل دعم تقدم طلائع الجيش الأحمر ـ التي كانت على بعد /٦٠/ ميلاً.

ـ كان على القيادة السوفياتية العليا أن تعكف بعد الحرب على دراسة هذه الأشكال المتنوعة والتجارب المختلفة واستخلاص الدروس الملائمة منها. ويظهر أن هذا النوع الذي



١٦ - عملية المظليين في « آباري » ٢٣ حزيران ١٩٤٥ .

يستهدف حشد الجهود والطاقات هو الذي تم استخدامه على نطاق واسع.

ويستطيع السوفييت أن يعملوا على استخدام التشكيلات الكبرى من المظليين وزجها في القتال كقوات متقدمة بمهمة مساندة الكتل المدرعة في عمليات الاختراق أو في الهجمات المضادة أو في استثمار النصر.

- إن كل ذلك ما يجب توقعه - ويمكننا أن نستخلص ذلك من مناورات قوات حلف وارسو التي تمت في عام ١٩٦٥ - والتي تم فيها استخدام المظليين على نطاق واسع.

في ربيع عام ١٩٦٥ - تحركت فرقة من المظليين عن طريق الجو - وانتقلت من روسيا إلى ألمانيا الشرقية.

- وفي مناورات الخريف لتلك السنة ذاتها - قامت الطائرات الروسية بنقل فرقة من المظليين البولونيين - وإنزالها فوق السهول الشمالية لأوروبة.

إن الجيش الأحمر الذي يمتلك عشر فرق من المظليين والذي يستند إلى مئات الألوف من الشبان والشابات ممن يزاولون رياضة القفز بالمظلة كهواية لهم - إن هذا الجيش - يستطيع أن يرسل إلى القتال التشكيلات الكبرى من المظليين المغاوير القليلة العدد - سواء كان ذلك في حرب ذرية أو في حرب ثورية أو شعبية.

- أتاح تحرير اليونان عام ١٩٤٣ - المجابهة بين المظليين البريطانيين والمظليين الألمان في شرق البحر الأبيض المتوسط.

- قررت القيادة البريطانية - احتلال جزيرة «كوس» في مجموعة جزر الأرخبيل - وذلك لإقامة قاعدة جوية متقدمة تقع على مسافة قريبة من القارة الأوروبية - وفي ليل ١٥ - ١٦ - أيلول عام ١٩٤٣، قامت سرية من فوج المظليين الثاني بالقفز فوق منطقة الإنزال التي كان قد تم تحديدها - ووضع الشارات المميزة لها بواسطة عناصر الاستطلاع الذين كانوا قد تسللوا إلى الجزيرة مستخدمين الزوارق المطاطية كوسيلة للتقرب من الشاطىء والنزول فوق أرضه. وكان ذلك قبل إنزال المظليين ببضعة أيام.

- لم يحاول أفراد الحامية الإيطالية البالغ عددهم أربعة آلاف مقاتل - إظهار أية مقاومة تجاه سرية المظليين - بل على النقيض من ذلك، فقد عملوا على مساعدتهم في جمع معداتهم وأسلحتهم الثقيلة.

ـ ولكن رد الفعل الألماني الشرس من ناحية. وقلة عدد أفراد الوحدة البريطانية من الناحية الأخرى ـ أجبرا المفرزة المذكورة على الانسحاب عن طريق الجو بواسطة طائرات «الداكوتا» وكان ذلك في ليل ٢٥ أيلول ـ.

ـ قام الألمان بعد ذلك ـ بالهجوم على جزيرة أخرى من جزر (الدود يكانيز) وهي جزيرة «ليروس» التي كان يدافع عنها حوالي الثلاثة آلاف بريطاني ـ والستة آلاف يوناني وإيطالي.

ـ في يوم ١٢ تشرين الثاني ـ وبينما كانت يقظة الحامية المدافعة عن الجزيرة «ليروس» تتركز على أرض الشاطىء التي تعرضت للهجوم البرمائي، إذ بهذه الحامية تفاجأ عند الظهر بإنزال فوج من المظليين الألمان الذين قاموا بالقفز فوق قلب الجزيرة وبذلك وقعت الفوضى في تنظيم الجهاز الدفاعي للجزيرة بأكمله. وبعد مرحلة من القتال المرير إضطر البريطانيون إلى الاستسلام وكان ذلك في يوم ١٦ تشرين الثاني ـ وبعد هذه العملية لم يعد بإمكان البريطانيين تنفيذ مخططهم الذي كان يهدف لإنزال فوج المظليين البريطاني (٢١) فوق أرض الجزيرة ذاتها بعد أن يتم إقلاعه من «قبرص».

ـ تمسك البريطانيون بعنادهم ـ على الرغم من ذلك ـ وبقي تحرير اليونان واحداً من أهدافهم الستراتيجية ذات الأهمية الثانوية ـ وتم لهم تحقيق هذا الهدف في خريف عام ١٩٤٤.

ـ كان لواء المظليين الثاني للقوات البريطانية ـ مكوناً من أفواج المظليين الرابع والخامس والسادس ـ وقد اشترك هذا اللواء مع قوات الحلفاء بالإنزال الذي تم تنفيذه في ١٥ آب ـ فوق أرض جنوب فرنسا ـ وكانت مهمة اللواء القيام بالإنزال فوق الأراضي المحيطة بقرية «ماى».

ـ بعد تنفيذ هذه المهمة تم إرجاع هذا اللواء إلى «بارى» وذلك بهدف الاستعداد لتنفيذ عملية «مارينا» وهي عملية إنزال المظليين في اليونان.

ـ في شهر أيلول ـ كان قد تم إنزال مفرزة للإشارة ـ ومفرزة لتعليم الأرض.

ـ في يوم ١٢ تشرين الأول ـ قام لواء المظليين الثاني بالقفز فوق «ميجارا» وهو مطار «اثينا» وتمكنت قوات هذا اللواء من احتلال المدينة على الفور وبدون أن ـ تستخدم أسلحتها لإطلاق أية طلقة.

ـ في هذه الفترة ـ كانت القوات الألمانية تتراجع بصورة تامة عبر الجبال

اليوغسلافية ـ ولذا فإنها لم تكن لتشكل أي خطر يتهدد المظليين، ولكن الخطر ظهر مباغتة عن طريق الأنصار اليونانيين الذين كانوا يحملون اسم «ايلاس» ـ وبعد اشتباكات دامية في أماكن مختلفة من «اثينا» و«سالونيك» إضطر البريطانيون إلى إعلان حالة حرب حقيقية صد منظمات «إيلاس» وكان ذلك في يوم ٧ ـ كانون الأول. . . ولكن إعلان هذه الحرب جاء من طرف البريطانيين فقط ـ بينما بقي الأميركيون في موقف الحياد من هذا الصراع ـ وكان ذلك مما أضاف مزيداً من الغموض على الموقف.

ـ شهدت أثينا بعدئذٍ المعارك الرهيبة فيما بين المظليين البريطانيين والقوات المدرعة من جهة وبين الأنصار اليونانيين من جهة أخرى ـ ولم تتوقف هذه المعارك حتى يوم ٧ كانون الثاني ١٩٤٥ ـ حيث تم دحر الأنصار ـ بعد سلسلة من الإشتباكات أوقعت في كل طرف من الطرفين المتحاربين الخسائر الفادحة ـ.

أثبت المظليون في هذا الصراع ـ وفي معاركهم التي تمت فوق مناطق واسعة ـ قدرتهم على التدخل بسرعة ـ وإن لدى وحداتهم على الرغم من قلة عددها ـ الإمكانات الكافية لتحقيق الأهداف الستراتيجية والسياسية ـ ولها القدرة أيضاً على الاحتفاظ ـ بهذه الأهداف. كما أثبتت عمليات نقل الوحدات جواً فائدتها في تجنب الطرقات البحرية المحفوفة بالأخطار في حالة الحرب.

ـ يجب أن تتوافر الجرأة لمن يريد أن يستخلص دروساً دقيقة ـ من خلال هذا العدد المحدود من عمليات المظليين التي تم وصفها بإيجاز كبير ـ والتي لم يعرف كل شيء عنها حتى الآن. ولكن هذه الأمثولات على قلتها ـ تتيح لنا تكوين فكرة تشمل العدد الكبير من العمليات التي قامت بتنفيذها مجموعات من السرية حتى اللواء المدعوم ـ وإن هذه العمليات على درجة من الأهمية والفائدة لا تقل في أهميتها وفائدتها عن تلك العمليات الكبرى المعروفة جيداً والتي تم فيها زج فرقة أو عدد من فرق المظليين مما شهدته الحرب العالمية الثانية.

ـ إن الظواهر المشتركة لهذه العمليات جميعاً ـ هي حدوثها فوق مساحات شاسعة من الأرض ـ وإن هذه الظواهر ستفرض ظلالها على جميع الميزات العامة لأي حرب قد تقع غداً فوق أية بقعة من سطح الكرة الأرضية. وإن بعض الحدود التي تقف الآن في وجه عمليات المظليين ـ بصورة عامة ـ سوف تصبح في الغد أقل مقاومة وذلك عندما يتطلب الأمر استخدام الوسائل الأكثر تواضعاً لتنفيذ المهمات الأكثر خطورة ـ.

ـ إن مثل هذه الحدود التي تعترض مسيرة العمليات أثناء السلم ـ قد اعترضت سبيل العمليات أثناء الحرب ـ ولكن ظروف القتال أجبرت القادة على تجاوز هذه الحدود وها هي

بعض الأمثلة عنها:

ـ إن الحاجة للوقت شيء أساسي في إعداد عمليات المظليين، ولكن عندما لا يتيسر الوقت اللازم، كيف يتم العمل؟.

ـ كانت فرقة المظليين الأميركية /٨٢/ تتمركز في «صقيلية».

ـ في الساعة ١٣,٣٠ ـ من يوم ١٢ أيلول ـ تم استنفار هذه الفرقة.

ـ عند منتصف الليل تم إنزال الفرقة خلف الخطوط الدفاعية الألمانية «وفوق ساليرن» مباشرة.

ـ مع شفق فجر يوم ١٣ أيلول تم إنزال مجموعة تعبوية أخرى مكونة من لواء المشاة المظليين /٥٠٤/ وسرية مهندسين ـ وذلك على بعد مسافة مئة وثمانين ميلاً إلى الخلف من الخطوط الدفاعية.

ـ وفي ليل ١٣ ـ ١٤/ أيلول ـ تم إنز ال مجموعة تعبوية ثانية ـ مكونة من لواء المشاة المظليين /٥٠٥/ وسرية مهندسين ـ وقد بدأت هذه المجموعة عملياتها في صباح يوم ١٤ أيلول.

ـ ومثال آخر: ـ

ـ لقد كانت هناك ضرورة لاستكمال دراسة منطقة الإنزال ـ والحصول على الوثائق المتعلقة بها ـ ولكن ضرورات تنفيذ العملية بشكل عاجل ـ لم تمكن من ذلك ـ فكيف يتم العمل؟.

ـ في عام ١٩٤٢ ـ كان رجال لواء المظليين البريطاني الأول يمتطون طائرات «الداكتوتا» التي أخذت تشكيلها في الجو على شكل رتل أحادي ـ كان قائد اللواء يمتطي الطائرة الأولى. وكان يقوم بدراسة الأرض وتمييزها ـ وقد قام باختيار ـ الأرض المناسبة للقفز ـ ثم قام بالقفز كأول منفذ للعملية ـ وتبعه الباقون ـ وكانوا مثله يجهلون كل شيء عن المنطقة ـ ذلك لأنه لم تتوافر لهم معرفة منطقة الإنزال بصورة مسبقة.

ـ إن هذه الأمثلة الواضحة ـ لا يمكن تطبيقها إلا في حالة الحرب ـ عندما يكون الصراع منتشراً فوق آلاف الأميال المربعة ـ وفي المناطق المعروفة باسم «المساحات الواسعة والخالية من العدو».

ـ ولكن لنتخيل ما يحدثه الهجوم الباغت الذي تقوم به تشكيلات المظليين والذي

كان يتم تنفيذه حتى الآن بالمظلة والذي سيتم تنفيذه غداً بالطائرة العامودية «الهيليكوبتر» عندما تصبح هذه المركبة أكثر كبراً بحجمها وأكثر قدرة على الوصول إلى مسافات بعيدة.. أو عندما سيتم استخدام تشكيلات الطائرات المتحولة وحالما يصبح هذا الشكل من طائرات النقل جاهزاً للعمل.. ذلك لأن هذه الطائرات ستصبح بعد أن يتم تطويرها - مشتملة على ميزات الطائرات العادية - وعلى ميزات - الطائرات العامودية - وستكون النتيجة - التدمير السريع للعدو الذي أذهلته المباغتة بالإضافة إلى التأثيرات النفسية الملائمة لترويع الشعب.

إن الاستعداد الدائم الذي تتميز به وحدات المظليين - وتفوقهم كمقاتلين يتم إعدادهم بمهارة نظراً لقلة عددهم. سيجعلانهم أهلاً للمحافظة على تقاليدهم.

وإن هذه الوحدات ستبقى محافظة على مكانتها - كوحدات هجومية جريئة وكقوات مدربة تدريباً عالياً - يقودها ضباط يتميزون بالحزم وسعة الأفق وهم على استعداد دائم ولديهم الإرادة الصلبة للقيام بتنفيذ أية مهمة والاضطلاع بأعباء كل مهمة.

الفصل العاشر

حرب أنصار وتحرك جوي
١٩٤٠ - ١٩٤٥

في الحرب العالمية الثانية ومن عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٥ تم نقل - ٦٧٠٠٠ - رجل، عن طريق الجو، كما تم نقل - ٤٢,٨٠٠ - طن من الإمدادات، وأمكن وضع ذلك في قلب القارة الأوروبية التي كان يحتلها العدو. وبفضل هذه المرونة الجوية، تغير مظهر الحرب التخريبية في عصرنا واختلف عما كان عليه في الزمن القديم. وقد أثبت النقل الجوي أهمية كبيرة جعلته ظاهرة مميزة من ظواهر الحرب العالمية الثانية. وكانت مظاهر إشتراك الطائرات متعددة ومتنوعة، فقد ساهمت الطائرة في دعم قتال المدرعات كما حملت أعباء عمليات المظليين، إلى جانب قيام الطيران بقذف القنابل على الأهداف السوقية، ودعم الهجمات البرمائية. وأخيراً كانت الطائرة الوسيلة التي استخدمت لإلقاء القنبلة الذرية.

- ولنذكر الآن بعضاً من الحقائق والصور المتعلقة بهذه الحرب وتقويتها عن طريق الجو، والتي كتب عنها الكثير. ولكن، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يعرف عنها إلا القليل من الحقائق. لذلك سنحاول التركيز على بعض الأفكار التي ستبقى محتفظة بأهميتها بالنسبة للمستقبل وهو مستقبل تدل بوادره على أنه سيكون مميزاً بحروبه الموضعية، ومعاركه التخريبية المتنوعة والمتعددة، والمتزايدة أكثر فأكثر.

١ ـ أوروبا الغربية:

ـ في شهر تموز من عام ١٩٤٠، تم في إنكلترا تكوين وحدات العمليات ـ الخاصة وتنظيمها لدعم أي حرب تخريبية، وأي عمليات تدميرية ممكنة ضد العدو فيما وراء البحار.

ـ وبما أن أنظار قوات العدو الألمانية، ومراقبتها الدقيقة كانت تتركز على شواطىء أوروبا كلها، فقد كاد يكون من المستحيل الوصول إلى داخل البلاد المحتلة إلا عن طريق الجو.

ولذلك، تم تكليف سرب خاص من طائرات «الليزاندر» للقيام بهذه المهمة. وتتميز طائرة «الليزاندر» هذه بأنها طائرة خفيفة، ذات محرك واحد، وبها مقعدان فقط.

ـ في شهر آب عام ١٩٤٠، تم وضع سرب طائرات «الليزاندر» تحت تصرف منظمات وحدات العمليات الخاصة. وابتدأت هذه الوحدات بتنفيذ مهماتها في الوصول إلى فرنسا. واستمرت في ذلك طوال فصل شتاء عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١.

ـ في شهر آذار أعيد تنظيم الطائرات وأصبحت على شكل مجموعة تضم نموذجين من الطائرات.

ـ النموذج الأول: طائرات من قاذفات القنابل المعدلة، ويبلغ عددها خمس عشرة طائرة.

ـ النموذج الثاني: طائرات «الليزاندر» البالغ عددها عشر طائرات.

ـ وفي هذه الفترة، تم تنفيذ شكلين من أشكال العمليات:

ـ الأول: إنزال الأشخاص والإمدادات بالمظلات، وذلك بواسطة قاذفات القنابل المعدلة.

ـ الثاني: وهو نقل الأشخاص والمعدات وإعادتهم إلى انكلترا، بعد تنفيذ عملية سرية، بواسطة طائرة «الليزاندر».

ـ أخذت هذه الجولات والمغامرات التي بدأت في فرنسا، تمتد اعتباراً من عام ١٩٤٢، لتصل إلى بولونيا، وتشيكوسلوفاكيا، واليونان، ويوغسلافيا. ويعود الفضل في هذا التطور والتوسع إلى تكوين وحدة جوية ثانية، ووضعها فوق أراضي مصر وليبيا.

ـ ويمكن إدراك هذا التطور السريع في استخدام الأسلوب الجديد في الحرب، من خلال مراجعة عدد المهمات التي قامت الطائرات بتنفيذها بنجاح في فرنسا وحدها:



فيينا
النمسا
بودابست
هنغاريا
رومانيا
بلوستي
بوخارست
بلغراد
بلغاريا
صوفيا
كوبريس
فيس
فوغيا
باري
نابولي
تارنت
برنديزي
ايطاليا
اليونان
اثينا
بلاد البلقان ١٩٤٤
أوربا المحتلة
المطارات الرئيسية
للانطلاق في تنفيذ المهمات
الخاصة في البلقان

ـ ٢٢ مهمة في عام ١٩٤١، ٩٣ مهمة في عام ١٩٤٢، ٦١٥ مهمة في عام ١٩٤٣، أمكن بواسطتها نقل ٥٧٨ طناً من الإمدادات، ٢٩٩٥ مهمة في عـام ١٩٤٤ أمكن بواسطتها نقل ٥١٢٢ طناً من الإمدادات.

ـ وبهذه الوسيلة تم إمداد مجموعات الأنصار المتمركزين في الآلب وفي شمال فرنسا بالأسلحة الآتية وهي:

ـ عشرة آلاف رشاش «ستين»، ألفان وستمائة مسدس، عشرون ألف قنبلة يدوية ثمانية عشر طناً من المتفجرات. وذلك في الفترة الواقعة ما بين آب وأيلول من عام ١٩٤٣.

ـ وهكذا أخذت «وحدات العمليات الخاصة» على عاتقها مهمة إرسال عملائها إلى داخل البلاد التي يحتلها العدو، وهم يرتدون ثيابهم المدنية، لتنفيذ واجبات جمع المعلومات العسكـرية أو السيـاسية أو الاقتصـادية. أو للقيـام بأعمـال تدريب وحـدات الأنصار وتوجيهها.

ـ وإلى جانب المنظمة الآنفة الذكر تم تشكيل منظمة أخرى حملت اسم «المهمات الجوية الخاصة».

وكانت هذه المنظمة مكونة من المظليين العسكريين، الذين يقومون بعملياتهم وهم في ثيابهم العسكرية. وكانت المنظمة تضم في صفوفها الرجال من كل الجنسيات وقد تم تخصيصهم بصورة طبيعية للتعاون مع العناصر الثورية «الماكي». وكان منهم «لواء المظليين الفرنسيين» الذي كان يتمركز في عام ١٩٤٤، فوق أرض إقليم «بريطانيا» من فرنسا. كما كانت منظمة «المهمات الجوية الخاصة» تقوم بأعمال القتال كـطلائع متقـدمة للقـوات الأرضية. وكان هناك فوجان من المظليين الفرنسيين، يعملان في تنفيذ هذه المهمة، أثناء تحرير هولندا، في نيسان من عام ١٩٤٥.

ـ في خريف عام ١٩٤٣، تم دعم منظمة «المهمات الجوية الخاصة» التي كانت متمركزة فوق أرض انكلترا، بمجموعة من قاذفات القنابل «استيرلينغ» بينما تمركز سرب آخر من هذه الطائرات فوق قاعدة مطار «بليدا» في الجزائر. وفي الوقت ذاته، تم تخصيص عدد من الطائرات الأمريكية، للمساهمة في تنفيذ عمليات تلك «المهمات الخاصة».

ـ في عام ١٩٤٢ انتهى العمل من تنظيم «مكتب المهمات الاستراتيجية» في انكلترا، كما نظمت أمريكا مكتباً مماثلاً له، ثم نظم مكتب «العمليات الخاصة» في لندن. وبعد ذلك تم تكوين «قيادة القوات الخاصة» بإشراك ضباط بريطانيين وأمريكيين وضعت على

عاتقها مسؤولية عمليات المقاومة في أوروبا الشرقية، وكان تحت تصرف هذه القيادة الوسائل الجوية اللازمة لتنفيذ المهمات.

- في ليل ٤ - ٥ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، ابتدأت المساهمة الأمريكية تأخذ دورها لتنفيذ المخطط الذي كان يحمل الاسم الاصطلاحي «السجادة». وجاء هذا الاسهام عن طريق استخدام القلاع الطائرة من قاذفات القنابل «ب - ١٧» وطائرات التحرير «ب - ٢٤» إذ أمكن نقل كمية كبيرة من الإمدادات اللازمة للعملية، وقد استمر سيل الإمدادات عن طريق الجو من كانون الثاني عام ١٩٤٤ إلى أيار ١٩٤٥، وبذلك تم تسليم الوحدات المقاتلة ما يلي:

٢٠,٤٩٥ عبوة، ١١,١٧٤ صندوقاً، ١٠٠٠ مقاتل. تم إنزال الجميع بواسطة المظلات، مما اضطر الطائرات إلى القيام بـ ١٨٦٠ طلعة، حالفها النجاح من أصل مجموع الطلعات البالغ عددها ٢٨٥٧ طلعة. وتم تنفيذ الجهد الأقصى في شهر آب عام ١٩٤٤، بإنزال ٤٦٨٠ عبوة و ٢٩٠٠ صندوق، بالإضافة إلى ٦٢ مقاتلاً. وكل ذلك فوق أرض فرنسا.

- كانت الفرقة الجوية الثالثة، من القوة الجوية الثامنة الأمريكية تتمركز فوق القواعد البريطانية.

- قامت وحدات هذه الفرقة بتنفيذ أربع عمليات للإمداد الجوي لمساعدة المقاومة الفرنسية. وتم تنفيذ هذه العمليات في وضح النهار، وفوق المناطق التي كانت تحتلها القوات الألمانية. وقد أخذت هذه العمليات أسماء إصطلاحية وتم تنفيذها كالتالي:

- عملية «زيبرا» تم تنفيذها في ٢٦ حزيران عام ١٩٤٤، واشتركت فيها ١٨٠ طائرة - ب ١٧ س - لإنزال - ٢٠٩٧ - عبوة فوق أربع مناطق للإنزال تقع في وسط فرنسا.

- عملية «كاديلاك» تم تنفيذها في ١٤ تموز عام ١٩٤٤، واشتركت فيها - ٣٢٢ طائرة ب - ١٧ س لإنزال - ٣٧٨٠ - عبوة فوق سبع مناطق للإنزال تقع في وسط وشرق فرنسا.

- عملية «بويك» تم تنفيذها في - ١ - آب عام ١٩٤٤، واشتركت فيها ١٩٢ - طائرة ب - ١٧ س لإنزال - ٢٢٨١ - عبوة، فوق أربع مناطق للإنزال تقع في وسط فرنسا وفي جبال الألب.

- وأخيراً تم تنفيذ عملية رابعة في ٩ أيلول عام ١٩٤٤ - واشتركت فيها - ٧٢ - طائرة ب - ١٧ س لإنزال - ٨١٠ - عبوات في منطقة إنزال تقع إلى الجنوب من «بيزانسون».

ـ وخلال الفترة ذاتها، تم إرسال ـ ٥٧٨ ـ من العملات، إلى جانب إنزال ـ ١٩٠٠ ـ طن من الإمدادات، وتم نقل الجميع من الجزائر إلى جنوب فرنسا.

ـ وفي ليلة واحدة هي ليلة ـ ١٢ ـ ١٣ تموز، أي قبل إنزال الحلفاء في إقليم «بروفانس» قامت الطائرات بنقل ـ ١٨ ـ عميلاً و ـ ٣٢ ـ طناً من الإمدادات و ٢٥٠,٠٠٠ ـ منشور دعائي. وتم إنزال الجميع فوق أرض فرنسا.

ـ على الرغم من المسافة الطويلة التي كان على الطائرات أن تجتازها للوصول إلى بولونيا، والبالغة ١٧٥٠ ميلاً، تم تنفيذ سلسلتين من العمليات الخاصة التي يمكن تمييزها بوضوح.

ـ كان الألمان قد قاموا بتجربة إطلاق صواريخ «ف ـ ٢» التي كانت معلومات الحلفاء عنها غير كافية. وقد تمكن الأنصار البولونيون من جمع عدد من قطع هذا الصاروخ. وقامت طائرات الداكوتا ذات المحركين والقادرة على نقل ٣ أطنان من الحمولة، وهبطت فوق الأراضي البولونية، وعملت على حمل القطع مع بعض العناصر، وعادت بالجميع إلى قواعد الإنطلاق. كذلك نفذت ثلاث عمليات خاصة في ظروف مماثلة.

ـ في «١» آب عام ١٩٤٤ اندلعت نيران ثورة «وارسو». وخلال فترة هذه الثورة أجريت محاولات عدة لإرسال الإمدادات. وفي ليل ٨ ـ ٩ آب، تم تنفيذ إحدى هذه المحاولات. وفي الفترة الواقعة ما بين ١٢ ـ ١٧ آب بلغت عمليات إرسال الإمدادات ذروتها، ولكن الخسائر المتزايدة التي نزلت بالطائرات (أسقط ١٧ طائرة من أصل ٩٣ طائرة) جاءت لتضع حداً لمثل هذه المغامرات، واقتصرت العمليات بعد ذلك على إرسال المتطوعين الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى بولونيا في ليل ٢٦ و٢٧ آب عام ١٩٤٤، والذين اضطروا إلى العودة بطائراتهم، بعد أن حلقوا فوق «وارسو» التي كانت خلال الليلتين المذكورتين فريسة للنيران الملتهبة.

٢ ـ البلقان

في ١٤ شباط ١٩٤٤، صرح رئيس وزراء بريطانيا، ونستون تشرشل بأن جيش الأنصار اليوغسلافيين، قد تمكن من تجميد /١٤/ فرقة ألمانية على الأقل، إلى جانب ست فرق بلغارية، وعدد كبير من الوحدات التابعة للأقاليم الأخرى والعاملة مع القوات الألمانية.

وكان يجب زيادة قدرات هذا الجيش وإمكاناته عن طريق دعمه بالأفراد والمعدات التي يتم إرسالها جواً إلى يوغسلافيا.

ـ منذ مايس ١٩٤٠، بدأت طائرات «ليبراتور» المتمركزة الإقلاع من قواعدها في مصر، لنقل الإمدادات وإنزالها في أيدي عناصر المقاومة اليوغسلافية.

ـ في آذار من عام ١٩٤٣ قام سرب من قاذفات القنابل «هاليفاكس» بالمساهمة في عمليات الإمداد هذه. وكان لزيادة المجهود الجوي دوره في إمكان تنفيذ المهمة العسكرية، والتي تضمنت إنزال قوات للمظليين بقيادة الجنرال الانكليزي «فيتزورى ماكلين» وذلك للعمل تحت قيادة الماريشال «تيتو».

ـ في ٢٣ شباط ١٩٤٤، إنضمت بعثة سوفياتية تتألف من ٢٣ ضابطاً، إلى القوات التي سبق التحاقها بالمقاومة اليوغسلافية، وكانت هذه الإرسالية مكونة من ٢٣ ضابطاً روسياً و٦ ضباط بريطانيين، وتم نقل الجميع بواسطة ثلاثة طائرات شراعية إنكليزية.

ـ في حزيران من عام ١٩٤٤، تم تكوين قوة جوية خاصة حملت اسم «قوات البلقان الجوية» وتعيين ماريشال الجو «يواليوت» قائداً لها. واتخذت قيادة هذه القوات مع وحداتها من قاعدة «بارى» في إيطاليا مقراً لها.

ـ كانت مهمة هذه القوات مزاولة العمليات الجوية التابعة لمسرح عمليات «البلقان» وتنظيم التعاون بين جميع عمليات الإنزال الجوية والبحرية في مرحلتي التخطيط والتنفيذ وكانت هذه القوات تضم إليها الكثير من العناصر المختلفة كالبريطانيين، وعناصر من أفريقيا الجنوبية، والأمريكيين، والروس، واليوغسلافيين، والبولونيين، واليونانيين، والإيطاليين أما الطائرات التي كانت تستخدمها هذه المجموعة فتتألف من مجموعتين من القاذفات الخفيفة ومجموعة من طائرات «العمليات الخاصة» وتضم إليها /٥٠/ طائرة داكوتا ث٤٧ إلى جانب /٤٠/ طائرة إيطالية نموذج «كانت ١٠٠٧ ـ س» بالإضافة إلى عدد من الطائرات الأمريكية نموذج ث ـ ٨٢ س. وقد تم توزيع هذه الطائرات على ست قواعد جوية تقع في جنوب شرق إيطاليا كما كانت لهذه القوة قاعدة متقدمة، ومركز للمراقبة الجوية، في جزيرة من الجزر القريبة من الشواطىء اليوغسلافية. وفي حزيران من عام ١٩٤٤، إنضمت إلى هذه القوة مجموعة روسية مكونة من ثمانين طياراً وملاحاً، ومعهم /١٢/ طائرة داكوتا، و/١٢/ طائرة «ياك».

ـ يتميز مسرح عمليات «البلقان» بظواهر خاصة، وهو إنه يشغل مساحة واسعة من الأرض تغطيها سلسلة من الجبال الصعبة، كما أن قوات العدو التي كانت تحتل مسرح

العمليات هذا، تعتبر على درجة من الضعف نسبياً. وكانت التحركات الجوية التي أمكن تنفيذها تتم بعيداً عن مراقبة العدو.

ـ إستفادت القوات الجوية من هذا الوضع القائم. للقيام بعمليات الإنزال السرية وقد أمكن استخدام /٣٦/ مطاراً. في يوغسلافيا ذاتها، لنقل ألفين وخمسمائة مقاتل ووضعهم داخل الإقليم، كما تم إخلاء، تسعة عشر ألف مقاتل من جرحى الأنصار، ـ ونقلهم إلى خارج الإقليم، وذلك علاوة على توفير الإمداد بكمية /١٦,٤٠٠/ طن، وقد تم إنزال هذه الكمية بالمظلات، أو بواسطة الطائرات التي كانت تستطيع الهبوط إلى الأرض.

ـ والمثال الآتي يوضح مدى تأثير النقل الجوي في عمليات المقاومة اليوغسلافية ودوره فيها:

ـ في ٢٥ مايس ١٩٤٤، بدأ هجوم الألمان الأرضي، وهجوم مظلييهم، على مركز قيادة «تيتو» في «درافار». وخلال الأسبوعين اللذين أعقبا بداية هذا الهجوم قامت مقاتلات، وقاذفات قنابل «قوات البلقان الجوية» بالإغارة على القوات الألمانية وبلغ عدد هذه الإغارات ألف غارة، كما قامت مفرزة بريطانية من مفارز مراقبة المطارات وهي المفرزة الثانية «لقوات البلقان الجوية» وبدأت بتنظيم مهبط للطائرات، ثم قامت بعد ذلك بتوجيه طائرات النقل وقيادتها إلى أرض هذا المهبط. وفي ليل ٣ ـ ٤ حزيران أقلعت من هذا المطار طائرة داكوتا يقودها ملاحون سوفييت وكان على متنها الماريشال «تيتو» حيث تم إبعاده عن «كوبرز» بينما قام الطيارون الأمريكيون بنقل عناصر قيادة «تيتو» البالغ عددهم /٧٤/ رجلاً، بالإضافة إلى /١١٨/ جريحاً تم إخلاؤهم، ونقلهم إلى «بارى» في إيطاليا.

ـ وهناك مثال آخر يوضح أهمية المجهود الجوي في عمليات المقاومة اليوغسلافية.

ـ كان متوسط عدد الطائرات التي تحلق في كل ليلة فوق يوغسلافيا، يقارب الثلاثين طائرة وذلك طوال الفترة الواقعة ما بين شهر نيسان، وشهر تشرين الأول من عام ١٩٤٤، وكانت هذه الطائرات تقوم بنقل الإمدادات أو إنزالها بالمظلات لدعم المقاومة اليوغسلافية.

ـ في شهر آب ١٩٤٤. تم نقل /٢٤/ بغلاً مع /١٢/ مدفعاً من عيار ٧٥ مم والهبوط في منطقة «مونتينيغرو».

ـ وفي يوم ٢٣ آب وحده قامت طائرات الداكوتا التي كان يقودها طيارون بريطانيون وأمريكيون وسوفييت، وعملت على نقل /١٠٥٩/ جريحاً من الأنصار، و/١٦/ من لقوات الجوية للحلفاء، و/٣/ من أفراد مفارز أنصار الحلفاء، وقد تم نقلهم جميعاً من

منطقة «بريزنا» بعيداً عنها.

- في يوم ٢٥ آذار ١٩٤٥، وخلال فترة ٢٤ ساعة فقط تمكنت طائرات الداكوتا من نقل /٢٠١٤/ لاجئاً يوغسلافياً من المنطقة التي كانت لا تزال تحت السيطرة الألمانية.

- لم تقتصر هذه الإمدادات على مساعدة الأنصار اليوغسلافيين، بل تجاوزت - ذلك، فشملت اليونان التي تسلمت /٢٧٠٠/ طن من الإمدادات، وألمانيا التي تسلمت /١٣٢٠/ طناً كما أن عمليات الأنصار في شمال إيطاليا تطلبت إرسال /٦٥٠٠/ طن من الإمدادات.

- في صيف عام ١٩٤٤ تم تنفيذ عملية جوية ذات طابع خاص، وهي من العمليات النادرة، وكان هدفها إنقاذ مجموعة من أسرى الحرب.

- كان قد تم إلقاء /١٣,٥٠٠/ طن من القنابل فوق حقول النفط الرومانية في «بلوستي» ولكن هذه الإغارات الجوية تسببت في سقوط /٣٥٠/ طائرة من قاذفات القنابل، فوقع في أيدي الألمان ما يزيد على الألف طيار وملاح من القوات الجوية الأمريكية وقد وضعت القيادة الألمانية هؤلاء الأسرى في معسكر للاعتقال قريباً من بوخارست.

- في صيف عام ١٩٤٤، ابتدأت رومانيا، بتغيير موقفها من الحرب. وعلى أثر ذلك قام طيار روماني بالفرار على طائرة ألمانيا مقاتلة نموذج «م أو ١٠٩» وكان معه على متن الطائرة ذاتها عقيد أمريكي من الأسرى - وتمكن الإثنان من الوصول إلى قواعد الحلفاء في إيطاليا، وفي جعبتهما، المعلومات الهامة التي نظمت بعد ذلك على أساسها العملية المعروفة باسم «اللقاء» والتي تم تنفيذها كالتالي:

«أقلعت /٥٦/ قاذفة قنابل نموذج «ب ١٧» تابعة لمجموعة القوات الجوية الخامسة عشرة. ومعها وحدات مدربة ومجهزة بصورة خاصة، ثم هبطت في «بوبيستي» القريب من «بوخارست» وتمكنت من إنقاذ /١١٧٢/ أمريكياً ما بين طيار وملاح ونقلهم جميعاً.

- وقليلون جداً، هم القادة العسكريون والمفكرون - الذين تخيلوا قبل الحرب العالمية الثانية - الدور الذي يمكن أن تقوم به التحركات عن طريق الجو - في مساعدة الحرب غير النظامية، وبما أن هذه الوسائل والأساليب لم تكن معروفة آنذاك، فلم يهتم أحد بمثل هؤلاء.. لكن مهما كان الأمر. فإن العمليات المذكورة قد لقيت ما تستحقه من الإعداد والتوجيه والاهتمام المتزايد بهذا الأسلوب الحديث من أساليب الحرب..

- إن للتحركات الجوية - في الحرب الثورية - دوراً مماثلاً لدور الورقة الرابحة في اللعب. وقد كان النقل الجوي - عاملاً هاماً لعب دوره في الحرب العالمية الثانية.. ولقد

استطاع الحلفاء أن ينجحوا في تطويره تطويراً واسعاً ـ على الرغم من نقص استعداداتهم السابقة ـ وعلى الرغم من قلة تجاربهم في هذا المضمار ـ.

ـ إن التقدم في وسائل النقل الجوي «الطائرات ـ الطائرات الشراعية ـ الطائرات المتحولة» والتقدم في مجال الأجهزة اللاسلكية، ومجال الأسلحة، وعلى الأخص منها المتفجرات، إن هذا التقدم في جميع الآفاق، سيزيد من تأثيرها الكبير في عمليات المستقبل.

ـ وبعد فإننا نستطيع الآن بعد إجراء دراسة سريعة للمواقف والأهداف التي تطلبت استخدام التحركات الجوية ـ أن نتساءل ـ ترى ما هي الأهداف التي يمكن فيها استخدام وسائل النقل الجوي ـ وما هي مراحل ذلك؟ . .

ـ هناك ـ بصورة عامة ـ ثلاثة مراحل يمكن تمييزها بوضوح : ـ

ـ أولها ـ المرحلة التي يتم فيها تسلل بعض الرجال ـ مع إرسال بعض الأجهزة والمعدات ـ إلى قلب بلاد العدو ـ والهدف جمع المعلومات ـ أو القيام بأعمال عسكرية أو سياسية أو إقتصادية ـ ويمكن القول أن يكون القائمون بالتسلل من المدربين العسكريين ـ أو من المنظمين السياسيين ـ كما يمكن أن تتضمن مهماتهم مزاولة أعمال النسف والتدمير ـ أو نصب الكمائن أو القيام بالدعاية والإعلام ـ وفي مجال الإعلام يمكن مطالعة الصورة التالية : ـ

«كانت أول منشورات دعائية قام الحلفاء بإلقائها ـ هي تلك التي تم إسقاطها فوق «كييل» في ليل ٣ ـ ٤ أيلول ١٩٣٩ ـ وفي نهاية الحرب العالمية الثانية بلغ عدد المنشورات التي أسقطتها الطائرات فوق أوروبا ـ كمية تزيد على الستة ملايين نشرة إعلامية».

ـ وليست هذه إلا مجرد بداية ونموذجاً واحداً لما ستكون عليه الحرب النفسية في المستقبل . .

ـ وإن إمكانات المرونة الجوية، والاستفادة من الفضاء، تظهر لنا واضحة من خلال إلقاء نظرة واحدة إلى البدايات الأولى التي جرت في هذا العصر الذي حمل إسم «عصر الصواريخ» والذي دشنه الألمان خلال الفترة الواقعة ما بين ١٣ حزيران ١٩٤٤ ـ وآذار ١٩٤٥ فخلال هذه الفترة أطلق الألمان ما يزيد على ثلاثين ألفاً من الصواريخ، منها ستة عشر ألفاً من نموذج، ف ـ ١ ـ س وأربعة عشر ألفاً منها نموذج ف ـ ٢ ـ س وقد تم إطلاق هذه الصواريخ على انكلترا بصورة خاصة وعلى عدد من الأهداف الأخرى الواقعة فوق أرض أوروبا ذاتها.

ـ وإذا ما وضعنا المشكلات العامة جانباً، كمشكلة إختيار أي من الطائرات يجب استخدامها، ثم ما هي الطريقة التي يجب أن يتم بها هذا الاستخدام لا سيما من أجل العمليات الليلية، وكمشكلة الاتصالات السرية، وما يجب أن يتوافر لها من شروط الأمن، لكي يصبح تنفيذ العملية أمراً ممكناً. إننا إذا ما وضعنا كل هذه المشكلات جانباً. فإن التوسع في استخدام التحركات الجوية، يرتبط إلى حد بعيد بتوافر تحقيق الشروط الفنية الخاصة، لا سيما المتعلقة منها بتحديد مناطق الإنزال وتعليمها، وتوافر أجهزة الإرسال القادرة على إجراء الإتصالات من الأرض إلى الجو. وأجهزة الرادار المضادة. والمعدات الخاصة بمعرفة الأحوال الجوية في مناطق الإنزال. . الخ.

ـ خلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤١ ـ وعام ١٩٤٥، أمكن تطوير منارات «روبيكا ـ أوريكا» والوصول بها إلى مرحلة الكمال. بالإضافة إلى غيرها من وسائل قيادة وتوجيه الطائرات إلى نقطة محددة، كما أن الأجهزة اللاسلكية «س ـ فون» أصبحت قادرة على تأمين الإتصالات ما بين الطائرة والأرض وتحقيق ذلك بصورة جيدة. كما أن طائرات «عمليات الجوارب الحمراء الطويلة» أصبحت قادرة على التحليق فوق ارتفاعات عالية من المناطق المحددة لها لالتقاط الرسائل اللاسلكية المرسلة إليها من الأرض، وتسجيل هذه الرسائل، وتنفيذ العملية بصورة أمينة، بعيداً عن أية خطورة قد تتعرض لها الطائرة في حالة اكتشاف وجودها من الأرض.

ـ إن النتائج التي تم الوصول إليها في هذه المجالات الفنية، ستكون ذات آثار مباشرة على تطوير مناهج الأبحاث، وعلى عدد من التجارب التي يجب تنفيذها، كما ستكون ذات أثر كبير في توثيق عرى التعاون بين العسكريين من جهة، وبين المهندسين والفنيين المدنيين من الجهة الأخرى.

ـ وأخيراً، فإن هذه النماذج من العمليات تتطلب صفات خاصة، بقدر ما تتطلب كمية أساسية من الطاقات البشرية. وسواء كان قد تم وضع مخططات العمل وتم تنفيذها من خارج الحدود، أو كان من تصميم قوى المقاومة العاملة داخل بلاد العدو وتنفيذها، للاستفادة من التحركات الجوية. سواء كان هذا أو ذاك، فهناك حاجة واضحة لتدخل رجال يتفوقون بمعرفتهم وخبراتهم على ما يتمتع به العسكريون العاديـون من المعارف والخبرات.

ـ لقد كان القادة في مثل هذه العمليات يمتازون، إلى جانب معرفتهم بأسلوب عمل الحلفاء، بمعرفة الظروف السياسية وبعض الشؤون الاقتصادية في مجالات محددة، كما كانوا مطلعين على تطوير التجارب العلمية إلى جانب معرفة المجموعات التي يتعاملون معها،

والأقاليم الغريبة عنهم، وعادات الآخرين ولغات من تتطلب الظروف إجراء التماس بهم.

- ونتيجة لذلك، فإن الإعداد الأساسي والضروري لتنفيذ هذا النوع من العمليات يتطلب، إلى جانب الإعداد المادي وتوفير المعدات اللازمة، العمل على توجيه الاهتمام نحو الأبحاث والدراسات والتجارب، مع مزاولة التدريب على ذلك بهدف رفع المستوى العقلي والنفسي لدى من سيقومون باستخدام المعدات والأجهزة.

- إن المردود الأقصى الذي يمكن للقيادات العليا أن تحصل عليه، يكون بإيجاد تنظيم في أوساط الحلفاء، يتم تكوينه في وقت مبكر، ويشتمل على وحدات مهمتها الإعداد المزدوج للأشخاص والمعدات ضمن قواعد تضم إليها الطائرات والوحدات الفنية المدربة. وبعد ذلك فإن النجاح في هذه المرحلة يبقى متوقفاً على تفاعل ثلاثة عوامل. وهي، التنظيم في التخطيط، والإعداد في تجهيز الأعتدة والأدوات اللازمة والتدريب لمن سيضطلعون بأعباء المهمات.

- إن الحرب الثورية (التخريبية) وهي الظاهرة المميزة لعصرنا في الوقت الحاضر، تعتمد بصورة أساسية على الحركة الجوية ومرونتها، وبناء على ذلك، ولكي يتم الوصول إلى أفضل النتائج، فإن القسط الذي تضطلع به الحركة الجوية في إطار هذا الشكل الخاص من الحروب، يجب أن ينال ما يستحقه من الإعداد والعناية.

- وإنه من المفيد، دائمًا، أن نتذكر الدروس التي أمكن استخلاصها من عمليات الحرب العالمية الثانية، والتي كان في مقدمتها، إبتعاد تفكير بعض الأوساط عن احتمالات الحرب، وكان من نتيجة ذلك عدم القيام بالاستعدادات اللازمة لتطوير إمكانات الحركة الأرضية عن طريق القوات المدرعة وقوات المشاة الآلية، لكي تصبح هذه القوات قادرة على الابتعاد عن أساليب الحرب التقليدية الكلاسيكية.

- فإذا ما تم استخدام التحركات الجوية بذكاء، فهناك إمكانات لأخذ المبادأة من يد العدو. تلك المبادأة التي لن تقتصر على مجالات أعمال الحرب الثورية (التخريبية)، بل قد تتجاوزها أيضاً لتشمل معارك الحرب النفسية.

الفصل الحادي عشر

القوات البرمائية والمظليون يباغتون غينيا الجديدة

٤ ـ ٥ أيلول ـ ١٩٤٣

ـ كان لمسرح عمليات أفريقيا الشمالية ـ في الحرب العالمية الثانية ـ أهميـة خاصـة بالنسبة لدول أوروبا.

وقد انعكست هذه الأهمية على التاريخ العسكري ـ حتى يومنا هذا ـ ويظهر هذا الاهتمام من خلال الدراسات المستمرة والمتكررة للأنواع المختلفة من المعارك التي تم تنفيذها فوق أرض هذا المسرح ـ. ومنها عمليات مظليي الألمان ومظليي الحلفاء.

ـ أما المعارك التي شهدها محيط الباسيفيكي الواسع ـ وأما العمليات التي تم تنفيذها فوق المناطق الأرضية في الشرق الأقصى ـ فإن حظها من الاهتمام ضئيل ـ ونصيبها من الدراسة قليل ـ ولكن، هناك في الواقع بعض من العمليات الضخمة التي نفذت فوق تلك المسارح الكبرى لعمليات تتطلب تركيز الأنظار عليها دون سواها ومنحها ـ ما تستحقه من الاهتمام ومنها العملية التي تم تنفيذها في أيلول من عام ١٩٤٣ ـ. حيث تم إنـزال للمظليين إلى جانب إنزال بر ـ مائي ـ فوق أرض «لاو» من غينيا ـ الجـديدة ـ وهي من العمليات الأكثر وضوحاً في إشراك مختلف العناصر ـ مما تضمنته الحرب العالمية بأكملها ـ. كما إنها تشمل عدداً من الدروس التي ستبقى محافظة على قيمتها بالنسبة للمستقبل.

١ ـ الموقف العام

ـ عندما ابتدأت اليابان بعمليات الغزو في ٧ ـ كانون الثاني من عام ١٩٤١ وضعت لحربها أهدافاً محددة ـ وهي إبطال عمل القوات البحرية للولايات المتحدة الأمريكية ـ والقيام بـاحتلال الأقـاليم الغنية ـ «كمـاليزيـا ـ والأرض المنخفضة شـرق الهند ـ والفيليبـين» مع الاحتفاظ بستار دفـاعي يمتد من جـزر «كوريـل» إلى «أرخبيل مـاريانـا» ثم إلى جزر «كارولين ـ و ـ مارشال» إلى أن يصل إلى «رابول» وتصورت القيادة اليابانية العليا بأنها تستطيع بعد ذلك الدخول في مفاوضات للسلام مع كل من ـ أمريكا ـ و ـ انكلترا ـ تضمن بنتيجتها الحصول على اعتراف منهما في امتلاكها «للمنطقة السعيدة» التابعة لشرق «آسيا العظمى».

ـ تمكنت اليابان من تحقيق أهدافها بسرعة. ثم اتضح منذ مطلع عام ١٩٤٤ أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية و ـ انكلترا ـ قد اتخذتا قراراً بمتابعة الحرب ضد اليابان.

ـ كان من نتيجة ذلك إقدام اليابانيين على تصعيد الأعمال التوسعية. وقد جاء تنفيذ هذه الأعمال بصورة غير منتظمة ويعود ذلك لعدد من الأسباب:

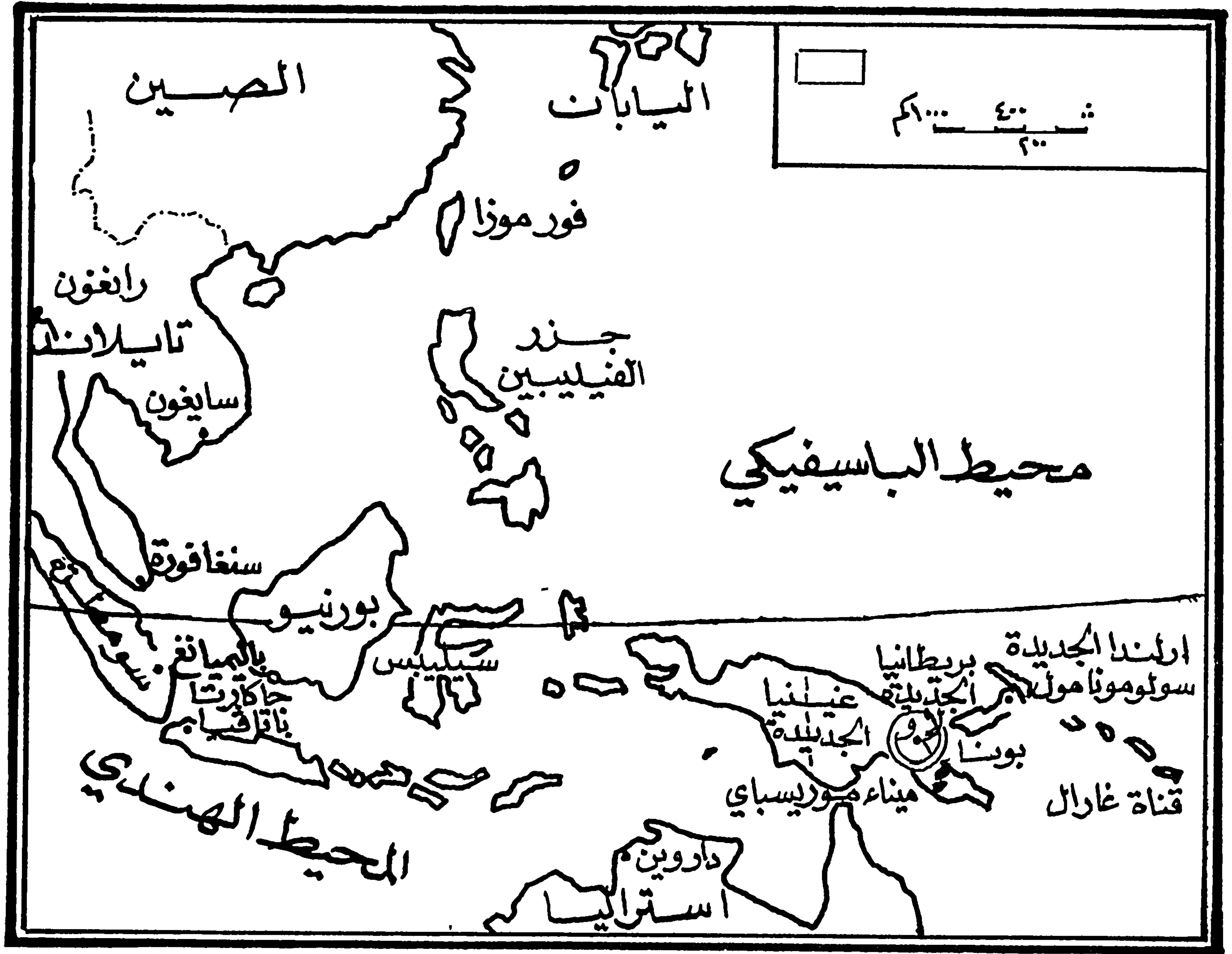
كعدم استعداداتهم لهذه العمليات ـ ثم لتحولهم عن الهدف الأساسي الذي تمثل في الستار الدفاعي الوقائي ـ والنظر إلى هدف آخر وهو قطع خطوط مواصلات الولايـات المتحدة الأمريكية مع ـ أوستراليا ـ ولكي يتمكنوا من تنفيذ ذلك كان عليهم حماية أجنحتهم الجنوبية ودعمها بالقوات الجوية والبحرية.

ـ وقد تم اختيار ميناء «موريسباى» عاصمة الاستراليين في «غينيا ـ الجديدة» هدفاً يمكنهم من تحقيق هذه الغاية.

ـ تقع «غينيا ـ الجديدة» على مسافة قريبة، إلى الجنوب من خط الاستواء وأقليمها من أكبر أقاليم العالم وأقلها ارتياداً واكتشافاً. وتبلغ مساحة «غينيا الجديدة» ثلاثمائة ألف ميل مربع وتغطي الغابات تسعين بالمئة من مساحتها ـ وفيها كثير من المستنقعات ـ أما جبالها فترتفع إلى ستة عشر ألف قدم تغطيها الثلوج الدائمة.

ـ يبلغ عدد سكان «غينيا ـ الجديدة» المليون والنصف تقريباً. ويعيش أكثرهم في داخل الإقليم حياة بدائية ـ هناك عدد من الموانىء الصغيرة المنتشرة على طول الشاطىء وهي الثغور التي يتم منها تصدير «الذهب والكاكاو» وهما أهم موارد الجزيرة.

ـ كانت «هولنـدا» تسيطر عـلى القسم الغربي من «غينيـا ـ الجديـدة» بينما كـانت «استراليا» تقوم بإدارة القسم الشرقي منها. وينقسم هذا الجزء الشرقي بدوره إلى قطرين



١٨ - جنوب شرق آسيا عام ١٩٤٢

وهما «باباو ـ وشمال شرقي غينيا الجديدة».

ـ يمتد طول جزيرة «غينيا الجديدة» إلى مسافة ألف وخمسمائة ميل بينما يبلغ عرضها /٤٣٥/ ميلاً.

ـ كانت طبيعة أرض الجزيرة الخصبة و ـ مناخها ـ وقلة طرق المواصلات المتوافرة فيها ـ من أفضل العوامل المساعدة للهجوم الياباني الذي تميزت قواته بالبدائية والقسوة ـ وكان هدف الهجوم احتلال الجزيرة واتخاذها خطاً دفاعياً عن اليابان. ولو أدى تنفيذ ذلك إلى فناء قوات الهجوم.

ـ ابتدأ الهجوم الياباني بمحاولة للإنزال البحري في ميناء «موريسباى» ـ ذاته وتحطمت المحاولة على أيدي القوات البحرية للولايات المتحدة الأمريكية في المعركة المشهورة باسم «معركة بحر كورال» ونتيجة لذلك قرر اليابانيون احتلال هذا الميناء الهام الذي كان يشكل قاعدة حيوية، عن طريق هجوم أرضي بقوات كبيرة يتم إنزالها فوق أرض الشاطىء الشمالي من «غينيا الجديدة» وتم اختبار كل من «لاو ـ و ـ سالاموا» لإنزال هذه القوات عليها.

ـ في شهر نيسان ـ قام اليابانيون بإنزال آخر فوق عدد من المواضع الواقعة في المنطقة الهولندية.

ـ وفي يوم ٢١ تموز قاموا بإنزال قوات جديدة في كل من «بونا ـ و ـ غونا» إلى الشمال من «موريسباى» نشبت في أثره معركة عنيفة. في «باباوان» ـ استطاع الأستراليون فيها، مع دعم القوات الأمريكية الجوية والبحرية، دحر الهجوم الياباني وحده على «موريسباى» ثم تمكنوا من استعادة كل من «غونا ـ وبونا» في يوم ٢٢ تموز ١٩٤٣.

ـ في ربيع عام ١٩٤٣ ـ تحقق بعض التوازن بين القوات المتحاربة في «غينيا الجديدة»، ولهذا قرر اليابانيون البقاء في مواقعهم. فتمركز الجيش الثامن عشر الياباني في «لاو» وتم إحضار الفرقة /٤١/ من الصين لدعم الفرق /٢٠ ـ و ٥١/ أما الحلفاء ـ فقد دعموا قواتهم بإحضار فرق إسترالية وفرق أمريكية جديدة ـ وبدأوا بتوسيع نطاق جهودهم الجوية وشرعوا بالاستعداد لصد اليابانيين من الشرق نحو الغرب، لتدميرهم بعد ذلك.

ـ بقي الموقف على حالته، خلال صيف عام ١٩٤٣ أمام الخطوط الدفاعية في «لاو» والممتدة حتى جنوب ـ شرق ـ سالاموا ـ وكان من الواضح أن الاستيلاء على كل من «لاو ـ وسالاموا» عن طريق تقدم جبهي أرضي، سيكون صعباً وباهظ الثمن لاسيما وأن هذا التقدم يستهدف عدواً عنيداً يحتل مواقع دفاعية حصينة.

ـ ولهذا ـ قرر الجنرال «ماك آثر» ـ قائد جنوب ـ غرب الباسيفيكي ـ القيام بحركة التفاف واسعة وتوجيه ضربة بحرية وجوية إلى مواقع العدو القريبة من «لاو» قد ـ تؤدي إلى إنهيار الترتيب الدفاعي الياباني برمته.

٢ ـ المخطط و التحضير

ـ كانت الفكرة التي استند إليها مخطط العملية بسيطة ـ وطبيعية ـ وتتلخص في إنزال الفرقة الأسترالية التاسعة ـ إنزالاً بحرياً ـ على بعد عشرة أميال من شرق «لاو» وفي اليوم التالي يتم إنزال لواء المظليين الأمريكي (٥٠٣) عن طريق الجو ـ إلى الغرب من «لاو» وذلك بمهمة إقامة رأس جسر جوي هدفه أعداد المنطقة لنزول الفرقة الأسترالية السابعة التي يتم نقلها جواً ـ. ثم تبدأ القوات الأسترالية الكبرى بعد ذلك، والمكونة من فرقتين، بالزحف في اتجاه «لاو» وبذلك يمكن مباغتة قوات الحامية اليابانية البالغ عددها عشرة آلاف مقاتل ووضعها بين قوتي الإنزال ـ البحري والجوي.

ـ وكان تنفيذ هذه العملية يتطلب توافر شرطين أساسين ـ أولهما الحصول على درجة من السيادة الجوية يمكن بواسطتها تغطية التحرك البحري ـ وثانيهما توافر أسطول طائرات النقل الجوي اللازم لنقل القوات.

ـ كان الحصول على السيادة الجوية ممكناً ـ بعد الجهود التي كانت قد بذلتها مجموعة القوات الجوية الأمريكية الخامسة بقيادة الجنرال «كيني» الذي استطاع توجيه الضربات المؤثرة والقوية للقوات الجوية اليابانية خلال معارك الصيف والتي انتهت بإضعاف تلك القوات.

ـ أما مشكلة توفير التغطية الجوية ـ فقد كانت أكثر صعوبة، لا سيما وأن قاعدة الطائرات المقاتلة للحلفاء كانت تقع في «دوبوديرا» ولهذا لم يكن باستطاعة الطائرات أن تبقى طويلاً فوق «لاو» ولذلك كان لا بد من إيجاد قاعدة متقدمة ـ.

ـ تم تنفيذ عملية استطلاع جريئة للاستفادة من الظروف المحلية ـ وتبين أن ـ هناك مجالاً لتسلل القوات من بين النقاط المحددة التي كان يحتلها اليابانيون والتي كان يفصل بعضها عن بعض مساحات واسعة من المناطق الصعبة. وتحركت عناصر استطلاع قوات الحلفاء للقيام بهذه العملية وكان عليها أن تتجاوز أربعين ميلاً عبر مناطق العدو الدفاعية، وبالتالي، كان على عناصر الاستطلاع هذه أن تبدأ تحركها في يوم ٧ حزيران كي تصل إلى المنطقة التي تم اختيارها لتكوين قاعدة متقدمة ـ وعند ذلك بدأ العمل لإعداد مهبط يصلح لنزول طائرات نقل قوات فوج المهندسين الأمريكيين في يوم ١٦ حزيران ليبدأ بتنفيذ مهمة

أعداد مهبط مزدوج للطائرات يبلغ طوله ٢٥٠٠ ياردة ـ وفي يوم ٢٦ حزيران ـ كان يجب الانتهاء من العمل لتصبح قاعدة الطائرات المتقدمة في «ماريلنان» جاهزة لاستقبال أول مجموعة من الطائرات الأمريكية المقاتلة وبذلك تتحقق التغطية الجوية لعملية الإنـزال البحري في «لاو» وكذلك لعملية إنزال المظليين ـ.

ـ في يوم ١ ـ آب. وكان مخطط عمليات الهجوم بكامله قد تم إعداده بصورة نهائية.

ـ بالإضافة إلى ذلك، تم تكليف الفرقة الأسترالية الثالثة القيام بهجوم في إتجاه «سالاموا» وذلك لخداع القيادة اليابانية وتضليلها عن طبيعة الهجـوم الحقيقي للحلفاء وترسيخ الاعتقاد لدى اليابانيين بأن هجوم الحلفاء سيتم عن طريق التقدم الأرضي وبذلك يمكن تحقيق المباغتة الستراتيجية في الهجوم على «لاو».

ـ كانت مهمة تأمين رؤوس الجسور الجوية تقع على عاتق لواء المظليين /٥٠٣/ الذي كان يبلغ تعداد أفراده ما يقارب ألفا وسبعمائة مقاتل ـ وقد قرر أن نقل هذا اللواء بواسطة وحدة النقل الجوي /٥٤/ وحملت هذه العملية ـ إسمًا إصطلاحياً هو «غازماتا» كذلك تقرر دعم المظليين منذ اليوم الأول بسرية من المهندسين الأستراليين عليها أن تقوم بالتسلل عبر الغابات في مسيرة لمدة خمسة أيام، يرافقها في مسيرتها /٨٠٠/ رجل يقومون بحمل المعدات الهندسية اللازمة لبناء المهبطين بسرعة ـ وكان على هذا الرتل الأرضي أن يغادر «ماريلنان» في اليوم الأول من أيلول.

٣ ـ التنفيذ

ـ وهكذا ـ وضمن إطار من الكتمان المطلق ـ تم إعداد هذه العملية المشتركـة والمعقدة ـ وكانت مخططاتها تتضمن أدق التفصيلات التي يسمح بها الخيال.

ـ في الرابع من أيلول ـ ١٩٤٣ ـ إبتدأت الفرقة الأسترالية بقيادة الجنرال «دوتن» معركة الإنزال البحري فوق شاطىء «هابوى» وكانت هذه أول عملية «برمائية» تقوم بها الوحدات الأسترالية منذ أيام مغامرات «غايلليبولي» في الحرب العالمية الأولى ـ وقد استولت المفاجأة على القوات اليابانية فلم تظهر إلا بعضاً من المقاومة الضعيفة ـ.

ـ أسرع الجيش الياباني الثامن عشر إلى احتلال مواقعه ـ وأصبح قادراً على مواجهة قوات الإنزال البحري المتقدمة من الشرق ـ وفي اليوم التالي ـ وهو يوم الخامس من أيلول تم إنزال المظليين وأصبح الجيش الياباني مجبراً على أن يجابه القوات الجديدة القادمة من إتجاه الغرب.

جزيرة آدميرالتي
ايرلندة الجديدة
ارخبيل بسمارك
غينيا الجديدة
رابول
بريطانيا الجديدة
لاو
نادزاب
هابوي
ماريلنان
واو
سالاموا
بحر سولومون
پاپوا
بحر كورال
بونا
دوبوديرا
ميناء موريسباي
ث ١٠٠ كم

المواقع اليابانية الرئيسية في ربيع عام ١٩٤٣
خطوط الحلفاء ضد لاو ايلول ١٩٤٣ { برمائيه / مظليين

١٩- خطوط الحلفاء للهجوم على لاو - ايلول ١٩٤٣

ـ في صباح يوم ٥ أيلول ـ كانت ٨٢ طائرة داكوتا ـ ث ٤٧ ـ قد أقلعت من مطار «موريسباى» حاملة معها لواء المظليين /٥٠٣/ تحت حماية /٢٠٠/ طائرة مقاتلة وقاذفة.

ـ أما المهمة التي اسندت إلى لواء المظليين فهي احتلال منطقة الإنزال في «ناد زاب» الواقعة في وادي نهر «ماركهام» وإعداد مهبط لهبوط طائرات الداكوتا ـ مع دفع دوريات الاستطلاع إلى الشمال وإلى الشرق ـ.

ـ اشتملت قوات المظليين التي تم إنزالها على ثلاثة أفواج أمريكية وأركان سرية الخدمات للفرقة ـ وفصيلة المدفعية الأسترالية ـ وقد تم إنزال هذه القوات بواسطة المظلات خلال فترة أربع دقائق ونصف ـ وذلك فوق ثلاث مناطق مختلفة ـ وتم الإنزال بعد إبطال المقاومة في هذه المنطقة من جراء الإغارات الجوية التي قامت بها طائرات الحلفاء.

ـ وهنا أيضاً ـ لعبت المباغتة دورها ـ فلم يبد اليابانيون إلا قليلاً من المقاومة ـ وفي المساء انضمت سرية المهندسين إلى المظليين الأستراليين ـ.

ـ في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ـ أي بعد /٢٤/ ساعة من إنزال المظليين، هبطت أول طائرة داكوتا من طائرات نقل الفرقة الأسترالية السابعة التي كان يقودها «الجنرال قازى» وتضم الألوية ـ ١٨ و ٢١ و ٢٥.

ـ تمكنت الطائرات من تشكيل جسر جوى مستر، مكن من نقل الفرقة بكاملها من «موريسباى» إلى «ناد زاب».

ـ وعلى الجسر الجوى ذاته ـ تم إرجاع لواء المظليين ـ إلى ميناء «موريسباى» وذلك في الفترة الواقعة بين ١٤ ـ و ١٩ ـ أيلول ـ وكانت خسائره طفيفة إقتصرت على /١١/ قتيلاً ـ و/٤٣/ جريحاً. وكانت هذه الخسائر القليلة ـ بمثابة شهادة على الإفادة من المفاجأة ـ وعلى استخدامها بشكل ناجح. وعلى أن المفاجأة هي الورقة الرابحة في مجال المناورة.

ـ كان على الفرقة الأسترالية أن تخوض معركة مع اليابانيين لتشق طريقها إلى «لاو» وكان اليابانيون قد نجحوا في البداية بإيقاف تقدم قوات الهجوم البر ـ مائي ـ وتمكنوا من إيقاف وحدات الفرقة التاسعة. ولكن هجوم قوات المظليين والقوات المنقولة جواً إضطرهم إلى دفع الثمن ـ وبدأ الجيش الياباني إنسحابه في إتجاه الجنوب ـ الغربي ـ عبر امتداد وادي «ماركهام» وقامت قوات الهجوم بضرب مؤخرات الجيش أثناء تراجعه مما أدى بالمواقع الدفاعية في «بيسالاموا» إلى السقوط والاستسلام.

ـ كانت نتائج العمليات المشتركة ضد «لاو» في أيلول ١٩٤٣ ـ على جانب من الأهمية

فبفضل التحرك الذي تم تنفيذه عن طريق الجو وعن طريق البحر أمكن تنفيذ العملية الهجومية بالقليل من الخسائر. وقد تم قلب المواقع الدفاعية للعدو مما اضطر الحامية إلى الانسحاب مخلفة وراءها في «لاو» ما يزيد على /٢٢٠٠/ قتيل - مع مستودعات كبيرة للأسلحة والذخائر - والأغذية - بالإضافة إلى كمية من المعدات الجوية والتجهيزات البحرية الصالحة للإستخدام.

- بدأت الفرقة الأسترالية السابعة مباشرة بمطاردة قوات العدو المنسحبة - وذلك عن طريق سلسلة من التحركات الجوية وإنزال المظليين.

في ١٦ - أيلول - كان الجنرال «قازى» يقوم باستطلاع جوي على متن طائرة «بير - كاب» وتمكن من العثور على مهبط يقع على مسافة /٤٥/ ميلاً إلى الشمال الغربي من «ناد زاب» وفي اليوم التالي أقلعت /١٣/ طائرة داكوتا - وقامت بإنزال سرية من المظليين - وتمكنت هذه السرية - بدعم مباشر من الطائرات المقاتلة ب ٤٠ - أن تطارد القوات اليابانية - وتمنعها من احتلال مواقع دفاعية تعطيلية.

- في ٢٣ أيلول - قامت /٨٩/ طائرة داكوتا - بنقل /٢٠٠٠/ جندي مع مدفعيتهم إلى «ماراواسا» الواقعة على بعد مسافة تزيد على ثلاثين ميلاً من رأس القوات المتقدمة. وكان يرافق تلك الوحدات المنقولة جواً - مفرزة من المهندسين ومعهم معداتهم الخفيفة اللازمة لتنفيذ مهمة إعداد مهبط للطائرات. وفي اليوم التالي تم نقل عدد من الوحدات جواً بواسطة /٧٥/ طائرة داكوتا وهبوطها فوق أرض المهبط الجديد.

- وفي يوم ٢٩ أيلول - تم تنظيم قاعدة جوية جديدة في «غوزاب» بالطريقة ذاتها - وعلى بعد /٢٨/ ميلاً من القاعدة السابقة.

في ٢ تشرين الأول - تم نقل قيادة الفرقة السابعة إلى «دومبو» عن طريق الجو أي على بعد /٣٧/ ميلاً من مقرالقيادة السابق - وفي فترة أسبوعين فقط - تم إحتلال وادي «ماركهام» بأكمله - وفشلت محاولات اليابانيين لإقامة المواقع التعطيلية التي كان يتم تحطيمها عن طريق التحركات الجوية.

- لقد ساعد على تنفيذ عمليات النقل الجوي هذه وجود عدد من المهابط القديمة الصالحة لنزول الطائرات الخفيفة التي كان يستخدمها المنقبون والباحثون عن الذهب قبل الحرب. كما إن هذه العمليات إصطدمت ببعض العقبات الناتجة عن هجمات القوات الجوية اليابانية التي استمرت في توجيه ضرباتها إلى مؤخرات القوات الهجومية - بواسطة مجموعات مكونة من عشرين طائرة. ولم تكن الطائرات المقاتلة الأمريكية البالغ عددها

/٣٠٠/ طائرة والتابعة للمجموعة الجوية الخامسة كافية لتحقيق سيادة جوية مطلقة ومستمرة فوق منطقة العمليات الواسعة بأكملها. وإنما بفضل تنقل المهابط الجوية إلى «ماريلنان» أصبح باستطاعة عمليات النقل الجوي أن تساهم في المعركة بدور فعال تتعذر مقاومته.

ـ في شهر أيلول ١٩٤٣ ـ تمكنت العملية المشتركة من إضافة رصيد ضخمٌ لميزان توازن القوى في «لاو» وكان للطريقة التي سبق ذكرها أثر كبير في تحطيم ذلك التوازن والحصول على التفوق خلال فترة قصيرة من الزمن، وبالقليل من الخسائر ـ ووجد اليابانيون بالنتيجة ـ إنهم مجبرون على الانسحاب وانتقلت المبادأة بصورة نهائية لأيدي الحلفاء ـ وابتدأ المد الياباني بالانحسار والتراجع. وفي فترة الأشهر الأربعة الأولى من عام ١٩٤٤ ـ تم دحر الجيش الياباني الثامن عشر وأمكن دفعه حتى أقصى بقعة من ناحية الغرب إلى أن تم تحرير «غينيا ـ الجديدة» بصورة تامة.

وبذلك كانت العمليات الهجومية المشتركة فاتحة لغزو جزر (الفيليبين) وكانت هذه العملية أيضاً حجرة المرتقى في السلم الطويل للجزر المتعاقبة التي تقود الطريق للوصول إلى «طوكيو».

٤ ـ الدروس

ـ إن إنزال المظليين ـ والإنزال البحري ـ في العملية المشتركة التي استهدفت «لاو» قد أظهرا الإمكانات الكبرى التي يمكن استغلالها للتحرك عن طريق البحر وعن طريق الجو. وذلك من أجل الوصول إلى مسرح للعمليات، يتميز باتساع ابعاده ـ وبمطاراته الصعبة ـ وبعدم توافر طرق المواصلات ـ ومن الممكن تصور مدى الخسائر الكبيرة والتأخير الخطير الذي لم يكن هناك وسيلة لتجنبه لو تم تنفيذ المخطط بأسلوب الهجوم الجبهي التقليدي للإستيلاء على تلك المواقع الدفاعية المجهزة والتي كان يدافع عنها جنود يتصفون بالشجاعة النادرة.

ـ والنتيجة التي يُمكن استخلاصها هي أنه يمكن تحقيق المفاجأة باستخدام هذه التنقلات وأن تحرك القوات المحمولة جواً ـ بصورة خاصة ـ هو الأسلوب الأمثل للحصول على التفوق فوق الأقاليم الواسعة، كما يمكن استخدام هذا الأسلوب ذاته للدفاع عن مثل هذه الأقاليم ضد أي معتد يأتي من الخارج.

ـ ولهذا فإن قيمة وسائل النقل الجوي تزداد يوماً بعد يوم، وذلك مع التقدم في مجال تطور الفني الجوي ومع ما تم تحقيقه في إعداد طائرات النقل الهجومية القادرة على الهبوط

فوق شريط ضيق من الأرض. وإنه باستطاعة أية مناورة للقوات المحمولة جواً أن تقوم بتوفير مثل هذا الشريط الضيق ليكون مهبطاً يتم إعداده بسرعة وذلك من أجل هبوط الطائرات فوقه وإقلاعها منه خلال فترة لا تزيد عن /٢٤/ ساعة من بعد أن يتم إنزال المظليين ـ أو القوات المنقولة جواً بالطائرات العمودية.

إن المركبات والأسلحة الثقيلة التي يصبح نقلها ممكناً بهذه الطريقة ستزيد من إمكانات القوات للقيام بمناورات أرضية جديدة، يتم إنطلاقها من قواعد جوية جديدة، ويقوم المظليون بإعدادها كقواعد متقدمة.

ـ وفي حروب المستقبل ـ سواء كانت هذه الحروب موضعية أو عامة ـ وسواء كانت حرباً تقليدية أو حرباً ذرية ـ ستكرر الظواهر المميزة لهذه العملية الهامة التي لا تقدر قيمتها ـ بين عمليات الحرب العالمية الثانية، وذلك بسبب بعد المسافات وتناثر القوات فوقها لا سيما عندما لا يكون هناك طرق مواصلات ـ أو ـ بعد أن تكون هذه الطرق قد دمرت.

ـ كما إن التقدم الفني الذي أتاح إقلاع الطائرات من مطارات مختلفة والهبوط بها فوق مناطق متباعدة والإفادة من الظلام في التنفيذ بفضل الألكترونات والوسائل الأخرى من المخترعات، كل ذلك أتاح أيضاً القيام بالتحركات عن طريق الجو، وهكذا تتحقق المباغتة الستراتيجية.

ـ وبعد أن تصل هذه القوات إلى أرض المعركة. وهي النخبة الممتازة من بين وحدات القوات المسلحة، تبدأ باستخدام وسائل النقل الخفيفة. التي تمكنها من مزاولة التحركات اللازمة لإحراز النجاح ـ وتكون هذه التحركات أكثر أهمية في الحرب الذرية وذلك باختراق عميق يهدف إلى القيام بهجوم مباغت على مجنبات العدو أو إلى الخلف من خطوطه.

ـ وهكذا ـ وبفضل هذه الوسائل الحديثة ـ وبفضل هذه التقنية ـ فإن القيام بالتحركات لتحقيق المفاجأة، يتيح تجنب المذابح الجماعية الناتجة عن الهجمات الجبهية المباشرة.

كما أن من شأن ذلك أيضاً ـ تجنب الشلل الناتج عن احتلال المواقع الدفاعية المهلكة ـ هذا بالإضافة إلى أن من شأن المناورة الجوية تسهيل السبل للقيام بالعمليات الحاسمة التي تقذف بقوات العدو إلى خارج ميزان القوى.

وقصارى القول. فقد أصبح بإمكان المناورة أن تستعيد دورها الهام في الحرب. ويجب أن يتم لها ذلك. وإن العمليات المشتركة في «لاو» دليل مناسب وهام على صحة

هذا القول ـ ولذا يجب إمعان التفكير فيها لمعالجة المواقف المماثلة ـ.

ـ إن عملية المظليين في «ناد زاب» في ٣ أيلول ١٩٤٣ ـ هي العملية الوحيدة في نوعها من معارك الحرب العالمية الثانية التي قام الحلفاء بتنفيذها. إنها نموذج فريد وعملية واسعة الأهداف. تم فيها إنزال المظليين ـ كمقدمة ـ ولحق بهم تشكيل كبير من القوات المنقولة جواً، ولم يكن هناك أي إتصال بالقوات الأرضية الأخرى. وتمكنت هذه العملية من تحقيق خطوة نحو بلوغ الهدف السوقي المتمثل بقهر اليابان.

ـ إن عملية نقل القوات جواً إلى «غينيا ـ الجديدة» في عام ١٩٤٣ هي صورة واقعة لما قد تكون عليه عمليات المستقبل التي سيتم تنفيذها بتشكيلات كبرى تتفوق بأحجامها وطبيعتها على عمليات المظليين التعبوية في ـ النورماندي ـ و ـ هولندا ـ و ـ ألمانيا في عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ـ.

ـ وأخيراً. . فهناك ضرورة لإجراء دراسة يقظة لهذه المعركة من مختلف أبعادها لأن ذلك قد يكون مفيداً لتغيير نظام ـ الأفضلية ـ الذي كان قاعدة ثابتة في التاريخ العسكري حتى الحرب العالمية الثانية ـ.

الفصل الثاني عشر

القوات المنقولة جوا تقوم بغزو بورما

كانت أكبر عملية قام بها المظليون الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، هي تلك العملية التي حملت اسم «الاربعاء» وتم تنفيذها في شمال ـ بورما ـ خلال الفترة الواقعة ما بين ٥ ـ و ١٢ نيسان ١٩٤٤، وهي، على الرغم من أهميتها من أقل العمليات شهرة. وقد تضمنت هذه العملية إقامة قاعدة متقدمة في قلب مناطق العدو.. والاحتفاظ بها لمدة خمسة أشهر.. واستخدم في تنفيذها عدد كبير من طائرات النقل ـ والطائرات الشراعية لنقل قوات بلغ عددها / ٢٠,٠٠٠. / رجل ـ كما تم نقل / ٥٠٠٠/ من الحيوانات لاستخدامها في نقل المعدات الأرضية والأسلحة الثقيلة. وقد كان تنفيذ هذه العملية صدمة في المجال الستراتيجي لأنها استهدفت إنشاء منطقة قريبة من الصين وعلى تماس بها ـ كما استهدفت أيضاً اضعاف الهجوم الياباني على الهند.

ومن المفيد دراسة هذه العمليات من أعمال المظليين ـ لاسيما في الوقت الذي تتحرك فيه مشكلة الصدام المسلح ـ وتنتقل من منطقة ضيقة مكتظة بالسكان كأوروبا مثلاً ـ إلى منطقة واسعة كافريقيا وآسيا اليوم ـ وربما أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية غداً.

سنبدأ باستقراء المخططات ـ بصورة عامة ـ ثم نحاول كشف المراحل الهامة في التحضير للعملية وفي تنفيذها ـ والوصول بعد ذلك إلى نتائج عملية «الأربعاء» لنستقي منها الدروس الهامة التي ما تزال فائدتها واضحة.

١ ـ الموقف العام

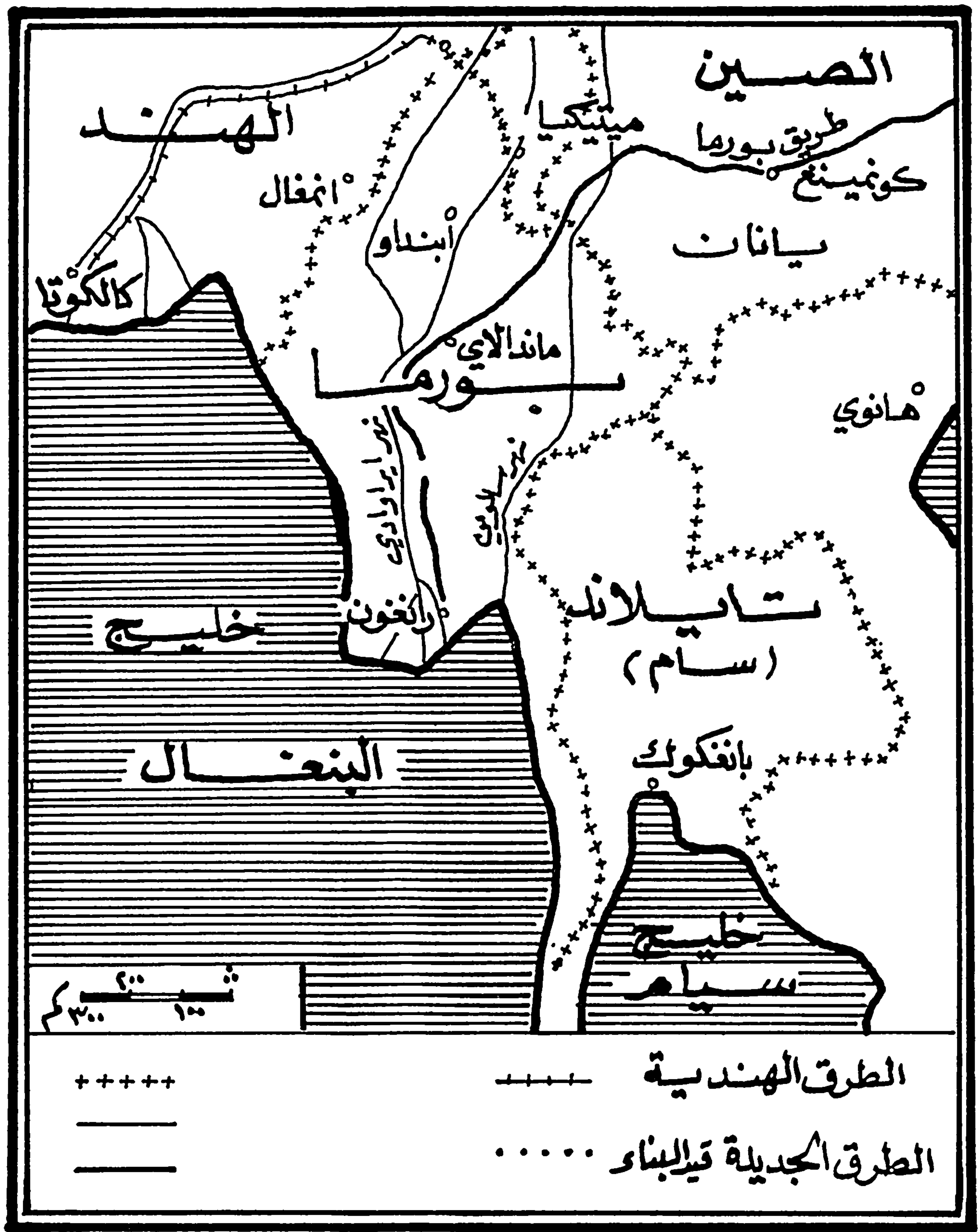
تمثل ـ بورما ـ الحد الأقصى للتقدم الياباني في اتجاه الغرب ـ وهي من أصعب أقاليم الأرض في القتال . تبلغ مساحتها / ٢٦٠,٠٠٠ / ميل مربع. ويتدرج ارتفاع الأرض فيها من مستوى البحر حتى يصل إلى / ٢٣,٠٠٠ / قدم. مناخها استوائي وغير صحي ـ يستمر فصل الأمطار فيها لمدة خمسة أشهر والجبال الموحشة والغابات الكثيفة تغطي أكثر من نصف مساحتها. ويبلغ عدد سكانها ستة عشر مليوناً، يتفاوتون كثيراً في هيئاتهم ومستواهم الحضاري.

كان غزو ـ اليابان ـ لبورما ـ تلبية لمطلبين أساسيين، الأول اقتصادي. لأن هذا الاقليم، هو من أول أقاليم الشرق الأقصى في إنتاج الرز ـ بالاضافة إلى الكمية الكبيرة من آبار الزيوت التي أمكن العثور عليها ـ والمطلب الثاني استراتيجي لأن احتلال هذا الاقليم يقطع آخر اتصال أرضي بين الصين ـ وبين الحلفاء، بالاضافة إلى استخدامه كقاعدة لغزو الهند. وقد خاض / ٦٠,٠٠٠/ مقاتل ياباني أشداء المراس معركة سهلة ضد جيش تعداده / ٣٠,٠٠٠/ جندي بريطاني أنهكتهم الأمراض المختلفة .. وتمكن اليابانيون من دحر خصومهم دحراً تاماً. وأجبروهم على الانسحاب إلى الهند عبر الجبال الفسيحة من «آسام» في نيسان عام ١٩٤٢.

خلال الأشهر التي أعقبت ذلك ـ تمكن «الا نكلو ـ ساكسـون» من استعادة ـ السيطرة على البحر والجو ولكن المبادأة في العمليات الأرضية بقيت في أيدي اليابانيين حتى عام ١٩٤٤.

والواقع، في نهاية عام ١٩٤٢، أن القوة المقاتلة للحلفاء كانت تزيد على القوات المقاتلة اليابانية التي لم يكن لديها في بورما، أكثر من / ٢٦٥,٠٠٠/ مقاتل وكانت هذه القوة منظمة بما لا يزيد عن / ١١/ فرقة ـ ولكن مستوى التدريب الرائع لهذه القوات وتفوقها في قتال الغابات، وروحها المعنوية العالية، وعنادها في المعارك، ووعورة الأراضي والأحوال الجوية. كل ذلك حال دون قيام البريطانيين بهجوم مضاد حاسم قبل عام ١٩٤٤ يضاف إلى ذلك أن مسرح العمليات البورمي، كان يأتي في المرتبة الدنيا بين أفضليات مخططات الحلفاء في الحرب. وإن عدد الأسرى يعطينا فكرة عن الروح المعنوية في القوات اليابانية، فوقع أول أسير ياباني في قبضة الحلفاء، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٤٣ ـ وقبل هذا التاريخ ـ لم يستسلم أحد من اليابانيين للأسر.

منذ عام ١٩٤٢ إتضح أن ثمة اختلافاً جذرياً، حول أهداف الحرب في بورما بين البريطانيين والأمريكيين. كان البريطانيون يرون في «بورما» حاجزاً دفاعياً لحماية الهند ـ



٢٠ - مسرح عمليات بورما

بالدرجة الأولى ـ ثم تأتي أهميتها كقاعدة إنطلاق الهجوم المضاد في اتجاه الجنوب لاستعادة عاصمة «بورما» وميناها الكبير، رانغون.

أما اهتمام الامريكيين فكان موجهاً نحو الإمساك بشمال «بورما»، وضرورة تنفيذ ذلك بأسرع ما يمكن وذلك لإعادة الاستيلاء على المنطقة الأرضية الكافية للاتصال بالصين، ولتأمين طريق الامداد الرئيسي والحيوي الذي يصل إلى الصين. وكان الطريق المشهور باسم «طريق ـ بورما» يمر من رانغون إلى «ماندالاي»، إلى «شانغ ـ كينغ» وكان في قبضة القوات اليابانية.

وكان لا بد من وضع حد لهذا الاختلاف في وجهات النظر. وتم ذلك بتعيين الجنرال الأمريكي «ستيلل ـ ويلل» رئيساً لأركان الماريشال «شيانغ كاي شيك» القائد الأعلى للقوات الصينية.

كان المخطط الذي جاء به «ستيلل ـ ويلل» يتضمن إنشاء طريق جديد يبدأ من «ليدو» في الهند ليسير مسافة / ٤٥٠/ ميلاً، عبر الأراضي الشمالية من «بورما» ويستمر حتى «شاينغ ـ كينغ» حيث يبلغ طوله / ١٩٠٠/ ميل. ولتنفيذ ذلك، كان لا بد من غزو «مييتكيتيا» وإعادة السيطرة عليها، وانتزاع الأراضي الواقعة إلى شمال «ماندالاي» من قبضة القوات اليابانية. على أن يتم في الوقت ذاته تشكيل رأس جسر جوي بين الهند والصين. وكان قد تم البدء في تنفيذ ذلك منذ عام ١٩٤٢ عندما نقل إلى الهند عن طريق الجو (١٣,٠٠٠) صيني لتدريبهم وإعدادهم.

في عام ١٩٤٣، كان المجهود الجوي الشهري للحلفاء، يستطيع نقل عشرين ألف طن من الحمولة.

في تموز من عام ١٩٤٣ تم تشكيل قيادة جنوب ـ شرق إسيا ـ وكانت القوات الموضوعة تحت تصرف هذه القيادة، تشتمل على وحدات من جنسيات مختلفة «بورما ـ سيلان ـ ماليزيا ـ اندونيسيا ـ الهند الصينية» وتم تعيين الاميرال «مونتباتن» ـ قائداً لهذه القوات التي كان من واجباتها الرئيسية، البدء في تنفيذ الهجوم الستراتيجي الذي تقرر في مؤتمر «كويبك» في كندا وان يكون الجهد الرئيسي لهذا الهجوم موجهاً إلى شمال بورما ـ بصورة خاصة ـ وذلك ليكونوا في منطقة يتأمن فيها التماس بالصين.

تم وضع هذا الهدف، أساساً لبناء المخططات العملية، فجاءت كالتالي: في مطلع عام ١٩٤٤، تقوم الفرقة الصينية بقيادة الجنرال «ستيلل ويلل» يدعمها لواء من قوات الولايات المتحدة الأمريكية، وتبدأ تقدمها منطلقة من «ليدو» في اتجاه مييتكيتيا». وكان على

المهندسين الأمريكيين، أن يعملوا في الوقت ذاته، خلف القوات المتقدمة مباشرة، لإنشاء طريق للمواصلات.

كان على الجيش البريطاني الرابع عشر، المدافع آنذاك عن حدود الهند الشرقية أن يدعم التقدم باختراق عميق يصل إلى ما وراء القوات اليابانية المتمركزة في خطوطها الدفاعية الواقعة في أقليم «ايندا‌و» وكانت تعتبر «اينداوا» هذه مركزاً لبورما الشمالية.

إن مواضع قوات الحلفاء والقوات اليابانية في مطلع عام ١٩٤٤ أي عندما تم وضع هذا المخطط موضع التنفيذ، ممثلة في المخطط ـ ٢١ ـ

وكان على قوات بريطانية تعادل فرقة أن تقوم بالتحرك جواً والهبوط على بعد مسافة / ١٨٠/ ميلاً من جبهة «آسام» لاحتلال خطوط المواصلات اليابانية في تلك المنطقة. ثم تقوم بالدفاع عنها لمدة عدة أشهر وكانت هذه المهمة هي الهدف الأول لعملية المظليين التي عرفت باسم «الأربعاء» ويعود الفضل في تصميم فكرة العملية لخيال الجنرال «وورد وينغيت» الذي قام بإعداد المرحلة الأولى واشترك في تنفيذها بحماسة فائقة. كما يعود فضل إعداد العملية وتنفيذها من الناحية الفنية إلى المخططات والدراسات التي قام بتحضيرها العقيد الأمريكي «كوتشرين».

وكان «وينغيت» رجلاً في الأربعين من عمره قد أشرف على تدريب اليهود وقيادتهم في قتالهم ضد عرب فلسطين خلال فترة ثورتهم ما بين عام ١٩٣٧ وعام ١٩٣٩. كما قام بدور هام في تحرير أثيوبيا عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١. وذلك كمحرض وكمنظم لحركة المقاومة ضد الاحتلال الايطالي.

أما «كوتشرين» فهو رجل من رجال القوات الجوية الأمريكية وقد وضع بعد مؤتمر «كويبك» تحت تصرف «وينغيت» لمساعدته في تنفيذ العملية التي قال عدد من كبار العسكريين والمهندسين بأنها مستحيلة، لأنها تتعلق بنقل قوات أرضية كبيرة عن طريق الجو لاحتلال منطقة واسعة من الأرض تقع في قلب أراضي العدو.

٢ ـ التحضير

كانت لدى «وينغيت» خبرة عملية في حرب الأنصار كما كانت لديه أيضاً خبرة كافية في الاختراق العميق.

وفي الواقع كان «وينغيت» قائداً للواء المشاة / ٧٧ / المتكون من ثلاثة أفواج فوج بريطاني وفوج هندي وفوج بورمي.

وقد شرعت وحدات هذا اللواء منذ شهر من عام ١٩٤٣ بمسيرة طويلة على الأقدام كان يقودها «وينغيت». وقد وصل بها إلى وسط بورما.

أما تنظيم الأفواج فقد تم على أساس المجموعات التعبوية وكان كل فوج منها يتكون من مجموعتين تعبويتين. أطلق على كل واحدة منها إسم «الرتل» وقد روعي في التنظيم بأن لا يضم الرتل أكثر من جنسية واحدة أو عرق واحد وكان تعداد أفراد الرتل يبلغ /٣٥٠/ مقاتلاًوتم تخصيص / ٩٠/ من الخيول لكل رتل وذلك لنقل الأعتدة والأسلحة الثقيلة. وكان تنظيم الرتل كالتالي:

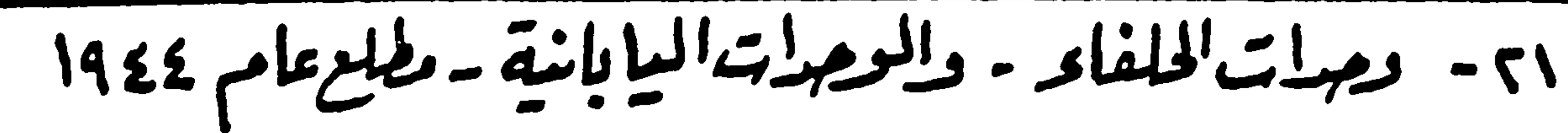
سرية مشاة + فصيلة مغاوير (١) + فصيلة استطلاع (١) + فصيلة أسلحة ثقيلة مع مدفعين رشاشين ومدفعي هاون من عيار ٨١ مم + فصيلة قيادة تضم مفرزة للدعم الجوي ومفرزة إشارة ومفرزة استعلام وإعلام «دعاية» وعناصر من الخدمات الطبية بالإضافة لعدد من البغالين والطهاة.

أما عناصر قيادة اللواء فكانت: سرية مشاة+ مفرزة استطلاع آلية + وحدة إشارة + وحدة استخبارات + عناصر للدعم الجوي + فصيلة من المتطوعين الصينيين من «هونغ كونغ» مهمتهم تأمين الإتصالات بالتشكيلات الصينية الكبرى.

كانت مجموعة تشكيل طائرات الكوماندووتشتمل على: / ٣٠/ طائرة موستانغ «ب ـ ٥١» + / ١٢/ طائرة من قاذفات القنابل من نموذج «١٢ ب ـ ٢٥» أما طائرات النقل فتتكون من /١٣/ طائرة داكوتا «ت ٤٧» + /١٢/ طائرة «كوماندو ت٤٦» بالاضافة إلى مئة طائرة خفيفة تضم نماذج مختلفة، و / ٦/ طائرات عمودية «هيليكوبتر». وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول من استخدام هذه الطائرة في العمليات وقد تمكنت من القيام بثمانين رحلة لنقل الجرحى خلال المعارك التي حدثت في ربيع عام ١٩٤٤. كما تم إلحاق مفرزتي تصوير جوي وسرية مهندسين مظليين وضمهم إلى وحدات قيادة الفرقة.

كانت طائرة النقل داكوتا ـ ذات الحمولة «٢ طن و ٧٥٠ كغ» هي الطائرة الرئيسية التي اعتمد عليها لتنفيذ العملية إلى جانب الطائرة الشراعية، وحمولتها «٣ أطنان ومئة كغ تقريباً» وكان ينبغي استخدام طائرة الداكوتا فارغة من حمولتها لقطر طائرتين شراعيتين مثقلتين بالحمولة في وقت واحد وقد تم استخدام بعض المعدات الخاصة بحيث أصبح بإمكان طائرة الداكوتا أن تقتلع الطائرات الشراعية وهي مثقلة بالحمولة من على سطح الأرض وتطير بها في الفضاء عندما تكون طائرة الداكوتا تحلق على ارتفاع منخفض.

جرى تدريب الوحدات في عدة أشهر وكان تدريباً مستمراً وشاقاً في قلب الغابات



٢١- وحدات الحلفاء - والوحدات اليابانية - مطلع عام ١٩٤٤

الهندية وكانت مدة الدورة التدريبية الأساسية خمسة عشر يوماً، يتم فيها المرور بالمراحل الأساسية كالسير الطويل والامداد الجوي، واستخدام الأجهزة اللاسلكية..

وفي يوم ٤ شباط عام ١٩٤٤ أصدر الجنرال «سليم» أوامر المهمة إلى الجنرال «وينغيت» وكانت هذه المهمة تقضي بالتحرك جواً والتسلل أرضاً إلى داخل أقليم «ايندا» لدعم تقدم قوات الجنرال «ستيلل ويلل» الزاحفة من «ليدو» إلى ميتكيتيا - ويتم تنفيذ مهمة الدعم.

كانت وحدات اللواء / ٧٧/ تدمر أثناء مسيرتها الجسور والمستودعات التي تصادفها في طريقها وقد أطلق على هذه القوة الخاصة اسم «شينديت» وحملت شعار «التنين». وهو رمز لأسطورة تزعم أن الحيوان يراقب معابد البورميين ويحميها وقد أرهقت هذه القوة خلال مسيرتها، كما أن الجرحى والمرضى الذين لم تكن هناك وسيلة لنقلهم قد تسببوا في إضعاف روح الجنود المعنوية وهكذا فإن هذه القوة التي كان تعداد أفرادها في البداية ثلاثة الآف مقاتل خسرت ثلث تعدادها، وأصبح واضحاً بأنه لا مجال للانطلاق سيراً على الأقدام، إلى مسافات أبعد.

لقد كانت هذه الوحدات في طليعة القوات المقاتلة وها هي الآن وبعد أن وصلت إلى قلب مناطق العدو، تقف مجردة من هالتها الضخمة التي كانت تحيط بها من قبل بعد أن فقدت كل قدرتها على العمل.

وهنا يضع العقيد «كوتشرين» الحل المناسب للمشكلة:

تتحرك قوات عن طريق الجو وتقوم باختراق الأقليم ليلاً لتتمكن من تحقيق المفاجأة مستخدمة في تحركها الطائرات الشراعية، وعندما تصل القوات إلى المناطق المحددة لها تعمل على تشكيل رأس جسر جوي مع إعداد مهبط للطائرات، وعندئذ تستطيع طائرات النقل أن تقوم بالتحرك لنقل الكتلة الرئيسية من القوات إلى أرض المهبط الذي تم إعداده. وهكذا تستطيع القوات الخاصة الجديدة أن تتحرك لتنفيذ عملياتها في منطقة خطوط المواصلات اليابانية مستفيدة من الامدادات والدعم الذي يصلها عن طريق الجو أيضاً.

وهكذا تكونت الفكرة. وبدأت الاستعدادات للقيام بعملية المظليين، ولم يكن هناك وسيلة إلا الاعتماد على الذات. وكان على القوات البريطانية أن تنفذ هذه العملية لمصلحة القوات الأمريكية والصينية. ولقد كان التنظيم الدقيق واضحاً في هذه العملية.

تم تكليف الجنرال «وينغيت» بتنفيذ المهمة وكان على اتصال مباشر بالجنرال «سليم»

قائد الجيش البريطاني الرابع عشر، يتلقى منه الأوامر وقد وضعت تحت تصرفه القوات البريطانية الخاصة التي سميت «بالفرقة الهندية الثالثة» تكتماً وتخفياً، إذ لم تكن تضم وحدات هندية.

كما تم تعيين العقيد «كوتشرين» قائداً أول لمجموعة طائرات الكوماندو العاشرة.

نظمت «الفرقة الهندية الثالثة» على شكل مجموعات من الأفواج بلغ عددها / ٢٤/ فوجاً وكانت / ١٧/ فوجاً بريطانياً و / ٣/ أفواج غوركية و /٣/ أفواج نيجيرية وفوجاً واحداً من قوات «بورما» وقد تم جمع هذه الأفواج بخمسة ألوية حملت اسم «ألوية الاختراق البعيد» وأعطيت الأرقام التالية: اللواء ١٤ واللواء ١٦ واللواء ١٧ واللواء ١١١ واللواء الافريقي الثالث. وكان تسلسل الأوامر في هذه التشكيلات يصل مباشرة من الألوية إلى السرايا وذلك نظراً لطبيعة المعارك الخاصة والمنعزلة والتي كان على هذه القوات أن تخوضها.

وكانت المهمة الأساسية قطع خطوط مواصلات الفرقة اليابانية / ١٨/ وسحق مؤخراتها، تمهيداً لتدخل قوات «ينيان» الصينية، واقتحامها حدود «بورما» ـ مع العمل خلال ذلك كله على خلق جو من الخداع ـ لتضليل قوات العدو العاملة في شمال بورما ـ وتكبيدها أكبر الخسائر ـ.

ـ كان أساس الفكرة التعبوية في هذه العملية يستهدف إنشاء قواعد محصنة في قلب المناطق التي تحتلها قوات العدو وتضم هذه القواعد المهابط اللازمة لنزول الطائرات وإقلاعها. ويتم الدفاع عنها بالمدافع. والمدافع المضادة للطائرات على أن تضم هذه القواعد مستشفيات ومستودعات. وأن تحيط بها على نطاق من الأسلاك الشائكة، وحقول الألغام ويتم استخدام القواعد لانطلاق الأرتال المتحركة المكلفة بمهمة سحق قوات العدو، وقطع خطوط مواصلاته وإثارة السكان وتنظيمهم للعمل ضده وكان لا بد من إعداد هذه القواعد لتكون قادرة على التحرك أرضاً أو الانتقال جواً، فيما إذا تعرضت لضغط قوي من العدو، لا يمكنها تحمله.

ـ وهكذا ـ فقد كانت القواعد بمثابة إشراك للقواعد المحصنة الثابتة، مع عمليات الارتال المتحركة التي تستهدف مؤخرات العدو، وخطوط مواصلاته ـ كان المخطط الأول الذي تم وضعه للعملية، يتضمن نقل خمسة ألوية عن طريق الجو ـ على أن يتم استبدالها بفرق جديدة بعد انقضاء فترة شهرين من بدء العمليات ـ وقد تم تحديد مواضع رؤوس الجسور الجوية التي يجب تنظيمها لتكون ضمن اقليم يتميز بصعوبة الوصول إليه عن طريق الأرض ـ كما كانت رؤوس الجسور هذه تقع على بعد مسافة كبيرة من قوات العدو،

وكانت المناطق الثلاث الصالحة لهذه الغاية وقد تم اختيارها لتكون في وسط الغابات وعلى بعد ثلاثين ميلاً من «ايندداو» وقد أعطيت هذه ثلاثة أسماء إصطلاحية هي «بيكاديللي - و - برودواي - و - شوورينجهي».

- في يوم ٨ شباط، أي قبل موعد تنفيذ عملية إنزال المظليين بشهر واحد غادر اللواء / ١٦/ مدينة «ليدو» وبدأ يتسلل سيراً على الأقدام، عبر أقليم موحش لم يتم إرتياده، أو اكتشاف مجاهله، إلى أن وصلت وحدات اللواء إلى مناطق العمل المحددة لها.

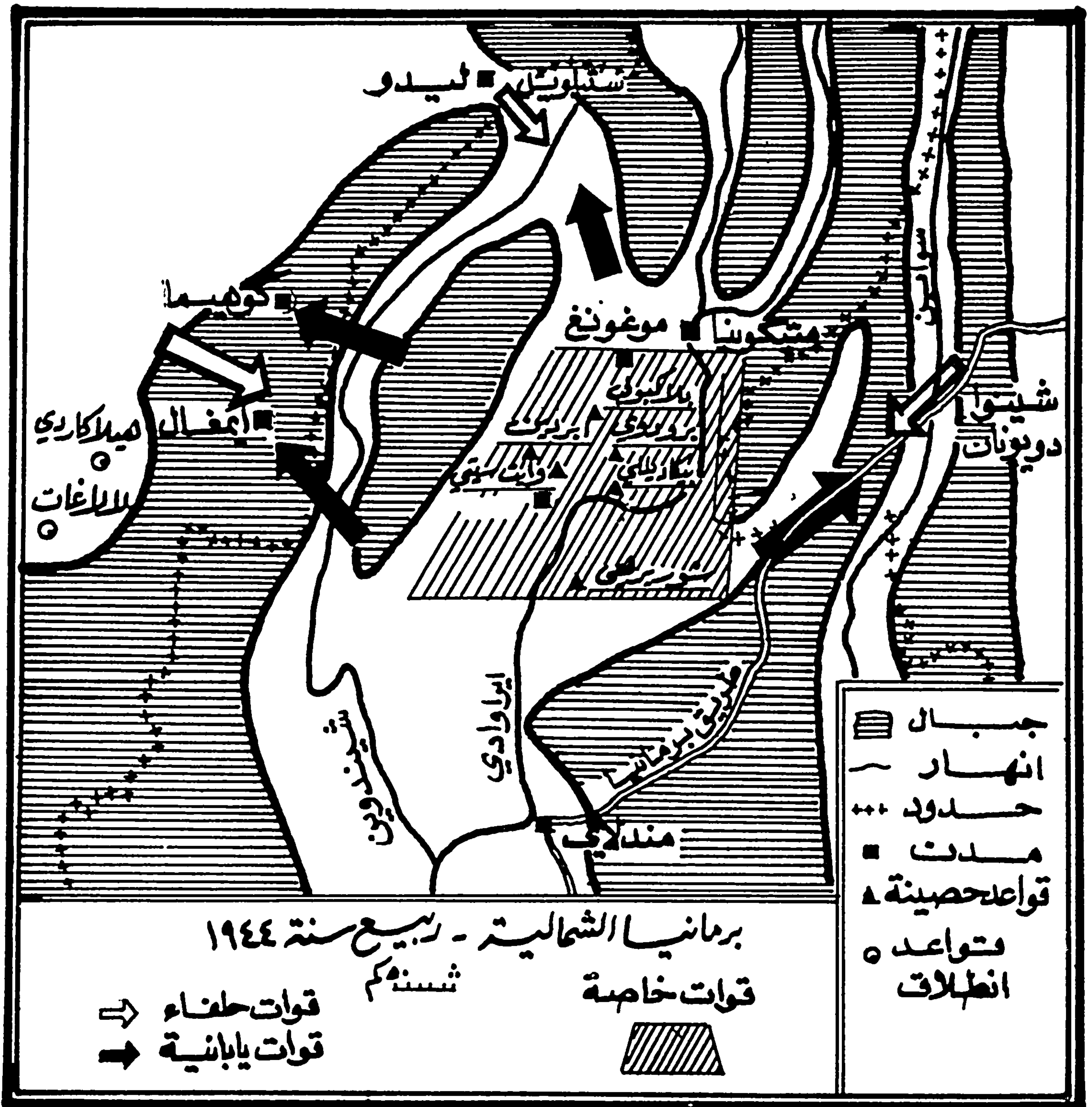
- كان مخطط العملية يتضمن شرطاً أساسياً، هو ضرورة إخلاء الوحدات الخاصة بكاملها، واستبدالها بغيرها عن طريق الجو، وذلك بعد فترة شهرين من بدء العمليات ولكن هذا الشرط الأساسي قد لا يلتفت إليه وهذه حقيقة واقعة سيتم التثبت منها عند إصدار الحكم النهائي على العملية كلها.

- إن ما حدث في الواقع، هو أنه في اليوم التالي لبدء تنفيذ عملية «الأربعاء» وبصورة مباشرة بعد ٦ آذار ابتدأ الجيش الياباني آخر هجوم أرضي له، وكان من أكبر أعماله الهجومية في الحرب. وقد تمكن بهذا الهجوم من أن يجد له موطىء قدم في أقاليم «ايمغال» و «كوهيما» الهندية. وكانت معركة قاسية من معارك حرب الأبادة خاضتها قوات الجيش الخامس عشر الياباني في الخنادق والثغرات ضد قوات الفيلق البريطاني الرابع والفيلق الهندي الثالث والثلاثين، واستمر الوضع كذلك حتى نهاية شهر حزيران عندما قرر اليابانيون البدء في التراجع والانسحاب نحو أواسط «بورما» وظلت القوات الخاصة خلال هذه الفترة بكاملها ضمن مواقعها المنعزلة في مركز بورما الشمالية بدون أن يتم تبديلها، ولم يصلها إلا القليل من الدعم.

٣ - التنفيذ

- تقرر أن يبدأ تنفيذ عملية «الأربعاء» في ليلة ٥ - ٦ آذار ١٩٤٤، على أن تقلع طائرات الموجة الأولى حاملة معها اللواء / ٧٧/، واللواء / ١١١/ من مطارات «هايلا كاودي» و «لالاغات» لكي يتم الإنزال فوق منطقة تبعد مسافة / ٢٥٠/ ميلاً، وعلى أرض هذه المنطقة يتم تشكيل رؤوس الجسور الجوية الثلاثة «بيكاديللي، برودواي، شوورينجهي».

- تم تدعيم التشكيلة الجوية الأولى لطائرات النقل «كوماندو» بمئة طائرة بريطانية وأمريكية من طائرات «الداكوتا» لعملية النقل الجوي.


ليدو
كوهيما
امفال
هيلاكاندي
موغونغ
ميتكوينا
شيتوا
دويونان
ايراوادي
مندلاي
طريق برمانيا
جبال
انهار
حدود
مدن
قواعد حصينة
قواعد انطلاق
برمانيا الشمالية - ربيع سنة ١٩٤٤
قوات خاصة
قوات حلفاء
قوات يابانية

حددت الساعة / ١٧,٤٠ / لاقلاع الطائرات، والطائرات الشراعية في الموجة الأولى.

ـ ولكن في الساعة / ١٧,٠٠ /جاءت الصورالجوية التي التقطتها طائرات الاستطلاع لتظهر بأن المسطح الأرضي المخصص لعملية «بيكاديللي» قد تغير وأن ـ هناك جذوع ثلاثة أشجار قد تم وضعها في وقت قريب جداً. وكانت هذه الجذوع تشكل حاجزاً عائقاً أمام هبوط الطائرات ـ .

ـ فهل عرف اليابانيون شيئاً عن العملية؟...

ـ وفي فترة نصف ساعة فقط. اتخذ الجنرال «سليم» قراره، وهو أنه ليس هناك ما يحتم تنفيذ العملية بأكملها وشرع «وينغيت» على الفور بإعادة تنظيم وحدات هجومية لتنفيذ العملية بينما انصرف «كوتشرين» في الوقت ذاته لتحويل جميع الطائرات والطائرات الشراعية وتوجيهها إلى منطقة العملية الجديدة ـ.

ـ في الساعة / ١٨,٠٨/ أقلعت أول طائرة «داكوتا» وهي تقطر خلفها طائرتين شراعيتين ـ تقطران بدورهما طائرتين شراعيتين أيضاً ـ. واستمرت العملية طوال ليل (٦ ـ ٧) آذار أيضاً.

ـ تمكنت القوات المحمولة من احتلال الأرض، وتشكيل رأس جسر «برودواي» وفي فترة تقل عن / ٢٤/ ساعة ـ كان فريق المهندسين الأمريكيين، ومعهم جرافاتهم «بلدوزر» التي تم نقلها بالطائرات الشراعية قد انتهوا من إعداد المهبط لطائرات «الداكوتا» والإحصاءات التالية تعطي صورة واضحة ـ لعملية النقل الجوي التي تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ الحرب العالمية الثانية ـ.

ـ في فترة (٦) ليال فقط ـ تم نقل / ٩٠٥٢/ رجلاً و/١٤٥٨/ من الخيول و/٢٤٢/ طناً من الأعتدة والتجهيزات المختلفة.

إبتداء من يوم ٦ ـ آذار ـ أخذت الطائرات الخفيفة تنقل الجرحى ـ.

ـ وبعد ذلك بأيام قليلة ـ تم تمركز دوريتين من طائرات «السبيتفاير» في قاعدة «برودواي» ـ وكانت هذه أول مرة تقوم فيها الطائرات المقاتلة بتنفيذ عملياتها من أرض يحتلها العدو...

ـ بعد صباح يوم ١٠ آذار ـ تم إخلاء قاعدة «شوريرهي» ـ وانتقالها فوق الطرق الأرضية.

كان على اللواء العاشر أن يقوم بمسيرة صعبة لمسافة / ٣٧٥/ ميلاً - بين الغابات - وذلك خلال فترة شهر ونصف بمهمة تنفيذ المرحلة الثانية من عملية «الأربعاء».

كما كان على اللواء السادس عشر، أن يقوم بتجاوز نهر «شيندوين» مستخدماً في ذلك الطائرات الشراعية والطائرات الهجومية، بعد أن تعمل هذه على أيقاف محركاتها، وعند انتهاء مرحلة الهبوط، ثم الانتهاء من إفراغ حمولة الطائرات المكونة من (٤٠٠٠) رجل مع معداتهم، بالإضافة إلى (٦٠٠) حيوان كان على طائرات الداكوتا أن تأتي لتقتلع هذه الطائرات من على الأرض وتعود بها إلى قواعد إنطلاقها في الهند.

خلال الفترة الواقعة ما بين ليل (٢٢) آذار، و (٥) نيسان. تمكن اللواء (١٤) من تشكيل قاعدة «ابيردين». وعدد الأفراد الذين تم نقلهم في هذه المرحلة (٣٧٦٥) رجلاً، بالإضافة إلى (٦٠٩) من حيوانات النقل، مع (٢٧٤) طناً من - المعدات. وقد قامت طائرات الداكوتا بنقل هذه الحمولة بواسطة (٤٦٣) طلعة كما تم نقل بقايا عناصر اللواء الافريقي الثالث: جواً وذلك في يوم ١٢ نيسان. وبذلك تم تنفيذ المرحلة الثانية من العملية.

ثمة عاملان كان لهما أثرهما الكبير في تنفيذ المرحلة التالية، وهي مرحلة التوسع في العملية، أولهما غياب النجدات، وعدم ظهور طائرات الامداد أو الدعم بسبب انشغالها بمعركة «ايمغال» وثانيهما مصرع الجنرال وهو في طائرته التي تحطمت يوم ٢٤ آذار ١٩٤٤. وعلى الرغم من أن الجنرال «لا نتينغ» قائد اللواء / ١١١/ الذي خلفه يساوي الجنرال «وينغيت».

يمكن تقسيم مراحل عمل القوات الخاصة التي استمرت حتى شهر آب من عام ١٩٤٤ إلى ثلاثة مراحل: الأولى وبها تم غزو أقليم «ايمغال» بكامله وطول هـذا الأقليم (٧٥) ميلاً وعرضه ثلاثون ميلاً، وقد أقيمت فيه قاعدة «وايت سيتي» المحصنة وبها عقد مواصلات الخطوط الحديدية وطرق المواصلات العريضة، وبإنشاء هذه القاعدة أمكن منع كل الامدادات من الوصول إلى الفرقة اليابانية (١٨)، وقد تم تنظيم عدد من الاغارات التخريبية خلال الفترة الواقعة بين ١٦ - و - ٢٦ نيسان. ونتج عنها تدمير (١٢٣) مستودعاً منعزلاً، تدمير (٢٠٠) عربة نقل للذخائر الخ.. بالإضافة إلى عدد من الهجمات الساحقة على حاميات المواقع الدفاعية اليابانية بالتعاون مع الأنصار من مواطني بورما وقد استطاعت قاعدتا «برودواي ووايت سيتي» أن تصدا عنها عدداً من هجمات أفواج القوات اليابانية. الثانية: وبها تم الزحف نحو الشمال ببطء - مع تجنب اللقاء بقوات الجهد الرئيسي للعدو - وكان هذا الزحف يهدف إلى تأمين الاتصال بالقوات الصينية المتقدمة بقيادة «ستيلل

ويلل» وفي هذه المرحلة، تم إخلاء قواعد «برودواي وابردين ووايت سيتي» وقد تم تنفيذ عملية الاخلاء هذه عن طريق الجو، وبواسطة الطرق الأرضية في وقت واحد. وبعملية الاخلاء تم نقل اللواء (١٦) إلى الهند عن طريق الجو، وفي مطلع شهر أيار، أقيمت قاعدة محصنة جديدة «بلاك بول» وتم إخلاؤها بدورها أيضاً عن طريق الجو، وبالطرق الأرضية، وذلك في ٢٥ مايس.

المرحلة الثالثة والأخيرة: وخلالها تم تأمين الاتصال بالقوات الصينية بعد سلسلة من المعارك الضارية، لاسيما حول «موغانغ» التي استطاع اللواء (٧٧) أن يحتلها في يوم ٢٣ حزيران، وكانت هذه أول مدينة من مدن «بورما» يتم استردادها من أيدي اليابانيين.

في هذه المرحلة تم زج القوات التي قامت بالغزو عن طريق الجو، بينما كانت القوات اليابانية تندفع إلى الحدود محاولة الوصول إلى الهند.

بعد (١٧) أيار تابعت القوات الخاصة زحفها البطيء نحو الشمال، بألويتـها ١٤ و٧٧و١١١ واللواء الأفريقي الثالث ـ بعد أن تم وضع الجميع تحت قيادة الجنرال «ستيلل ويلل».

وفي أوائل شهر آب، تم سحب القوات الخاصة بصورة نهائية واستبدالها بالفرقة البريطانية (٣٦) التي نقلت جواً من الهند إلى «متيكونـيا».

اضطرت الفرقة اليابانية (١٨) أن تبدأ إنسحابها من جراء ضربات القوات الخاصة العاملة خلف خطوطها، وضغط قوات الجنرال «ستيلل ويلل»، من أمامها.

وفي (١٧) أيار، وبعد مرحلة صعبة من المسير استمرت ثلاثة أسابيع بين الأدغال الكثيفة، وفوق الجبال الصعبة تمكنت جمهرة اللواء الأمريكي من الوصول إلى «متيـكونـيا»، وقامت باحتلال مطارها بإغارة، وبعد خمس ساعات من احتلال المطار هبطت الطائرات الشراعية محملة بالمهندسين وبالأعتدة الثقيلة. وبعد (٤٨) ساعة كانت هناك فرقة صينية وبطارية مدفعية مضادة للطائرات، وجهاز للرادار والمراقبة الجوية، وقد تم تحرك كل ذلك ووصوله إلى هذه القاعدة بوسائل النقل الجوي.

وخلال (٤٨) ساعة المذكورة استطاعت أكثر من (٥٠٠) طائرة داكوتا هبوط أرض المطار والاقلاع منه. ولكن مقاومة اليابانيين أخرت احتلال الأقليم حتى ٣ آب. وهكذا استطاعت معارك شمال بورما، أن تصل إلى نهايتها وتحقق هدفها.

استفادت القوات الخاصة من الدعم المستمر الذي كانت توفره لها مجموعة طائرات الكوماندو الأولى طوال الأشهر الخمسة، وما تضمنته من المعارك والتحركات في داخل

الاقليم الذي كانت تحتله قوات العدو. وقد نقلت هذه الطائرات ما يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل من جريح ومريض، وما يزيد على ألفي طن من الامدادات في كل شهر. ومما هو جدير بالذكر هنا، الاعتراف بالدور الذي قامت به بطارية من المدفعية المضادة للطائرات، فقد تم نقل هذه البطارية جوا الى قاعدة «برودواي» في بداية العملية ثم قامت بعدة تحركات الى ان انتهى بها المطاف الى قاعدة «متيكونيا» واسقطت هذه البطارية عددا من الطائرات اليابانية يزيد على كل ما استقطته جميع الوحدات المدفعية المضادرة للطائرات في الهند وبورما طوال عام ١٩٤٤.

ترى ما هي نتائج الجهود الجبارة لعمليات النقل الجوي، التي تم تنفيذها بالاشتراك مع الجهود الاستراتيجية «الانكلو امريكية» فوق مسرح عمليات «بورما»؟.

لقد كانت هذه النتائج موضعا للنقاش في بعض الأحيان. وكان يتم الانقاص من قيمتها. وهناك عددا من المبررات التي توضح أسباب ذلك، واول هذه المبررات هو انه من الصعب متابعة تطورات المعركة وهي تدور خلف خطوط العدو. لا سيما وان - المعركة قد حدثت بينما كان الاهتمام موجها الى الهجوم الياباني على الهند. واتفق موعد هذه العمليات مع موعد قيام الحلفاء بغزو اوروبا. ولكن، على الرغم من ذلك، فهناك رصيد ثابت من الوقائع يجب اضافته بصورة محددة لحساب القوات الخاصة. فلقد لقي تقدم القوات الصينية والامريكية بقيادة الجنرال «ستيلل ويلل». كل مساعدة عن طريق الضغط المستمر الذي كانت تقوم به القوات الخاصة على مؤخرات الفرقة اليابانية (١٨) - وعلى خطوطها الخلفية، وهذا ما حرمها من كل نجدة وامداد. كما ان القطاع الأوسط من بورما الشمالية، اصبح من جراء هذه العمليات حافزا الى العمل ضد اليابانيين الذين خسروا في معاركهم هذه ما يزيد على الخمسة آلاف قتيل. ومقادير كبيرة من الذخائر والوقود والأطعمة. احست القيادة اليابانية ان أجنحتها قد اصبحت مطوقة، وهذا ما حملها على ان تتحرك بسرعة وتعمل على سحب قواتها أرضا في اتجاه الجنوب. وتم تنفيذ ذلك اعتبارا من شهر تشرين الأول لعام ١٩٤٤. وقد كانت هذه بالضبط هي المهمة التي كان «وينغيت» قد تلقاها في الرابع من شباط عام ١٩٤٤. وقد تم اكمال هذه المهمة، وانجازها على الرغم من تجاهل الشروط الأساسية التي تطلبت نقل الوحدات الخاصة بعد شهرين من بدء العمليات واستبدالها بفرقة جديدة اكثر قدرة على الاضطلاع بأعباء المهمة.

وقد شهد بهذا النجاح الجنرال الياباني «ناكا» الذي كان رئيساً لاركان مجموعة جيوش بورما اذ قال:

«ان عملية المظليين هذه، قد عزلت الفرقة الثامنة عشرة عن قواعدها الخلفية عزلا

تاما، مما جعل المقاومة ضد العدو في بورما الشمالية مستحيلة».

ومن ناحية أخرى، فان هذه المعارك كانت برهانا على أنَّ الأوروبيين يستطيعون دحر اليابانيين في مجالات عملهم. وانهم يستطيعون التحرك في الغابات.

في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٤٥، تم اكمال الطريق الأرضي من الهند الى الصين.

في ٣ مايس ١٩٤٥، احتل «رانغون» عاصمة بورما الجيش البريطاني الرابع عشر، قبل الرياح الموسمية.

خسر اليابان في معارك بورما وحدها (١١٠,٠٠٠) قتيل، اي ما يعادل «١/٣» ما خسروه في معاركهم الأرضية خلال الحرب العالمية الثانية بأكملها والذي بلغ (٣٦٠,٠٠٠) قتيل وقسم كبير من هذه الخسائر كان على يد القوات الخاصة.

٥ ـ الدروس المستقاة

تضمن الكتاب الذي وضعه الفيلد ماريشال «سليم» قائد الجيش البريطاني الرابع عشر، والذي يحمل عنوان «من الهزيمة الى النصر» ما يلي:

«تكلف الاستعدادات للحرب نفقات باهظة، وهي تثقل المجالات. ولكن هناك قسما هاما منها لا يكلف الا قليلا، وهذا القسم هو الدراسة. فمهما تغيرت الظروف الجديدة للحرب، وبدت مستغربة، لا بالنسبة للقادة فقط، بل بالنسبة للسياسيين، المواطنين العاديين، فان هناك الكثير من الصبر والدروس ـ المأخوذة من الماضي هي مما يمكن تطبيقه في المستقبل. وثمة معارك تتميز عن سواها بظلالها المتقدمة نحو آفاق الحرب الحديثة، واعتقد ان معركتنا في «بورما» كانت واحدة من تلك المعارك، وينطبق هذا بصورة خاصة على عمليات المظليين التي تضمنتها مخططات عملية «الاربعاء» والتي كانت في الواقع، نقطة تحول جديدة وظاهرة مميزة في فن الحرب».

وفي الواقع، ان عملية «الاربعاء» تشبه عملية غزو المظليين الالمان لهولندا في عام ١٩٤٠، وعملية غزو «كريت» في عام ١٩٤١، ذلك لأنها تهدف الى تحقيق هدف استراتيجي، لا مجرد اهداف تعبوية محددة. على نحو ما كانت عليه عمليات مظليي الحلفاء في فرنسا، وهولندا، وألمانيا في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥.

وفي عصر استخدام الطاقة الذرية، عندما تقف المساحات الواسعة لمسرح العمليات المحتمل، حائلا دون انتشار القوات، وعندما تقوم الطائرات بتحركات كبيرة، فان باستطاعة عمليات المظليين ان تحقق المفاجأة، وان تستثمرها لقهر العدو وازالته من ميزان

القوى عن طريق توجيه ضـربة قوية الى قلبه وبتر موارده الحيوية واثارة الحرب التخريبية وتنظيم المقاومة الداخلية ضده.

ان التقنية الحديثة، تقوم بتقديم طائرات النقل الهجومية، الطائرات العمودية ومركباتها ذات الحمولات الثقيلة. وفي الغد ستقوم بتقديم الطائرة: او التحولة وان هذه ستمهد السبيل للتحركات الليلية. وستزيد كثيراً من قدرة - الاسلحة الفعالة التي يتم نقلها وذلك على نحو ما تم تنفيذه في عملية «الاربعاء» التي هي بمثابة اشارة نحو المستقبل. وان هذا أول درس يجب تذكره.

وهناك دروس أخرى جديرة بالاهتمام وأولها وأكثرها اهمية. ما يتعلق منها بالوحدات وضرورة تدريبها على السير الطويل - وعلى الرماية - وعلى العيش في ظروف تماثل ظروف المعركة الحقيقية، وتلك هي قاعدة اساسية لتحقيق النجاح، وقد تلقى هذه القاعدة الهامة بعض الاستخفاف عندما يتحدث الجميع عن أهمية التخطيط - والاعداد الفني والنفسي الخ.. ولكن ظروف معركة المستقبل قد تكون مماثلة لتلك التي كانت عليها ظروف اللواء البريطاني (١٦) والتي اشار اليها قائد اللواء الجنرال «فيرغسون» عندما قال بان لواءه كان يستخدم الطائرات الحديثة ويستفيد من الدعم الجوي، ولديه المعدات اللاسلكية الجيدة. ولكنه رغم ذلك لقي الفشل في تنفيذ مهمته أمام عدو شرس، يعيش في ظروف حياة بدائية.

والدرس الآخر يتعلق بالقيادة، وحاجاتها الى المرونة، وقدرتها على تنفيذ التحركات.

قد يكون الالتزام بالدفاع مفيدا في بعض الأحيان ، ولكن العدو المهاجم هو الذي يقوم دائمًا بحشد قواته - وتحديد حجمها زيادة ونقصانا حسبما - يريد. ولذا يجب أن يكون الدفاع مرحلة مؤقتة، على أن يتبعها دائمًا تحريكات قوية. وخلافا لما يعتقده بعض الناس في هذه الأيام فان الحركة ليست قضية مركبات فحسب - وها هي تجربة «بورما» حيث قامت تشكيلات كبرى باجتياز آلاف الأميال سيرا على الأقدام، وان الدعم الجوي يستطيع توفير الامدادات، وتوفير الحماية بالنيران ويزيد من امكانات المناورة والتحرك على الاقدام، لاسيما في الغابات والمناطق الجبلية، لو كان كل ذلك يقتضي وجود وحدات مدربة على السير الطويل تستطيع القيام بالاختراق العميق - وتتمكن بهذه الوسيلة من تحقيق المفاجأة - وفي ذلك فائدة كبرى في حالات الحرب التقليدية او الحرب الذرية.

من الواضح ايضاً بأن وجود الأجهزة اللاسلكية، وتوافر وسائل المواصلات من الأمور الحيوية. وستكون المناورة مستحيلة بدون توافر هذه الأجهزة. ولهذا يجب ان - لا تكون وسائل الاتصال وفي مقدمتها الأجهزة اللاسلكية مصممة على أساس استخدامها في

المركبات فقط بل يجب ان تكون مصممة بحيث يسهل تجزئتها ونقلها بواسطة الحيوانات او استخدامها وهي على ظهر الرجال.

وأخيراً، فان أمام الضباط الاعوان دوراً هاماً عليهم ان يلعبوه، في رفع الروح المعنوية للقوات، ذلك لأنهم سيتحملون اعباء كافة الأعمال المنعزلة، كالمسيرات والدوريات والهجمات وسيكون احرآز النصر مرهوناً بجهودهم. ولهذا يجب انتقاؤهم، وتدريبهم لكي يتم اكسابهم الصلابة والاقدام في اجسادهم وفي روحهم المعنوية، وبذلك تمكنهم اعطاء المثل في القيادة. وان ما قيل عن الضباط الاعوان يقال عن الوحدات ذاتها، ولذا فيجب اعطاء الافضلية الى النوع أكثر مما يجب اعطاؤه الى الكم، او العدد، وان النصر لا يتأتى الا على أيدي النخبة الممتازة.

ان هذه المعركة، اذا ما نظر اليها للوهلة الأولى، فانها تبدي الصعوبة الكبرى في اتخاذ قرار يحقق هدف الحلفاء الاستراتيجي على اختلاف اهدافهم الناجم عن اختلاف مصالحهم.

ولكنها في الواقع تختلف عما توحيه من الوهلة الأولى، بل انها على النقيض من ذلك، تبرهن ايضاً على ان الوحدات المختلفة في جنسياتها، وعروقها وعاداتها ولغاتها تستطيع ان تقاتل جنباً الى جنب فيها اذا كان على رأسها نوع من القادة الذين يتميزون بالذكاء والحزم والقدرة على ايحاء الثقة، وان التعاون المظفر للقوات البريطانية والامريكية والغوركية والبورمية والافريقية والصينية في عملية «الأربعاء» ليس الا تجسيدا لهذه الحقيقة.

ان عمليات المظليين الكبرى التي قام بتنفيذها الالمان والحلفاء فوق مسرح عمليات اوروبا خلال فترة الحرب العالمية الثانية قد تعرضت للكثير من الدراسات الدقيقة والتفصيلية، ولكن عمليات المظليين وعمليات النقل الجوي للقوات الانكلو ـ السحيق في بعده «بورما» لا تزال بعيدة عن المعرفة التامة. وان هذا المسرح الحربي، السحيق في بعده والمنسي في احداثه، والذي يأتي في الصف الأدنى من قائمة الافضليات، قد شهد تنفيذ عملية قامت بها قيادات لا تمتلك وحدات من قوات المظليين، كما انه لم يكن لديها تشكيلات من القوات المنقولة جوا، وعلى الرغم من ذلك، فان هذه القيادات زجت في المعركة كل ما كان لديها من رصيد في الامكانات، وتمكنت من تنفيذ أول عملية تتفوق في أهميتها على كل ما لعمليات الحلفاء من شأن وهو شأن يشكل كل مراحل العملية بداية من الاعداد والتحضير ونهاية في تنفيذ العملية وفي النتائج التي تم تحقيقها.

الفصل الثالث عشر

انزال برمائي ذهب هدرا - آنزيو - كانون الثاني عام ١٩٤٤

ان ميزات القائد الشخصية في الحرب ليست دون الذكاء أهمية، بل تفوقه ومن أولها المبادأة والتصميم. ونتيجة لاهمال هذه الحقيقة ضاعت الفرصة التي سنحت في المفاجأة التعبوية - الستراتيجية بتاريخ ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٤٤، على أثر الانزال البحري فوق شواطىء آنزيو - و - نيتينو - وكان من أول نتائج ضياع هذه الفرصة مقتل أربعين ألف من الجنود الامريكيين والبريطانيين خلال فترة اربعة أشهر ذهبوا جميعاً على شاطىء لا رجاء منه. وذلك لوجود قائد لم يكن على مستوى المعركة ولا على مستوى الوحدات التي كان يقودها.

وهناك عدد من التقارير الامريكية والبريطانية والالمانية وكلها تعكس وجهات النظر المختلفة لمشاهد المعركة الدامية والمرعبة في «آنزيو».

وسنستعرض هنا المخطط العام للعملية. وننطلق خلال العملية حتى نهايتها فندرك النقص الفاضح في فقدان المبادأة لدى القائد عندما يقف في مواجهة ما ليس متوقعا من المواقف ذلك النقص الذي تطورت نتائجه في الأسبوع الأول حتى أدت الى الكارثة.

كان الحلفاء يأملون ان يتم لهم احتلال ايطاليا بسهولة - لا سيما بعد أن وقعت هذه على معاهدة ايلول عام ١٩٤٣ - وألقت بموجبها السلاح - وكانت خطة العمليات تتضمن القيام باختراق خطوط الدفاع الألمانية الممتدة على طول جبال شبه الجزيرة الايطالية.

في كانون الثاني من عام ١٩٤٣ أمكن لخط دفاع «غوستاف» المار من «كاسينو» إلى «أورتونو» أن يوقف قوات مجموعة الجيوش الخامسة عشرة التي كانت بقيادة الجنرال «الكسندر» والمكونة من:

الجيش الاميركي الخامس - في الجنوب - وكان بقيادة الجنرال «كلارك».

الجيش الثامن البريطاني - في الشمال - وكان بقيادة الجنرال «مونتغمري».

ولما كان الهدف من الهجوم الوصول إلى روما بأسرع ما يمكن، فإن القيام بإنزال بحري أصبح أمراً إلزامياً لا بد من تنفيذه.

تم انتقاء منطقة «أنزيو - نيتينو» مكاناً لتنفيذ عملية الإنزال وكان هذا الانتقاء موفقاً من الناحية التعبوية، كما كان ملائماً من الناحية السوقية، لأن أرض الشاطىء، كانت تسمح بإنزال سريع وكثيف للقوات، كما كان الاقليم المحيط بالشاطىء سهلاً مما - يجعل تحركات القوات بعد الانزال سهلة لا تعترضها الصعاب. بالاضافة إلى توافر شبكة من الطرق الجيدة التي تجعل التقدم من أجل الوصول إلى النقاط المشرفة في تلال الالبان - أمراً مضموناً - ويصبح الوصول إلى روما - أمراً مؤكداً.

تقع «آنزيو» على بعد عشرين ميلاً من تلال «الالبان» المشرفة على محاور الاقتراب من المدينة الخالدة «روما» كما أنها تقطع خطوط مواصلات الجيش الالماني العاشر الذي كان يتمركز عند خطوط «غوستاف» الدفاعية الواقعة على بعد ستين ميلاً -

كان مخطط العمليات يستهدف القيام بالهجوم على أكثر دفاعات العدو ضعفاً لأنه كان قد حشد وحدات جيشه العاشر في الاتجاهات المقابلة للمواقع الدفاعية أما جيشه الرابع عشر - فكان قد عمد إلى توزيعه ونشره فوق المنطقة المحيطة بشمال «روما»

وهكذا كانت فرصة لتوجيه ضربة مظفرة إلى القوات الالمانية في إيطاليا. وقد خطرت هذه الفرصة في خيال رئيس مجلس وزراء بريطانيا آنذاك «ونستون تشرتشل» وانطلاقاً منها قام الجنرال «الكسندر» قائد مجموعة الجيوش الخامسة عشرة بتكليف الجيش الخامس بإعداد خطة الإنزال البحري في عملية أطلق عليها اسم رمزي هو «الحصاد» هدفها الاستيلاء على تلال «الالبان» وقطع خطوط مواصلات الالمان وتهديد المنطقة في عمق العدو الدفاعية وشق طريق إلى «روما» مفتوحاً.

كان الجنرال «كلارك» قائد الجيش الخامس - لا يزال متأثراً بالمواقف التي لم تكن متوقعة - وبالصعاب التي برزت في وجه عملية الإنزال في «ساليرن» بتاريخ يعود إلى شهر أيلول من عام ١٩٤٣ - ولهذا فقد آبتدأ على الفور بتخفيف أعباء الاهداف التي كان يجب

أن يتضمنها المخطط حسبما مر معنا، وهكذا، عوضاً عن تحديد المهمة بالاستيلاء على تلال الالبان بشكل واضح ـ فقد جاءت الاوامر مبهمة وغامضة بشكل متعمد لتكون كالتالي: ـ

أ ـ احتلال منطقة لتكون رأس جسر في «آنزيو».

ب ـ التقدم باتجاه «تلال الالبان». وقد انعكس هذا الجو على الفكرة والقصور في التصميم على جميع القوات حتى وصل إلى أصغر المتسويات.

تم تكليف الفيلق السادس الامريكي بعملية الإنزال البحَري ـ وكان هـذا الفيلق بقيادة الجنرال «لوكاس» الذي تنبأ قبل الإنزال والهجوم بما سيحدث له عندما قال:

«إن ما سيقع ـ سيكون أكثر سوءاً لما وقع... مفاليبولي في الدردنيل». كان الفيلق السادس يمثل قوة لها أهميتها. إذ كان باستطاعته الاستفادة من التفوق. الجوي ـ والتفوق البحري كما كانت إمكاناته الخاصة كبيرة ـ إذ كان يتكون من: فرقة المشاة الامريكية الثالثة + فرقة المشاة البريطانية الأولى + ثلاثة أفواج صاعقة «رينجرز» + فوج من مظليي الولايات المتحدة الامريكية + لواء مغاوير بريطاني «كوماندو» وكان مجموع أفراد هذا الفيلق يبلغ مئة وعشرة آلاف مقاتل ـ كما تم تعيين فرقة المدرعات الامريكية الأولى + فرقة المشاة الخامسة والاربعين للعمل كاحتياط للهجوم. أما قوات الهجوم المباشر فكانت تصل في عددها إلى الخمسين ألف مقاتل ومعهم خمسة آلاف مركبة وتشتمل على فرقة المشاة السابعة والعشرين المدعمة بألف ومئتي طلعة من الطائرات المقاتلة والطائرات قاذفات القنابل.

كان الجنرال «لوكاس» قائد الفيلق السادس الامريكي ـ يبلغ ـ الرابعة والخمسين من عمره وقد ابتدأ بمزاولة أول قيادة له في القتال عندما تم تعيينه لقيادة هذا الفيلق بتاريخ ٢٠ أيلول.

كانت هذه الحرب الجبلية بحاجة لمخططات منهجية وإلى وقت كاف لاعدادها وقد أصبح الجنرال «لوكاس» متعباً جسدياً ومرهقاً نفسياً ـ وهذا ما جعله يميل إلى الحذر ويخضع لوجهات نظر مرؤوسيه... وكانت قوة تأثره بصعاب المهمة تفوق القوة التي كانت تدفعه لاغتنام هذه الفرصة القيادية التي اتيحت له.

وعلى كل. فقد ابتسم الحظ للجنرال «لوكاس» لأن الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» قائد مجموعة الجيوش الالمانية ـ كان من الـذين يتميزون بـالمجازفـة والمخاطـرة ـ ونتيجة لهـذه الميزة ـ ولكي يتم له إيقاف تقدم الجيش الأمريكي الخامس الذي كان قد بدأ هجومه في ١٢ كانون الثاني عام ١٩٤٤ أصدر أوامره بسحب فرقتين من الاحتياط كانتا تتمركزان في منطقة «روما» ووضعهما تحت تصرف الجيش الالماني العاشر. وفي الفترة الواقعة بين يوم

١٨ و ٢٠ كانون الثاني تحركت الفرقتان الآليتان ٢٩ و ٩٠ في اتجاه الجبهة. وبذلك أصبح القطاع الواقع إلى الجنوب من روما خالياً من أية قوة المانية.

وهكذا أنزلت قوات الفيلق السادس بقيادة الجنرال «لوكاس» إلى أرض شاطىء «آنزيو ونيتونو» بدون أن تلقي أي مقاومة في الساعة (٠٢٠٠) من صباح يوم ٢٢ كانون الثاني وقبل ظهور أول ضوء كانت المدفعية بكاملها والمدافع المضادة للطائرات والدبابات قد أصبحت فوق أرض الشاطىء.

انتشرت وحدات الفرقة الامريكية الثالثة فوق أرض المنطقة وتم لها ذلك في فترة الضحى.

في الساعة ١٢,٣٠ كانت القوة البالغ عدد أفرادها الستةآلاف رجل من ثلاثةآلاف مركبة قد انتشرت ضمن دائرة يبلغ نصف قطرها سبعة أميال ونصف الميل ولم يكن هناك أي أثر للعدو. . لقد كان تحقيق كل شيء ممكناً.

إستمر إنزال القوات والمعدات في يومي ٢٣ و٢٤ كانون الثاني وقداستطال رأس الجسر نحو الداخل وبلغ عمقه من أية نقطة من أرض الإنزال عشرة أميال.

في صباح يوم ٢٤ كانون الثاني ابتدأت دوريات الاستطلاع البريطانية في التقدم على طول طريق «البانو» أي على بعد سبعة أميال ونصف من «آنزيو» وفي هذا الوقت كان الضباط يقضون وقتهم بلعب «البريدج» بينما كان الجنود يقومون بإعداد الشاي. لقد كان الغموض المطلق يسيطر على كل شيء.

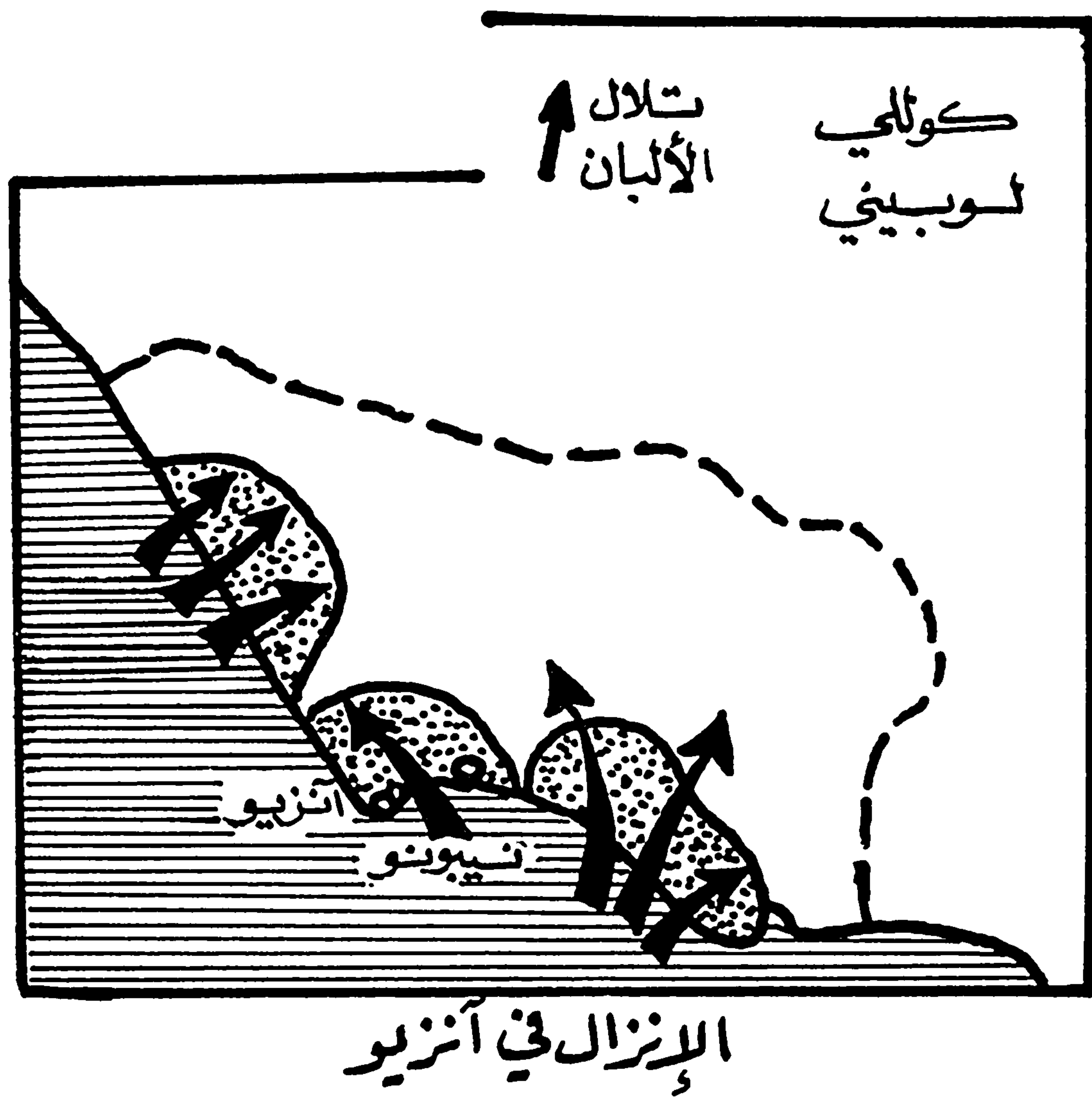
في يوم ٢٥ وقع الهجوم البريطاني الأول على مصانع «ابريليا» التي تبعد مسافة أحد عشر ميلاً عن «آنزيو» وقد تغلغل هذا الهجوم إلى داخل المواقع الدفاعية الالمانية القوية.

في يوم ٢٦ قرر الجنرال «لوكاس» البدء بالهجوم والانطلاق من رأس الجسر ولكن الوحدات لم تكن بعد مستعدة لذلك.

في يوم ٢٧ ـ القيت محاضرة كبرى هدفها مناقشة المخططات النهائية للهجوم ـ الذي كان يجب البدءبتنفيذه خلال ليل (٢٨ ـ ٢٩) كانون الثاني.

تم تأجيل الموعد أيضاً لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة أخرى ـ وعندما ابتدأ الهجوم أخيراً في ليل (٢٩ ـ ٣٠) كانون الثاني ـ كان قد مضى سبعة أيام كاملة على بدء الإنزال ـ وكان ذلك التأخير كارثة حقيقية.

خلال تلك الايام الأولى ـ كانت قوة الوحدات الالمانية تبلغ الخمسة عشر فوجاً



الإنزال في آنزيو



الهجوم العام في وسط ايطاليا - كانون الثاني ١٩٤٤

وكانت هذه القوة محاطة بقوة تعادل (٤٥) فوجاً - أي ما يعادل ثلاثة أضعاف القوات الالمانية - ولكن الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» الذي تميزت طباعة بالمبادأة - والحزم عرف كيف يناوىء الجنرال «لوكاس» وقد شرع «كيسيرلينغ» في العمل.

في ٢٢ كانون الثاني، وهو يوم الإنزال البحري - اجتاحت موجة من الرعب بعض أوساط القيادة الالمانية في «روما» عندما بلغتها أنباء الإنزال البحري المباغت على بعد (٢٨) ميلاً فقط من العاصمة - وقد ابتدأ بعض الضباط الالمان بإحراق الوثائق والاضبارات.

ولكن الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» الشجاع، ظهر على المسرح. وابتدأت الأوامر وابتدأ تنفيذ الأوامر بسرعة وحزم.

في الساعة (٠٥٠٠) من صباح يوم ٢٢ كانون الثاني كانت وحدات فرقة المظليين الرابعة لا تزال في مرحلة التنظيم. وقد تم تدعيمها بوحدات من فرقة «هيرمان-غورنغ» وتم تحريكها بسرعة فوق محاور طرق جنوب وشرق (روما) وذلك بمهمة إقفال الطريق الموصل إلى «العاصمة».

في الساعة (٠٦٠٠) استقدمت القيادة الالمانية العليا بسرعة فرقتين إحداهما من فرنسا والثانية من البلقان.

في الساعة (٠٧٠٠) تلقى الجيش الرابع عشر الذي كان يتمركز في شمال إيطاليا أمراً بإرسال ثلاث فرق مخففة - وكانت فرقة واحدة من بين هذه الفرق - قد أكلمت تنظيمها.

في الساعة (٠٨٣٠) قام الجيش العاشر الذي كان عند خط «غوستاف» بتشكيل جهاز قيادة الفيلق - مع عناصر ثلاثة أفواج - وقد شرعت هذه القوة المختلطة بالتحرك فوراً في اتجاه رأس الجسر - مستخدمة في تحركها الطرق الجبلية - وذلك تجنباً لضربات طيران الحلفاء.

في الساعة (١٧٠٠) استلمت قيادة فيلق المظليين الأول مهمة قيادة جميع هذه القوات.

في فترة بعد ظهر اليوم ذاته - وصل الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» وظهر فوق مسرح العمليات بهدف تشيجع الضباط والجنود. وعلى الرغم من الطلبات المتكررة التي وصلته من قادة جيشه للانسحاب من خط «غوستاف» إلا أنه أصر عليهم بالبقاء في مواقعهم والاستمرار في مقاومة الهجوم المجابه لهم.

أدرك الجنرال «ويستغل» رئيس أركان الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» الموقف

بوضوح ـ فقال ـ إن الطريق إلى روما مفتوح ـ وهناك رتل آلي كبير يريد أن يدخل ـ العاصمة. ويجب إيقافه بقوات مذهلة.

وقد قدر الفيلد مارشال «كيسيرلينغ» الموقف فقال ببرود:

«إذا ما وقع الهجوم خلال يومي ٢٣ و ٢٤ كانون الثاني، فإنه لن يكون لدينا ما يكفي من القوات».

في الساعة (١٨٠٠) من يوم ٢٥ كانون الثاني استلم الجنرال «ماكينسون» مع جيشه الرابع عشر، مهمة قيادة عمليات كل الوحدات المخيطة برأس جسر «آنزيو» وفي هذا اليوم، كان قد وصل تعداد أفراد قوات الفيلق السادس بقيادة الجنرال «لوكاس» إلى مئة ألف مقاتل، وكان (٢٥,٠٠٠) منهم من الجنود العاملين ومن الوحدات النظامية. بينما كان الجيش الالماني الرابع عشر وما معه من قوات لا يزيد على تسعين ألف مقاتل. علماً أن ثلث هذه القوة من غير المحاربين، أي أن عدد المقاتلين المجربين لم يكن يتجاوز الستين ألفاً.

في يوم ٣ شباط، تلقى الفيلق السادس أمراً باحتلال وتنظيم مواقع للدفاع وكان الالمان قد حاولوا حتى يوم (٢٩) كانون الثاني، إعادة القوات الأنكلو ـ امريكية إلى البحر، ولكن الفشل كان من نصيب تلك المحاولات. وعندئذ تابعت القوات في رأس جسر «آنزيو» عملياتها على شكل قتال خنادق. واستمر الأمر على هذا الشكل حتى يوم ٢٥ مايس. وهو اليوم الذي انضم فيه إليهم الجيش الخامس.

في يوم ٢٢ شباط صدر الأمر بعزل الجنرال «لوكاس» عن قيادته أي بعد شهر من بدء الإنزال، وكان بديله قائد فرقة المشاة الاميركية الثالثة «الجنرال سكوت» والذي كتب عنه واحد من الصحافيين ما يلي: «لقدكسبنا رأساً جديداً في «آنزيو» ويتميز هذا الرأس بكونه صلباً فالقائد الجديد يبدو كملاكم يقاتل بكلتا يديه، لا كرجل أعمال متعب».

إن هذه المقارنة صحيحة، وهي تضع وصفاً واقعياً للرجلين، ويبقى هذا الوصف بصورة عامة صحيحاً لكل القادة في كل جيش محارب.

ومن جديد. فإن عملية آنزيو» لقيت مصرعها بسبب افتقادها للقيمة العظيمة التي تتجلى في مبادأة القائد الحربي.

ترى أي نوع من المعارك كانت ستأخذه «آنزيو» لو كانت قواتها بيد قائد أمثال لوكليرك ـ أو ـ باتون ـ أو ـ رومل ـ أو ـ غورديان؟. وما هي النتيجة؟.

ما من شك في أنه النصر الحاسم، ولأمكن احتلال «روما» وعزلها، ثم القيام بتطويق الجيش العاشر.

هناك أسلوب أساسي في العمل، وهو اغتنام الفرصة الملائمة وإلقاء نظرة على طبيعة الأرض ثم اتخاذ القرار المناسب بسرعة، والاستفادة من المفاجأة حتى حدودها القصوى وبذلك آخر قطرة من الجهد في سبيل تحقيق الهدف. وأنه من أجل مثل هذه اللحظة كان نابليون يردد البدهية المعروفة «العمل... العمل... والسرعة...».

لم يكن الجنرال (لوكاس) الرجل المناسب لمثل هذه المهمة، وخلال الايام الأولى التي اعقبت الإنزال اعترف بذلك في مذكراته الشخصية، حيث جاء فيها: «يشكل الجهد في مثل هذه المهمة عبئاً مرعباً. ترى من هو الذي يريد أن يقتحم جهنم لكي يصبح جنرالاً؟...

وفي الواقع، لقد كانت هذه المهمة بحاجة لمن يريد أن يصبح جنرالاً، ولمن تتوافر فيه صفات القائد، ولديه القدرة على التفكير بتعقل، ويستطيع أن يقبل على تحمل مسؤولياته، وعلى مزاولة قيادته.

وستبقى «آنزيو» درساً جديداً بالتأمل والتفكير في أي حرب من الحروب النظامية أو غير النظامية. وستبقى المشكلة الدائمة هي مشكلة الإسراع في تنفيذ التحركات واشتراك هذه التحركات باستخدام الوسائل الناريه الملائمة لها، ولو كان ذلك من أجل وحدة صغيرة نسبياً تعمل مجزأة فوق منطقة واسعة.

وهناك مطلب يجب توافره في صفوف الضباط، وهو الفعالية والقدرة الذاتية وذلك إلى جانب الميزات الأخرى كالقوة الجسدية والعتاد الفكري، وممارسة على المبادأة واستخدام الحـــركة، مع الاستعداد للامساك بأية فرصة قد تظهر أمامهم، بالاضافة إلى التمسك بالهدف الأساسي، والاخلاص له والمحافظة عليه، ولن يتم ذلك إلا ـ بإدراك المهمة إدراكاً جيداً والعمل ببساطة ضمن حدودها الواضحة التي يرسمها القائد.

وأخيراً تنمية روح المبادأة والوصول بها حتى أعلى درجاتها والتصميم الدائم على الأخذ بها.

الفصل الرابع عشر

الأرنيم أو ما هو غير متوقع

أيلول ١٩٤٤

ان أكبر عملية للمظليين شهدها التاريخ، هي التي تم تنفيذها في «هولندا» بين ١٧ و ٣٠ أيلول عام ١٩٤٤. وكان الفشل من نصيب العملية على الرغم من زج (٣٤,٨٧٦) مظليا تم انزال (٢٠,١٩٠) منهم بالمظلات. وتم نقل (١٣,٧٨١) من بينهم بواسطة الطائرات الشراعية، بالاضافة الى نقل ـ ٩٠٥ ـ من الجنود هم بقية القوة، بواسطة طائرات النقل.

هذا بالاضافة الى نقل ـ ١٩٢٧ ـ مركبة، تم انزالها بالمظلات و ـ ٥٦٨ ـ مدفعاً، و ٥٢٣٠ ـ طنا من الامدادات والتجهيزات. ومما يجدر ذكره بأن وحدات المظليين هذه قاتلت بعناد وتصميم جدير بتحقيق كل نصر. وقد خسرت في معاركها ثلاثة عشر ألف مقاتل ما بين قتيل وجريح ومفقود. ورغم كل هذه الجهود، والتضحيات فان الهدف الذي كانت تبتغيه العملية لم يتحقق. وكان هذا الهدف يتمثل بتدمير الجناح الأيمن للجيش الألماني، وعزله عن المعركة. واقتصرت نتيجة العملية كلها على اكتساب قطاع صغير من جبهة ثانوية ودفع العدو عنها لمسافة ستين ميلا الى الوراء، وأصبح من الممكن القول في الوقت الحاضر، بأنه لولا الحظ الذي حالف القوات، لتم تدميرها تدميرا كاملا، ولكان ذلك أسوأ ما يمكن أن تلقاه تلك العملية الاستراتيجية الجريئة التي تم تعميدها باسم رمزي هو «ماركت».

وهناك عامل لم يتوقع، ظهر بغتة وهو الذي غير مجرى الأحداث كلها. في بداية أيلول من عام ١٩٤٤، كان الموقف العام للحلفاء رائعا وكانت المشاعر تفيض بروح التفاؤل فبعد أن تم اختراق جدار النورماندي - استمر التقدم - وانتشرت القوات في اتجاه الشرق وتم التوسع على أيدي مجموعة الجيوش الأمريكية الثانية عشرة، التي كانت بقيادة الجنرال «برادلي». كما أن مجموعة الجيوش الحادية والعشرين والمكونة من التشكيلات الانكليزية والكندية، كانت تتجه الى الشمال بقيادة الجنرال «مونتغومري» وكانت عمليات التقدم تتم بسرعة. وكانت كل الصعوبات الرئيسية التي ظهرت ناجمة عن صعوبات الشؤون الادارية.

كانت عمليات التقدم تسير حسب مراحل التطبيق الزمني للمخططات. وكانت تلك المخططات تفترض أن يتم الوصول الى الحدود الألمانية في يوم «ي + ٣٠٠» و يوم - ي - هو يوم ٦ حزيران، حيث تم الانزال في النورماندي».

ولكن في يوم «ي + ٩٦» كانت طلائع قوات الحلفاء تقترب من خطوط الألمان الدفاعية في «سيغفريد» ومن نهر الموز.

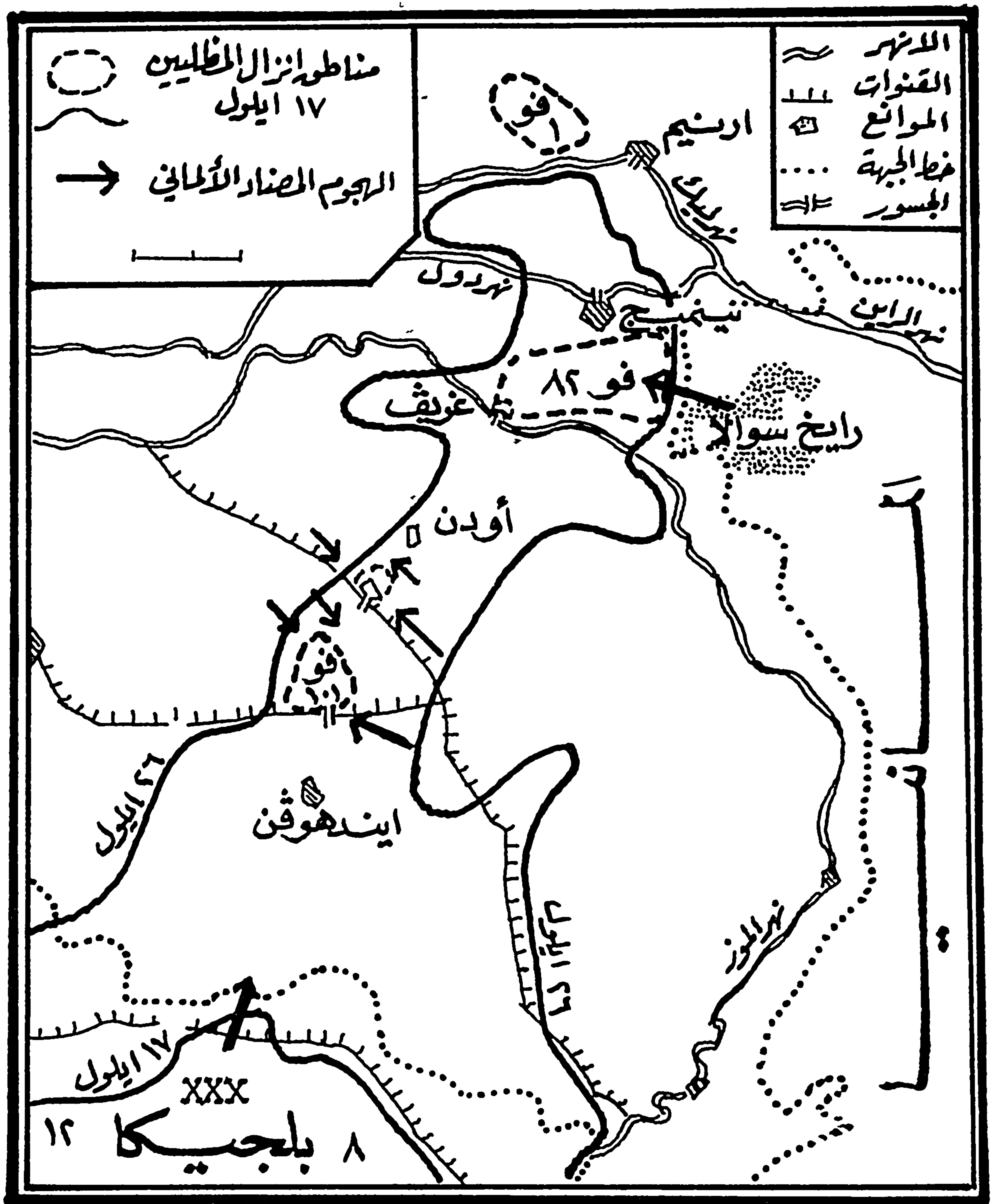
الى الشرق من هذه الخطوط الدفاعية كانت تقع منطقة من الأراضي الصعبة فيها كثير من مجاري المياه. بالاضافة الى أحزمة من التلال المكسوة بالغابات والتي كانت تقف كلها وراء المانع الطبيعي الذي كان يشكله نهر الراين. وكانت هذه الموانع تشكل زاوية قائمة مع محور التقدم والهجوم.

أما في الشمال. فكانت السهول البلجيكية والهولندية تنفتح أمام القوات وكأنها تدعوهم للتقدم ومطاردة القوات الألمانية بطريقة سهلة - وفي يوم ٣ أيلول، تم تحرير «بروكسل»، وفي يوم ٤ أيلول، جاء دور تحرير «أنتويرب».

كانت تقارير المخابرات - تحمل في طياتها الكثير من التفاؤل - وقد جاء في تقرير لها كانت قد أعدته أركان قيادة الحلفاء في ٢٦ آب ما يلي:

«ان معارك آب قد انتهت، وتمت بذلك تصفية قوات العدو على الجبهة الغربية. وهكذا فان الحرب في أوربا وما تخللها من القتال المرير قد انتهت في فترة شهرين ونصف الشهر، وأن ما كان أملا متوقعا، قد أصبح أمرا واقعا».

في الثالث من أيلول، كانت مخابرات الجيش الأول تتوقع قيام ثورة داخلية في ألمانيا، خلال مدة تتراوح بين الثلاثين يوما والستين يوما.



مناطق انزال المظليين
١٧ ايلول
الهجوم المضاد الألماني
الأنهر
القنوات
الموانع
خط الجبهة
الجسور
فو ١
ارنيم
نهر ليك
نهر دول
نيميخ
نهر الراين
فو ٨٢
غروف
رايخ سوالد
أودن
فو ١٠١
ايندهوفن
٢٦ ايلول
٢٦ ايلول
نهر الموز
١٧ ايلول
XXX
٨ بلجيكا ١٢

وفي ١٦ أيلول صرح القائد الأعلى للمخابرات وهو على ثقة تامة بما يلي:

«لم يعد باستطاعة الجدار الغربي أن يستمر في المقاومة، امام هذا الحشد الكبير من القوى».

في موقف كهذا، كان من البديهي أن تحاول القيادة العليا للحلفاء توجيه ضربة تستطيع بها أن تضع حدا للحرب، وأن يتم ذلك بتنفيذ عملية جريئة، وعلى نطاق واسع. وان تكون هذه الضربة مماثلة لتلك العمليات الرائعة التي نفذتها ألمانيا في معارك ١٩٣٩ - ١٩٤٢. وعن طريق مثل هذه العملية يمكن اخضاع الجيش الألماني في أيام قليلة. وكان القيام بعملية التفاف واسعة من الشمال مع انقضاض مباغت خلف الخطوط الدفاعية فى «سيغفريد» بالاضافة لحركة تطويق من على يمين هذه القوات سيحقق هذه الغاية. لا سيما وأن الحلفاء قد أصبحوا يمتلكون الأداة الستراتيجية التي تم تنظيمها واعدادها لمعالجة مثل هذا الموقف. وقد أطلق الحلفاء على هذه الأداة اسم «جيش المظليين الأول للحلفاء».

كان هذا الجيش قد تم تشكيله في يوم ٨ آب عام ١٩٤٤. واسندت قيادته الى قائد القوات الجوية الأمريكية الجنرال «برورتون». ركان يتكون من تشكيلات أرضية كبرى وتشكيلات جوية واسعة هي:

- الفيلق الجوي البريطاني بقيادة الجنرال «برونينغ» ويتكون من: فرقة المظليين البريطانية الأولى + الفرقة البريطانية ٥٢ المحمولة جوا + لواء المظليين البولوني الأول.

- فيلق المظليين الأمريكيين الثامن عشر بقيادة الجنرال «ريد جوي» ويتكون من:

فرق المظليين الأمريكية «٨٢ و ١٠١»:

- المجموعة التاسعة لطائرات النقل الجوي الأمريكية.
- مجموعات طائرات النقل الجوي البريطاني «٣٨ و٤٦».

في الساعة (١٤,٠٠) من يوم ١٠ نيسان أصدر الجنرال «ايزنهاور» القائد الأعلى أوامره الى جيش المظليين الأول، بالاستعداد للانزال على مسافة بعيدة من وراء الخطوط الدفاعية الألمانية في «هولندا» على أن يتم تنفيذ ذلك في فترة قريبة من منتصف شهر أيلول.

كما تقرر قيام الجيش البريطاني الثاني بقيادة الجنرال «دومبيس» بهجوم أرضي هدفه دعم القوات المنقولة جوا - والمحمولة جوا، وقد حمل هذا الهجوم اسما اصطلاحيا هو «الحديقة».

كان الهدف من انزال المظليين ـ هو القيام بالهجوم لتشكيل «بساط» تقوم على أطرافه القوات، ولتنظيم ممر طويل يصل عمقه الى (٧٥) ميلا داخل الأراضي ـ الهولندية ـ أي ما بين «ايندهوفن ـ وشمال الأرنيم» ـ وكانت مهمة المظليين هي العمل على احتلال الجسور القائمة فوق عدد من مجاري المياه، وفوق ثلاثة من الأنهار الهامة هي «الموز ـ والفرعان الرئيسيان لنهر الراين وهما: وول ـ و ـ ليك . ومن ثم حماية الممر بأكمله وعزله عن مجال عمل قوات العدو. وكان على مدرعات وآليات الفرق البريطانية أن تستخدم أرض هذا «البساط» للمرور الى «زيدرزي» خلف الأرنيم. أما الهدف الرئيسي من هذه العمليات الهجومية فهو عبور الراين، واقتحام القوات المدافعة عنه. وذلك لتطويق الوحدات الألمانية التي ما زالت متمركزة في غرب هولندا ثم الالتفاف حول الجبهة المحصنة لخطوط «سيغفريد»، واعداد الفرصة لزج القوات الرئيسية للجيوش البريطانية، وتمكينها من الاندفاع الى داخل ألمانيا عن طريق السهول الشمالية الفسيحة.

قام الجنرال «برورتون» بتعيين الجنرال «برونينغ» لقيادة عمليات المظليين. ووضع تحت قيادته: فرقة المظليين البريطانية الأولى + الفرقة البريطانية (٥٢) المحمولة جوا + فرقتي المظليين الامريكيتين (٨٢ و ١٠١) + لواء المظليين البولوني الأول.

أما الجيش البريطاني الثاني والمكون من:

الفيلق البريطاني (٣٠) + فرقة الحرس المدرعة + فرقتي المشاة (٤٣ و ٥٠) فقد كانت مهمته الهجوم على محور «ايندهوفن، الارنيم، زيدرزي»، وكان يغطي أجنحة محور الهجوم هذا، ويحميها من اليسار الفيلق (١٢)، ومن اليمين الفيلق الثامن ـ ولما كانت الفكرة المسيطرة على قيادة قوات الحلفاء في هذه الفترة هي أن قوات العدو أصبحت قليلة في عددها، فقيرة في معداتها، متدهورة في روحها المعنوية. ولما كان الحلفاء يتفوقون في مجال السيادة الجوية، فان كل النظرات التي أحاطت بمخططي عمليات «الستراتيجية ـ والحديقة» كانت تفيض بالتفاؤل. وجاء مخطط انزال المظليين «السوق» بسيطا وجريئا.

«يتم انزال المظليين، ونقل القوات المحمولة بالطائرات الشراعية، على شكل ثلاث موجات. ويتم وضع الفرقة (١٠١) على مقربة من «فيجهل»، والفرقة (٨٢) على مقربة من «نيمجين» والفرقة الأولى مع اللواء البولوني على مقربة من «الأرنيم» وبعد أن تقوم هذه الفرق بتنفيذ مهامها، واعداد المطارات المناسبة في مناطقها، يتم نقل الفرقة (٥٢) جوا، الى أرض المعركة.

ولكون هذه التحركات الجوية ستتم على نطاق واسع، فقد تم حشد أسطول من طائرات الحماية، والطائرات القاذفة وطائرات الامداد.

كان جيش المظليين الأول للحلفاء - بكامل قوته - وقدتم حشده فوق مدرجات (٢٤) مطارا من مطارات انكلترا، وكانت وحدات هذا الجيش قد أنهت تدريبها بصورة جيدة. كما استكملت تجهيزاتها وكانت روحها المعنوية عالية. وفي مستوى وحدات الصدمة. في صباح يوم الأحد ١٧ أيلول (١٩٤٤) كان هذا الجيش على استعداد للعمل، وكله ثقة بالنصر.

في يوم ١٧ أيلول تم الانزال، وسارت العمليات ضمن أفضل الشروط الملائمة وحسبما كان متوقعا. كانت القاذفات البريطانية قد قامت في الليلة السابقة بالاغارة على أربعة مطارات مخصصة للطائرات المقاتلة الألمانية وكانت هذه المطارات تقع في غرب هولندا - كما هاجمت الطائرات القاذفة أيضا عددا من مواقع المدفعية الألمانية المضادة للطائرات. وبلغ ما أنزلته الطائرات في هذه الليلة من القنابل زهاء الألف طن. وقد تم تنفيذ ذلك لتوفير الجو اللازم من الأمن لطيران أسطول طائرات النقل.

وفي صباح يوم العملية، انطلقت (٨١٦) قاذفة قنابل تحت حماية (١٦١) طائرة مقاتلة. وذلك لالقاء كمية أخرى من القنابل بلغ وزنها (٣١٣٩) طنا. وقد تم القاء هذه القنابل بتركيز فوق (١١٧) موقعا من مواقع المدفعية المضادة للطائرات وذلك لتطهير محوري مسيرة الطائرات من المقاومات الأرضية.

بين الساعة (١٠,٢٥) والساعة (١١,٥٥) أقلعت طائرات أقوى وأكبر أسطول للنقل الجوي شهده التاريخ من فوق أرض مطارات انكلترا، وبلغ عدد الطائرات (١٥٤٤) طائرة نقل و (٤٧٨) طائرة شراعية. وكان يقوم على حراستها وعلى الاحاطة بها مجموعة من الطائرات المقاتلة بلغ عددها (١١٧١) طائرة. وكانت هذه التشكيلة من الطائرات تحلق في السماء الصافية ورأسها متوجه الى الشرق حيث تقع خطوط العدو.

على الرغم من الاغارات التي استهدفت إبطال عمل المدفعية المضادة، فان بعضا من القادة كانوا في خشية من أن تصل الخسائر الى درجة تتراوح بين (٢٥٪) و (٤٠٪) من أصل تعداد طائرات النقل والطائرات الشراعية، ولكن ما حدث في الواقع هو أن كل الخسائر لم تتجاوز (٣٥) طائرة داكوتا و (١٣) طائرة شراعية قد تم اسقاطها بنيران المدفعية الألمانية كما نجحت (٣٠) طائرة ألمانية في اقتحام تشكيلات هذا الأسطول الضخم. ولكن الطائرات المقاتلة التي كانت ترافق طائرات النقل تصدت لها. واسقطت سبع طائرات منها.

عندما اقتربت طائرات النقل من أهدافها - ابتدأت تحلق على ارتفاع منخفض - وأخذت تنتظم بتشكيلات مضمونة. واقترب بعضها من بعض - ثم ابتدأت عملية

الانزال حيث هبط (١٦,٥٠٠) مظلي الى الأرض ـ وقد تميز الانزال بالدقة التامة في الوصول الى المناطق المحددة ـ وفي الوقت الذي كان المظليون يهبطون الى الأرض كانت هناك (٤٢٥) طائرة شراعية تلامس الأرض أيضا في المناطق التي كان قد تم تحديدها في المخططات.

وصلت فرقة المظليين (١٠١) بقيادة الجنرال «تايلو» وابتدأت عملها في شمال «ايندهوفن» ووضعت يدها بسرعة على كل الجسور الموجودة في منطقة عملها ـ وكانت هذه الجسور سليمة باستثناء الجسر القائم فوق قناة «ويلهلمينا» الذي استطاعت قوات العدو أن تدمره.

استطاعت فرقة المظليين (٨٢) بقيادة الجنرال «غافان» ـ أن تحقق النجاح ذاته.. وكانت وحدات هذه الفرقة قد هبطت بين «عزيف» و «نيموجن» ـ فعملت على احتلال الجسور بسرعة ـ وكان من بين هذه الجسور «جسر عزيف» فوق نهر الموز ـ بالاضافة لجسر هام آخر هو الذي كان يمر من فوق القناة الواصلة بين نهر الموز ونهر «وول».

وفوق هذه المنطقة ذاتها ـ قام الجنرال «برونينغ» بالهبوط ـ ومعه عناصر قيادة الفيلق ووحدات القيادة.

وأخيرا ، فان فرقة المظليين الأولى بقيادة الجنرال «آركهات» هبطت بمظلاتها فوق المنطقة الواقعة الى الشمال ـ الغربي من الأرنيم. ووصلت الجسر الذي يمر منه طريق الأرنيم وقامت باحتلاله ، أما الجسر الآخر وهو الذي يمر من فوقه الخط الحديدي فقد تمكنت قوات العدو من تدميره مع وصول المظليين اليه.

كل شيء على خير ما يرام، تلك هي حصيلة اليوم الأول وما حالفه من نجاح رائع في مرحلة النقل الجوي وفي مرحلة الانزال ما عدا بعض الخسائر القليلة ـ. كما أن العمليات الأرضية استفادت من كل الميزات التي تتركها المباغتة، وبدأت في التوسع فوق الأرض على أفضل صورة ممكنة ـ. ولم يكن هناك الا عيب واحد هو التقدم البطيء لفرقة الحرس المدرعة ـ وكان ذلك بسبب التزامها في السير على طريق واحد ـ ولذا فلم يكن باستطاعة الفرقة أن تتجاوز أكثر من سبعة أميال الى ثمانية.

وهكذا، من الجنوب حتى الشمال ـ كانت هناك أربع معارك مختلفة وكلها منعزل بعضها عن بعض ـ وكانت كلها تتوسع وتنتشر ـ وكانت حياة هذه القوات تتوقف على قدرتها في التوسع والانتشار لكي تتمكن من الاتصال بعضها ببعض في أسرع وقت ممكن.

• في يوم ١٨ أيلول: اقلعت من جديد (١٣٦٠) طائرة نقل و (١٢٠٣) طائرة

شراعية، من أرض مطارات انكلترا. بعد أن تأخرت في الاقلاع لمدة من الزمن بسبب الضباب الكثيف الذي استمر يغلف سطح الأرض خلال عدد من الساعات وكان الهدف هو امداد ودعم المظليين المشتبكين في القتال فوق الأراضي «الهولندية» كما اشتركت (٢٥٢) قاذفة قنابل بمهمة الدعم هذه ـ في الوقت الذي كانت فيه (١٠٠٠) طائرة مقاتلة تقوم على حماية طائرات النقل أثناء تحركاتها الجوية، كما كانت المدافع الرشاشة لهذه الطائرات ومدافعها وقنابلها وصواريخها تعمل على توفير الدعم اللازم للوحدات المشتبكة في المعارك الأرضية.

كانت فرقة المظليين الأولى ـ في الشمال ـ عاجزة عن الاستفادة من الامدادات ومن دعم الطائرات بسبب وقوعها ضمن منطقة تحيط بها قوات للعدو وتقاتل بتصميم وعناد وتساندها مجموعة كبيرة من الدبابات ـ وقد تمكنت قوات العدو هذه من ـ شطر موقع المظليين الى شطرين لم يعد يصل بينهما في النهاية الا شريط ضيق من الأرض.

استمر العقيد «فروست» في مزاولة القتال مع من تبقى على قيد الحياة من أفراد قوات لواء المظليين الأول. وعلى الرغم من الجراح البالغة التي كان قد أصيب بها فقد استمر في القتال وفروست هذا هو بطل المظليين المغاوير الذين قاموا بتنفيذ عملية «برونغال» في فرنسا بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٤٢ ـ كما أنه هو الذي قام بقيادة فوج المظليين في عملية الانزال فوق أرض «دفني» في تونس بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ ـ وها هو الآن ومن معه في موقف يتهددهم بالفناء بعد أن أصبحت حياتهم مشدودة الى الجسر القائم وهو جسر «الأرنيم» الذي كان يقع الى الشمال ـ والذي أصبح مخرج النجاة الوحيد من طوق الحصار.

بدأ الزحف العام عبر الممر الطويل والضيق الذي كانت تشكله وحدات المظليين ـ يسير بخطوات بطيئة ـ وكانت جنبات ذلك الممر معرضة للهجمات المضادة للقوات الألمانية القوية.

كانت عمليات الدعم الجوي متوقفة في هذا اليوم بسبب رداءة الأحوال ـ الجوية.

وأصبح من الواضح ـ الآن ـ بأنه من المستحيل الاندفاع نحو الشمال في اتجاه «الأرنيم» لتشكيل «البساط» الذي يتهدد خطوط الدفاع الألمانية «في سيغفريد» بتطويقها.. وذلك لأنه يرسم الطريق لقوات الحلفاء كي تستطيع الاندفاع والوصول الى السهول الألمانية.

ابتدأت المعارك المنعزلة من تحقيق الاتصال فيما بينها وتمكنت مدرعات الفيلق (٣٠) من اجراء التماس مع مظليي الفرقة (١٠١) التي كانت قد نجحت في الانقضاض على

جسر «ايندهوفن» وقامت باحتلاله.

بعد الانزال، قامت الفرقة (٨٢) باحتلال مواقع دفاعية ـ وكان النطاق الخارجي لهذه المواقع يتعرض لضغوط قوية من القوات الألمانية.

أما فرقة المظليين الأولى ـ في الشمال فقد كانت تتعرض بدورها أيضا لضغط قوي على جميع حدودها ـ من قبل المشاة الألمان الذين كانت تساندهم الدبابات والمدفعية الذاتية الحركة. ولم تعد هذه الفرقة قادرة على التمسك بجسر «الأرنيم» وقد جابهت أقصى ما يمكن مجابهته من الصعوبات في محاولاتها للتمسك بالمنطقة في انتظار وصول الفرقة (٥٢) التي كان يجب أن تهبط فوق هذه المنطقة لتنفيذ مخطط (الحديقة ـ السوق). وبذلك ابتدأت أول أزمة خطيرة.

يوم ١٩ أيلول:

ـ كانت الأحوال الجوية الرديئة سببا ـ في اتلاف وتخريب (٦٥٥) طائرة و (٤٣١) طائرة شراعية.

ـ كانت المخططات قد حددت عدد الطائرات التي يمكن استخدامها ـ ولكن هذه الطائرات لم تتمكن من الاقلاع لرداءة الطقس قبل الساعة (١٥٠٠).

ـ استطاعت (٣٣) طائرة شراعية فقط ـ ان تهبط في الأرنيم. وكانت هذه الطائرات تقوم بحمل «لواء المظليين البولوني الأول» بقيادة الجنرال «سوسابوسكي» الذي جاء هبوطه في الأرنيم تحت نيرات كثيفة من الأسلحة الآلية الألمانية، أما بقية الطائرات التي كان يجب أن تشترك بعملية النقل هذه والتي كان يبلغ عددها (٢٢٦) طائرة نقل ـ و (١٨٥) طائرة شراعية ـ فانها لم تتمكن من الوصول الى غاياتها بسبب سوء الأحوال الجوية ـ وبسبب نيران مدفعية العدو المضادة للطائرات التي أسقطت (٤٠) طائرة منها مع (١١٢) طائرة شراعية.

ـ في هذا اليوم، زجَّ الألمان بـ (٤٢٥) طائرة مقاتلة نموذج «مسرشميت» و«فولك ـ وولف».

ـ تم انزال (٣٩٠) طنا من الامدادات في منطقة الأرنيم ولكن قرابة نصف هذه الامدادات سقط في أيدي قوات العدو.

ـ تمكنت قوات الهجوم العام من الاتصال بفرقة المظليين ـ ٨٢ ـ وكانت هذه الفرقة قد فشلت في احتلال جسر «نيمجين» وقد قامت المدرعات الألمانية بهجوم مضاد في قطاع

هذه الفرقة ـ وجاء انطلاق الهجوم الألماني من غابة«رايخ ـ سوال» وكان مقدمة لهجوم عام ـ شامل ـ.

ـ وأخيرا، فان فرقة المظليين الأولى قد أصبحت الآن معلقة بالنهاية الشمالية لجسر الأرنيم وأخذت تبذل جهودا كبيرة للحفاظ على ما وصلت اليه.

كان على قيادة الحلفاء أن تقر بأنها بعد انقضاء ثلاثة أيام من بدء العمليات. لا تزال غير متمكنة من جسري «الأرنيم ـ و ـ نيمجين». وقد أخذت موجة الأحوال الجوية الرديئة تنتشر أكثر فأكثر لتشمل انكلترا ، وبحر الشمال، وهولندا، كما ظهر بأن العدو أكثر حماسة للقتال ، وأفضل تجهيزا في المعدات، مما كان متوقعا ، وكانت تهديداته وهجماته تتزايد باستمرار.

ـ يوم ـ ٢٠ أيلول:

بقي الطقس رديئا، فاقتصرت الامدادات على حمولة (٥١٩) طائرة فقط.

ـ بعد ظهر هذا اليوم، قام لواء المظليين الأمريكي (٥٠٤) من الفرقة (٢٢) بعبور نهر «وول» بواسطة الزوارق المطاطية، وقد تمت عملية العبور تحت دعم نيران دبابات فرقة الحرس البريطانية ومدفعيتها، وجاء تنفيذ العملية في وضح النهار. وفي نهاية اليوم كانت جسور «نيمجين» قد أصبحت أخيرا في قبضة قوات الحلفاء».

ـ في يوم ٢١ أيلول، ما زالت الأحوال الجوية رديئة ورغما عن ذلك، فقد بذلت الجهود الكبيرة لتوفير الدعم اللازم وارساله الى فرقة المظليين البريطانية الأولى. التي مضى عليها خمسة أيام وهي تقاتل بامكاناتها الخاصة ضد عدو متفوق في عدده وعدته.

تم ارسال (١١٠) طائرات محملة بوحدات اللواء المظلي البولوني الأول. ولكن (٥٣) طائرة فقد تمكنت من الوصول الى قطاع الأرنيم وقامت بانزال (٧٥٠) مظليا بولونيا عند الضفة الجنوبية، ولكن عند قدوم المساء لم يكن قد بقي مع العقيد «فروست» على قيد الحياة أكثر من مئة مقاتل من فوج المظليين البريطاني الثاني. وعاد جسر «الأرنيم» مع طرقه مرة ثانية الى قبضة القوات الألمانية.

على الرغم من أن فرقة المشاة البريطانية (٤٣) كانت تحاصرها قوات كبيرة فقد حاولت قيادة الحلفاء دفعها الى الشمال من «نيمجين» ولكن هذه الفرقة اصطدمت بالمواقع الدفاعية الألمانية المحصنة.

استمر الهجوم الألماني المضاد على طول مجنبات الممر الطويل الذي رسمته مخططات

«السوق ـ الحديقة». ومرت ظروف تنفيذ تلك المخططات في مواقف غامضة لا يمكن تفسيرها بغير «الفشل».

يوم ٢٢ أيلول: أصبحت الأحوال الجوية رديئة أكثر منها من أي يوم مضى فلم يكن هناك مجال لارسال أي نوع من الدعم أو الامداد.

حلقت بعض الطائرات الألمانية المقاتلة، وقامت بالقاء القنابل التي تسببت في تمزيق من تبقى من وحدات فرقة المظليين الأولى.

في الليل، تمكن زهاء خمسين بولونيا من عبور النهر وحملوا الى رفاقهم البريطانيين بعضا من الأغذية والذخائر. بعد أن أصبح هؤلاء البريطانيون مهددين بالفناء فوق أرض «الأرنيم».

أما في الجنوب. وعلى مستوى مدينتي «أودن» و «فيجهل» فقد قامت القوات الألمانية من مشاة ودبابات بمحاولة لاختراق الممر ـ ونجحت مرة أخرى في سحق تقدم قوات الحلفاء. ولم يعد هناك أي أمل في تعزيز الموقف العام واختنقت فكرة التوسع وتغير الموقف ـ وأصبح من الضروري دعم الحاميات القريبة من الجنوب مع حماية المجنبات عوضا عن التوسع والاندفاع نحو الجبهة في الشمال، وهكذا فان معركة فرقة المظليين الأولى فوق قطاع الأرنيم أصبحت بحكم الخاسرة.

يوم ٢٣ ـ أيلول:

ـ وأخيرا، ابتدأت الأحوال الجوية، تعود ببطء الى حالتها الطبيعية ، وأصبح بالامكان اقلاع (٦٥٤) طائرة و (٤٩٠) طائرة شراعية والانطلاق من قواعد انكلترا بمهمة رئيسية هي امداد ودعم فرقتي المظليين (٨٢ ـ و ـ ١٠١) وكان من بين الطائرات (٤١) طائرة محملة بالمظليين البولونيين التابعين لقوة اللواء الأول.

كانت فرقة المظليين البريطانية الأولى ـ لا تزال متمسكة بانقاض «الأرنيم» وادغالها بعد أن مر عليها ستة أيام وهي تقاتل قتالا يائسا ـ وأصبحت ممزقة ـ ومتناثرة فوق مواقع منعزلة.

ـ وفي الليل ـ تلقى فيلق المظليين اذنا بالسماح له بسحب فرقة المظليين الأولى الى جنوب النهر وذلك اذا كان الموقف يتطلب مثل هذا الاجراء ولم يتم تنفيذ ذلك حتى ليل (٢٥ ـ ٢٦) أيلول ، أي الى ما بعد صدور التعليمات بسحب هذه القوات بمدة (٤٨) ساعة وكان قد انقضت تسعة أيام بلياليها، والفرقة محاصرة ومطوقة. وقد تم سحب من

بقي من هذه الفرقة على قيد الحياة بعد مرحلة من قتال الالتحام، وقتال جسم لجسم، وبذلك أصبحت أقصى حدود الممر لا تتجاوز مدينة «أودن».

يوم ٢٤ ـ أيلول:

عادت الأحوال الجوية الرديئة وقام الألمان بهجوم مضاد جديد. وتمكنوا من اختراق الممر وزجوا فيه بقوات ضخمة.

بذل الفيلق البريطاني (٣٠) جهودا يائسة في محاولة لتقديم المساعدة ومد يد العون لمن تبقى على قيد الحياة من أفراد فرقة المظليين الأولى ـ وتم دفع كل من تبقى من لواء المظليين البولوني الأول مع وحدة المشاة (٤٣) الى مقربة من نهر «ليك» حيث جرت معركة ـ تكبدت بنتيجتها قوات لواء «روتشاير» الخسائر الفادحة ولكنها نجحت في النهاية بدفع (٣٠٠) ، من مقاتليها، والوصول بهم الى الضفة الشمالية من النهر ، وكان هذا كل ما أمكن تحقيقه. فقد كان لا يزال هناك زهاء (٢٣٠٠) مقاتل من القوات المشتبكة في الأرنيم ـ وكانوا جميعا يقاتلون في جيوب منعزلة ولم يكن بين أيديهم الا القليل من الذخائر، وكانوا بدون طعام أو مياه.

ـ يوم ٢٥ أيلول، ومع استمرار رداءة الأحوال الجوية فقد استمرت سيطرة الألمان على الطرق الموجودة في الممر.

ـ تمكنت قوات المظليين الأمريكيين من فرقتي (٨٢ ـ و ـ ١٠١) بفضل القيام بالهجمات المضادة المستمرة، من انقاذ الوحدات المتقدمة للفيلق البريطاني (٣٠)، والتي كانت مهددة بالتطويق.

ـ في ليل (٢٥ ـ ٢٦) أيلول، قامت بقايا فرقة المظليين البريطانية الأولى بكسر طوق الحصار المضروب حولها، والانسحاب من الجيوب التي كانت تحتلها في الأرنيم ـ وذلك تحت نيران المدفعية. وتم تنفيذ عملية الانسحاب بواسطة طائرات الانقضاض، تحت سيول الأمطار ، وتحت نيران المدافع الرشاشة الألمانية وقنابل مدفعية الهاون، وقد استغرقت عملية الانسحاب ليلا، سبع ساعات شاقة ومضنية.

ـ عندما انسحبت فرقة المظليين البريطانية الأولى ـ كانت قد خسرت في معاركها (٧٦٠٥) من مقاتليها، ما بين قتيل ومفقود وجريح، بالاضافة الى ضياع تجهيزات الفرقة بكاملها ـ وكان مجموع من تبقى على قيد الحياة من هذه الفرقة (٢١٦٣) مظلياً بريطانياً وطياراً من قادة الطائرات الشراعية ـ وهم الذين أمكن سحبهم إلى الضفة الجنوبية من نهر «ليك» ويعود الفضل في نجاة هذه المجموعة الباقية إلى ما اظهرته الوحدات التي قامت

بحماية الانسحاب من الصبر والاحتمال ـ وكان الثمن الذي دفعته هذه الوحدات باهظاً ـ إذ تم بسبب ذلك تدمير اثنتين من الوحدات تدميراً شبه تام. وكانت أولى الوحدتين ممثلة بلواء المظليين البولوني الأول ـ الذي لم يعد منه بعد تنفيذ العملية إلا (١٦٠) مقاتلاً أما الوحدة الثانية فتتمثل في لواء «دورتشاير» الذي فقد كل قواته في عملية حماية الانسحاب ولم يبق منه على قيد الحياة إلا (٧٥) رجلاً فقط ـ وهكذا عادت جميع جسور الارنيم إلى أيدي الألمان ـ وتم تصفية رأس الجسر الذي قام المظليون بتنظيمه في شمال «ليك» وبذلك استطاع الألمان إقفال بوابة «ريدرزي» وإغلاق طوق شمال المانيا ـ.

يوم ـ ٢٦ أيلول:

تحسن الطقس وتمكنت (٢٠٩) طائرات نقل من الهبوط فوق أرض مهبط تم إعداده داخل «الممر ـ الهولندي» ـ وعلى بعد أميال قليلة من أقرب الوحدات الألمانية ـ وبعد دراسة وضع منطقة هبوط الفرقة (٥٢) وبعد أن قامت الطائرات بتنفيذ مهمتها ـ وامكن معرفة ما يمكن عمله ـ اقلعت الطائرات من جديد بعد أربع ساعات وأخذت طريقها إلى إنكلترا حاملة معها طياري الطائرات الشراعية ـ وعدداً من الجرحى.

ـ قامت قوات المظليين الأمريكية بهجوم واسع ـ وتمكنت أخيراً من استعادة السيطرة على الممر ـ وأصبح الطريق مفتوحاً أمام قوافل الحلفاء لتتدفق مرة ثانية بحرية تامة.

ـ في هذا اليوم، وصلت عملية «السوق» ـ وهي أكبر عملية للمظليين في التاريخ الى نهايتها.. وقد أمكن تحقيق بعض الانتصارات الموضعية، وبعض النجاحات التعبوية، ولكن الهدف الأساسي والاستراتيجي والذي نظمت العملية من أجله لم يتحقق.

ـ في يوم ٢٨ أيلول:

تمت اعادة فرقة المظليين البريطانية الأولى الى انكلترا ـ بعد أن أصبح كل تعداد أفرادها (٢١٦٣) مظليا.

ـ أما فرق المظليين الأمريكية (٨٢ ـ و ـ ١٠١) والتي كانت قد أضاعت في معارك الأيام التسعة (٥٧٤٠) مقاتلا ما بين قتيل ومفقود وجريح ـ فقد تم تكليفها بمتابعة المهمة، والاستمرار في العمل، لكي تحتفظ على الأقل، بالأرض التي غنمتها بجهدها، وتضحياتها.

ـ في منتصف شهر تشرين الثاني، تم سحب الفرقة (٨٢) بعد أن خسرت من جديد (١٩١٢) من رجالها.

- وفي (٢٣) تشرين الثاني، تم سحب الفرقة (١٠١) بعد أن فقدت من جديد (١٦٨٢) رجلا من قواتها.

- تم جمع فرق المظليين الأمريكية (٨٢ - و - ١٠١) في معسكرات تقع في «مورمولون - و - سيسون» وذلك في نهاية شهر تشرين الثاني، ولكن ما ان تمكنت هذه الفرق من المادة تنظيمها واستكمال قوتها التامة، حتى وقعت ضربة جديدة لم تكن متوقعة.. فقد بدأ الجيش الألماني في يوم ١٦ كانون الأول بهجوم مباغت في «الأردين» وذلك على جبهة عرضها (٧٥) ميلا. وبقوة (٣٨) فرقة منها (١٥) فرقة مدرعة.. وكان يساند هذا الهجوم (١٥٠٠) طائرة مقاتلة.

- في يوم ١٨ كانون الأول - تم زج هذه الفرق في المعركة وكان لقتالها في المعارك لا سيما في معركة باستونيا الأثر الأول في تحويل موقف الهجوم الألماني الأخير، وتبديله الى هزيمة دامية.

- وهكذا، وتحت تأثير المقاومة الألمانية في «الأرنيم» وتحت تأثير الخطوط الدفاعية الألمانية في «الراين» عادت الجبهة الهولندية الى سابق عهدها، كجبهة ثانوية، واستقرت الأوضاع فيها حتى يوم ٢٧ آذار، حيث قام الجيش الكندي الأول، بالهجوم لتحرير المنطقة الشرقية من هولندا بكاملها.

- ترى ماذا حدث؟. . وما هي العوامل التي لم تقدر قيمتها، ولم ينظر اليها، وهي التي استطاعت أحداث مفاجأة جديدة في تاريخ الحرب..؟ وما هو سبب فشل المناورة الاستراتيجية التي كانت جريئة بمفهومها بقدر ما كانت جريئة في تنظيمها الذي بلغ درجة الكمال؟.

- يشكل العدو، كما هو واضح العامل الأساسي، والأول من أسباب الهزيمة فبينما كان أركان استخبارات الحلفاء يعتقدون بأن الجيش الخامس عشر والمكون من ثماني فرق هزيلة، هو كل ما كان لدى الألمان في هولندا، واذا بجيش المظليين الألماني الأول والمكون من عشر فرق منها فرقتان مدرعتان - يظهر على مسرح العملية - هذا بالاضافة الى أن هذه الفرقة كانت تدعمها ثلاثة ألوية مدرعة.. وكانت هذه القوات متمكنة من الأرض التي تحتلها بينما حاول الحلفاء اقتطاع ممر «ايندهوفن - نيمجين - ارنيم ريدرزي» - وكان هذا الجيش الألماني بقيادة الجنرال «اشتيودنت» المنتصر في عمليات غزو المظليين لهولندا في مايس عام ١٩٤٠، وعمليات غزو كريت في مايس أيضا عام ١٩٤١.

- كان حظ الحلفاء سيئا، في مرتين خلال تنفيذ هذه العملية.

- المرة الأولى هي وجود الجنرال «اشتيودنت» قائداً لقوات العدو فوق مسرح العملية.

ـ كان الجنرال «اشتيودنت» قد قرر مغادرة هولندا ـ في يوم الأحد ١٧ أيلول ١٩٤٤ ـ بعد أن صدر الأمر بنقله، وفي هذه الفترة من قبل ظهر اليوم ذاته، امتلأت السماء فجأة بمئات طائرات النقل والطائرات الشراعية. ثم ابتدأ آلاف المظليين من الفرقة البريطانية الأولى بالقفز من هذه الطائرات في منطقة الأرنيم. وكانت ردود فعل الجنرال «اشتيودنت» سريعة ـ وحازمة ـ ومماثلة لما يمكن أن يتوقع منه كقائد من قادة الحرب اعتاد على مجابهة كل ما هو غير متوقع. وتمرس في مثل هذه الأزمات المفاجئة، وهكذا، استنفرت كل الوحدات الجاهزة ـ وتم زج كل القوات ـ مهما كانت ـ وكيفما كانت ظروفها أو واجباتها ـ وقد جابهت الوحدات البريطانية في اليومين الأولين من المعركة عناصر مختلفة لوحدات كثيرة بلغ عددها (٢٧) وحدة وتشكيلا من القوات الألمانية وفيالقها المختلفة ـ وكانت المرة الثانية تتمثل في ظهور قوات غير متوقعة فوق مسرح العمليات.

ـ كان قد تقرر وضع فرقتي مدرعات البانزر ـ س.س ـ للاستراحة واعادة التنظيم وتمركزت الفرقة التاسعة في شمال الأرنيم. بينما تمركزت الفرقة العاشرة حول «نيمجين» وهذا هو ما يفسر وجود عدد كبير من الدبابات والمدافع ذاتية الحركة ـ ومدافع الهجوم فوق أرض المعركة، وتدخلها بصورة مباشرة، وفي كل مكان، ومنذ اللحظة الأولى للهجوم على المواقع التي احتلتها قوات المظليين الأمريكية والبريطانية والتي لم تكن تمتلك الا عددا محدودا من المدافع المضادة للدبابات ـ وان فرقة المظليين الأمريكية ٨٢ ـ وفرقة المظليين (١٠١) اذا ما نجحتا بسرعة في احتلال الجسور الواقعة في قطاعاتها فان السبب في ذلك هو هبوطها على مسافة مباشرة من هذه الأهداف الحيوية. وهذا ما لم يتيسر حدوثه لفرقة المظليين البريطانية الأولى.

ـ والواقع ـ هو أن القيادة البريطانية ـ بعد دراستها الدقيقة للصور الجوية التي تم التقاطها لمنطقة «الأرنيم» توصلت الى نتيجة تقضي بضرورة انزال المظليين على مسافة تبعد ثمانية أميال من الأهداف الرئيسية، والممثلة بجسر الطريق ـ وجسر الخط الحديدي. ولم يخطر بمخيلة أحد أن يفكر بالتفتيش عن منطقة لإنزال المظليين أو لهبوط الطائرات الشراعية، على مسافة أكثر قربا من الهدفين وذلك بسبب:

١ ـ وجود المدافع الألمانية المضادة للطائرات.

٢ ـ وجود الموانع والحواجز ـ والأبنية والحدائق المحيطة بمنطقة الجسور.

ونظرا لوجود مسافة بعيدة تفصل بين الهدف وبين منطقة الانزال فقد تم تكليف العقيد «فروست» بقيادة القوات ـ المعروف بشجاعته ـ كما أنه كان يعرف قيمة الوقت وما هو دوره في مثل هذه المهمات، وقد انقضت أربع ساعات قبل أن يصل المظليون الى

أهدافهم، وكانت هذه المدة كافية لكي يقوم الألمان بتدمير جسر الخط، الحديدي. وهكذا وقف «فروست» مجبرا في منتصف المسافة ما بين أهدافه وبين منطقة الانزال - ولم يعد باستطاعته الاستفادة من الامدادات و الدعم الجوي بعد أن وقعت قواته في قبضة الحصار الذي ضربته حولها قوات المشاة والدبابات الألمانية.

لم يكن الجنرال «برونينغ» قائد فيلق المظليين البريطانيين من قوات المظليين أصلا.

ولم يكن الجنرال «آركهارت» قائد فرقة المظليين البريطانية الأولى - من قوات المظليين أيضا، وكلاهما كانا قد انضما الى وحدات المظليين حديثا.

- بينما كان الجنرالات الأمريكيون - قادة الفرق - ريد جوي، تايلو، غافان، من قدامى المظليين، قد عملوا جميعا مع وحداتهم في مراحل تنظيمها وتدريبها. واشتركوا في عملياتها خلال فترة ثلاثة أعوام، وقد قاموا بالقفز مع فرقهم في «صقليا» في شهر تموز من عام ١٩٤٣، كما قاموا بالقفز أيضا أثناء الانزال في النورماندي، عام ١٩٤٤.

- وهناك أيضا من يقول بأن أكثر القادة تخصصا، وهو أعرفهم بامكانات المظلة والطائرة الشراعية، ولذا فانه يكون أقل تأثرا بقبول نصائح وتحذيرات مرؤوسيه من المختصين، وممن تدفعهم رغبة للعمل بتهور أكثر وخيال أوسع.

- لقد كان تنفيذ عملية انزال المظليين الى الجنوب من جسر الأرنيم أمرا ممكنا وكان ذلك سيضع قوات فرقة المظليين البريطانية الأولى على مسافة مباشرة من الهدف، وقد جاء انزال مظليي اللواء البولوني بعد يومين من يوم الانزال الأول ليثبت هذه الحقيقة. وليبرهن على أن هبوط الطائرة الشراعية على أيدي نخبة من الطيارين المنتخبين للهبوط على مسافة مباشرة من الجسور أمر ممكن، ولو تم ذلك، لاستطاعت وحدات الفرقة الأولى الاستيلاء على الجسور منذ اللحظات الأولى على نحو ما تم للفرق الأخرى.

- وفي ظروف مماثلة لمثل ظروف هذه العملية - أثبتت الطائرات الشراعية قدرتها على تنفيذ الهبوط فوق أرض مشابهة وذلك في عملية يوم ١٠ مايس ١٩٤٠، عندما تم احتلال جسور قناة (البرت) وتحصينات «قلعة - ابن - اميل». كما برهن الطيارون البريطانيون من قادة الطائرات الشراعية، بأن لديهم المهارة ذاتها أيضا. وذلك عندما قاموا بتنفيذ عملية مماثلة في ليل (٥ - ٦) حزيران ١٩٤٤. وذلك لاحتلال جسور «بينوفيل» وهي بحالة سليمة مع التوسع في الاحتلال للسيطرة على منطقة «الأودن».

ان الفشل الذي لقيته الفرق الأولى في الأرنيم يتعلق يقينا بهذا السبب ولقد استطاع المظليون الذين تم انزالهم بالمظلات أو تم نقلهم بالطائرات الشراعية من احتلال الجسور

الواقعة في مناطقهم وذلك لأنهم وضعوا أقدامه مباشرة فوق أهدافهم، واستفادوا من اختيار الوقت المناسب لتحقيق المفاجأة. وبفضل هذه المفاجأة، قاموا ببعض التوسع الذي شهدته المرحلة الأولى. وقد كان اختيار يوم الأحد، موعدا للتنفيذ، كفيلا بتحقيق المباغتة.

ـ ان بعض الاصابات التي نزلت بالقوات في المرحلة الأولى يعود لصعوبة الأرض ووعورتها، وكانت نسبة الخسائر طبيعية ومتوقعة.. وكان من الواجب تحقيق الهدف الأول وهو شق الطريق للوصول الى «ريدرزي» وعلى أن يبقى هذا الطريق مفتوحا لعبور القوات الرئيسية، ولكن القوات الألمانية تمكنت من اقفال هذا الممر اعتبارا من يوم (١٨) أيلول.

ـ ان هذه اللمحات ـ تظهر مدى أهمية معرفة القائد العميقة ـ بامكانات قتال الوحدات المختصة وميزات هذه الوحدات. ولن يتم ذلك الا بالتجارب الشخصية، والممارسة العملية خلال فترة طويلة من الزمن.

لقد حاول بعض القادة تقييم عملية «الأرنيم» بقيم خاصة ـ قاموا بوضع حدود لها. ولكن ذلك لن ينتقص أبدا من القدرة القتالية التي أظهرتها الوحدات..

وهناك سبب آخر لفشل عملية «السوق لا سيما بالنسبة لفرقة المظليين البريطانية الأولى الأرنيم.

وهذا السبب الكبير في أهميته ، هو الافتقار الى وسائل الاتصال اللاسلكية وذلك لتوفير ارتباط الوحدات البريطانية بعضها ببعض وارتباطها بالقيادة.

وكان الجنرال «برونينغ» خلال الأيام الثلاثة الأولى ـ بدون اتصال لاسلكي تقريبا يصله مع قادة الفرق وقد تم جمع (٣٠٠) اختصاصي بكل الوسائل ومن جميع القيادات وأمكن تنظيمهم كوحدة اشارة وذلك لدعم الجنرال «برونينغ» خلال المعركة وبأسرع ما يمكن. ولكن هذه الوحدة كانت عاجزة عن استخدام «الشيفرة» لارسال جميع الرسائل بالاسلوب الاصطلاحي المعروف، وذلك لأنه لم يكن من بين أفراد هذه الوحدة من يستطيع مزاولة هذه المهمة، وهكذا وعلى الرغم من ارسال الأجهزة اللاسلكية التي تم وصولها وهي بحالة جيدة، الا أنه لم يكن استخدامها ممكنا لتحقيق الاتصالات اللازمة، وكمثال على الصعوبات التي تعرضت لها مشكلة الاتصالات نضرب المثل التالي:

«كان على قيادة فيلق المظليين ـ لكي يرسل رسائله الى قيادة فرقة المظليين الأولى والتي لم تكن تبعد أكثر من ثلاثين ميلا عن قيادة الفيلق ذاته كان على قيادة هذا الفيلق ارسال الرسائل الى أقرب قاعدة في انكلترا لتعمل هذه بدورها كوسيط لايصال الرسائل الى قيادة الفرقة».

ونتيجة لذلك ـ كانت قيادة الفيلق تجهل الأوضاع الحقيقية التي كانت عليها فرقة المظليين الأولى، الى أن بدأت المعلومات تتجمع عن طريق عناصر ومقاتلي المقاومة الهولندية، وعن طريق ضباط الاتصال الذين كان يتم ارسالهم لمعرفة الموقف بدقة وبذلك أمكن وضع صورة واضحة وصحيحة للموقف الصعب الذي وصلت اليه الوحدات في «الأرنيم» والذي بدأ يتحول الى مأزق حرج لا أمل فيه، ولكن هذا لم يحدث قبل يوم ٢١ و ٢٢ أيلول الا نادرا. وفي هذه المرحلة أيضا، كان للنقص في الخبرات والقلة في المزاولة العملية ، سواء في المناورات أو العمليات أثرهما في قلب أوامر العمليات الرائعة والمتمشية مع الأسس النظامية، الى تطبيقات شاقة عند التنفيذ، تجاه خصم ماهر ومتمرس في القتال وكان ثمن ذلك باهظا.

وبينما كانت الوحدات البريطانية الصغرى محرومة من الاتصالات ومفتقرة الى أوامر القتال الهامة، وصلت رسالة بعد يوم ١٨ أيلول ـ الى الجنرال «بروتورن» قائد الجيش الأول للمظليين، وكانت هذه الرسالة من الجنرال «آرنولد» رئيس أركان القوات المسلحة الأميركية ـ والذي كان موجودا في واشنطن، وقد أرسل رسالته مهنئا («برورتون»على ما أحرزته قواته من الانتصارات الأولية التي انطلقت أنباؤها في العالم؟ . .).

في يوم ٢٢ كانون الأول ـ نشر تقرير كتبه الجنرال «برورتون» عن عملية «هولندا» وضمنه رأيه الصريح عن الانقطاع الخطير والوحيد الذي حدث بين قيادة فيلق المظليين وبين قيادة الفرقة البريطانية الأولى ـ بالاضافة الى فقدان الاتصالات بين وحدات هذه الفرقة ذاتها ـ وأوضح السبب في ذلك وهو: ١ ـ استخدام أجهزة لاسلكية غير ملائمة. ٢ ـ استخدام وحدة غير مدربة تم جمعها على عجل لتنفيذ العملية.

وأخيرا، فان الشروط الجوية الرديئة كانت ذات أثر كبير في تطور العمليات وأن العمليات التي يتم تحرك قواتها عن طريق الجو هي أكثر ارتباطا بمصادفات الأمطار والرياح من أي عمليات تقوم بها قوات الأسلحة الأخرى. وأن من شأن الوصول الى المزيد من التطور الفني، هو الاقلال من خضوع عمليات المظليين للشروط الجوية. ووضع حد حاسم لتأثيراتها.

وفي هذه العملية، كانت الشروط الجوية الرديئة فوق أرض هولندا وفي سمائها بمثابة ضربة قاضية أصابت الهدف السوقي الذي كان واحدا من أكثر الأهداف التي صممتها الجرأة والاقدام والتي تفوقت على غيرها من كل عمليات الحرب العالمية الثانية.

كان الجنرال «برادلي» يقف دائما موقف المنافسة والخصومة من أفكار الجنرال «مونتغومري» ومقترحاته. ولكن هذا لم يمنعه من تسجيل الحقيقة التالية وكتابتها بخط

يده: «انني أعترف صراحة بأن مخططات «مونتي» في الأرنيم كانت من أكثر مخططات الحرب، خيالا وابداعا».

كما أن القيادة الألمانية العليا، أصدرت حكمها على العملية بقولها:

«ان هذا المخطط الهجومي، يمثل آخر صورة لانتصار استراتيجية قيام المظليين بعملياتهم على نطاق واسع».

وهكذا، عندما كان يبدو النصر على قاب قوسين أو أدنى.

وعندما كانت الدلائل تشير الى احتمال تدهور العدو.

وعندما كانت القوات الحديثة، والقوية موجودة وعلى استعداد للعمل. ظهرت بعض حبات الرمل فبددت كل شيء.

ولقد حدث كل ذلك، ومرة أخرى في التاريخ، بسبب وقوع ما لم يكن متوقعا وقد برهن «غير المتوقع» هذا على أنه العامل الحاسم في الحرب.

الفصل الخامس عشر

اغارتان للمظليين الفرنسيين في شمالي فيتنام

٩/ ١٠/ ١٩٥٢
و١٧/ ٧/ ١٩٥٣

من خلال معارك السنوات الثماني التي خاضها الجيش الفرنسي في قتال قوات «الفيتنميين» الشيوعية في «فيتنام»، تبرز عمليتان لقوات المظليين تميزتا بالنتائج السريعة وبالنجاح المادي والمعنوي الكبير، إذا ما قورنتا بقلة الخسائر التي نزلت بقوات الاغارتين.

وقد تم تنفيذ الأولى فوق أرض «فو ـ دوان» بتاريخ ٩ تشرين الثاني من عام ١٩٥٢.

أما الثانية ـ وهي ذات الأهمية الخاصة ـ فهي تلك التي كان مسرحها «لونغ سوان» والتي تم تنفيذها في ١٧ تموز ـ ١٩٥٣.

وكان للتخطيط المحكم ـ وللمفاجأة التي أمكن تحقيقها ـ ولكفاءة الوحدات المهاجمة دور هـام في هذه العمليات التي تم تنفيذها خلف خطوط الفييتناميين ـ مستهدفة احتلال مستودعات الأسلحة والذخيرة الضخمة وتدميرها والتي لا غنى عنها لاستمرار فعـاليات الفيتنميين في فييتنام الشمالية.

وللإحاطة بمعرفة مراحل العمليتين، يجب البدء بالقاء نظرة على الموقف العام في فييتنام الشمالية. في شهر تشرين الأول عام ١٩٥٢. ثم وصف مراحل تخطيط العمليتين ـ وتنفيذهما والعمل بعد ذلك على استخلاص بعض الدروس التي لها أهميتها وقيمتها.

١ ـ الموقف العام في فيتنام ـ في تشرين الأول عام ١٩٥٢

عندما بدأ ثوار الفيتنميين هجومهم المباغت على «هانوي» في ١٩ كانون الأول ١٩٤٦ كان الجيش الفرنسي في الهند الصينية يتألف من (٣٠,٠٠٠) جندي فقط. تنتشر فوق مساحة (٢٨٧,٠٠٠) ميل مربع من الأرض. وتعيش بين (٢٩) مليوناً من المواطنين.

وفي الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٥٠. كان على القوات الفرنسية أن تخوض معاركها على شكل حرب عصابات تميزت بطابعها الارهابي وبمناوراتها السياسية وقد أخذ هذا الشكل من أشكال القتال يتطور بصورة بطيئة ليتحول إلى معارك مكشوفة على مستوى الجيش وقد ساعد على هذا التحول وجود منظمات الحزب الشيوعي ووصول المساعدات الصينية للثوار. ويمكن اعتبار عام ١٩٥٠ بداية هذا التحول الذي استمر في تطوره حتى نهاية الحرب في عام ١٩٥٤.

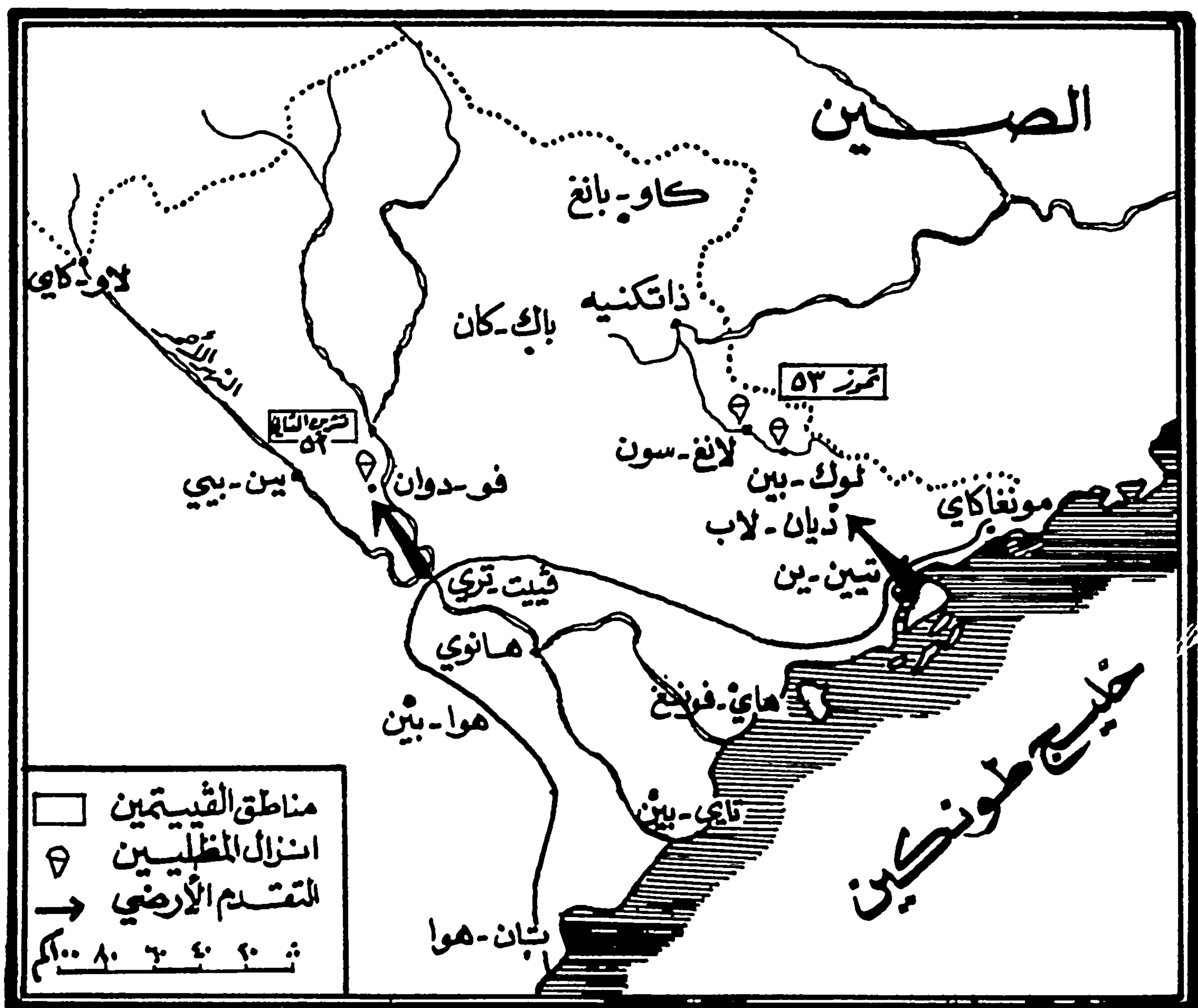
في خريف عام ١٩٥٢. حصل بعض التوازن في القوى، ولكي يعمل ثوار الفيتنميين على تحطيم هذا التوازن شرعوا في محاولة للإستيلاء على «تايلاند» وذلك من أجل تحقيق أهداف ثلاثة:

١ ـ احتلال قاعدة للانطلاق إلى «لاووس» والعمل ضدها.
٢ ـ الاتصال بـ «تايلاند».
٣ ـ الاستيلاء على محصول الافيون «الثمين».

في هذه الفترة كانت قوات الثوار الفيتناميين تضم أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) متطوع محلي و(١٢٠,٠٠٠) ثائر من منظمات «الريف» إلى جانب جيش نظامي من ٦ ـ فرق مشاة ـ وفرقة مدفعية ـ يبلغ عددهم جميعاً مئة ألف جندي، على درجة عالية من الكفاءة.

ـ في ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٥٢ بدأت فرق الشيوعيين ٣٠٨ ـ و٣١٢ و٣١٦ ـ بعبور النهر الأسود ـ وهي متجهة في اتجاه الجنوب الغربي ـ وكانت امدادات هذا الهجوم المركز تصل من منطقة «توان كوانغ» وتمر من «ين ـ بي».

ـ على أثر ذلك ـ قررت القيادة الفرنسية ـ أن تتجنب توزيع قواتها لاحتلال مواقع دفاعية جبهية ـ وعزمت على توجيه ضربة إلى مستودعات العدو ـ وخطوط تموينه. في المنطقة ذات الأهمية الحيوية من «أرض فو ـ دوان». كما تم اعداد أفضل المخططات للاستيلاء على مدينة «ين ـ بي» التي كانت بمثابة قاعدة متقدمة للهجوم الفيتنامي. ولكن لم تكن هناك القوات الأرضية الكافية للقيام بتنفيذ هذه العملية ـ كما أن الطائرات اللازمة لنقل مثل هذه القوات لم تكن متوافرة أيضاً ـ لذلك تقرر الاقتصار على تنفيذ عملية الاغارة ضد



إغارة المظليين على - فو - دوان - تشرين الثاني ١٩٥٢

«فو ـ دوان» وقد حملت هذه الاغارة اسما رمزياً هو «اللورين».

٢ ـ اغارة المظليين على «فو ـ دوان» ـ ٩ ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٢

ـ في مطلع شهر تشرين الأول كانت مجموعة قوية من المشاة والمدرعات قد استخدمت «فييت تري» كقاعدة لانطلاق الهجوم الذي استمرت قواته في التقدم إلى أن وصلت إلى مسافة (١٩) ميلاً ـ من الأرض الحيوية ـ ومن عقدة المواصلات لمدينة «فو ـ دوان». وفي هذا الوقت كانت قوات المظليين تتدرب على تنفيذ عملية «اللورين» فوق منطقة أرضية تتضمن أهدافاً محددة. وكانت مهمة المظليين، العمل على تدمير مستودعات العدو العسكرية ـ ومراكزه على كلا الجانبين من شاطىء نهر «سونغ ـ شاي» وذلك بالتعاون مع رتل آلي يصل للمساعدة ـ وكان الاسم الرمزي الذي أعطي لتحرك القوات الآلية «ماريون».

ـ في وقت مبكر من صباح يوم ٩ تشرين الثاني ـ كان على المظليين القيام بالقفز ـ بمهمة الاستيلاء على الجسر القائم فوق النهر أولاً ـ ثم العمل على تدمير مستودعات العدو.

ـ وكان على مجموعة المشاة التعبوية ودباباتها أن تبدأ تحركها خلال ليل (٨) تشرين الأول ـ لتتصل بالمظليين في يوم ٩ ـ وتضمهم إلى قيادتها ـ للعمل على تمشيط الأرض ـ وتفتيش المنطقة في عملية تستمر عدة أيام وذلك قبل أن يتم انسحاب الجميع كمجموعة واحدة ثم التحرك إلى محور الجهد الرئيسي الذي ينطلق من «فييت تري».

ـ كان الفييتناميون قد وزعوا قواتهم على ابعاد منظمة لتغطية منطقة «فو دوان» التي توجد فيها القواعد القريبة لامداد وتموين كل من الفرقة (٣٠٨ ـ و٣١٢) وكان يسهر على حراسة كل من هذه القواعد زهاء مئتي رجل ـ وبالإضافة إلى ذلك كان هناك اثنان من أفواج الفرقة (٣١٦) علاوة على وجود عدد من مدافع الهاون ١٢٠مم ومدافع الهاوتزر عيار ١٠٥مم.

ـ كانت مجموعة المظليين بقيادة العقيد «ديكودنو» مكونة من أركان القيادة وثلاثة أفواج:

«فوج المظليين المتطوعين الأول والثاني ـ والفوج الثالث للمظليين من رجال المستعمرات» بالإضافة لفصيلتين تضم كل منهما ثلاثة مدافع عديمة التراجع من عيار

٧٥مم ـ وفصيلة مهندسين للعبور ـ وفصيلة تفجير ـ وكان تحت تصرف هذه المجموعة (٥٣) طائرة نقل نموذج ـ داكوتا س ٤٧ وكان باستطاعة طائرات النقل هذه أن تقوم بعمليتي نقل في اليوم واستخدام المطارين الواقعين على مقربة من «هانوي» للقيام بهذه المهمة.

ـ كان على اثنين من أفواج المظليين أن يقوما بالقفز في وقت واحد ـ وفوق منطقتين مختلفتين ـ وذلك في الساعة (٩,٣٠) وعلى الشكل التالي:

ـ يقوم الفوج الأول بالانزال ـ ومعه أركان القيادة ـ فوق منطقة القفز الواقعة إلى شمال النهر ـ والتي يبلغ طولها ١٤٠٠ ياردة ـ بينما لم يكن عرضها يزيد على ٤٠٠ ياردة ـ وتغطي أرضها الأعشاب ـ وأعـواد القصب الطويلة ـ وهي بالإضافة إلى ذلك فقد كانت من الأراضي الوعرة ـ والصعبة.

ـ يقوم الفوج الثاني بالانزال ـ فوق منطقة القفز الواقعة إلى جنوب النهر ـ والتي يبلغ طولها ١٠٠٠ ياردة ـ بينما عرضها قرابة ٤٠٠ ياردة، وهي جيدة نسبياً ـ لأنها كانت حقلاً من حقول زراعة الرز.

ـ كان على المظليين أن يبدأوا مهمتهم على الفور من وصولهم مباشرة إلى الأرض ـ وذلك بإبطال القوى المجاورة عن طريق اقتحامها بمعركة مكشوفة تحت حماية قـاذفات القنابل من نموذج «ب ـ ٢٦» وكان على الطائرات قاذفات القنابل هذه أن تحلق باستمرار فوق أرض المعركة وطوال فترة العملية.

ـ وبعد ذلك ـ وقريباً من الساعة (١١,٣٠)، كان على الفوج الأخير أن يقوم بالقفز من الطائرات وهي على ارتفاع ٦٠٠ قدم للهبوط فوق منطقة القفز الشمالية.

ـ ثم الاتفاق على تحديد مناطق الانزال بواسطة القنابل الدخانية التي سيتم اسقاطها من طائرة استطلاع وذلك قبل ثلاثة دقائق من موعد وصول طائرات النقل.

ـ سارت العملية حسبما كان مخطط لها ـ ونجح (٢٣٥٤) مظلياً في تشكيل رأس الجسر. وكانت خسائرهم (٧) قتلى و(١٦) جريحاً تم اخلاؤهم بالطائرات العمودية ـ هليكوبتر ـ كما نجحت الطائرات المقاتلة في تدمير مجموعات من ثوار ـ الفيتنميين ـ ممن كانوا يقومون بنشاط فوق منطقة الانزال الواقعة إلى جنوب النهر ـ وحوالي الساعة (١٧,٠٠) تم الاتصال بالرتل الأرضي الآلي ـ الذي استلم قيادة وحدات المظليين.

ـ في هذه العملية ـ امكن اكتشاف مستودعات كبيرة للأسلحة والذخائـر ومواد التموين بينها: ٣٤ ـ مدفع هاون، و٣٠ مدفع م/د و٤٠ مدفع رشاش متوسط، و٤٠

مدفع رشاش قصير، و٢٥٠ بارودة + مدفعان عديما التراجع من عيار ٥٧مم. ولأول مرة أمكن الاستيلاء على مركبة شحن روسية كبيرة نموذج مولوتوفا وخلال عمليات التمشيط والتفتيش التي شملت المنطقة بكاملها والتي استمرت لمدة عدد من الأيام ـ أمكن العثور على عدد من مصانع الأسلحة ـ وعلى عدد من مستودعات الأغذية ـ وقد تم تدميرها جميعاً.

ـ بدأت دوريات الاستطلاع بعد ذلك في الانتشار حول محور «بن ـ ببي» ـ وذلك منذ يوم ١٦ تشرين الثاني ـ وبعد أسبوع من المسير ومن المعارك ـ تم سحب المظليين ونقلهم إلى «هانوي» على عربات النقل الكبيرة.

ـ وبذلك انتهت هذه العملية ـ التي كان يتطلب تنفيذ ما يماثلها اشتراك خمسة أضعاف قوة المظليين التي قامت بتنفيذها ـ وفي مدة قد تزيد على الشهر.

ـ ولكن ـ ولسوء طالع قوة المظليين ـ فإن الحظ لم يحالف هذا النجاح الرائع حتى النهاية ـ وذلك لحادث طارىء وقع للقوة في الدقائق الأخيرة.

ـ عندما بدأت مجموعة «اللورين» انسحابها في اتجاه «فييت ـ تري» وذلك حسبما كان مخططاً لها.. وبعد يومين اثنين من بدء الانسحاب ـ وقعت وحدات الاستطلاع في كمين كان قد نصبه الثوار ومعهم لواءان من ألوية «الفييتنميين» ـ وسقط على أثر ذلك عدد من القتلى بالإضافة إلى تدمير عدد من الدبابات ـ ومن مركبات النقل».

ـ إن الدرس المستخلص من هذه التجربة واضح كل الوضوح.. فقد كان من السهل نسبياً ـ الاستيلاء على مستودعات تقع إلى خلف خطوط العدو عن طريق عمليات المظليين ـ . ولكن الخطر هو في بقاء هذه القوات واستمرارها في العمل لمدة طويلة جداً . لأنها ستتعرض لضربات القوات الاحتياطية التي سيقوم العدو بحشدها وتركيزها بسرعة ضد قوات المظليين..

ـ إن عملية «اللورين» استطاعت أن تعيق هجوم «الفييتناميين» على «تايلاند» ولكنها لم تستطع أن توقفه.. وسقطت العاصمة «سونلا» قبل نهاية شهر تشرين الثاني وأصبح لزاماً على القيادة الفرنسية، أن تجمع كل قواتها الصغيرة والمنتشرة فوق الجبال المحيطة بأرض مطار «ناسان» أما أفواج المظليين ذاتها التي كانت قد قامت بالانزال فوق «فو ـ دوان» فقد تمركزت في «ناسان» بعد يومين من عودتها إلى «هانوي».

ـ تم وضع معسكر «ناسان» المحصن ـ والمحاط بالخنادق ـ تحت قيادة الجنرال «غيلل» قائد قوات المظليين. في شمال فييتنام. وقامت فرق الفييتناميين الثلاث بالهجوم

على قاعدة ناسان، ومعسكراتها ولكن بدون جدوى مما اضطرها أخيراً وبعد قتال مرهق ـ إلى الانسحاب عن تايلاند».

٣ ـ اغارة المظليين على «لونغ سون» ١٧ تموز ـ ١٩٥٣ ـ

ـ ـ في ربيع عام ١٩٥٣ ـ قامت قوات «الفييتناميين» بهجوم جديد على «لااووس» ولم ينجح هذا الهجوم فقد تمكنت قوات المظليين من إيقافه ـ وحصره في منطقة القتال ـ وهنا أيضاً ـ ومن جديد ـ حدث توازن في ميزان القوى.. وكان على الفرنسيين أن يمسكوا بالمبادأة إذا استطاعوا. وقد تقرر القيام بعملية جريئة ـ يقوم المظليـون بتنفيذهـا ويتم اعطاؤها اسما رمزياً هو «السنونو» وذلك ـ بهدف قطع خطوط امدادات العدو على مقربة من «لانغ سون» حيث تقع المستودعات الهامة التي تسلم فيها الامدادات وتوزع على القوات ـ وكانت «لانغ سون» هذه تقع على مقربة من الحدود الصينية. وهي لذلك تبعد مسافة عميقة إلى داخل الأراضي التي يحتلها الفييتناميين.

ـ بعد أسبوع من الاغارات الجوية المستمرة على مختلف الطرق المتفرعة من «لانغ ـ سون» والتي يتم استخدامها لارسال الامدادات لوحدات «الفييتناميين» أمكن الوصول إلى نتيجة هي أن مستودعات الأسلحة والذخائر كانت تقع في أقبية عميقة في الجهة الشمالية من مدينة «لانغ ـ سون».

ـ لقد كان هذا يعني ـ بأنه يجب احتلال المدينة. والاستيلاء على الأقبية المحروسة عن طريق هجوم مباغت. ثم العمل على تدمير المراكز والاعتدة والانسحاب بعد ذلك إلى أقرب خطوط يحتلها الأصدقاء ـ قبل وقوع أي خطر يأتي عن طريق رد فعل قوي يقوم به «الفييتناميين» وكانت أكثر مواقع الأصدقاء قوة هي التي تقع على مسافة خط أفقي يصل إلى ـ ٤٥ ـ ميلاً كما كانت الأراضي الواجب تجاوزها أثناء الانسحاب. مكسوة بالغابات. وليس فيها إلا القليل من الطرق والممرات وإن كافة هذه الصعوبات هي مما يجب إضافتها إلى حساب العملية..

ـ كانت قوات «الفييتناميين» كالتالي:

ـ كان يدافع عن «لانغ ـ سون» ذاتها ـ فوج محلي وسريتان إضافيتان وعلى بعد /٦/ أميال أي على الحدود الصينية. كانت تنتشر بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات. أما وحدات فرقة المشاة /٣٠٨/ فكانت تتمركز على مقربة من «تاي ـ نغوان» وكان باستطاعتـها التدخل خلال فترة /٤٨/ ساعة. وبين «لانغ ـ سون» و«تيين ـ ين» كانت تنتشر /٨/

سرايا ريفية. وكان باستطاعة هذه السرايا أن تتدخل بعد يوم واحد. أما بعد يومين فإن قوة هذه السرايا ستزداد حتى تعادل أربعة أفواج أو ستة. ولهذا ـ فإن المفاجأة والسرعة في التنفيذ ـ هما العاملان الأساسيان لنجاح العملية بأكملها.

ـ وضعت العملية تحت قيادة الجنرال «غيلل» وقد جاء المخطط كالتالي:

في صباح يوم ١٧ ـ تموز ـ يتم إنزال المظليين بمهمة تدمير مستودعات «لانغ سون» ومع احتلال عقدة المواصلات الحيوية القريبة من «لوك ـ بين» المدينة الصغيرة ـ وذلك لحماية انسحاب مجموعة الهجوم والتدمير.

وفيما بين يوم ١٧ ـ ويوم ٢١ ـ تموز تتحرك مجموعة أرضية من «تيين ـ ين» ـ متجهة نحو الغرب بمهمة مساعدة قوات المظليين أثناء انسحابهم على محور «ديان ـ لاب» «تيين ـ اين».

ـ كانت مجموعة المظليين بقيادة العقيد «ديكورنو» مكونة من جهاز للقيادة. ومن ثلاثة أفواج ـ الفوج السادس والفوج الثامن لقوات المستعمرات ـ وفوج المظليين المختلط الثاني. مع فصيلة استطلاع وأربع عشرة طائرة هبوط ـ قابلة للزيادة.

ـ أما قوات المجموعة الأرضية فمكونة من : ثلاثة أفواج مشاة + فوجين مغاوير «كوماندو» + جمهرة مدرعات + سرية مهندسين ومعهم ثلاثة جرافات «بلدوزر» لتسوية الطرق.

ـ أما احتياط قوات المظليين فكان مكونا من: فوج محمول جوا + بطارية مدافع عديمة الارتداد عيار ٧٥ مم وقد تم تمركز هذا الاحتياط فوق مطاري «هانوي» وهما «غيا ـ لام» و«باش ـ ماي».

ـ بما أن فرصة النجاح كانت رهينة بتحقيق المباغتة التامة في مكان الاغارة وزمنها فقد تم إعداد مراحل التحضير بكل تكتم ولم يسهم في الاعداد إلا القادة المسؤولون عن العملية إلى جانب عدد محدود جداً من الضباط. كما أن أوامر العملية لم تطبع حتى يوم ١٥ تموز.

ـ في الساعة / ١٤٠٠/ من يوم ١٦ تموز ـ تم استنفار الوحدات المكلفة بتنفيذ العملية ـ وطبق عليها نظام الحجر ـ وتم عزلها بصورة فورية.

ـ في الساعة / ١٥/ تم تلقين مجموعة قادة الأفواج.. وبعد ذلك بمدة ساعتين تم وضع قادة السرايا ضمن اطار صورة المعركة.

ـ بما أنه لم يكن باستطاعة المظليين حمل أكثر من أسلحتهم الخفيفة ـ فقد تم وضع مخطط الدعم الجوي للعملية ـ مع تكريس جهد كبير لهذه الغاية ـ فجاء مخطط الدعم كالتالي ـ

ـ في الساعة «س ـ ١٥ ـ د» وحتى الساعة ـ س ـ وهي لحظة انزال المظليين تقوم الطائرات المقاتلة بالاغارة على جميع مراكز العدو ـ وبالهجوم على مواقعه التي أمكن اكتشافها وتحديد أماكنها بواسطة الصور الجوية. مع مزاولة الضرب على مناطق انزال المظليين.

ـ اعتبارا ـ من «س + ١» يتم الدعم بناء على طلب المظليين ـ مع ضرب تجمعات قوات «الفييتنأميين» التي قد تعترض الهجوم. والضرب على المقاومات التي يكتشفها ـ الطيارون بأنفسهم.

ـ وأخيراً ـ وبعد «س + ١» تستمر دوريات اسراب الطائرات المقاتلة بالتدخل حسب مبادهتهم ـ مع إعطاء أفضلية الدعم لطلبات قادة الوحدات الملتحمة.

ـ بعد أن يحل الظلام ـ تتم اضاءة أرض المعركة ـ بناء على طلبات المظليين ـ وذلك بواسطة مشاعل مضيئة يتم اسقاطها من طائرات الداكوتا «ث ٤٧ س».

ـ كانت مناطق الانزال في «لانغ ـ سون» تتصف بكونها حقولاً لزراعة الرز، ولذا فقد كان باستطاعة الطائرات انزال كامل حمولتها من الرجال. أما مناطق الانزال في «لوك ـ بين» فكانت تتصف بضيقها وقصر طولها نظراً لوقوعها بين النهر وبين قريتين. ولذا كان على الطائرات أن تقوم بانزال نصف تعداد الرجال فقط في المرور الواحد.

ـ حوالي الساعة /٨,١٠/ كانت قيادة الفرقة ووحدات فوجين تغادر أبواب /٥٦/ طائرة داكوتا «ث ٤٧ س» وذلك للهبوط فوق منطقة الانزال القريبة من «لانغ ـ سون».

ـ في الساعة /١٢,١٠/ تقريباً ـ قام الفوج الثالث بالقفز ومعه سرية المهندسين للهبوط فوق منطقة الانزال القريبة من «لوك ـ مين» ـ وقد تم استخدام /٢٩/ طائرة داكوتا ـ ث ٤٧ س».

ـ سار تنفيذ العملية حسب التخطيط وكان يوماً من أيام الصيف الحارة. وقد أدت المفاجأة دورها ولم يتصد لقوات الهجوم إلا المفارز القائمة على حراسة المستودعات فخاضت معركة عنيفة ـ في محاولة لتأخير الهجوم ريثما تصل النجدات ـ وقد تم قتل /٢١/ مقاتلاً من قوات «الفييتناميين» كما تم اعتقال خمسة أسرى وتم اكتشاف مستودعات ضخمة،

واتخذت الترتيبات اللازمة لتدميرها بواسطة عناصر مفرزة المهندسين الخاصة التي كانت قد اشتركت بالانزال وبرفقتها كمية /١٠/ اطنان من المتفجرات - وكانت هذه المستودعات تحتوي على:

- / ٢٥٠/ صندوقاً يحتوي كل منها على أربعة مدافع رشاشة تشيكية فيكون المجموع ألف مدفع رشاش.
- أربع عربات نقل جند أمريكية كبيرة «ج - م - س»
- عربتي نقل روسيتين كبيرتين نموذج «مولوتوفا»
- / ٤٠٠٠/ غالون وقود.
- / ١٧٦٥/ قدما مكعباً من مختلف نماذج الأعتدة والمعدات. منها /٥٥/ - محركاً - وقطع تبديلية الخ...
- / ٢٥٠/ عجلة من مقاييس مختلفة.
- /١/ طن ذخائر + ٢٥٠ بارودة + ٥٠ مسدساً رشاشاً.
- /١٥/ محركاً كهربائياً + ٨ عربات معدات كبيرة.
- / ١٤٠/ قدماً مكعباً من الألبسة العسكرية.
- / ٧ / أطنان من الشاي.
- / أجهزة هاتفية + آلات طابعة + / ٢٠,٠٠٠/ زوج حذاء.
- وثائق + /٥٠٠/ صندوق لفافات تبغ روسية.
- في الساعة / ١٦٠٠/ تقريباً - كانت عملية تدمير وإحراق الكهوف والمستودعات والمظلات قد آنتهت.

كما انتهت عملية زرع الألغام فوق الطرق الموصلة الى الجنوب والغرب. وابتدأت وحدات فوجي المظليين بالانسحاب من «لانغ - سون» وتم الالتقاء مع فوج المظليين المكلف بحماية الانسحاب في «لوك - بين» والذي كان قد قام باتخاذ الترتيبات اللازمة لعبور النهر - مع تغطية منطقة العملية بكاملها في الاتجاه المقابل للحدود الصينية.

- كانت المسيرة الاجبارية في الانسحاب بمثابة اختبار رياضي لكفاءة الوحدات. إذ كان المسير صعباً جداً وزاد من صعوبته الجهد المبذول خلال تنفيذ عملية الاغارة. بالإضافة إلى الحرارة الشديدة. مع ضرورة دفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه..

في الساعة (٢٣,٠٠) تقريباً من يوم ١٨ - تموز - وعلى مقربة من «ديان - لاب» التقت عناصر استطلاع وحدات المظليين - برأس الرتل الأرضي القادم من «تيين - بن» وابتدأت عناصر الاستطلاع تعمل بسرعة لاعادة تصليح الطرق. ثم ابتدأ المظليون في

الصعود إلى مركبات النقل التي كانت في انتظارهم، وذلك بينما كانت تصل السرايا الأولى من قوات «الفييتناميين» النظامية. وكانت هذه السرايا متعبة بسبب الجهد الذي كانت قد بذلته في محاولتها للحاق بالمظليين، والتماس بهم. وقد شرع رجال «الفييتناميين» بفتح نيران رشاشاتهم. ولكن المسافة الفاصلة بين الطرفين كانت كبيرة جداً. وكان وصولهم بعد فوات الأوان.

ـ في صباح يوم (٢٠) كانت الأفواج التي نفذت عملية الاغارة، تركب البحر من ميناء «تيين ـ بن» في طريق العودة إلى «هانوي» عن طريق «هاي ـ فونغ» وكانت الخسائر طفيفة. فمن أصل ألفي مظلي نفذوا العملية، سقط قتيل واحد. وضاع مفقود آخر كما لفظ ثلاثة آخرون أنفاسهم أثناء المسيرة بسبب الارهاق الذي أصابهم ـ. بالإضافة إلى /٢١/ جريحاً ـ تم إخلاؤهم أثناء المعركة بواسطة الطائرات العمودية ـ هيليكوبتر.

ـ بعد ذلك بأيام قليلة ـ انطلقت أفواج المظليين لتنفيذ عملية جديدة ـ ولكننا لم تستخدم الطائرات في هذه المرة ـ بل قامت بالتنقل بواسطة مركبات النقل الكبيرة. وذلك للعمل كوحدات للصدمة في تنفيذ عمليات الهجمات المضادة. وقد لقي هذا الاستخدام الكثير من الانتقادات.

ـ إن الدرس المستخلص من هذه العملية واضح للغاية ـ فبفضل الاعداد المحكم وبفضل مستوى التدريب الجيد ـ أمكن إحراز النصر بسهولة ـ وأمكن تنفيذ العملية بنجاح على عمق كبير من داخل أراضي العدو ـ وأنه من الممكن توفير المرونة والحصول على المفاجأة لتنفيذ مثل هذه العمليات بواسطة استخدام وحدات المظليين.

٤ ـ دروس عامة

ـ تم تنفيذ الاغارتين السابقتي الذكر ـ في قلب بلاد العدو ـ وكان لهما طابعهما الخاص وميزاتها التالية:

ـ بما أن الحرب الثورية كانت منتشرة هناك فوق مساحة كبيرة من الأرض ـ. وبما أن عدد المواطنين الذين اشتركوا فيها كان كبيراً ـ فإنه من الصعب استخلاص الدروس العامة والمناسبة لكل أشكال القتال. ولكن هناك على الأقل عدد من النقاط الجيدة والملائمة والتي ستبقى محتفظة بأهميتها لاستخدامها في أي نوع من الحروب وفوق أي نوع من الأراضي.

هناك قبل كل شيء مرحلة هامة أساسية يجب البدء بها وهي مرحلة جمع المعلومات وتركيزها والاستفادة منها على أعلى مستوى من مستويات القيادة. وهذا مما يسمح باتخاذ

القرارات السليمة على ضوء معرفة تامة للموقف. وقد كان لوسائل الاستعلام التي أمكن استخدامها وفق أحداث الأساليب الفنية أثرها في نجاح العملية.

ولقد استطاع أركان حرب استخبارات القيادة في «هانوي» أن يحققوا نجاحاً في وضع مخطط دقيق يحوي المعلومات الصحيحة ـ وحتى آخر دقيقة.

وكانت هذه المعلومات تشمل الأهداف ومناطق الانزال ـ ومواقع القوات «الفييتنامية» وطبيعة الأرض الخ... ولو أن أية خطيئة وقعت في هذه المرحلة من مراحل التحضير للعملية ـ كوجود دفاعات مضادة للطائرات ـ أو كوجود وحدات نظامية تستطيع أن تتدخل مباشرة في منطقة «لانغ ـ سون» فإن مصير العملية بأكمله كان سينتهي إلى الفشل ـ وإلى هزيمة قوات الهجوم هزيمة دامية ـ ولهذا فإن الواجبات الملقاة على عاتق ضباط الاستخبارات في مثل هذه العمليات ذات أهمية رئيسية ـ وأنها أيضاً مسؤولية من أكبر المسؤوليات.

ـ وبعد أن يتم الحصول على المعلومات الدقيقة ـ فإن المهمات البعيدة خلف خطوط العدو تصبح سهلة ـ ذلك لأن المفاجأة التي يمكن تحقيقها ستسبب الشلل لبعض القوات فتتناثر الوحدات الصغرى متفرقة فوق مساحات شاسعة من أرض المنطقة،ويصاب السكان المدنيون بالدهشة والقلق.

ـ تكون الخسائر عادة في صفوف المظليين قليلة. كما يمكن الحصول على الامدادات الضرورية للوحدات المشتبكة ـ ومن منطقة العملية ذاتها إذا كان حجم الوحدات صغيراً.

ـ يجب على القوات التي قامت بالانزال ـ أن تتحرك بسرعة ـ وألا تستقر طويلاً فوق أرض المنطقة لا سيما إذا حدث اشتباك لأنها ببقائها تعرض نفسها لهجمات الخصم المضادة والتي ستقوم بها قوات كبيرة.

ـ إن مشكلة الانسحاب والعودة بعد تنفيذ العملية ـ من أكثر المشاكل صعوبة سواء كان هذا الانسحاب سيتم عن طريق الأرض ـ أو عن طريق البحرِ ـ أو بواسطة الجو. ويمكن لهذه الغاية أن يتم الانسحاب سيراً على الأقدام. أو بواسطة الزوارق أو ـ الغواصات. أو بواسطة الطائرات الهجومية أو الطائرات العمودية... الخ هذا ويمكن في بعض الوحدات أن تنقسم الوحدات إلى مجموعات صغيرة جداً ـ تحاول كل منها أن تجد الوسيلة المناسبة للبقاء فوق أرض العدو ـ. أو تفتش عن طريق للفرار مع اجتياز صعوبات الاقليم ـ أو الاختلاط بكتل الجماهير المنتشرة في الاقاليم الكبيرة والمتحضرة.. ويتطلب القيام بتنفيذ مثل ذلك ـ تدخل وحدات مدرَّبة تدريباً خاصاً لكي تكون قادرة على مجابهة المواقف المختلفة. كما يطلب من هذه الوحدات أن تكون على درجة عالية من الروح

المعنوية ـ وأن يكون على قيادتها نوع من القادة ممن تتوافر فيهم صفات الحزم ـ والخيال الخصب.

ـ يمكن للمظليين تنفيذ مثل هذه العمليات للهجوم والاغارة على الأهداف المتنوعة سواء كانت هذه الأهداف عسكرية أو اقتصادية أو سياسية ـ أو نفسية .. وقد يكون من الأهمية بمكان زج المظليين لتدمير مستودعات الذخائر العادية ـ أو النووية ـ أو نسف خطوط المواصلات. أو محطات الارسال الاذاعية ـ أو إبطال عمل قيادة المنظمات ـ والمقاومة.

ـ من خلال العمليات التي قام بتنفيذها المظليون الفرنسيون في الهند الصينية والتي وصل عددها إلى /١٥٠/ عملية هامة ـ وكان حجم القوات التي قامت بتنفيذها يتراوح بين الاغارة بقوة فصيلة وبين الهجوم بمجموعة خمسة أفواج وقد أصبح لدى المظليين الفرنسيين رصيد ضخم من الخبرات في العمليات التالية:

ـ الاغارات لجمع المعلومات ـ الاغارات التدميرية ـ العمليات بهدف دعم الحاميات المحاصرة ـ عمليات دعم الهجمات الأرضية ـ ودعم الهجمات البرمائية ـ عمليات دعم الأنصار ـ قتال العصابات الخ...

ـ إن الحدود التي تقع ضمنها مثل هذه العمليات ـ تتعلق بخيال القادة وبسعة أفقهم ـ مع توافر الوحدات المختصة ـ واستعداد أفرادها ـ وحماسة وحدات الصدمة.

ـ ويجب أن نتذكر دائمًا بأن الامكانات المتنوعة والكثيرة للاغارات التي يتم نقلها جوا ـ تصبح مفيدة فقط وممكنة إذا ما توافرت الامكانات الجوية، وإذا كانت طبيعة الأرض تتيح تنفيذ مثل هذه العمليات ـ أي أنه يجب أن يتوافر لوحدات المظليين التدريب الخاص والمعدات الخاصة. مع توافر العدد المناسب من الطائرات اللازمة ـ وكمثال على ذلك:

ـ في شهر كانون الأول من عام /١٩٥٠/ كان لدى الجيش الفرنسي في فييتنام /٦٠٠٠/ مظلي.

ـ وفي عام ١٩٥١ ـ ارتفع العدد إلى /١١,٠٠٠/ مظلي.

ـ وفي عام ١٩٥٤ ـ أصبح هناك ما يزيد على اثني عشر فوجاً مظلياً ـ وكانت على درجة رائعة من التدريب ـ وكان نصف تعدادهم تقريباً من «الفيتناميين» بالإضافة للوحدات المكلفة بدعم المظليين ـ كوحدات المدفعية ـ ووحدات المهندسين ـ ووحدات الشؤون الادارية ـ ووحدات الخدمات الطبية الخ... ولكن لم تكن هناك طائرات النقل الكافية لتحريك هذه القوات. وكان مجموع طائرات النقل لا يزيد على مئة طائرات داكوتا

ـ ث ٤٧ س ـ في عام ١٩٥٢. وأمكن دعم هذه الطائرات بـ /٢٥/ طائرة أمريكية من نموذج ـ ث ١١٩ ـ س ـ. وذلك في شهر نيسان من عام ١٩٥٤.

ولكن وصول هذه الطائرات جاء متأخراً، وبعد فوات الأوان.

ـ وهذا الدرس يجب أن لا ينسى ـ

ـ ولهذا لا يفيد العمل على اعداد وحدات جيدة من المظليين بدون أن يكون هناك العدد اللازم من الطائرات ـ لنقل تلك الوحدات جواً ـ بالإضافة إلى ما يتطلبه نقل الامدادات وإنزالها ـ وذلك علاوة على العدد اللازم من طائرات الاستطلاع ومن الطائرات المقاتلة المكلفة بتوفير الدعم الجوي اللازم.

ـ وأخيراً ـ يجب التأكيد على أن أية اغارة قد تتعرض لأخطار كبيرة ـ وكلما زاد الطموح إلى تحقيق الهدف الأكبر ـ كلما كانت المخاطر أكثر ـ.

ـ إن القيادة الجريئة ذات الأفق الواسع ـ والواثقة من استطلاعاتها ومن معلوماتها عن الخصم ـ إلى جانب ثقتها بوحداتها الأرضية ـ وبقواتها الجوية ـ تستطيع أن تحقق أكبر الانتصارات بالقليل من القوات ـ وهذا هو فن الحرب.

ـ من بين الغنائم التي تم الاستيلاء عليها في اغارة «لانغ ـ سون» /١٠٠٠/ بارودة آلية خفيفة وجديدة ـ وأنه لشيء ضروري وأساسي أن ندرك ما يعنيه هذا الرقم ـ وما هي النتائج التي كان يمكن حدوثها لو وصلت هذه الأسلحة إلى أيدي خصم جريء ومدرب على أساليب القتال الحديثة.

ـ إن واحداً من الأفواج التي اشتركت بالاغارة على «لانغ ـ سون» وكانت خسارته قتيلاً واحداً بسبب الارهاق وسبعة جرحى. قد تم تكليفه بعد شهر واحد من الاغارة المذكورة ـ بالقيام بهجوم عادي لتدمير قرية صغيرة محصنة ـ وهي واحدة من عدد كبير جداً من القرى المنتشرة بين حقول الرز. وتم تنفيذ العملية الجديدة حسب الأسلوب الرتيب المعروف في الهجوم ـ وانتهت العملية بالنتيجة التالية:

«الاستيلاء على خمس بواريد آلية فقط» أما خسائر فوج المظليين الذي نفذ المهمة فكانت:

وقوع / ١٤/ قتيلاً «ضابط ـ و٣ رقباء ـ وعشر جنود» إلى جانب /٤٥/ جريحاً «منهم ضابطان ـ و٦ رقباء ـ و٣٧ جندياً».

ـ إن هذه الصورة تظهر بوضوح الاختلاف العميق بين نتائج عمليات الهجمات الأرضية الجبهية والمباشرة وبين نتائج عمليات المظليين التي تستفيد من البعد الثالث وهو «الفضاء».

الفصل السادس عشر

حرب ثورية مظفرة
«كوبا» ١٩٥٦ - ١٩٥٩

دعنا نتذكر التعريف الذي سبق ذكره في المقدمة والذي يقول:

«إن الحرب الثورية أو الشعبية، هي حرب تقع داخل حدود بلد ضد السلطات السياسية القائمة على حكمه، ويقوم بها جمهور من شعب ذلك البلد، بمساعدة أو بدون مساعدة ثابتة من الخارج - وتهدف هذه الحرب إلى زعزعة القيادة، وعزلها عن السلطة، أو - في أضعف الاحتمالات - شلها عن الفعالية والعمل».

هذا التعريف - ينطبق كل الانطباق على الحرب التي قام بها الثوار الكوبيّون والتي استمرت لمدة سنتين، بقيادة «فيدل كاسترو» وانتهت في عام ١٩٥٩ - بانتصار كانت ثمرته قيام حكومة جديدة، نالت اعتراف عدد من الدول منها الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا.

وأنه من المفيد وضع هذا الصراع - موضع الاختبار والفحص - ولو بصورة موجزة بغية إضافة معرفة جديدة إلى معارفنا عن هذا الشكل من أشكال القتال الذي تزداد أهميته باستمرار. ومن الممكن العودة إلى المخططات الجغرافية والنصوص التاريخية للوصول إلى نظرة شاملة لحرب السنتين هذه وما دار خلالها من أعمال القتال، لكي نستخلص منها بعد ذلك بعضا من الدروس العامة.

بعد معاهدة ـ باريس ـ «راجع الفصل الأول» قامت حكومة كوبية بالاضطلاع بأعباء الحكم. ونظراً للصداقة التي أصبحت تربط بين كوبا وبين الولايات المتحدة الأمريكية. فقد خاضت كوبا الحرب ضد سلطات أوروبا الوسطى وذلك في عام ١٩١٧. وضد دول المحور في عام ١٩٤١. كما أن السلطات الكوبية أقرت وجود قواعد جوية وقواعد بحرية هامة فوق أراضيها. وعلى مقربة من «غانتانامو» (في الاقليم الشرقي) وذلك مقابل ما أنفقته الولايات المتحدة الأمريكية في حرب التحرير الكوبية.

بعد عام ١٩٣٢ ـ أقام «السيرجان» (الرقيب) ـ فيلجنسيو ـ باتيستا» نظاماً ديكتاتورياً صارماً. وازدادت وطأة هذا النظام تعسفاً بعد عام ١٩٥٠. وكان يدعم «باتيستا» في حكمه قوى الجيش، وقوات الشرطة. كما كان يساعده وجود اقتصاد مزدهر.

وظهر ذلك الشاب الضعيف والمجهول «فيدل كاسترو». مع رجاله البالغ عددهم (٢٦) رجلاً، لمناهضة ذلك الرجل، صاحب العظمة والهيبة. وكان ذلك في ٢٦ تموز من عام ١٩٥٦.

«فيدل كاسترو» هو ابن واحد لأحد اقطاعيي الاقليم الشرقي. درس الحقوق وكان يبلغ في عام ١٩٤٧ ـ واحد وعشرون عاماً من العمر ـ عندما قام بقيادة مجموعة من الثوار ضد ديكتاتور «الدومينيكان» تروجيليو. ولكن الفشل كان نصيب تلك الثورة.

وفي ٢٦ تموز ـ ١٩٥٣ ـ قام بحركة حملت إسم «حركة ٢٦ تموز» وكان يستهدف القيام بهجوم على الجيش الذي كان يعسكر في «سانتياغو ـ دو كوبا» وهي المدينة الثانية من مدن جزيرة «كوبا» وتبعد عن العاصمة «هافانا» مسافة (٦٠٠) ميل وانتهت هذه الحركة بالفشل وزج بقائدها في السجن. وبعد قضاء سنتين وراء القضبان سافر «كاسترو» إلى الولايات المتحدة الأمريكية ـ وإلى المكسيك ـ بهدف الاعداد للثورة ـ ولقيام الحرب الثورية فوق أرض كوبا.

في ٢ كانون الأول عام ١٩٥٩ ـ وطئت قدماه أرض الشاطىء الشرقي للجزيرة وكان معه ٨١ مقاتلاً من الثوار ولم تنقض فترة طويلة حتى تناقص عدد رفاقه إلى (١٢) رجلاً. أما الباقون فكانوا في عداد القتلى أو في قبضة الاعتقال.

وهنا بدأت مرحلة من الصراع المرير الذي استمر طوال السنة الأولى. وكان مسرح العمليات ينحصر في مناطق الغابات والمناطق الجبلية من « سييرا ـ ماسترا» وكانت آمال الثوار تظهر وكأنها بعيدة المنال ـ صعبة التحقيق. إذ كان جيش ـ الحكومة البالغ عدده (٥٠,٠٠٠) مقاتل ـ والمسلح بالمدفعية والدبابات والطائرات يعمل إلى جانب قوات

الشرطة. وقد حشد هؤلاء جميعاً كل امكاناتهم لصيد بضعة مئات من الرجال المسلحين بالأسلحة الخفيفة، يعملون فوق أرض الجزيرة وهم في عزلة عن أي عون خارجي.. وكانت الميزات التي استفاد منها «فيدل كاسترو» تكمن في طبيعة الاقليم الصعبة وعدم قدرة الوحدات النظامية على ممارسة حرب الأنصار. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان هناك الخيار الحربي المتأصل في نفوس الشعب والمتوارث عن الآباء والأجداد. منذ أيام النضال ومعارك الاستقلال في القرن التاسع عشر.

على الرغم من الاجراءات المضادة التي اتخذتها الحكومة، والتي زادت من عمق الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين الحكومة وبين جماهير الشعب فإن ثورة ـ ٢٦ ـ تموز ازدادت اتساعاً وعمقاً. وأصبح عام ١٩٥٧، عام الحرب الصغرى والتي تمثلت في حرب الشائعات والدعاية والاعلام. وفي عام ١٩٥٨، انتشرت فعاليات «كاسترو» بحيث أصبحت تشمل اقليم «كاماجاي» واقليم «لاس ـ فيجاس». وفي نيسان عام ١٩٥٨ جرت محاولة للقيام بهجوم عام. ولكن هذه المحاولة أخفقت على الرغم من إحراز بعض الانتصارات المحلية. وكان رد فعل الحكومة على هذه المحاولة شرساً. وأعلن «باتيستا» مرة أخرى أنه قد سحق التمرد.

بدأ كاسترو يعد العدة من جديد لمرحلة من الصراع ذات أبعاد أكثر خطراً على حياة السلطة. وهي مرحلة تهديد اقتصاد الاقليم.

إن ثلاثة أرباع محصول السكر ـ وهو عماد اقتصاد كوبا ـ ينبع من ثلاثة أقاليم شرقية. وكانت هذه الأقاليم هدف أعمال الثوار. وكانت أكثر فترة من السنة أهمية في انتاج السكر هي الفترة الواقعة بين كانون الثاني، وآذار حيث يتم جمع المحصول وتحضيره. وفي هذه الفترة يتم حشد ما يزيد على نصف مليون عامل وفلاح للعمل ليل ـ نهار. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة نقل المحصول إلى مراكز النقل..وكانت عملية النقل هذه تتوقف على قدرة الخطوط الحديدية.

وكان هناك (١١,٠٠٠) ميل من الخطوط، تعود ملكية (٧٥٠٠) ميلاً منها لشركات السكر.

في النصف الثاني من عام ١٩٥٨ عمل «كاسترو» على توجيه ضربات قواته، إلى الخطوط الحديدية، وطرق المواصلات. وتم تدمير المئات من الجسور والمنعطفات كما تم تفجير الخطوط الحديدية والمركبات وعربات النقل والقاطرات. بالإضافة إلى قطع الخطوط الهاتفية، فأدى ذلك إلى عزل قوات الحكومة بعضها عن بعض ـ لا سيما في الاقليم الشرقي، وتزايد ثقل الضغط الاقتصادي على الحكومة، التي تفاقم عجزها.

أما هافانا العاصمة ـ فقد أصبحت ـ بسكانها البالغ عددهم مليونا ومئتي الف، تعيش على المواد الغذائية والامدادات التي كانت تصلها من الخارج. وازداد هذا التدهور ـ فأصبحت بعض المدن، مثل «مولفان» تعيش بدون كهرباء لمدة شهر ونصف. كما تمكن الثوار من فرض سيطرتهم على «سانتياغو ـ دو ـ كوبا» وهي ثاني مدن الجزيرة وعدد سكانها (١٢٠,٠٠٠) نسمة، وذلك على الرغم من وجود حامية للدفاع عنها، وكان عدد أفرادها ألفا جندي.

في تشرين الثاني ـ وكانون الأول من عام ١٩٥٨ ـ أصبح أفق فعاليات الثوار أكثر اتساعاً. وفي مطلع عام ١٩٥٩ أصبح منتجو السكر على يقين من أن محصول السكر سوف لن يتم جمعه وتصديره أما الوحدات العسكرية الحكومية، والتي لم تكن مؤهلة لقتال الثوار، فإنها أصبحت تتكبد الخسائر باستمرار. وتدهورت قواها ـ المعنوية. وهكذا فإن دعامتي «باتيستا» في الحكم وهما الجيش والاقتصاد أصيبتا بالانهيار. وقد أجريت محاولة لانقاذ الموقف باجراء تعديلات في مراكز القيادة العليا وتبديل أشخاصها.

في نهاية كانون الأول، أصبحت معالم الاضطراب في الحكم واضحة كل الوضوح وكانت ارتال قوات «كاسترو» مستمرة في تقدمها إلى أن وصلت «سانتا كلارا».

في يوم ٢٧ ـ كانون ـ ابتدأت المعركة حول المحطة. وظهر «باتيستا» من خلالها بائساً وفاقداً للأمل في إمكان نجاح المقاومة التي قادها حتى آخر لحظة وذلك على الرغم من وصول قطار محمل بالدبابات والمركبات والأسلحة والذخائر.

واستسلمت الحامية المدافعة عن المحطة لقوات الثوار. كما أن الجنرال «لومبوي» أصبح محاصراً بقوات الثوار الذين كان يقودهم «الماجور ـ غويفارا» وقد أخذت قوات «لومبوي» تميل إلى الاستسلام والانضمام إلى قوات الثورة، وكذلك الأمر في بقية قوات الجيش والشرطة، وكان ذلك تحت ضغط الثوار الذين كانت تساندهم عواطف الجماهير وفي نهاية المعركة كان عدد أفراد قوات الثورة يتراوح بين ثمانية آلاف ـ وتسعة آلاف مقاتل.

قامت الاذاعة ووسائل الاعلام بدور هام خلال هذا الشهر الأخير من الثورة، إذ كانت تقوم بنقل أنباء انتصارات قوات «كاسترو» وتحركاتها. وكان لذلك أثره الكبير في مساندة الجماهير لقوات الثورة وتعاونهم معها. كما أن التهديدات التي كان يوجهها باتيستا بتدمير ممتلكات المدنيين ممن يقومون بحماية الثوار ويمدون يد العون لهم ويتعاطفون معهم. لم تترك أثراً الا في زيادة اتساع الهوة السحيقة بين الحكم البغيض وبين جماهير الشعب الفخورة بانتصاراتها.

وهكذا ـ وبعد سنتين من الحرب الشعبية، جاء أسبوع عيد الميلاد بين آخر عام ١٩٥٨ ومطلع عام ١٩٥٩. ليضع حداً لهذه المجابهة، وليضع نهاية لهذه الحرب المشتعلة بين الطرفين. فقد «باتيستا» أمله بوصول النجدات التي كان يحتمل وصولها إليه من الخارج. وفي اليوم الأول من عام ١٩٥٩ ـ كان «باتيستا» ومعه الجنرال «تروجيللو» يتوجهان إلى «جمهورية الدومينيكان» بعد أن اختارا طريق الهرب والفرار.

استخلصت الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة، نتائج هذه الوحدات ـ والحقائق المنبثقة عن الموقف الجديد. فقامت بالاعتراف بالحكومة المؤقتة التي كان على رأسها «مانويل ـ ايريتيا». وكانت كوبا، المورد الرئيسي لمادتي السكر، والنيكل اللتين تستوردهما أمريكا. كما كانت قيمة الرأس المال الأمريكي المستثمر في الاقليم تعادل أربعة آلاف مليون فرنك فرنسي.

في السنوات التالية لانتهاء الثورة المسلحة، ابتدأت مرحلة من الصدام في مجال مصلحة الاقتصاد الذاتي، وفي مجال الضغوط السياسية الخارجية. وكان مبعث ذلك اختلاف أنظمة الحكم بين ـ كوبا ـ وبين ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ وكان لهذا الصدام أثره في توجيه وقيادة الحرب الباردة ـ والوصول بها إلى بحر ـ الكاريبين ـ وهنا ـ ومن جديد ـ برزت حقيقة أخرى . هي: أن أعمال الحرب الشعبية ـ وأساليبها قد تمكنت من تحقيق نصر جديد في «كوبا».

وبعد، ، ،

ترى ما هي الأسباب التي حققت بسرعة ما لم يكن متوقعاً؟. . وكيف استطاع «فيدل كاسترو» أن يقود معارك الحرب الثورية وأن ينتصر بحفنة من الأنصار على خصمه «باتيستا» الذي كان يمتلك جميع القدرات والامكانات؟.

إن السبب الأول يكمن في طبيعة المخططات العسكرية. وأنه على الرغم من كثرة عدد المقاتلين، ووفرة الأسلحة المتنوعة والجيدة في أيديهم، وكثرة مواردهم. إلا أن هناك عيباً فاضحاً في اعداد تلك القوات لمجابهة اسلوب من الحرب لم يكن متوقعاً أن القوات العسكرية النظامية ـ التي تمارس في تدريبها أساليب مجابهة العدو والدخول معه في معارك مكشوفة، تقف عاجزة عن التعامل مع الكمائن، والاغارات، وأعمال التخريب التي يتم تنفيذها فوق أراضي الاقليم ذاته. كما أن قوات الحكومة المجهزة، والمسلحة بالأسلحة الثقيلة، تقدم صيدا سهلاً، لأسلحة مجموعات الثوار الخفيفة.

إنها أخطاء في السياسة الداخلية، تلك التي ساعدت على تكوين هوة بين الحكومة الواقعة تحت تأثير سيطرة مظاهر العظمة وبين جماهير الشعب التي كانت تعيش دائمًا في حالة من الفقر والبؤس.

يعود السبب في نجاح «كاسترو» إلى طبيعته كرجل لا يعرف التراجع عن مقرراته، وكانت مقاومته الجسدية والمعنوية، تظهر واضحة كلما أصابه ضيق أو ألمت به محنة. كما أن رفاقه كانوا يشبهونه صلابة وصمودا. وأنه لما يجدر ذكره أن التاريخ المجيد لحروب الاستقلال الكوبية، كان ذا أثر بالغ في اعداد الشعب فكرياً لمساندة الثورة وتقبلها.

أما في مجال المخططات التعبوية، فإن «كاسترو» يتميز بسرعته في الانقضاض على الأهداف الاقتصادية الهامة. كالخطوط الحديدة، وعقد المواصلات من ناحية ومعامل انتاج السكر من ناحية أخرى. وكانت الحكومة تعتمد على وسائل المواصلات للمحافظة على النظام الداخلي في الجزيرة، وعلى تلبية متطلبات الاقليم من الاحتياجات بينما كانت تعتمد على معامل انتاج السكر كمورد رئيسي لها، وكعامل يرتبط به وجود كوبا بأكملها.

بعد أشهر من العمليات المتفرقة التي نفذتها مجموعات صغيرة في عددها ضعيفة في تسليحها، وقوية بمساندة الجماهير لها.. جاءت المرحلة الثانية وهي المرحلة الاقتصادية والنفسية، وبها بدأ الصراع المكشوف مع الحكم، ووصلت هذه المرحلة بسرعة إلى نهايتها.

وكان النجاح الكامل حليفاً لها.. ثم جاءت مرحلة من القتال في الظلام استمرت لفترة عدد من الأشهر، وفيها أصبح الحكم متعباً ضعيفاً. وانهارت السلطة في النهاية أمام ضربات الثوار المستمرة.

لقد قاتل «فيديل كاسترو» وانتصر - وأبدع نموذجاً للحرب الثورية وأصبح واحداً من الذين يجب التعلم منهم. وأن إشعال نيران الحرب، أكثر سهولة من اكتساب معارك السلم، والاضطلاع بأعباء الاقتصاد، كما أن الاستقرار السياسي والاستقرار النفسي - لأمة تعتز بأمجادها على الرغم مما هي عليه من الفقر والتخلف، هو أمر شاق وأن قيادة مثل هذه الأمة.. أمر من الأمور الصعبة، المحفوفة بالمخاطر.

الفصل السابع عشر

مباغتة الانزال البرمائي في (انشون) (١٩٥٠)

اتخذت القوات المسلحة التابعة لهيئة الأمم المتحدة، مواقعها الدفاعية منذ اثني وثمانين يوماً. وكانت قد لجأت إلى هذا الدفاع مرغمة بعد عملية انسحاب كادت تنقلب في أحيان كثيرة إلى كارثة حقيقية. وقد أمكن لهذه القوات الاعتماد على قاعدة (بوزان) لتكون دعامة الصمود والمقاومة طوال شهر كامل، أعقبه حدث كان له دوي الرعد القاصف في العالم كله. ففي يوم ١٥ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٠. قامت القوات التابعة لهيئة الأمم المتحدة بإنزال برمائي مباغت في (انشون) تبعه تقدم سريع أمكن بواسطته الاستيلاء على سيؤول، وتغيرت بذلك مسيرة الأحداث على الأرض الكورية. ففي ظرف (١٥) يوماً، وبعد أن كان جيش كوريا الشمالية على وشك تحقيق انتصاره الحاسم. جاء الانزال في انشون لينتزع من هذا الجيش ما حقق من نصر سابق، وليعمل على تدمير قوات كوريا الشمالية تدميراً كاملاً تقريباً. وكان الهجوم المضاد الاستراتيجي الذي أمكن تتويجه بالنصر على القوات الشيوعية وتدميرها، هجوماً حاسماً في هذه الحرب المحدودة. ولولا التدخل الكثيف جداً للقوات الصينية، والذي غير من طبيعة الصراع، لأمكن تدمير قوات كوريا الشمالية تدميراً كاملاً.

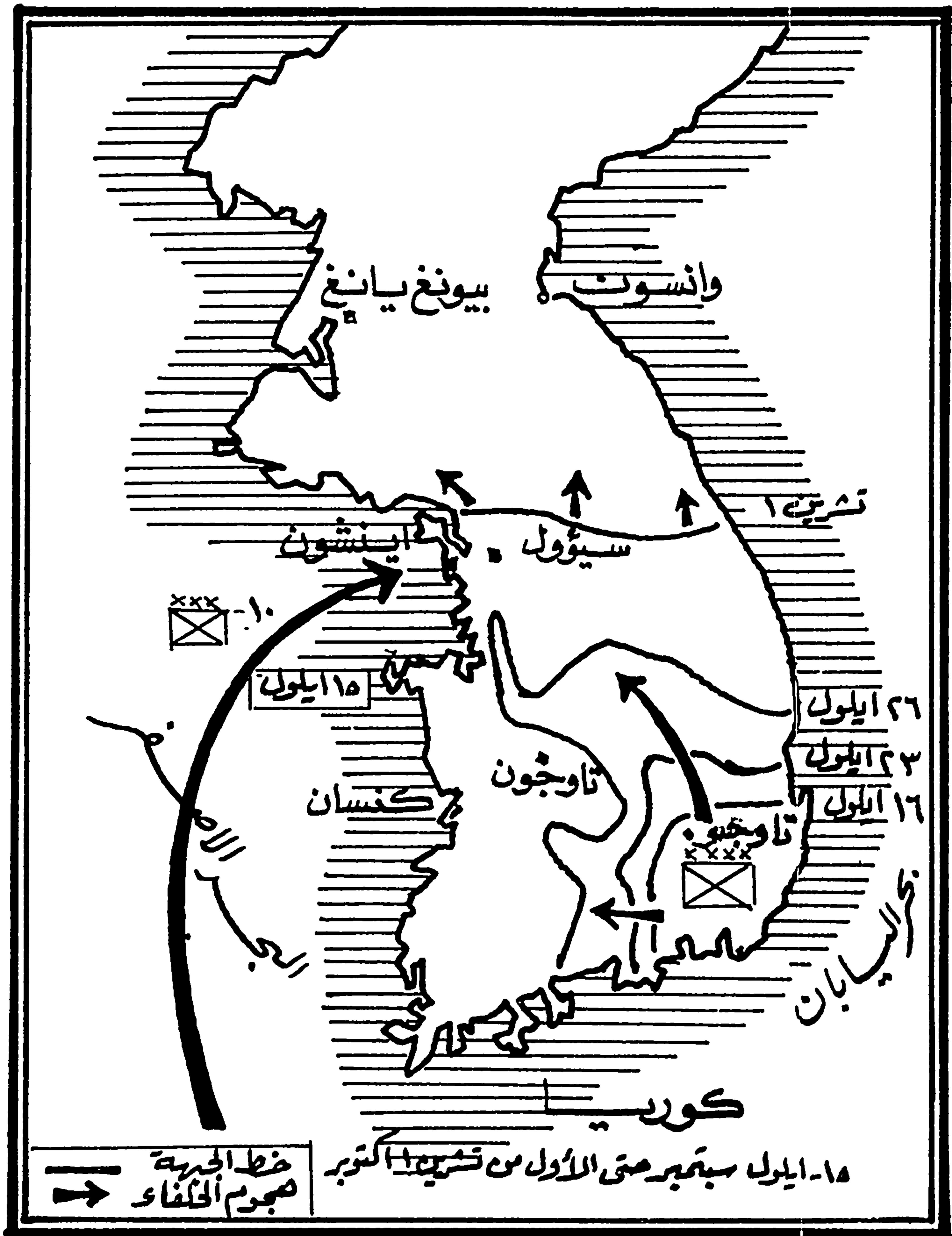
تظهر أهمية دراسة هذه العملية، وفائدتها، باعتبارها حدثت في عصر الرعب من القدرة التدميرية للأسلحة النووية، والتي استبعدت احتمال المجابهة النووية على المستوى

العالمي، مفسحة المجال بذلك أمام الانفجار المباغت للحروب المحدودة. والتي جاءت الحرب الكورية بالكورة لنماذجها المميزة بثلاثة أسس رئيسية: **أولاً**: أن الهجوم في هذا النوع من الحروب، هو الوسيلة المثلى لضمان النصر، شأنه في ذلك شأنه في كل الحروب. **ثانياً**: إن المناورة الجريئة المعتمدة على المباغتة هي أفضل وسيلة لضمان النجاح السريع في مثل هذا الهجوم. **ثالثاً**: إن وجود القوات الجاهزة باستمرار للتدخل العسكري، والمدربة تدريباً عالياً، وتتوافر لها خبرة قتالية جيدة، هو أمر أساسي لا بد من توافره لتأمين تنفيذ مثل هذه الضربة الحاسمة.

لقد كانت هذه الأسس الثلاثة هي المهيمنة على كل مراحل اعداد العملية وتنفيذها. وهي عملية الانزال البرمائي في (انشون) والتي حملت الاسم الاصطلاحي ـ الرمزي ـ (كروميت). وقد يكون من المفيد استقراء ملامح هذه العملية ومتابعة الأسس الثلاثة السابقة الذكر، ثم محاولة استخلاص بعض الدروس المستفادة والتي تحتفظ بصحتها وأهميتها في عصر بات من المتوقع فيه ـ وأكثر من أي عصر مضى ـ انفجار تظاهرات القوة في كل يوم، وفي كل مكان من العالم.

* * *

انطلق جيش كوريا الشمالية في هجومه يوم ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٠. وكان هذا الجيش صغيراً في حجمه، قوياً في تماسكه وتنظيمه وتدريبه، مدعماً بمائة دبابة سوفييتية وبمئات المدافع. وأمكن له اجتياح كوريا الجنوبية التي لم تكن تمتلك من القدرة القتالية سوى بعض وحدات الأمن الداخلي الضعيفة في عددها وتسليحها، بالإضافة إلى وحدات أمريكية هزيلة نقلت من اليابان لدعم كوريا الجنوبية. وأفادت قوات كوريا الشمالية من المباغتة ومن تفوقها الكبير بالقوى والوسائط لتمزق القوات المعادية لها، ولتفرض سيطرتها خلال شهر واحد على كوريا الجنوبية كلها تقريباً. ولم تبق إلا قاعدة (بوزان) في أقصى الجنوب صامدة في وجه هجمات خمسة عشر فرقة من القوات الحمراء (الشيوعية). وظهر الموقف بصورته المتدهورة مثيراً كل مشاعر اليأس: فقد استطاعت قوات الهجوم استخدام كل الظروف لتنفذ مخططاتها، ولتصل إلى حافة النصر. الأمر الذي أذهل الرأي العام العالمي، وتركه متردداً، وحائراً، ومذعوراً، حيث ساد الاعتقاد بضياع كل احتمال لاعادة تصحيح الموقف بوسائط الصراع المسلح. وإذا ما ظهر هناك بعض الأفراد ممن لا زالوا يعتقدون بامكان الاستمرار في المقاومة. فإنه ما من أحد كان يتصور إمكانات القيام بهجوم مضاد ناجح يمكن له تحقيق النصر. وهنا تظهر كفاءة القائد (الجنرال ماك آرثر) القائد الأعلى لقوات هيئة الأمم المتحدة، والذي لم يتوقف لحظة عن التفكير في القيام بهجوم ناجح، وإعداد المخططات له منذ بداية الصراع.



بيونغ يانغ
وانسون
تشرين ١
سيئول
اينشون
١٠
١٥ ايلول
٢٦ ايلول
٢٣ ايلول
١٦ ايلول
تاوجون
كنسان
تاونجو
بحر اليابان
كوريا
١٥ ايلول سبتمبر حتى الأول من تشرين ١ اكتوبر
خط الجبهة
هجوم الحلفاء

بدأت طلائع القوات الأمريكية باجراء التماس (الاتصال) مع قوات كوريا الشمالية يوم ٤ تموز (يوليو) ١٩٥٠. وفي هذا اليوم ذاته، وضع (ماك آرثر) فكرة القيام بهجوم مضاد استراتيجي عن طريق إنزال برمائي على المؤخرات البعيدة في (انشون) القريبة من (سيؤول). وأصدر أوامره بوضع مخطط العملية والاعداد للهجوم. وكان مفهوم الهجوم وفقاً لما حدده (ماك آرثر) مفهوماً بسيطاً، بقدر ما كان رائعاً ويتلخص بالتالي: لقد احتشدت تسعة أعشار جيش كوريا الشمالية حول قاعدة بـوزان، ويمر خط إمدادات ومواصلات هذا الجيش من سيؤول، البعيدة مسافة مائتي وخمسين كيلومتراً تقريباً عن مؤخرة جيش كوريا الشمالية. وعلى هذا فإن القيام بانزال قوات برمائية عن طريق البحر سيسمح لقوات هيئة الأمم المتحدة بقطع كل الامدادات والدعم عن القوات المحتشدة في الجنوب (لكوريا الشمالية) الأمر الذي سيمهد بالتالي لتدمير هذه القوات وسحقها بين مطرقة هجوم الجيش الثامن المنطلق من بوزان في اتجاه الشمال، وبين سندان الفيلق العاشر الذي يمسك بقوة منطقة (انشون ـ سيؤول).

لقد كان هذا التقويم العسكري للموقف مدعمًا باعتبارات أخرى أضافت على العملية طابعها الاستراتيجي. ومن هذه الاعتبارات ما يلي: أولاً ـ أن الاستعادة السريعة لعاصمة كوريا الجنوبية (سيؤول) من شأنه دعم حكومة سينغمان ري، وتحقيق نصر سياسي. ثانياً ـ أن نجاح العملية سيرفع من هيبة الأمم المتحدة على المستوى الدولي. ثالثاً: سيساعد تحقيق هذا النصر على رفع الروح المعنوية للكوريين الجنوبيين، ويدعم وحدتهم الداخلية. رابعاً: ستصاب قوات كوريا الشمالية بانهيار معنوي يؤدي إلى هزيمتها وتمزقها. خامساً: تشكل (انشون) من الناحيتين الادارية والتموينية الميناء الثاني في كوريا والذي يقع على بعد (٢٥) كيلومتراً منه أفضل مطار في كوريا (وهو مطار كيمبو).

لقد كانت هذه الاعتبارات أساسية، وذات أهمية واضحة، غير أن الصعوبات التقنية الضخمة لا تزال قوات كبيرة في (انشون)، تهددت تلك الاعتبارات بالسقوط، وطرحت احتمال ابطال العملية من أساسها. وقد جاءت الدراسات الأولى لتبرز على الفور تلك العقبات الضخمة والتي أوجزها أحد المسؤولين عن التخطيط للعملية بقوله: **«ضع كل الشروط المطلوب توافرها للانزال البرمائي في لائحة واحدة، وستظهر لك عندها الصورة الحقيقية لعملية انشون حتى أن الكثيرين منا ـ والمسؤولين عن التخطيط ـ فكروا بأنه إذا كان لا بد من تنفيذ العملية فإنه يصبح لزاماً عليهم قلب الأسس المتبعة للتخطيط رأساً على عقب».**

كانت العملية مرتبطة في الحقيقة بالقدرة على تأمين إنزال بحري، فوق ساحل يمتد

لمسافة ستة كيلومترات، وفي مواجهة مدينة آسيوية تضم ربع مليون نسمة من المواطنين. وهي مدينة قائمة على خليج مميز بخصوصية فريدة هي تجاوز الفارق في المد والجزر لكل ما عرفته خلجان الشرق الأقصى: حيث يبلغ هذا الفارق مسافة تسعة أمتار ونصف، وأحياناً يصل حتى اثني عشر متراً. وكان قاع أحواض المياه ـ في بعض الأماكن ـ موحلاً، طينياً، يمتد لمسافة خمسة كيلومترات تفصل الأرصفة البحرية: هذا بالإضافة إلى مجموعة من الجزائر التي تحيط بهذا الخليج، وتجعل محاور الاقتراب إليه عسيرة وصعبة حتى في أيام السلم. وعلاوة على ذلك كله، فقد كان تيار الماء لسفن الانقضاض يجعل من العسير تنفيذ عملية الانزال إلا عندما يصل مد المياه ذروته، وهذا مما لا يحدث إلا مرة في الشهر ولعشرة ثلاثة أيام أو أربعة. وهذا يعني أن باستطاعة قيادة قوات كوريا الشمالية معرفة الموعد الدقيق لتنفيذ مثل هذه العملية. بمجرد قراءة بسيطة لجدول حركة (المد والجزر). وكان هذا الجدول يشير ـ في بداية شهر تموز ـ يوليو ـ إلى أن أفضل حركةلارتفاع المد تتوافق مع تواريخ ١٥ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ و١١ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ و٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ (١٩٥٠). وكانت قد مضت أسابيع لم تتم خلالها أية عملية سبر أو صيانة لمحاور الاقتراب البحري من الميناء، فكان عمق المياه، مجهولاً بنتيجة ذلك، مما جعل عملية الاقتراب محفوفة بالمخاطر والمجازفات. وكان ضيق منطقة الانزال يرغم سفن الدعم على القاء مراسيها والتوقف بعيداً عن الساحل، مما يجعلها دريئة، أو هدفاً، من السهل التعامل معه بالنيران. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ضيق المكان أيضاً يفرض على القوات ابقاء احتياطيها على بعد أربعين كيلومتراً في عرض البحر، الأمر الذي يعيق اتصال القوات بعضها ببعض بواسطة شبكة الاتصال الهاتفية ـ الداخلية ـ: ولم تكن المنشآت القائمة في الميناء كافية لاستيعاب امدادات ضخمة من الذخائر والمواد التموينية لقوات كبيرة الحجم. وكان في جملة الصعوبات أيضاً، سيطرة جزيرة «وولمي دو» الحصينة على محاور الاقتراب الضيقة، ومنطقة الانزال الصعبة. وأخيراً. فقد كان لا بد من اجراء كافة الاستعدادات للعملية في الموانىء اليابانية، الخاضعة لمراقبة عملاء وجواسيس كوريا الشمالية، الأمر الذي يعيق كل الجهود للاحتفاظ بأسرار العملية سواء خلال مرحلة الاعداد والتحضير، أو حتى أثناء التنفيذ.

انتهت الدراسة التفصيلية والدقيقة للعملية، وعرض وجيزها في مؤتمر للقادة يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ حيث جلس (ماك آرثر) صامتاً طوال ساعة ونصف وهو يستمع إلى مجموعة العقبات التي أنهاها الأميرال (دوييل) بقوله: «. . وإن أفضل ما أستطيع قوله ـ أمام كل هذه الصعاب ـ هو أنه ليس من المحال تنفيذ عملية الانزال في انشون». وهنا وقف (ماك آرثر) ليعيد طرح مفهومه الاجمالي للعملية التي تعترض سبيلها العقبات التقنية،

فقال: «لقد أكد تاريخ فن الحرب بأنه أمكن تدمير الجيوش في تسعة أعشار المرات، عندما أمكن السيطرة على خطوط مواصلاتها وعزلها. وإن كل طلقة وكل قذيفة، وكل ما تحتاج إليه قوات كوريا الشمالية، لا بد لها من المرور من سيؤول. وعلى هذا فإن الانزال البرمائي هو الوسيلة الاكثر فاعلية والأكبر تأثيراً من بين كل الوسائل التي نمتلكها. ولا بد لنا من استخدام هذه الوسيلة لتوجيه ضربة قاسية وعميقة في خلف قوات كوريا الشمالية. إننا سنقوم بالانزال في انشون. وسأسحق قوات الغزو الكورية».

وهكذا، صدر القرار بتنفيذ العملية، غير أن المهلة الزمنية التي كانت تفصل بين يوم اتخاذ القرار وبين الموعد الذي حدد لتنفيذها، لتتجاوز (٢٣) يوماً. وجدير بالذكر أن التحضيرات والاعداد لانزال شمال افريقيا ـ خلال الحرب العالمية الثانية، تطلبت سنة كاملة. كما أن الإنزال في قنال (غادال) تطلب مرحلة من الاعداد مدتها ثمانية أشهر. وتبرز مقارنة هذه الفترات الزمنية المخصصة للاعداد في عمليات الانزال البرمائي على مؤخرات القوات، أنه من المحال التنفيذ إلا إذا توافرت هيئة قيادة وأركان على درجة عالية من الكفاءة، إلى جانب ضرورة توافر وحدات محترفة ذات قدرة قتالية عالية، ولديها خبرات فكرية جيدة، ووسائط قتالية مناسبة. وبنتيجة ذلك، فإنه من الأفضل الاعتماد في التنفيذ على عدد صغير من خيرة الوحدات المنتقاة، بدلاً من الاعتماد على تشكيلات قتالية ضخمة إلا أنها بطيئة الحركة، ومفتقرة إلى التدريب. لا سيما وأن عملية الهجوم المضاد تتطلب توجيه ضربات حاسمة يمكن بواسطتها ـ وحدها ـ انتزاع النصر، وتمنع الحروب المحدودة من التوسع أو التطور كما أنها تختصر الفترة الزمنية للصراع.

انطلاقاً من الحقيقة التي سبق ذكرها، كانت الوحدة الاختصاصية بتنفيذ مثل هذه العملية، هي (الفرقة البحرية الأولى) والمتمركزة في الولايات المتحدة الأمريكية. غير أن هذه الفرقة لم تكن كاملة في تنظيمها؛ وكانت قد شكلت لواء واحداً في أول تموز ـ يوليو ـ ضم خمسة آلاف مقاتل، وتم زجه في معركة بوزان بمجرد وصوله إلى كوريا يوم ٢ آب ـ أغسطس ـ. وكان لا بد لاعادة تنظيم هذه الفرقة من تجميع هذا اللواء من جديد وسحبه من ميدان المعركة، مع تجنيد كل العناصر النشطة والموزعة في كل الولايات المتحدة، وكذلك استدعاء عشرة آلاف مقاتل من احتياط فيلق القوات البحرية. وسحب فوج من قوات (البحرية) كان يمارس خدمته مع الأسطول السادس الأمريكي العامل في البحر الأبيض المتوسط. وهكذا لم تتمكن وحدات للفرقة من الوصول إلى اليابان إلا في الفترة الواقعة بين ٢٩ آب ـ أغسطس ـ و٣ أيلول ـ سبتمبر ـ. وهذا يعني أنه لم يكن لديها من الوقت إلا بقدر ما تتطلبه عملية الانتقال من سفن النقل (السفن التجارية) إلى سفن الهجوم (الأسطول الحربي). بدون اجراء أي تمرين أو القيام بأية مناورة. حيث كان لزاماً على

وحدات الانزال الأولى، ركوب البحر يوم (٩) أيلول ـ سبتمبر ـ. ولم يكن بالمستطاع اجراء التحرك البحري، أو تنفيذ عملية الانـزال، لو لم يتـوافر للعمليـة هيئة قيـادة وأركان اختصاصية، ولديها من الخبرة، قدر ما لدى وحداتها من التجارب للاضطلاع بتنفيذ المهمة.

تشكل التنظيم للقيادة على النحو التالي: ١ ـ الأميرال (سترابل) قائد الأسطول السابع في المحيط الهادىء، مسؤولاً أمام الجنرال (ماك آرثر) عن العملية بكاملها، وعليه تدقيق المخطط العام للعملية ٢ ـ مساعد الأميرال (دوييل) قائد القوات البرمائية، ومهمته اعداد مرحلة التقرب، والانزال إلى اليابسة، وتأمين الدعم. ٣ ـ الجنرال (سميث) ومهمته قيادة عملية القوات الأرضية (البرية).

تضمنت الخطة العامة للعملية، قيام الفرقة البحرية الأولى بالانزال والهجوم، يتبعها بعد ذلك انزال فرقة المشاة السابعة. وقد دمج هذين التشكيلين المقاتلين في اطار الفيلق العاشر الذي أسندت قيادته إلى الجنرال (الماند) وواجبه احتلال منطقة (انشون ـ سيؤول) والتمسك بها بقوة لتكوين السندان الذي ستصـطدم به مطرقة الجيش الثامن الذي حدد واجبه (بقيادة الجنرال ووكر) بالانطلاق من بوزان للهجوم على جيش كوريا الشماليـة وتدميره.

نظمت القوافل البحرية في اطار سبعة كتل رئيسية تضم بمجموعها ما يزيد على ثلاثمائة قطعة بحرية؛ وقسمت على النحو التالي:

١ ـ مجموعة متقدمة تضم طرادات الأسطول السابع ومدمراته، ومهمتها اجراء الاستطلاع بالقوة، والقيام بالقصف التمهيدي في انشون يومي ١٣ و١٤ ايلول ـ سبتمبر ـ.

٢ ـ قوة لتنفيذ الهجوم، تبدأ عملها يوم ١٥ أيلول ـ سبتمبر بالتمهيد للهجوم البر ـ مائي وتأمين الدعم البحري والجوي.

٣ ـ قوة الانزال، وتأخذ على عاتقها الهجوم على (انسون) وتشكيل رأس جسر للقوات التالية.

٤ ـ قوة استطلاع، واجبها تأمين التغطية الجوية والبحرية البعيدة ـ أمام القوات.

٥ ـ قوة تغطية ميدانية، واجبها تأمين الحماية المباشرة، والقيام بعمليات تشتيتية على الموانىء الأخرى الواقعة جنوب انشون (على أن تشمل هذه العمليات القصف والاغارات التي تقوم بها قوات المغاوير من الامريكيين والبريطانيين.

٦ ـ قوة تدخل سريع، تنطلق من حاملات الطائرات، وتؤمن التفوق الجوي فوق مسرح العمليات، كما تقوم بعزل الأهداف التي يتم الهجوم عليها، وتضمن تقديم الدعم الناري للوحدات البرية.

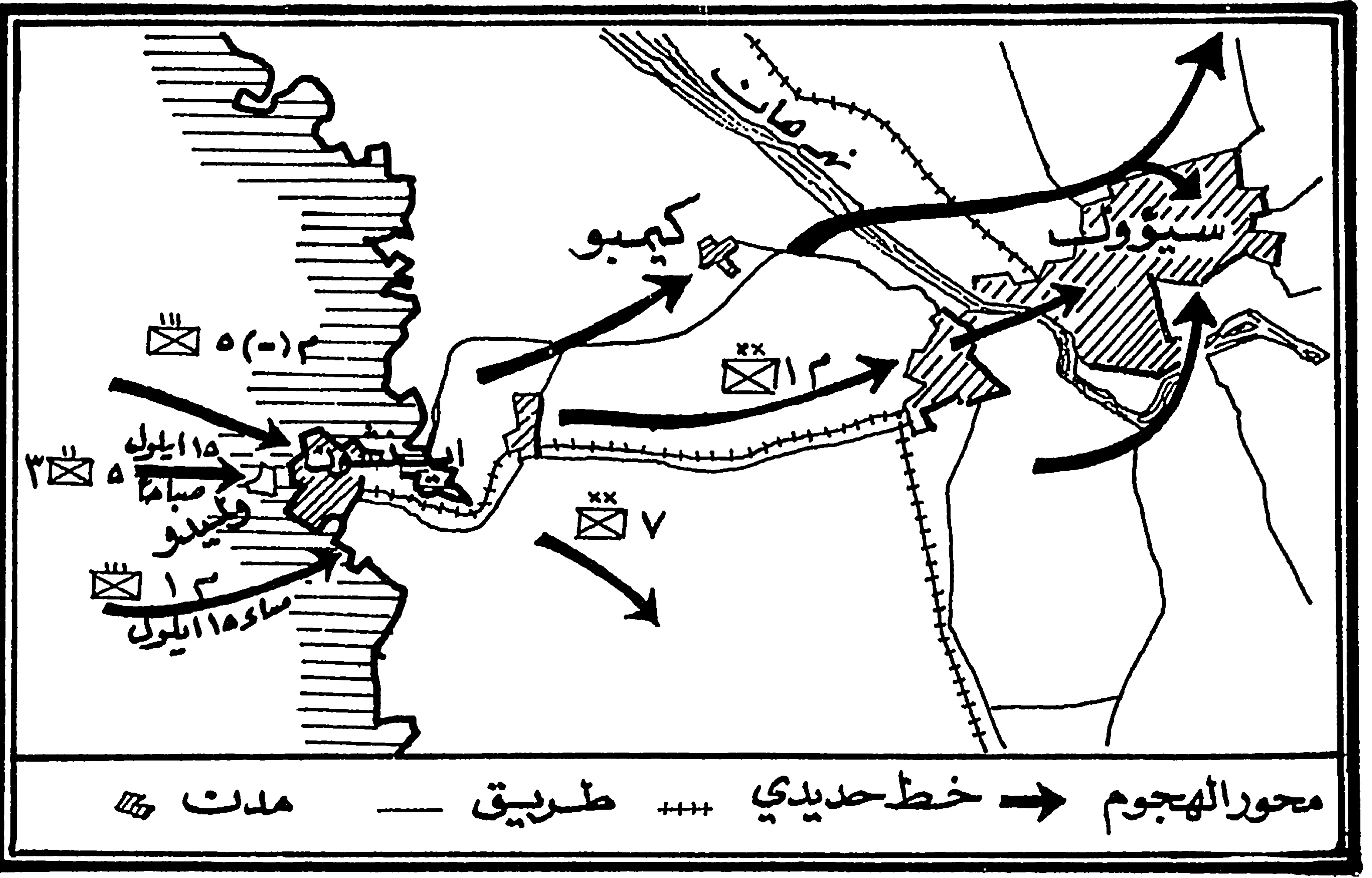
٧ ـ وأخيراً، قوة للدعم الاداري (اللوجيستيكي). واجبها الأول تأمين الامداد بالذخائر والوقود، وإقامة المنشآت بصورة خاصة في منطقة انشون.

خصصت لنقل الفرقة البحرية الأولى مجموعة من (٨١) سفينة انزال تضم ما يلي: سفينة قيادة و(٦) سفن نقل هجومية و(٨) سفن حمولة هجومية (كارغو) و(٣) سفن انزال رصيف وسفينة انزال متوسطة و(٣) سفن نقل سريعة و(١٢) سفينة انزال خدمات و(٤٧) سفينة انزال مدرعة. منها (٣٠) سفينة جهزها اليابانيون لقواتهم. وكان الأمر الواضح هو تكوين رتل صلب من القوات مما كان يعيق تجزئة القوات إلى وحدات صغرى.

حددت للفرقة مهمتها بتنفيذ الانزال في (انشون) وزج قوة (٣) آلاف مقاتل تقريباً (من لواء البحرية ٢٢٦ ولواء المدفعية ٩١٨) للسيطرة على سواحل كوريا الشمالية، والعمل في البدء على احتلال المدينة خلال فترة الأربع والعشرين الساعة الأولى، ثم التوغل لتشكيل رأس جسر عمقه (٩) كيلومترات. ثم يصبح من واجب الفرقة التحرك بأقصى سرعة ممكنة لاحتلال مطار (كيمبو) ـ الواقع على بعد ٢٥ كم من انشون كما سبق ذكره ـ ثم عبور نهر (هان) الذي يزيد عرضه على ثلاثمائة متر، من أجل الوصول إلى (سيؤول). وكان على الفرقة السابعة انزال قواتها بعد يومين من تنفيذ الانزال الأساسي ـ الأولي ـ للتقدم على المجنبة اليمنى، والسيطرة على المرتفعات المحيطة بالعاصمة (سيؤول). والاندفاع بعد ذلك في اتجاه الجنوب للعمل كمقدمة للجيش الثامن.

بقيت عملية الانزال مرتبطة بساعات المد القصوى، وعلى هذا فقد حدد موعد انزال موجة الهجوم بين الساعة (٦,٣٠) صباحاً. والساعة (١٧٠٠) مساء. وتم تشكيل قوة من كتيبة مشاة مدعمة بعدد من الدبابات والمدفعية للاضطلاع بمهمة الهجوم المبكر، ومع أول ارتفاع للمد، للاستيلاء على جزيرة (وولمي دو) المحصنة، والمسيطرة على الميناء والمدينة. كما تم تشكيل جمهرتين، تضم كل جمهرة منهما فوجين أو ثلاثة أفواج من المشاة والدبابات والمدفعية والمهندسين الخ.. ومهمتهما تنفيذ الانزال في فترة بعد الظهر، حيث تقوم الجمهرة الأولى بالانزال في القطاع البحري المقابل للمدينة، بينما تقوم الجمهرة الثانية بالانزال إلى الجنوب من التلال، وكان على الجمهرتين الالتقاء عند الطرف الآخر من مدينة انشون في صبيحة اليوم التالي للامساك برأس الجسر الأساسي.

وضع مخطط الدعم بالنيران، ليشمل أدق التفاصيل في الأهداف التي يجب التعامل



سيئول
كيمبو
نهر هان
١٢م
٧
م(-)٥
١٥ ايلول
٥ صباحاً
١م
مساء ١٥ ايلول
محور الهجوم
خط حديدي
طريق
مدن

معها، والتي بلغ عددها (٥٢) هدفاً. خصص لها ثلاثة آلاف قنبلة من العيارات الثقيلة في مدافع الطرادات والمدمرات، يتم قذفها خلال الساعة التي تسبق كل موجة من موجات الانزال، على أن تدعم هذه الرمايات خلال الربع الساعة الأخيرة والتي تسبق الانزال، برمي رشقات تتضمن (٣) آلاف صاروخ عيار (١٢٥) مم على كل شاطىء من شواطىء الإنزال، وعلى جبهة «وولمي دو» البالغة (٥٠٠ متر) وعمق (٥٠ متراً)، وكان لزاماً إيقاف هذه الرمايات قبل دقيقتين من وصول القوات إلى البر (اليابسة)، لافساح المجال أمام الطائرات للقيام بهجماتها واغاراتها وهي ارتفاع منخفض.

يظهر ذلك مدى التعقيد الكبير في تلك المخططات، سواء ما كان مخصصاً منها للتحركات، أو للدعم الناري، والتي لم يكن ينافسها الا دقة المخططات المبرمجة لعملية الانزال، وتأمين الامداد الاداري والدعم (اللوجيستيكي). ولقد أظهرت القوات البحرية كفاءة عالية في تحقيق ما أنجزته خلال فترة زمنية قياسية، ولم يكن تحقيق ذلك ممكناً لو لم تتوافر خبرات كثيرة لهذه الوحدات الاختصاصية، مما ساعدها على انجاز واجباتها بالرغم من عدم توافر فترة زمنية كافية، ووصول الفرقة إلى اليابان في اللحظة الأخيرة، وبالرغم أيضاً من عدم اجراء تجارب مسبقة، وتناثر وسائط النقل، واعادة تنظيم وحدات الهجوم بصورة مستعجلة. وكان من نتيجة ذلك نجاح الانزال في (انشون) والبدء بالهجوم الاستراتيجي المضاد الذي انعكس صداه بقوة على جيش كوريا الشمالية.

* * *

لقد كان من المحال تنفيذ ذلك الهجوم، بمثل تلك السرعة المذهلة، والوصول إلى مثل ذلك النصر الحاسم، لو لم تضطلع به وحدات اختصاصيّة، مدربة تدريباً عالياً، ولرتبائها معرفة عميقة بواجباتهم وأعمالهم. وقد استطاعت حفنة من الوحدات المتسارعة في تقدمها التغلب على كتائب وأفواج، من قوات كوريا الشمالية. وأفادت الوحدات البحرية من خبراتها المكتسبة في معارك الحرب العالمية الثانية، علاوة على ما اكتسبه أفرادها من القسوة في ميادين التدريب، وأمكن لها بذلك تجاوز مشكلة القصور في الاعداد قبل المعركة.

لقد اشتهرت هذه الوحدات البحرية بروحها العدوانية، وباندفاعها وحماستها للتحرك السريع، بقدر ما اشتهر قادتها بالحزم والمبادأة، الأمر الذي ساعد هذه الوحدات على الوصول إلى (سيؤول) خلال اثني عشر يوماً ، وضمان النجاح للمناورة. وقد قامت الفرقة البحرية الأولى بتنفيذ انزالها البرمائي في أصعب الظروف وأشدها قسوة، لتستولي بعد ذلك، وخلال يومين فقط، على مطار (كيمبو). لتقوم في اليوم الخامس من الانزال باقتحام

نهر (هان). وعبوره بالقوة، ثم احتلال العاصمة (سيؤول) في يوم ٢٧ أيلول ـ سبتمبر ـ. وذلك على الرغم من الجهود اليائسة التي بذلتها قيادة كوريا الشمالية لانقاذ الموقف، فزجت على التتابع قوة فرقتين من المشاة مدعمتين ببضعة كتائب من المشاة ودبابات (ت ـ ٣٤) والمدفعية، والتي ضمت بمجموعها (٤٥) ألفاً من المقاتلين.

تكبدت قوات كوريا الشمالية من الخسائر: (٤٦٩٢) أسيراً و(١٤) ألف قتيل، مع تدمير (٤٤) دبابة. والاستيلاء وتدمير معدات ووسائط قتالية كثيرة. أما الفرقة البحرية الأولى والتي بلغ عدد أفرادها (٢١٨ و٢٠) رجلاً فقد تعرضت للخسائر التالية: (٤١٥) قتيلاً و(٦) مفقودين و(٢٠٢٩) جريحاً. وتظهر مقارنة هذه النتائج ـ مرة أخرى ـ أهمية ما يمكن أن تحققه وحدات منتخبة من خيرة المقاتلين، قليلة في عددها ولكنها غنية بفضائلها القتالية، ومدربة على الأساليب التعبوية (التكتيكية) الهجومية، مستفيدة في عملياتها من وسائط المناورات السوقية (الاستراتيجية).

لقد استطاع هذا الانزال البرمائي تدمير الجهاز الاداري لجيش كوريا الشمالية، الأمر الذي أدى إلى انهيار هذا الجيش. ولقد بات من المؤكد أنه لولا تدخل الصينيين في هذا الصراع المحدود، لأمكن بسرعة إنهاء الحرب بإلحاق هزيمة كاملة بالقوات الكورية الشمالية. ولقد كان من الغريب عدم وجود قوات ضخمة منقولة جواً، وعدم توافر وسائط النقل الجوي اللازمة لها، من أجل وضع حد حاسم للصراع، مع نهاية أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٠. وذلك عن طريق زج هذه القوات في كوريا الشمالية، واحتلال المواقع العسكرية الهامة والمراكز الاقتصادية في كوريا الشمالية بسرعة، الأمر الذي كان من شأنه حرمان الصين الشعبية من فرصة التدخل في هذه الحرب.

لقد كان القيام بمثل هذا العمل يتطلب توافر فرقتين محمولتين جواً مع وسائط نقلهما. وكانت الولايات المتحدة تمتلك في تلك الفترة فرقة بحرية، غير أنها لم تكن تمتلك أية قوة محمولة جواً. وكانت الاستراتيجية الامريكية في تلك الفترة تعتمد على التفوق في أسلحة التدمير الشامل (النووية) وعلى أسلحة (ضغط الأزرار). ولهذا باتت أمريكا وهي محرومة من وسائط القتال التي تساعدها على كسب الحروب المحدودة. وكان لدى أمريكا مليون جندي تحت السلاح، غير أن هذا الحجم الكبير بات عاجزاً عن التحرك في مواجهة (حروب صغيرة).

تجدر الاشارة بعد ذلك، ومن وجهة نظر فلسفة التاريخ، إلى المعطيات التي كانت مهيمنة على تفكير القادة في أعلى مستويات الادارة الامريكية، قبل سنة واحدة من انزال (انشون). ففي ذلك التاريخ، وقف رئيس هيئة أركان القوات البرية في الولايات المتحدة

الأمريكية (الجنرال عمر برادلي) ليعلن على الجماهير: «بأنه من المستبعد في عصر التسلح النووي، اللجوء إلى عمليات الانزال البحري»، وإن هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة في واشنطن «قد عارضت بقوة عملية الانزال البحري في انشون».

يقود ذلك بالضرورة إلى اتخاذ مواقف الحذر من كل تأكيد على طبيعة الحرب المقبلة أو نموذجها أو طرائق تنفيذها. ذلك لأن الحرب مغايرة بطبيعتهالكل الفعاليات والأنشطة الإنسانية الأخرى. وهي تحتفظ أبداً بطابعها المباغت وغير المتوقع.

* * *

الفصل الثامن عشر

عمليتان أمريكيتان في كوريا للقوات المحمولة جواً

كان الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية يضم في تنظيمه فيلقاً وأربع فرق محمولة جواً. وعندما انفجرت الحرب الكورية مدوية كالصاعقة في سماء العالم، لم يكن قد بقي في تنظيم الجيش الأمريكي من أصل هذه التشكيلات الرائعة أكثر من مجموعة تعبوية ـ تكتيكية ـ منقولة جواً. ولهذا السبب لم تشترك قوات المظليين إلا بمجموعات صغرى في حرب الحركة التي ميزت السنوات الأولى من الحرب الكورية. وهناك عمليتان فقط من عمليات الدعم التعبوي (التكتيكي) للقوات الأرضية تم تنفيذهما أثناء هجوم عام: ولم تكن للعمليتين أكثر من أهمية ثانوية بالرغم مما حققتاه من نجاح تقني وانتصار تعبوي.

أخذت الحرب على مسرح عمليات كوريا شكلاً جامداً، غير ملائم أصلاً لاستخدام المظليين، وذلك طوال الفترة التي كانت تحتاجها عملية إعادة تنظيم الفرق المحمولة جواً. وهكذا، وبنتيجة عدم توافر الوسائط الكافية والقوى اللازمة لتنفيذ عمليات المظليين، أضاعت الولايات المتحدة في أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٠ الفرصة الوحيدة التي كان باستطاعتها استثمارها لوضع حد سريع للصراع في كوريا وتحقيق نصر حاسم.

هنا، وفي إطار الدراسة الحالية، سيتم إجراء عرض وجيز لعمليتين من عمليات القوات المحمولة جواً قامت بتنفيذها (مجموعة المظليين التعبوية ١٨٧) والعمل بعد ذلك

على استخلاص بعض الدروس التعبوية ـ التكتيكية ـ والتقنية من العمليتين. وفي النهاية، قد يكون من المناسب التعرض بصورة عامة إلى الاحتمالات التي يطرحها استخدام القواتِ المحمولة جواً (المظليين) في إطار الحروب المحدودة التي سيتم تنفيذ عملياتها بالأسلحة التقليدية. وهي الحروب التي جاءت تطورات الأسلحة النووية لتزيد من احتمالات تجددها، وفقاً لما أكدته التجارب العالمية حتى عقد الثمانينات.

* * *

قامت القوات المسلحة لكوريا الشمالية باجتياح كوريا الجنوبية يوم ٢٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٥٠، حتى إذا ما أقبل يوم ١٠ أيلول ـ سبتمبر ـ انهارت كل المقاومات في كوريا الجنوبية، بالرغم من الدعم الأمريكي. ولم يبق هناك أي مقاومة باستثناء مقاومة الدفاع المنظم في (بوزان أو فوزان)(*). وعرف الجنرال (ماك آرثر) ما تعانيه قوات كوريا الشمالية من اختناق في تنظيم جهازها الإداري ـ للإمداد والتموين ـ. وعلى الرغم من تلقيه (ماك آرثر) للإمدادات المتعاظمة يوماً بعد يوم، فقد رفض اعتراضات قادته من ضباط البر والبحر، بزج هذا الدعم في جيب المقاومة الصغير في ـ بوزان ـ. وصمم على استخدام هذه القوات في الهجوم المضاد الذي أطلقه يوم ١٥ أيلول ـ سبتمبر ـ في أعقاب إنزال برمائي في أنشون ـ على نحو ما سبق عرضه في الفصل السابق، لضرب مؤخرات قوات كوريا الشمالية. وفي يوم ١٦ أيلول ـ سبتمبر ـ إنطلق الجيش الثامن من محيط دائرة بوزان، واستسلم جيش كوريا الشمالية، وأخذت فلوله بالتراجع غير المنظم نحو الشمال. وقد ركزت قوات هيئة الأمم المتحدة هجومها الرئيسي على القطاع الغربي فتم لها الاستيلاء على (سيؤول) يوم ٢٥ أيلول ـ سبتمبر ـ ثم تطور الهجوم الذي كانت تتقدمه فرقة إلفرسان الأمريكية الأولى والفرقة الأولى لقوات كوريا الجنوبية، وأخذ في التقدم نحو عاصمة كوريا الشمالية (بيونغ يانغ).

جابهت قيادة (ماك آرثر) منذ بداية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ قضية إنزال (مجموعة المظليين التعبوية ١٨٧) إلى الشمال من (بيونغ يانغ) بهدف السيطرة على محاور الاتصال الرئيسية لقوات كوريا الشمالية، وإعاقة كل إنسحاب للوحدات المدافعة عن العاصمة في اتجاه الشمال، وأخذ الأسرى من الموجهين السياسيين المدنيين والقادة العسكريين، وتحرير أسرى الحرب من قوات الحلفاء. وكان تحقيق هذا الهدف مرتبطاً بالسيطرة على مركزي الطرق والخطوط الحديدية لمدينتي (سانشون وساكشون) ـ أنظر المخطط المرفق ـ.

كانت الوسائط المتوافرة لتنفيذ العملية، من **القوات الأرضية**؛ هي (مجموعة المظليين

التعبوية ١٨٧) والتي كانت تضم (٣) كتائب مشاة وسرية مهندسين، ومجموعة مدافع هاوتزر عيار ١٠٥ مم وبطارية مدفعية مضادة للطائرات من عيار ٩٠ مم. ومن القوات الجوية: (١٢٠) طائرة نقل. وقد وضعت القوات المحمولة جواً في الاحتياط منذ بداية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وأخذت في ممارسة التمارين التدريبية للعملية على مستوى الأفواج ثم على مستوى المجموعة بكاملها في الفترة من ٥ إلى ١١ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ واحتجزت الطائرات المخصصة للعملية في مطاراتها يوم ١٦ تشرين الأول، وجمعت في مطار (سيؤول ـ كيمبو).

تضمن مخطط العملية إنزال قوات المظليين على منطقتي إنزال في وقت واحد. وكان طول منطقتي الإنزال يتراوح بين أربعة وخمسة كيلومترات، أما عرض المنطقة فكان يتراوح بين (٨٠٠ ـ ١٢٠٠م) للمنطقتين. وقسمت قوة المظليين إلى مجموعتين تعبويتين:

١ ـ المجموعة الأولى: وتتكون من فوج مشاة وفصيلة مهندسين وفصيلة مدفعية ويتم إنزالها على بعد كيلومتر واحد إلى الجنوب الشرقي من سانشون.
٢ ـ المجموعة الثانية: وتتكون من فوجي مشاة وبطارية هاوتزر ١٠٥ مم وفصيله عيار ٩٠ مم وفصيلة مدافع هاون عيار ٢,٤ وفصيلة مهندسين. ويتم إنزالها على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً إلى الجنوب الغربي من ساكشون.

وتقرر أن يأتي بعد هذا الإنزال مباشرة، إنزال قوة أخرى على منطقة الجهد الرئيسي (وهي منطقة الإنزال في جنوب ساكشون) تتكون من الفوج الثالث للمشاة وبقية مجموعة المدفعية وكل عناصر الدعم. وأمكن تنفيذ عملية الإنزال ـ تقنياً ـ دون حدوث أي طارىء له أهميته. فقد أقلعت الطائرات من مطار (كيمبو) فيما بين الساعة (٦١٠) والساعة (٦٥٥) من يوم ٢٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وتم إنزال (المجموعة ١٨٧) في الفترة بين الساعة (٨٠٠) والساعة (٨٥٥) ونفذت الإنزال (٧) مجموعات من الطائرات، على النحو التالي:

١ ـ المجموعة الأولى: وتضم (١٧) طائرة نموذج (ث ـ ١١٩) نقلت مظليي الفوج الأول.
٢ ـ المجموعة الثانية: وتضم (١٧) طائرة نموذج (ث ـ ١١٩) نقلت مظليي الفوج الثالث.
٣ ـ المجموعة الثالثة: وتضم (٢٣) طائرة نموذج (ث ـ ١١٩) نقلت مظليي الفوج الثاني.
٤ ـ المجموعة الرابعة: وتضم (١٧) طائرة نموذج (ث ـ ١١٩) نقلت الأعتدة الثقيلة.
٥ ـ المجموعة الخامسة: وتضم (٦) طائرات نموذج (ث ـ ١١٩) نقلت الأعتدة الثقيلة.
٦ ـ المجموعة السادسة: وتضم (٢٠) طائرة داكوتا ـ ث ٤٧ ـ ونقلت الأفراد المظليين.
٧ ـ المجموعة السابعة: وتضم (٢٠) طائرة داكوتا ـ ث ٤٧ ـ ونقلت الأفراد المظليين.

تم إنزال المظليين على ارتفاع مائتي متر من سطح منطقة الإنزال، أما الأعتدة الثقيلة فتم إنزالها من على ارتفاع خمسمائة متر، وقد وصلت سيارات الجيب البالغ عددها (٢٧) سيارة إلى الأرض سليمة دون أن تصاب بأي أذى، وكذلك مقطوراتها، ووصلت مدافع الهاوتزر عيار ١٠٥ مم (وعددها ١٢ مدفعاً) إلى الأرض سالمة باستثناء مدفع واحد أصيب بعطل أعاق استخدامه. أما مدافع ٩٠ مم المضادة للطائرات، فإن مدفعين من أصل الأربعة بقيا سليمين وأمكن استخدامهما.

استطاعت هذه القوات تحقيق نتيجة تعبوية (تكتيكية) جيدة، فقد أمكن لها في نهاية اليوم، ومع تحقيق الاتصال مع القوة الضاربة لفرقة الفرسان الاولى (تاسك فورس روجرز) قتل ألفي جندي من قوات كوريا الشمالية، كما أمكن أسر عدد مماثل أيضاً. غير أن هذه القوات لم تستطع تحرير أكثر من (١٥) أسير حرب أمريكي، لأن حرس الأسرى من جنود كوريا الشمالية قاموا بقتل (٥٧) أسيراً للحلفاء. كما فشلت هذه القوات في أسر أية شخصية سياسية أو عسكرية لها أهميتها، من الشخصيات القيادية لكوريا الشمالية.

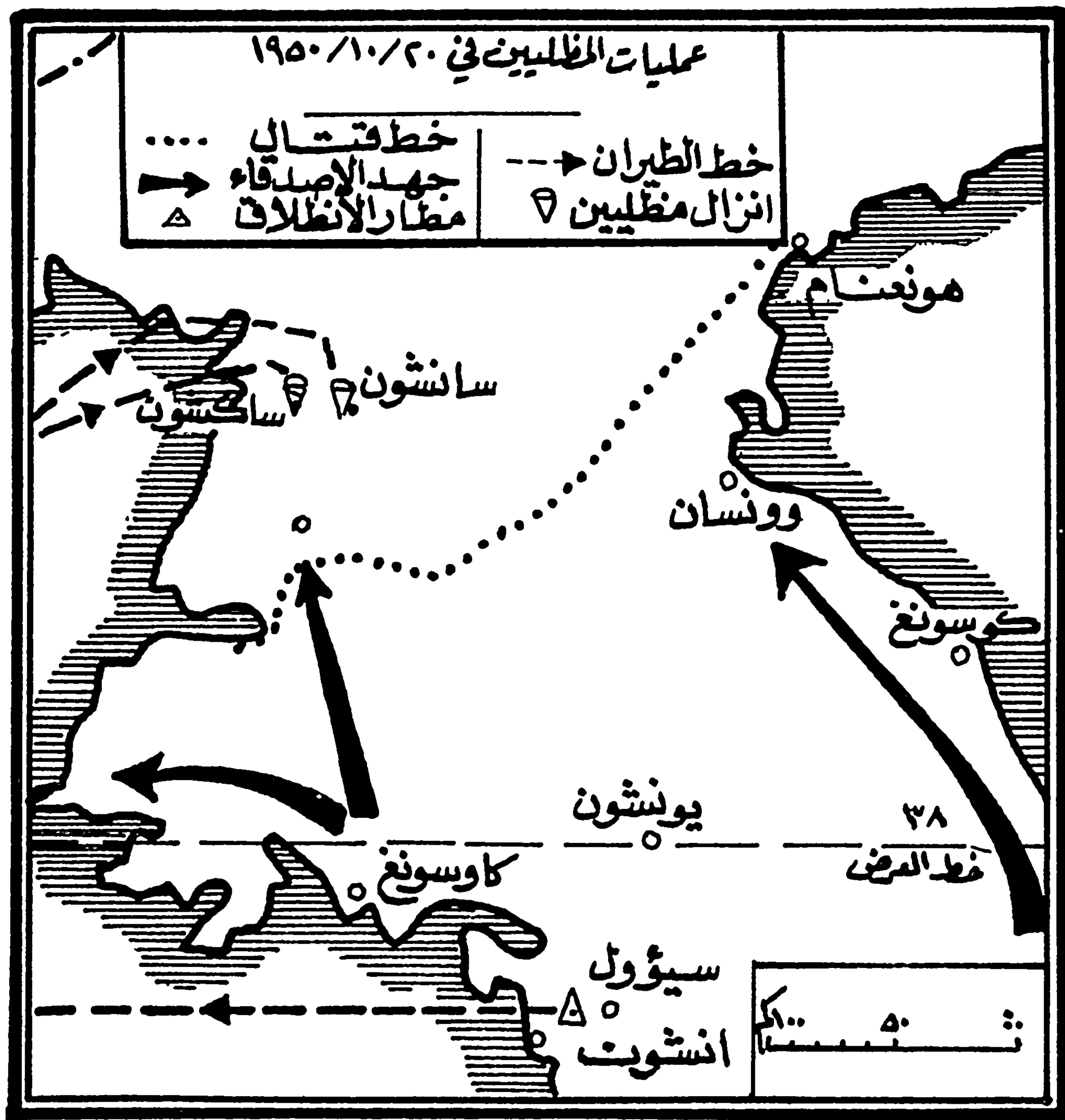
قامت بعد ذلك (مجموعة المظليين التعبوية - ١٨٧) بالاتصال مع الفرقة الأولى، بالإندفاع نحو البحر، وتم تدعيمها بإنزال يوم ٢١ تشرين الأول - أكتوبر - قامت بتنفيذه (٢١) طائرة (ث - ١١٩) حيث عملت هذه الطائرات على إنزال المظليين في حين قامت (٣٦) طائرة نموذج (ث - ١١٩) بإنزال الأعتدة الثقيلة وتأمين الدعم الإداري بالمواد التموينية. وفي يوم ٢٢ تشرين الأول - أكتوبر - قامت (١٥) طائرة نموذج (ث - ١١٩) بتأمين الإمداد الإداري للقوات. وانتهت عملية المظليين بعد أن قدمت دعماً قوياً للمناورة الهجومية التي كانت تقوم بها قواتها الصديقة. غير أن عمل المظليين بقي محدداً جداً بالمخطط التعبوي - التكتيكي -. ولم يكن له أي تأثير على المسيرة الاستراتيجية للعمليات.

* * *

لقد برزت هذه الخصائص والمميزات ذاتها في عملية (موزان) والتي تم تنفيذها يوم ٢٣ آذار - مارس - ١٩٥١. (انظر المخطط المرفق).

قامت القوات الصينية بهجومها يوم ٣ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٠ - وهو الهجوم الذي لم يتوقف إلا في نهاية كانون الثاني - يناير - ١٩٥١ حيث وصل إلى جنوب سيؤول.

وعاد (ماك آرثر) من جديد ليؤكد طبيعته العدوانية والحازمة، عندما شرع على الفور بإعداد هجوم مضاد على نطاق واسع. ودارت رحى معارك طاحنة وبطيئة أمكن بواسطتها

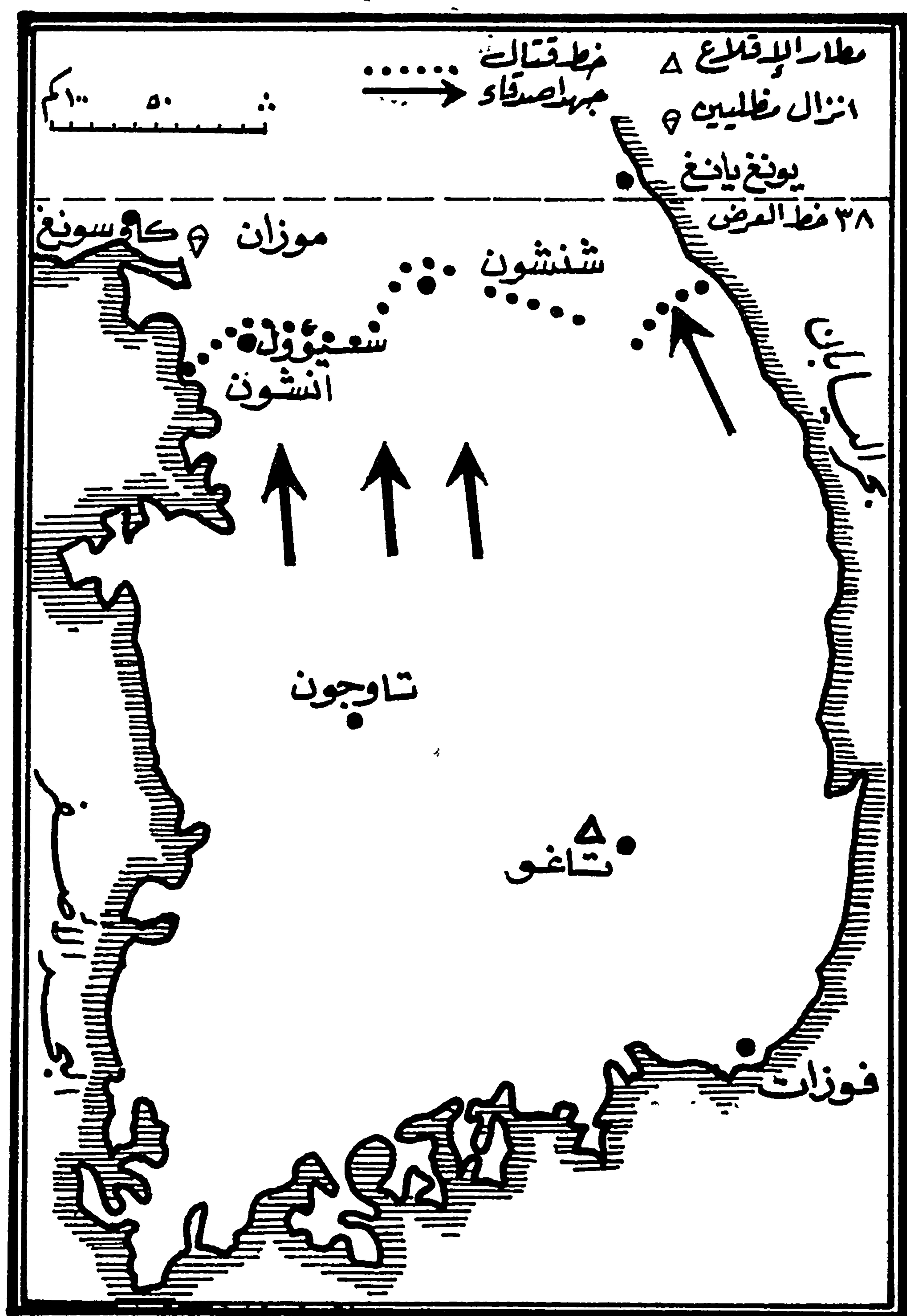

عمليات المظليين في ١٩٥٠/١٠/٢٠
خط قتال
جهد الأصدقاء
مطار الانطلاق
خط الطيران
انزال مظليين
هونغنام
سانشون
ساكشون
وونسان
كوسونغ
يونشون
٣٨
خط العرض
كاوسونغ
سيؤول
انشون
٥٠
١٠٠كم

دحر القوات الصينية وقوات كوريا الشمالية المتحالفة معها، وأثناء ذلك، كانت (مجموعة المظليين التعبوية ـ ١٨٧) قد وضعت في الاحتياط (اعتباراً من أول آذار ـ مارس) وكلفت بالاستعداد لتنفيذ عملية إنزال جوي، هدفها الاستيلاء على عقدة المواصلات الهامة في (شنشون) ـ الواقعة في قطاع الجبهة الوسطى، على أن يتم التنفيذ يوم ٢٣ ـ آذار ـ مارس ـ. ولكن حدث في يوم ٢١ آذار ـ مارس ـ أن نجحت فرقة الفرسان الأولى على (شنشون)، فتلقت (مجموعة المظليين التعبوية ١٨٧) على الفور أمراً بالإستيلاء على (موزان) في يوم ٢٣ ـ آذار ـ مارس ـ بهدف إيقاف كل التحركات التي تقوم بها القوات الصينية والفييتنامية بين (سيؤول) و(كاوسونغ). ولقد استطاعت (مجموعة المظليين التعبوية ـ ١٨٧) تنفيذ مهمتها بنجاح، على الرغم مما حدث من تغيير في الهدف خلال اللحظة الأخيرة التي سبقت التنفيذ. وكانت (المجموعة ١٨٧) في هذه المرة مكوّنة بأفواجها العضوية الثلاثة علاوة على سريتي مغاوير ـ رينجرز ـ وبطارية مدفعية هاوتزر ـ من أربع مدافع عيار ١٠٥ مم. ومجموعة مدفعية هاوتزر ـ من ١٦ مدفع عيار ٧٥ مم. وسرية مدافع هاون عيار ٤,٢. وقامت (١٢) طائرة بتأمين عملية النقل الجوي.

تضمن مخطط العملية، إنزال المظليين فوق ثلاث مناطق للإنزال، وقسمت قوة الإنزال إلى ثلاث مجموعات: حيث يتم في الشمال إنزال الفوج الثالث مع فصيلة مهندسين وفصيلة مدافع هاون عيار ٤,٢. كما تم، في الجنوب إنزال الفوج الأول مدعمًا بعناصر الدعم ذاتها: ثم قفزت على أرض الإنزال الشمالية بقية الوحدات الاحتياطية. وأقلعت الطائرات من مطار (تاجو) ما بين الساعة (٧٢٠) والساعة (٧٥٥) من صباح يوم ٢٣ آذار ـ مارس ـ لتقوم بإنزال القوات ما بين الساعة (٩٠٠) والساعة (١٠٠٠) على خمس موجات كالتالي:

١ ـ الفوج الثالث وتحمله إلى منطقة الإنزال (٢٠) طائرة نموذج (ث ـ ١١٩).
٢ ـ الفوج الثاني، وتحمله إلى منطقة الإنزال (٢٥) طائرة داكوتا (ث ـ ٤٦).
٣ ـ الفوج الأول، وتحمله إلى منطقة الإنزال (٢١) طائرة داكوتا (ث ـ ٤٦).
٤ ـ الموجة الرابعة وتقوم بنقلها (٢٧) طائرة (ث ـ ١١٩) لنقل الأفراد.
٥ ـ الموجة الخامسة، وتقوم بنقلها (٢١) طائرة (ث ـ ١١٩) لنقل الأعتدة الثقيلة وإنزالها.

وقامت مجموعة سادسة تتكون من (٢٥) طائرة (ث ـ ١١٩) بإنزال الأعتدة الثقيلة فيها بين الساعة (١٦٠٠) والساعة (١٨٣٠). وتم خلالها إنزال (٢٦) سيارة جيب، وسيارتي نقل ٤×٤، وكذلك (٤) مدافع هاوتزر عيار ١٠٥ مم و(١٥) هاوتزر عيار ٧٥ مم ووصلت هذه الوسائط سالمة فوق أرض الإنزال، باستثناء مدفع ١٠٥ مم ومدفع ٧٥ مم، وصلا إلى الأرض بحالة سيئة، ولم يكن بالمستطاع استخدامها.



مطار الإقلاع
انزال مظليين
خط قتال
جبهة أصدقاء
٠
٥٠
١٠٠ كم
يونغ يانغ
٣٨ خط العرض
كاي سونغ
موزان
شنشون
سعيئوول
انشون
تاوجون
تاغو
فوزان

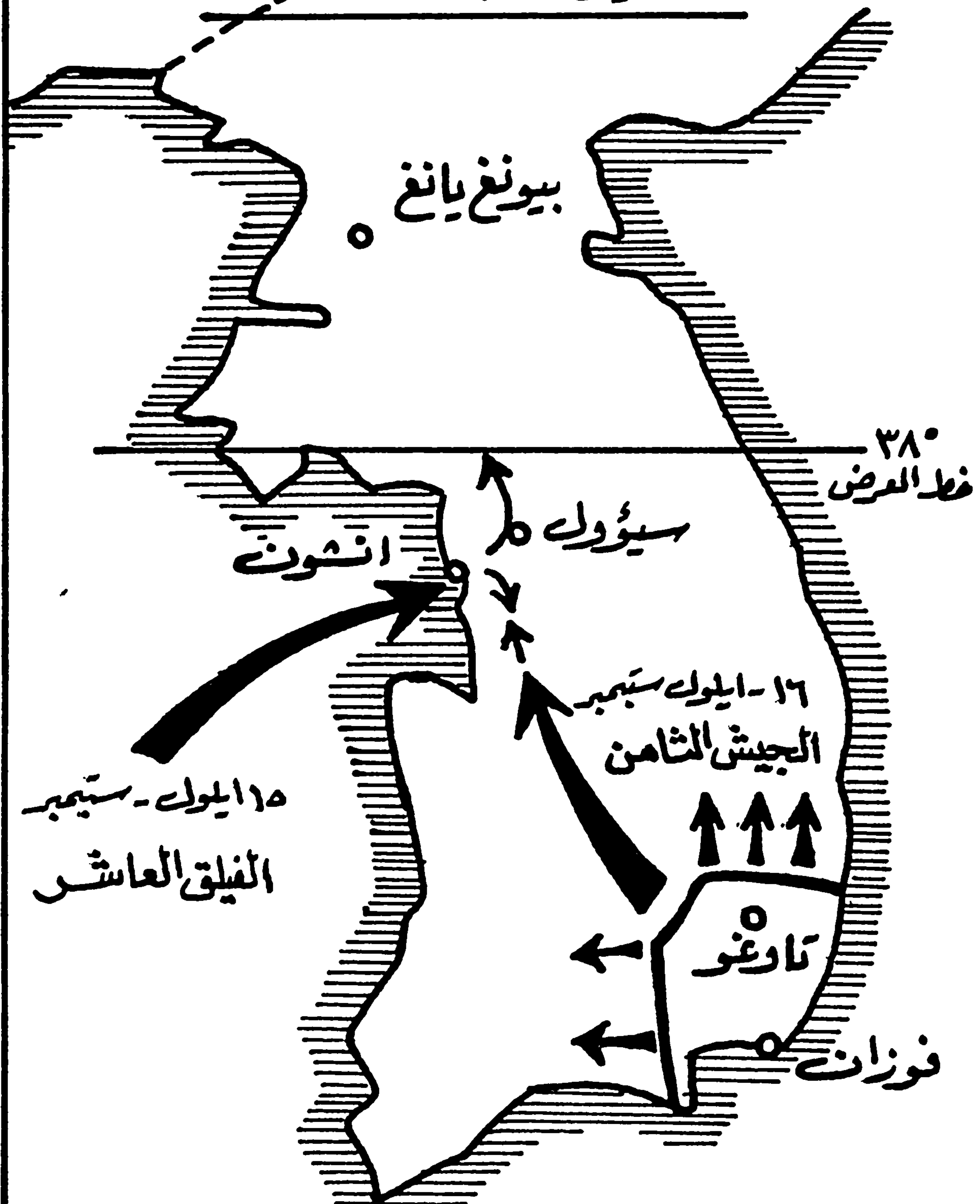
ظهرت خلال هذه العملية صعوبات في جمع الإمدادات، وبصورة خاصة منها ذخائر المدفعية، مما أعاق عملية التجمع: ومضت ساعة على الإنزال قبل أن يصبح ٧٥ بالمائة من أصل القوة مستعداً لدخول المعركة. ومضت ساعتان بعد ذلك أيضاً قبل أن تصبح القوة بكاملها جاهزة للقتال. وتجدر الإشارة إلى قيام (مجموعة مستشفى ميدان هندية) بالقفز مع (المجموعة ١٨٧)، كما استخدمت في العملية طائرات عمودية (نموذج هـ - ١١٩) لإخلاء الجرحى الذين أصيبوا في بداية الاشتباك.

قامت الطائرات المقاتلة والقاذفة بالتمهيد لعملية الإنزال. وعلى الرغم من ذلك، فقد دارت رحى معارك عنيفة على حدود منطقتي الإنزال. وفي نهاية اليوم، أمكن للمظليين تأمين الاتصال مع مدرعات القوة الضاربة المتقدمة (تاسك فورس غرودن). كما قامت طائرات النقل بتأمين إمداد القوات المحمولة جواً يومي ٢٥ و٢٦ آذار - مارس، فتم في اليوم الأول إنزال (١٦٨) طناً من الإمدادات، وتم في اليوم الثاني إنزال (١٥٠) طناً.

نجحت عملية القوات المحمولة جواً في دعم تقدم القوات البرية الصديقة. واستطاعت إثارة الفوضى في التنظيم الدفاعي للقوات الصينية - الكورية. كما قامت بشن هجوم على بعد (٢٥) كيلومتراً من منطقة الإنزال، الأمر الذي ساعد فرقة المشاة المتوقفة أمام مقاومة مؤخرات القوات الصينية - الكورية، على متابعة تقدمها بسرعة. وكان نجاح قوات المظليين من الناحيتين التقنية والتعبوية - التكتيكية - نجاحاً رائعاً لا مجال لإنكاره. غير أن المهمة بقيت محدودة الأهمية من الناحية الاستراتيجية.

* * *

يمكن، من خلال عرض العمليات السابقة ودراستها، استخلاص درسين أساسيين، يتعلق أولهما بتنظيم القيادة. فقد كانت العقيدة الأمريكية لاستخدام القوات المحمولة جواً تتجاهل ضرورة تعيين قائد عام للعملية، تخضع لأوامره القوات وطائرات نقلها، ويكون من واجبه التحليق فوق منطقة الإنزال في أشد اللحظات خطورة من عملية الإنزال، ليشرف على القوات حتى لحظة وصولها الأرض. وقد ظهرت ضرورة وجود مثل هذا القائد خلال مرحلة قفز المظليين فوق (موزان). إذ وقع حادث طارىء في اللحظة الأخيرة لقائد مجموعة من الطائرات، فاتجهت هذه الطائرات إلى منطقة قفز أخرى كانت مخصصة لإحدى الوحدات. وتصادف أن كان الجنرال الطيار (هينبري) قائد الفرقة الجوية ٣١٥ يحلق في طائرة ث - ٥٤، فوق المنطقة، فأصدر أوامره بإعادة مجموعة الطائرات عن خط سيرها، وإنزال الأعتدة الثقيلة إلى القوة التي تعود إليها هذه الأعتدة. وقد أفسح هذا الحادث


الهجوم المضاد لقوات هيئة الأمم المتحدة
١٥-١٦ ايلول ١٩٥٠
بيونغ يانغ
٣٨°
خط العرض
سيؤول
انشون
١٦ - ايلول سبتمبر
الجيش الثامن
١٥ ايلول - سبتمبر
الفيلق العاشر
تاوغو
فوزان

المجال لإجراء دراسة عميقة، وصدرت التعليمات منذ ذلك الحين بتعيين قائد عام للعملية وتخصص طائرة قيادة خاصة به للإشراف على منطقة الإنزال. ويتعلق ثانيهما بتنظيم الإمداد الإداري للقوات، ففي عملية (موزان) تم تأمين الإمداد الإداري - جواً - خلال الأيام التي تلت الإنزال، وفقاً للتدابير العادية التي كانت متبعة للوصول بالإمدادات جواً للوحدات الأرضية. وقد ظهرت صعوبات كثيرة خلال هذه العملية، سواء خلال إعداد العبوات (الطرود) أو أثناء نقلها وتحميلها بالطائرات. أو بسبب الاختلاف في ترددات الشبكات اللاسلكية للاتصال. الخ... وهنا أيضاً ظهرت ضرورة الأخذ بالعقيدة الإفرنسية لاستخدام القوات المحمولة جواً، والتي تقضي بتنظيم قاعدة للعمليات، واجبها تأمين الإمداد للقوات المحمولة.

ويظهر من خلال الدرسين السابقين مبدأ عام يتعلق بأساس عمل القوات المحمولة جواً. فعمل هذه القوات - على ما بات معروفاً - يتضمن ميزات كثيرة إذا ما أمكن استخدامها بصورة صحيحة. وقد برز من خلال عرض العمليتين السابقتين، إنه كان بالمستطاع تحقيق نتيجة حاسمة في الحرب الكورية، قبل التدخل الصيني، وذلك لو توافر لهيئة الأمم المتحدة قوة فرقة من المظليين ومعها وسائط النقل الجوي الضرورية لها في حالة استعداد دائم للعمل والتدخل السريع.

تجدر هنا مرة أخرى العودة لتذكر ما كان عليه الموقف خلال العشرة أيام الأولى من شهر أيلول - سبتمبر - ١٩٥٠. فقد استطاعت القوات المدافعة عن (بوزان) احتجاز جيش كوريا الشمالية في مواجهتها، والبدء باستنزافه. وعندئذٍ قرر ماك آرثر توجيه ضربته الجريئة لمؤخرة قوات كوريا الشمالية، وتنفيذ عملية الإنزال البرمائي في أنشون (أنظر المخطط السابق). وكان الهدف الأول لهذه العملية قطع شرايين الاتصالات الرئيسية التي كانت تؤمن إمداد القوات الكورية بالقدرة. وأما الهدف الثاني، فكان محاولة منع كل إنسحاب لقوات كوريا الشمالية، من جهة، والعمل من جهة ثانية على إبطال عمل دوائر التوجيه السياسي والقيادات العسكرية والمدنية باعتقال أفراد هذه الدوائر وأسرهم. وتميز تنفيذ العملية بالمراحل التالية: تم إنزال فرقة البحرية الأولى - الإنزال البرمائي - في (انشون) يوم ١٥ - أيلول - سبتمبر - وفي يوم ١٦ - أيلول - سبتمبر - انطلق الجيش الثامن بهجومه من دائرة بوزان. ومضى أسبوع كامل قبل أن تتمكن القوات البحرية المدعمة بفرقة المشاة السابعة، من الاستيلاء على (سيؤول) يوم ٢٥ أيلول - سبتمبر. وكانت هذه المهلة كافية جداً لانسحاب قوات كوريا الشمالية، وفرار الموجهين السياسيين والقادة العسكريين من الفخ الذي كان منصوباً لهم.

هنا يمكن تصور ما كان سيحدث لو أمكن إنزال قوة ضخمة من المظليين بين (سيؤول) و(بيونغ يانغ) يوم ١٥ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ. بالاقتران مع الإنزال البحري في يوم واحد ـ. ألم يكن هناك احتمال كبير لأسر عدد كبير جداً من القادة العسكريين والموجهين السياسيين والموظفين المدنيين ـ من أفراد أجهزة كوريا الشمالية؟ ثم ألم تكن هناك فرص أفضل ـ في هذه الحالة ـ لمنع كل إنسحاب للوحدات الكورية الكبرى وتوجيه ضربة حاسمة لروحها المعنوية؟. لقد كانت الصين غير مستعدة حتى تلك الفترة للتدخل المسلح. وكان من شأن مثل هذا الانتصار السريع والحاسم أن يؤدي إلى إنهيار الخصم وحمله على الاعتراف بهزيمته.

لقد أكدت التجربة التاريخية، ما يجب تذكره باستمرار، وهو أن النصر يتعلق في كثير من الأحيان بالطريقة الأصيلة لإجراء العملية وتنفيذها بجرأة في الزمان والمكان المناسبين واللذين لا يتوقعهما العدو، وذلك بأكثر من ارتباط النصر بحجم القوى أو نوع الوسائط التي يتم زجها في المعركة. وعلى هذا، فإن تنظيم قوة صغيرة في حجمها، قوية بقدراتها القتالية هي أفضل القوات للعمل في الصراعات المحدودة، التي تتفجر كل يوم في عالمنا المعاصر. وستكون القوات المحمولة جواً هي من أفضل الوحدات التي يمكن لها الاضطلاع بمثل هذا الدور، لا سيما بعد التطور التقني الكبير في وسائط النقل (الطائرات العمودية) ووسائط الحرب الألكترونية والأسلحة الصاروخية المتطورة.

ملحق بقلم المترجم

المباغتة في الحروب العربية الاسرائيلية

المباغتة في الحروب العربية ـ الاسرائيلية

ألقى إسحاق رابين «محاضرة له في الولايات المتحدة الامريكية ـ سنة ١٩٦٧ ـ جاء فيها: «يحتل مبدأ المباغتة مكانة في مقدمة مبادىء الحرب الاسرائيلية، وهناك أشكال متعددة للمباغتة تختلف عن بعضها بعضاً، سوى أن القيادة الاسرائيلية تسعى دائمًا الى أن تجد شكلاً جديداً للمباغتة لم تألفه، أو تعرفه، الحروب السابقة. ونتيجة سعي القيادة الى ايجاد تلك الأشكال الجديدة، فقد تولدت في أذهان القادة ـ كبارهم وصغارهم ـ نزعة الى التجديد في أساليب الاغارات الخاطفة والضربات غير المتوقعة. سوى أن تلك المباغتة تصبح ذات فائدة محدودة اذا لم تتجاوز حدود تدمير قطعات العدو أو الاستيلاء على موقع دفاعي»[1].

(١) اسحاق رابين ـ رئيس هيئة الاركان العامة في اسرائيل (من ١/ ١/ ١٩٦٤ الى ١/ ١/١٩٦٨) وقد نشرت محاضرته المشار اليها في مجلة المدرعات الامريكية (عدد تموز ـ آب ـ ١٩٦٧).

وكان «اسحاق رابين» قد صرح قبل ذلك بما يلي: «ان الاسلوب الوحيد للمباغتة، والذي يجدر تطبيقه، هو المباغتة التي تربك القيادة العليا للعدو وتضللها حتى نهاية العمليات. ويجب علينا عند الاعداد لضربة جديدة، أن نلقي بالكتب والنظريات جانباً، وأن نجرب شيئاً جديداً. ان هذا الاسلوب الجديد هو الذي يمكننا من القيام بعمليات حربية حاسمة ضد أراضي العدو مباشرة، الغرض منها فرض نتيجة سريعة ونهائية وحاسمة. ويقتضي هذا الاسلوب الجديد الاهتمام والتركيز على القوات المدرعة والمظليين والمغاوير. ويستدعي هذا الاسلوب أيضاً اللامركزية في السيطرة والقيادة، بحيث يدرب صغار الضباط على اتخاذ قرارات مستقلة واعطاء أوامر للعمليات على مسؤوليتهم الخاصة، دون الرجوع الى القيادة العليا»[٢].

وتلتقي المقولتان السابقتان مع ما كان قد ذكره (يغال ألون)[٣] وفيه ما يلي: «لم يكن باستطاعة القوات اليهودية تحقيق السيادة في معارك معينة الا بامكانية الحركة والقدرة على المناورة، واستخدام مبدأ المباغتة. . وخلال فترة حرب الاستقلال ١٩٤٨، نمت لدى الجنود قدرات الحركة والمناورة. وأصبحت تكتيكات (الاقتراب غير المباشر) التي أبدعت في شرحها والدعوة اليها تعاليم سير (باسيل ليدل هارت) أكثر وأنجح استخداماً، وبخاصة في حملات النقب وشمالي سيناء في كانون الثاني (يناير ١٩٤٩.

لم تكن المباغتة حكراً على اليهود في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى (سنة ١٩٤٨) وقد سخر القادة العرب مبدأ (المباغتة التعبوية ـ التكتيكية) لمصلحتهم في كثير من الأحيان. وافادت القيادة الاسرائيلية من المباغتة في كثير من عملياتها. غير أن نتائج المباغتة لم تكن واضحة أو مثمرة في كثير من الأحيان.

ويعود السبب في ذلك الى الحجم المحدود للعمليات، وطبيعة الصراع ذاته والذي لم يتجاوز حدود العمليات الصغرى، فكان بالمستطاع، وضمن حوار الارادات، تصحيح المواقف بسرعة كبيرة عن طريق استعادة المبادأة، أو وضع الصراع كله في اطار (الهدف السياسي) الذي كان يحرم القيادات العربية (من حرية العمل العسكري). المهم في الأمر هو أن القيادة الاسرائيلية لم تتوقف عن بذل كل المحاولات للافادة من (مبدأ المباغتة) وقد ظهر ذلك في أشكال عديدة كان من أبرزها:

١ ـ الافادة من ظروف الهدنة التي فرضت في كل مرة لمصلحة القوات اليهودية وذلك من

---

(٢) مقابلة اسحاق رابين مع الجنرال هال. د. ستيوارت ـ صحيفةماينشستي ديكي نيوز ـ اليابانية ٥/ ٤/ ١٩٦٥.

(٣) يغال آلون (انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي) دار العودة ١٩٧١ ص ١٢٧ و ١٢٨.

أجل اعادة التنظيم والتسليح ومباغتة العرب بتنظيمات جديدة وقوات حديثة.

٢ ـ الحصول على أسلحة متقدمة ومباغتة العرب بزجّها على مسارح العمليات (ومثال ذلك ظهور القلاع الطائرة في سماء العواصم العربية، وقصفها لعدد من المدن)٣ : زج القوات بأساليب جديدة ـ وبصورة خاصة على الجبهة الجنوبية مع مصر ـ لتحقيق المباغتة واستثمار نتائجها (في اطار مباغتة العمليات). ٤ : محاولة سبق العرب بالهجوم في كل مناسبة، وبصورة خاصة في اعقاب انتهاء كل هدنة، أو قبل تنفيذها، لتحقيق مكتسبات جغرافية أو عسكرية (المباغتة الزمنية والمكانية).

ويظهر استعراض الأعمال القتالية للحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى (سنة ١٩٤٨) أن اسرائيل قد استخدمت المباغتة بأشكالها البدائية البسيطة، وبما كان يتناسب مع حجم القوات ومع طبيعة الأهداف، ومع طبيعة الصراع ذاته. غير أن هذه البدايات على ما كانت عليه من البساطة في التخطيط والتنفيذ قد أسهمت في ابراز الاسس العامة للعقيدة القتالية الاسرائيلية، وهي الأسس التي تطورت الى مفهوم (الضربات أو الهجمات الاجهاضية المسبقة) وتطوير استراتيجية (التقرب غير المباشر) ويظهر تحليل المفهومين الاستراتيجيين السابقين أن مبدأ المباغتة هو الذي بقي مهيمناً على أذهان القادة الاسرائيليين، وهو الموجه لأفكارهم. وقد ظهر ذلك بوضوح خلال كافة العمليات الخاصة التي نفذتها اسرائيل على كافة الجبهات العربية (تحت ستار العمليات الخاصة والاغارات الليلية) طوال الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٦، ثم ظهرت بوضوح تام خلال العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦.

أ ـ المباغتة الاسرائيلية في العدوان الثلاثي

عندما أخذت القيادة الاسرائيلية في الاعداد للقيام بدورها في العدوان الثلاثي (سنة ١٩٥٦) وضعت مخططاتها على أساس تحقيق (المباغتة) واستثمار نتائجها الى أبعد الحدود. وفي ذلك كتب.. موشي ديان»[٤] ما يلي:

«.. لقد بقي أمامنا سبعة عشر يوماً قبل ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وهي مدة قليلة لاتخاذ جميع الاستعدادات لا سيما اننا لا نستطيع الشروع في تعبئة جميع القوات الاحتياطية حفاظاً على السر، الا انني لست آسفاً على ذلك، لأنه بالرغم من النقائص والفجوات التي يحدثها هذا التسرع فاننا نربح ميزة أساسية هي (المباغتة). فإذا تمكننا من

---

(٤) Moshe Dayan (Journal Dela Campagne De Sinai) P. P. 46, 54.

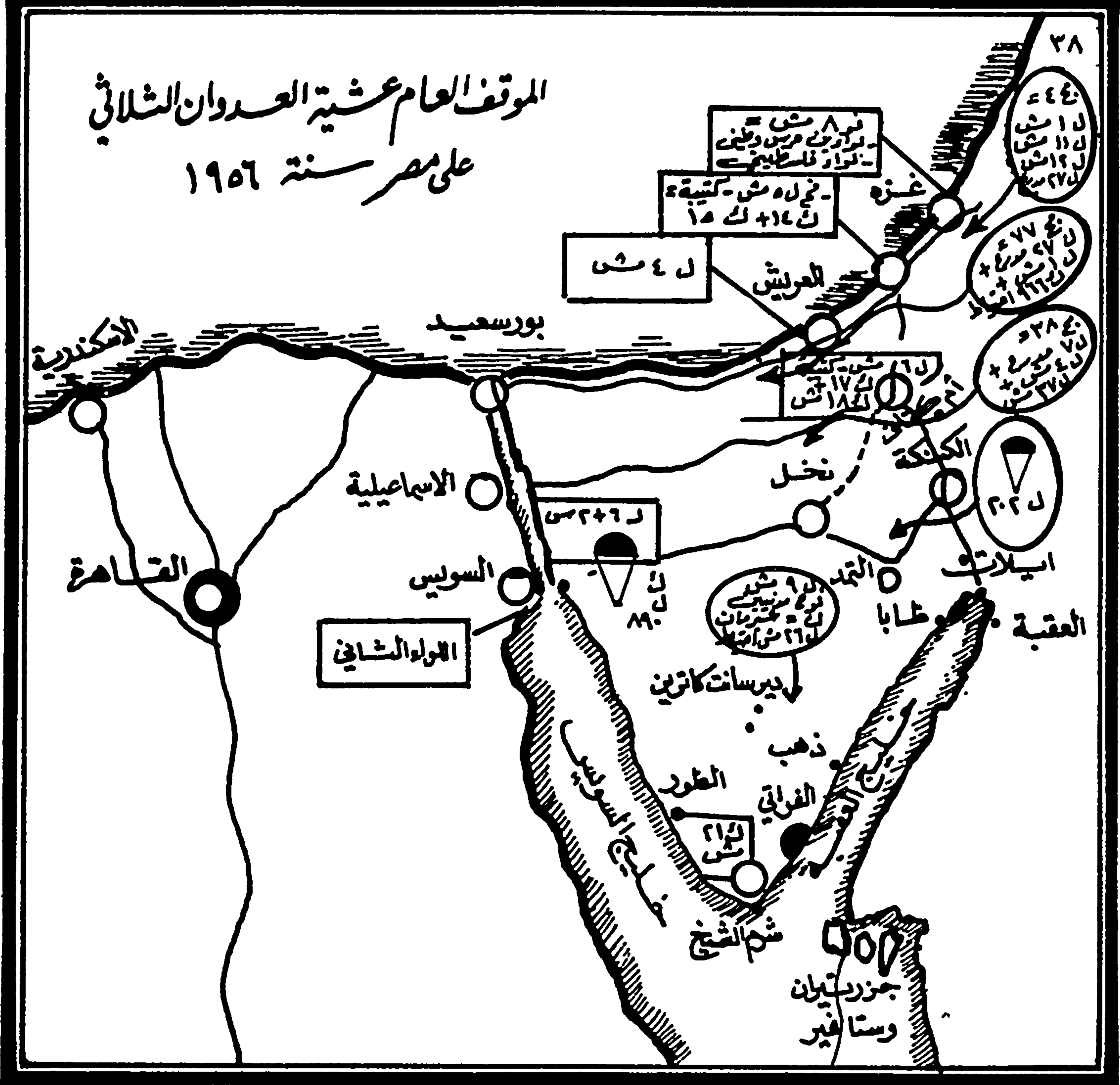
تمويه خططنا بحيث يجهل المصريون حتى يوم اندلاع القتال، فاننا نكون قد حصلنا على عنصر قوة عظيم الأهمية من الناحية العسكرية.

وقد بدأت حرب السويس بهجوم مباغت يشتمل على أربع عمليات تضمنتها (خطة قادش) وهي: انزال قوات للمظليين عند ممر متلا في الليلة الأولى للهجوم (مساء يوم ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر) ورأس النقب والكونتيللا والقسيمة. وقد بدأت العملية الأولى بالانزال الجوي في الساعة ١٧٠٠ بهدف مباغتة القيادة المصرية، والسيطرة على مفرق النخل ـ السويس، وطريق الاسماعيلية ـ الطور. وقامت وحدات من ايلات بالهجوم على رأس النقب واحتلاله. وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٣٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ احتل أحد الألوية القسيمة» وفي ذلك أيضاً يقول (يغال ألون):

«.. كان من الواجب استغلال مبدأ ـ المباغتة ـ الى أقصى حد ـ في الاستعدادت، وفي الجبهة نفسها، وفيما يتعلق بتوقيت الهجوم واسلوبه. تمت تعبئة الاحتياط بسرعة، وفي صمت وبث شائعات تشير الى أن الأردن على وشك التعـرض للهجوم، هذا في حين كانت القوات الكبرى تحشد قريباً من ساعة الصفر، في مواقع الانطلاق على حدود سيناء. وتم انزال شجاع للمظليين عميقاً داخل سيناء، تبعه عبور سريع لقوات برية من المدرعات والمشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ بهدف تطويق تشكيلات العدو وسحقها قدر المستطاع.. والاستيلاء على ذخائره وأسلحته الحيوية «وارغام بقية قواته على التقهقر، وذلك لتحقيق السيطرة الكاملة على شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة حتى قناة السويس. وصحب تحرك القوات البرية ضرب بالقنابل وقصف جوي للمطارات المصرية وخطوط مواصلات الجيش وقواعده العسكرية. وتبع ذلك زحف رتل راكب جنوباً الى مدخل خليج العقبة للاستيلاء على جزيرتي تيران وصنافير. ان هذه العملية المتعددة الجوانب، لم تأخذ العدو بالمباغتة فقط، ولكنها ساعدت أيضاً على تحقيق مكاسب حاسمة حتى في هذه المرحلة الأولية من الحملة. وبعد ذلك مكن اجتياز خدمات الصيانة المتحركة، المدرعات والطوابير ـ الارتال الميكانيكية من التحرك بسرعة الى الأمام. مما وضع الوحدات الاسرائيلية المتقدمة على بعد مائة ساعة من الضفة الشرقية لقناة السويس»[٥].

استخدمت اسرائيل في حملة سيناء قوة (١٦) لواء، خصص عشرة ألوية منها للقيادة الجنوبية. ووضعت الألوية الأخرى في الاحتياط في القطاعين الشمالي والأوسط من البلاد. وكانت وحدات القيادة الجنوبية تضم زهاء (٤٥) ألف رجل. ومقابل ذلك، كان تعداد

(٥) يغال آلون (انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي) دار العودة ـ ص ١٥٨ ـ ١٥٩.



٣٨
الموقف العام عشية العدوان الثلاثي
على مصر سنة ١٩٥٦
الاسكندرية
القاهرة
بورسعيد
الاسماعيلية
السويس
اللواء الثاني
العريش
غزه
ل ٤ مش
نخل
الكنتلة
ايلات
العقبة
التمد
طابا
دير سانت كاترين
ذهب
الطور
شرم الشيخ
خليج السويس
خليج العقبة
جزر تيران
وصنافير

القوات المصرية الموجودة في شبه جزيرة سيناء عند بدء العملية يبلغ ما يقرب من ثلاثين ألف رجل، ويمثل هذا العدد نصف القوة الاعتيادية المكلفة بالدفاع عن سيناء. وليس المهم هنا استعراض مسيرة العمليات في العدوان الثلاثي، أو ذكر الدور الاسرائيلي في (حرب السويس) وانما يعني البحث بصورة خاصة تلك العملية التي تم فيها انزال كتيبة مظليين أمام سدر الحيطان بهدف:

«١ـ تهديد قناة السويس وذلك بالاستيلاء على المرتفعات الواقعة شرقيها والممثلة بممرمتلا.

٢ ـ خلق الفوضى في صفوف الجيش المصري، واحباط روحه المعنوية.

٣ ـ خلق الذريعة المناسبة لتدخل قوات الغزو الافرنسي ـ الانكليزي ـ او الانكلوفرنسي».

ووصولاً لهذا الهدف، خططت القيادة الاسرائيلية لانزال الكتيبة الأولى من لواء المظلات (٢٠٢) عند المدخل الشرقي لممرمتلا على بعد مائة وخمسين كيلومتراً الى الغرب من حدود الأرض المحتلة من فلسطين. وتقرر أن يتقدم في الوقت نفسه القسم الآخر من لواء المظلات، عن طريق الكونتلا ـ وتمد ـ ونخل، للاتصال بالمظليين في ممرمتلا. ولقد خطط في حالة عدم قيام البريطانيين والافرنسيين بدورهم في عملية التواطؤ، أن ينسحب المظليون في ممرمتلا، ويفسر الحادث بانه أغارة ترد بها اسرائيل على نشاط الفدائيين المصريين على حدودها، واخذ الاسرائيليون قبل بدء الاعمال القتالية في تضليل العالم، واخذت أجهزتهم بالتعاون مع الأجهزة الاستعمارية الغربية في القول: بانه اذا ما نشبت حرب في الشرق الأوسط، فستكون بين اسرائيل والأردن، محاولين بذلك تضليل المصريين وخداعهم. وامعاناً في هذا الخداع، أمرت عدة ألوية اسرائيلية بالتحشد على الجبهة الاردنية. وقد عين للواء المظليين ـ بامرة العقيد شارون نقطة تجمع في عين حصب (عين حتسفاه في وادي عربة في النقب) ومع أنه كان يفترض ان يهبط المظليون على الأراضي المصرية في الساعة ١٦٠٠، وأن عليهم أولاً ان يجتازوا عرض النقب، ولذلك أمروا بمغادرة عين حصب في الساعة ٣٠٠ من يوم تنفيذ العملية.

يبلغ ممرمتلا ـ على ما هو معروف ـ زهاء أربعين كيلومتراً، ويمكن تقسيمه الى ثلاثة أقسام واضحة، ففي الشرق يوجد (مضيق حيتان) الضيق والذي يبلغ طوله عشرة كيلومترات. ويبلغ عرض الممر في أضيق نقاطه خمسين متراً، وعلى جانبيه جدران منحدرة وعالية، حيث يقع الى الشمال جبل جدي، والى الجنوب يقع جبل حيتان. والى الغرب من مضيق حيتان يمتد (الصحن) مسافة عشرين كيلو متراً بين المرتفعات الأقل علواً. وأخيراً، يقع مضيق متلا عند الطرف الغربي ـ المجاور لقناة السويس ـ وهو أعرض من مضيق حيتان وأقصر، لكنه محاط من الجوانب بمقاطع صخرية شاخة.

اجتازت ست عشرة طائرة من طراز (داكوتا) كانت تطير في تشكيلات رباعية الحدود المصرية مع الأرض المحتلة من فلسطين، وذلك في الساعة ٢٠ و١٦ من يوم الاثنين ٢٩ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٦ ـ وهي تحمل (٣٩٥) رجلاً من الكتيبة الأولى التابعة للواء المظليين الاسرائيلي (٢٠٢) وحلقت هذه الطائرات على ارتفاع خمسمائة قدم من سطح الأرض لتتجنب أجهزة المراقبة ـ الرادار ـ وكانت تحرسها عشر طائرات من طراز ميستير الافرنسية، وفي الساعة ١٦,٥٩، ارتفعت طائرات الداكوتا الى (١٥٠٠) قدم. وبدأ المظليون بالقفز والهبوط بالقرب من النصب التذكاري لـ «باركر» عند الطرف الشرقي لممرمتلا. ولم يصادف المظليون أية صعوبة أو عائق أثناء الطريق، غير أنه سرعان ما ظهر بوضوح أن الكتيبة قد هبطت على بعد ثلاثة أميال الى الشرق من هدفها. واستطاعت الكتيبة تصحيح هذا الخطأ قبل هبوط الظلام، اذا أمكن لها الوصول الى النصب التذكاري في الساعة (١٩٣٠) وتمركزت في مواقع دفاعية، وبدأ المظليون بالحفر وتجهيز المواقع ونشر الكمائن. وفي الساعة (٢١٠٠) اسقطت بالمظلات في منطقة الكتيبة، ثماني عربات جيب، وأربعة مدافع عديمة الارتداد عيار ١٠٦ ملم. ومدفعا هاون عيار ١٢٠ ملم، وذخيرة وماء وطعام وأدوية. وقد اسقطتها ست طائرات إفرنسية من طراز ـ نورد أطلس ـ يقودها طيارون أفرنسيون. وكانت هذه الطائرات هي التي نقلت في عدد من الرحلات، وطوال يومين كاملين، الاعتدة ووسائط القتال من قبرص الى مطار ايكرون ـ بالقرب من تل أبيب ـ ومنه الى ممرمتلا.

لم يكن هذا هو الدعم الوحيد الذي تلقته قوة المظليين الاسرائيليين من فرنسا، فقد عملت فرنسا على دعم اسرائيل بوسائط النقل التي خصص منها للواء المظليين (لواء شارون)(٦) زهاء (١٥٠) عربة نقل ٦× ٦ لم يكن قد مضى على تسليمها لإسرائيل سوى أمد وجيز، ولولاها لكان من المحال اجتياز الصحراء. وبالاضافة الى ذلك، فقد عبر القادة الصهاينة خلال المباحثات التي سبقت العملية عن قلقهم من امكان تعرض ـ اسرائيل ـ لاغارات انتقامية تقوم بها القاذفات المصرية الثقيلة من طراز اليوشين ٢٨، قبل بدء الاعمال القتالية للقوات الانكلو ـ فرنسية. فوعدت فرنسا بدعم اسرائيل بثلاثة اسراب من المقاتلات النفاثة الافرنسية، ووصلت هذه الطائرات الى اسرائيل يوم ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ أي قبل العدوان الاسرائيلي بثلاثة أيام فقط ـ وهبطت في مطار (اللد) ومطار (آزور). وكانت هذه الطائرات تتكون من سربين من طراز (ميستير ٤ س) وسرب من طراز (سابر ـ ف ٨٤) مع طياريهم الافرنسيين ـ وعددهم ٤٥ طياراً ـ كانوا بقيادة العميد الطيار ـ موريس بيردريزيه) وتمثل الدعم البحري الافرنسي، بارسال ثلاث مدمرات افرنسية هي: كيرسانت وبوفيه وسيركوف ـ للقيام بأعمال الدورية في البحر

الأبيض المتوسط، قرب حيفا وتل أبيب.

تلقى قائد لواء المظليين ـ اريئيل شارون ـ في الساعة (١٦٠٠) من يوم ٢٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ أمراً يقضي بتسليمه (٩٠) عربة نقل فقط من أصل العربات التي كانت مخصصة لمجموعته (١٥٠) عربة. وفي الساعة (٧٠٠) من يوم ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وصلته (٤٦) عربة فقط. فقرر شارون عدم الانتظار، لأن أي تأخير من شأنه تعريض كتيبة المظليين في ممرمتلا للخطر. فاركب جنوده في العربات النصف مجنزرة وفي العربات المدنية التي أمكن له الحصول عليها، وبدأت بقية لواء المظليين في تحركها الأرضي.

كانت المسافة من (عين حصب) الى الحدود المصرية تقارب الستين ميلاً. وكان من المتوقع اجتيازها في ١٣ ساعة. غير أن معدل الأعطال في العربات كان عالياً جداً، كما أن عربات كثيرة قد غاصت في الرمال، وترك عدد آخر بسبب الأعطال. وهكذا لم تصل الى منطقة الكونتلا من (١٣) دبابة كانت تتحرك مع اللواء، الا سبع دبابات فقط. وعلى الرغم من ذلك، فقد قطع المظليون المسافة عبر النقب في ٩ ساعات، واجتازوا الحدود في الساعة (١٦٠٠) كما هو مخطط من قبل. واصطدمت قوة استطلاع لواء المظليين بالحامية المصرية المدافعة عن الكونتلا، وتمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال موقع الكونتلا في الساعة (١٧١٧). وافادت قوات اللواء من التوقف فاعادت تنظيم تحركها، مع التزود
١ بالوقود.

تلقت القيادة المصرية العامة التقارير الأولى عن العدوان الاسرائيلي في الساعة (١٩٠٠) من يوم ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وقدم الرئيس جمال عبد الناصر والقائد العام المشير عبد الحكيم عامر الى القيادة العامة التقارير الواردة والتي تؤكد وقوع العدوان. وفي الساعة (٢٠٠٠) أمرت القيادة الشرقية الكتيبتين الخامسة والسادسة من لواء المشاة الثاني في (معسكر فايد) بالتقدم لمجابهة قوة المظليين في متلا. وفي الساعة (٢١٠٠) بدأت الكتيبة الخامسة باجتياز القناة شمال السويس. وأصدر الرئيس عبد الناصر أوامره بعدم قطع حركة المرور التجارية في القناة حتى لا يتيح للبريطانيين والافرنسيين استخدام ذلك ذريعة للتدخل. وهكذا فقد استغرقت عملية عبور الكتيبة الخامسة لقناة السويس فترة ثماني ساعات كاملة. في حين تطلب عبور الكتيبة السادسة اثنتي عشرة ساعة. وأنهى الرئيس جمال عبد الناصر، وهيئة أركانه تقديرهم للموقف في الساعة (٢٣٠٠) وصدرت الأوامر الى اللواءين المدرعين الأول والثاني من الفرقة المدرعة الرابعة، بعبور القناة. والتجمع بين (بئر جفجافة) و(بئر روض سالم)، وأن يتقدم من هناك، اللواء المدرع الثاني الى الجنوب، بمهمة قطع الطريق أمام أي تحرك للمظليين، وأن يقوم

اللواء المدرع الأول باغلاق الطريق أمام أي تحرك على المحورين الشمالي والأوسط. كذلك فقد وضعت القيادة المصرية، موضع التنفيذ، خطة دفاعية محضرة لمجابهة العدوان الاسرائيلي: حيث تقوم قوات الحدود بدور تعطيلي (تأخيري) بينما تتجمع القوات الضاربة الرئيسية في الخلف للقيام بمواجهة حاسمة حدد موعد تنفيذها ليكون في الخامس أو السادس من تشرين الثاني ـ نوفمبر.

قامت أربع طائرات مصرية (ميغ) بالهجوم على موقع المظليين الاسرائيليين قرب ممرمتلا، بعد الساعة (٩٠٠) من يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وقد أصابت طائرة (البيبركاب) الملحقة بكتيبة المظليين الاسرائيليين، والتي كانت جاثمة على الأرض، كما جرحت ٤ جنود. واثناء ذلك، افادت احدى مجموعات الكتيبة ان رتلاً صغيراً مصرياً يتحرك الى شرق الممر. فأمر قائد كتيبة المظليين مدافع الهاون الثقيلة بالتعامل مع الرتل المصري الذي كان يتألف من سرية مشاة من الكتيبة الخامسة، كما طلب ـ باللاسلكي ـ تدخل القوات الجوية الاسرائيلية. ثم أفادت مراكز الرصد الاسرائيلية أن المصريين ينشرون آلياتهم على بعد أربعة كيلومترات، الى الغرب من النصب التذكاري، وكانوا يردون على النار الاسرائيلية، وحاولت فصيلة مصرية مهاجمة أجناب موقع كتيبة المظليين الاسرائيليين، بينما قامت فصيلة ثانية بدعم الهجوم بنيران الاسلحة الخفيفة. فوجه قائد كتيبة المظليين سرية لمهاجمة مواقع الهاونات المصرية، ولكن عندما وصلت السرية الى المرتفعات الكائنة عند مدخل الممر ظهراً، وصلت في الوقت ذاته ايضاً طائرات اسرائيلية، فاستدعيت السرية وقامت الطائرات الاسرائيلية بالهجوم على مواقع الهاونات والمشاة المصرية بالصواريخ والقنابل، وقد شاهد الطيارون ـ الاسرائيليون ـ قافلة مصرية كبيرة، كانت تتحرك أيضاً باتجاه الشرق، وكانت هذه القوات تتألف من بقية الكتيبة الخامسة ومن كتيبة المشاة السادسة (وكلتاهما من اللواء الثاني للمشاة) الذي وجه بسرعة من منطقة القناة أثناء الليل. وقام الطيارون الاسرائيليون بعدة هجمات على القافلة المصرية، تاركين وراءهم عدة آليات تحترق وعندما انتهى الهجوم عند الغروب، كان الطيارون الاسرائيليون والمظليون يعتقدون بأن القافلة المصرية قد دمرت.

كان (اريئيل شارون) قد بذل جهداً كبيراً في الكونتيلا، حتى أمكن له تنظيم القسم الأكبر من لواء المظليين، وعندما تم له ذلك، أمر جميع الوحدات الجاهزة بالتحرك، وسارت قيادة اللواء خلف هذه الوحدات، وأمرت الوحدات الأخرى بالتحرك للالتحاق بقوة اللواء عندما تستطيع ذلك. وفي الساعة (٣٠٠) من صباح يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وصل الحرس الامامي الى (بئر التمد) التي احتلتها بعد ذلك وحدة استطلاع اللواء.

كان موقع التمد المحصن يقع على بعد خمسة أميال من البئر، والى غربيه، ويحتل جانبي الطريق الصخرية لوادي العقبة. كما كان محاطاً بأسلاك شائكة وحقول ألغام عند قاعدة المنحدرات الصخرية وكان يدافع عن هذا الموقع سريتان مصريتان من لواء الحدود الآلي - الثاني - وبعض وحدات الحرس الوطني. فكان السبيل الوحيد لمهاجمة الموقع واقتحامه هو التحرك على محور الطريق.

التقت كتيبة المظليين الثانية وقيادة اللواء بسرية الاستطلاع في الساعة (٤٠٠). وكانت المدفعية ما تزال غائصة في الرمال قرب الكونتيلا، وقرر (شارون) عدم تأخير الهجوم. وفي هذا الوقت كانت شمس الصباح تواجه بأشعتها الحادة عيون المصريين. وفي الساعة (٦٠٠) تقدمت وحدة استطلاع اللواء مع قسم من الكتيبة الثانية، وفصيلة دبابات مكونة من أربع دبابات باتجاه النقاط المصرية القوية. لكن دبابة واحدة فقط انقلبت بسرعة على الأرض الصعبة. وفتح المصريون نيراناً بعيدة المدى لم تكن فعالة أو مجدية. وهاجم الاسرائيليون على كل جانب من الطريق بسرية واحدة محملة بعربات نصف مجنزرة، وحملت باقي الكتيبة في عربات نقل ٦× ٦ الى الخلف. وتقدمت الدبابات الثلاث ونصف المجنزرات باتجاه المواقع المصرية وقد تعرضت لنيران الرشاشات المتوسطة، ونيران الأسلحة المضادة للدبابات عديمة التراجع.

وعند وصولها الى حواجز الاسلاك الشائكة، ألقت مدافع الهاون قنابل دخانية، فشكلت ستارة ساعدت الوحدات المهاجمة على الاقتحام. واستمر الصراع المرير حتى الساعة (٧٣٠) حيث استطاع المظليون السيطرة على الموقع واعاد شارون تنظيم اللواء بسرعة لاستئناف المسير نحو نخل وممرمتلا.

قامت طائرات النقل بانزال الوقود وقطع التبديل والامدادات الأخرى بالمظلات في الساعة (٨٠٠) ثم ظهرت طائرات الميغ المصرية (٤ طائرات) بعد الساعة (٩٠٠) وقامت بالهجوم على كتيبة المظليين الأولى (المتوقفة عند النصب التذكاري) وقصفتها مرتين.

بدأت الكتيبة الثالثة والمدفعية في الوصول تباعاً، الى مركز تجمع اللواء، في الساعة (١١٠٠) وأثناء ذلك، تلقى شارون تقارير عن الهجمات الجوية والأرضية على موقع النصب التذكاري. فأصدر أوامره باحتلال (نخل) على الفور، حيث كانت تدافع عنها سريتان مصريتان. وبدأ الرتل بمتابعة تحركه في الساعة (١٣٠٠) تتقدمه الكتيبة الثانية.

اقترب لواء المظليين من (نخل) في الساعة (١٧٠٠) وقام بالهجوم على المواقع المصرية بعد تمهيد مدفعي، واستمر تبادل اطلاق النار لفترة قصيرة، نجحت بعدها قوات اللواء بالسيطرة على الموقع في الساعة (١٧٢٥) وأصدر (شارون) أوامره الى الكتيبة الثالثة

بالبقاء في نخل مع أسلحة الدعم. وتابع تقدمه مع بقية لـواء المظليـين الى النصب التذكاري، حيث تم التقاء عناصر لواء المظليين بقوة الكتيبة التي تم انزالها جواً (الكتيبة الأولى) في الساعة(٢٢٣٠).

تسلمت الحكومتان المصرية والاسرائيلية الانـذار الانكلو ـ فرنسي في السـاعة (١٨٠٠) من مساء يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وتضمن نص الانذار ثلاثة مطالب رئيسية هي:

١ ـ ايقاف الاعمال القتالية في البر والجو والبحر.
٢ ـ انسحاب جميع القوات حتى مسافة عشرة اميال، بعيداً عن القناة.
٣ ـ قبول مصر باحتلال بورسعيد مؤقتاً والاسماعيلية، والسويس، من أجل الفصل بين المتحاربين ولضمان حرية مرور السفن من جميع الجنسيات في القناة.

حددت فترة الرد على الانذار باثنتي عشرة ساعة. فاذا لم تنفذ احدى الحكومتين اوكلتاهما المطالب الانكلو فرنسية، عند انقضاء مدة الانـذار، فان القـوات البريـطانية والافرنسية سوف تلجأ للاعمال العسكرية ليصار الى تنفيذ تلك المطالب.

لم تكن القوات الاسرائيلية قد وصلت الى حدود الاميال العشرة عندما تسلمت الحكومة الاسرائيلية الانذار، فأجابت بالموافقة على قبوله. وعند منتصف الليل، رفض الرئيس جمال عبد الناصر الانذار. وعندئذ أعطت قيادة الحملة الانكلو ـ افرنسية (الجنرال ستوكويل) أوامرها بالاستعداد للغزو. وفي الساعة ١٩,٠٠،من يوم الاربعاء ٣١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ كانت قد مضت فترة (٢٥) ساعة على تسلم الانذار الانكلو افرنسي. وانقضت مدة (١٣) ساعـة على انتهـاء فترة الانـذار. وبدأت الـطائرات البـريطانيـة والافرنسية بالاغارة على القواعد الجوية المصرية. فأمر الرئيس جمال عبد النـاصر في الحال، بايقاف جميع التحركات الى سيناء كما أمر القوات الموجودة هناك بالانسحاب لمنع عزلها عن مصر أثناء الغزو الانكلو ـ فرنسي المتوقع على امتداد منطقة القناة. وكان المصريون يتوقعون أن يتم الانزال في الاسكندرية أو بورسعيد، وفي الحالتين كان الرئيس عبد الناصر مصمماً على المقاومة.

تابع لواء المظليين تنفيذ مهمته في اتجاه الغرب، وخاض معارك قاسية اظهر فيها الجنود المصريون شجاعة رائعة في الدفاع عن كهوفهم وملاجئهم المنتشرة على امتـداد ممرمتلا. ولم تتمكن القوات الاسرائيلية من فرض سيطرتها على الممر حتى الساعة (٢٠٠٠) من يوم الاربعاء ٣١ تشرين الاول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٦. وتم بعد ذلك تكليف لواء المشاة

الاسرائيلي الرابع باحتلال مواقع المظليين الذين تم تكليفهم بمهمة اخرى هي: دعم اللواء التاسع للاستيلاء على الطور. وتنفيذاً لهذه المهمة تحركت كتيبة المظلات الأولى باتجاه (رأس سدر) من النصب التذكاري. وتم في الوقت ذاته انزال سريتين اضافيتين من المظليين في مطار الطور للاستيلاء على المدينة وذلك في ليل الجمعة ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وبعد الاستيلاء على الطور في ليل (٢ ـ ٣) تم اصلاح مهبط الطائرات هناك. وبدأت مجموعات من طائرات النقل بالهبوط فيه، واسقطت كتيبة مشاة من اللواء الثاني عشر. كما جلبت الاسلحة والذخيرة الباقية لجنود المظلات. واستولت الكتيبة الأولى من لواء المظلات عند الفجر من يوم السبت ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ على حقول النفط في (رأس سدر) وتركت فصيلة لحراسة الموقع، ثم تقدمت جنوباً الى الطور، وقد وصلت اليه بعد الظهر، حيث توجهت الوحدات المشتركة التي كانت في الطور الى (شرم الشيخ).

لقد اعطيت عملية المظليين السابقة حجمًا مضخمًا، ونسيجاً اسطورياً طغى على كافة اعمال القتال التي نفذت في اطار العدوان الثلاثي، أو حرب السويس كما يسمونها أحياناً وليس المجال هنا، على كل حال، هو مجال التعرض للاعمال القتالية التي حدثت في البر والبحر والجو خلال فترة العدوان، وان ما يهم البحث هنا بصورة خاصة، هو التركيز على هذه العملية لما تميزت به من الخصائص التالية.

١ ـ تحقيق المباغتة على مستوى العمليات بانزال المظليين في سدر الحيطان، أمام ممرمتلا.
٢ ـ صغر حجم القوة التي تم انزالها من قوة المظليين بالمقارنة مع حجم القوات المصرية في منطقة العمليات (٤٠٠ مظلّي تقريباً).
٣ ـ بعد المسافة، والتوغل العميق في مسرح العمليات (على بعد ١٥٠ كيلومتراً من حدود الأرض المحتلة).

ولهذه الأسباب، اضفيت على قائد العملية (اريئيل شارون) هالة اسطورية. بهدف التغطية على حقيقة العوامل التي ساعدت على تنفيذ العملية وانجاحها. وقد تم استدعاء (شارون) من قبل المراكز العسكرية الامبريالية لالقاء محاضرات عن هذه العملية، امعاناً في استخدام معطياتها ضمن اطار الحرب النفسية الموجهة ضد العرب.

غير أن مجرد استقراء ملامح العملية يظهر مجموعة من الحقائق التي تدحض كل المزاعم الاسطورية:

١ ـ ان المباغتة كانت ناجحة تماماً، غير أن القيادة المصرية جابهتها بكفاءة عالية، وأصدرت

أوامرها الواضحة لاستعادة المبادأة، والقضاء على كل أثر للمباغتة.

٢ ـ لقد كانت العملية أشبه ما تكون بالتظاهرة العسكرية، إذ أن حجم القوة في البداية (كتيبة مظليين) وحجم القوة الكاملة بعد ٢٤ ساعة (اللواء الكامل للمظليين) هو أقل من حجم القوة المطلوب للعمل في عمق مسرح العمليات وفي مجابهة قوات متفوقة.

٣ ـ ان التوغل العميق في مسرح العمليات لم يكن ليحقق اهدافه لولا، ارتباطه بمخطط التدخل الانكلو ـ فرنسي كما كان من المحال على القوات الاسرائيلية تنفيذ هذه العملية لولا الدعم الافرنسي (بالطائرات وعربات النقل خاصة).

وإن مجرد قراءة الجدول الزمني لتواقت الاحداث، ليؤكد ان الدمار الحتمي كان مصير قوة المظليين لولا الانذار الانكلو ـ افرنسي الذي اعقبه مباشرة بدء الاعمال القتالية (القصف الجوي) الأمر الذي أرغم القيادة المصرية على سحب قواتها من سيناء للدفاع عن مصر، فأخذت القوات الاسرائيلية في تنفيذ أعمالها ضمن أطار (حرية العمل العسكري المطلقة وليست النسبية). وهكذا، ومع الأخذ بالعوامل السابقة ومعطياتها، تظهر العملية على انها عملية عادية من أعمال المظليين، ارتبط نجاحها بالموقف الاستراتيجي والموقف الجغرافي (الفراغ الصحراوي) بأكثر من ارتباطه بالقدرة القتالية للوحدات المقاتلة الاسرائيلية، أو بما نسب ظلمًا للوحدات المصرية عن ضعف قدرتها القتالية، أو حتى الى ما نسب الى القيادة المصرية ـ زوراً ـ عن قصور في الكفاءة. غير ان القيادة الاسرائيلية افادت من هذه التجربة القتالية عند اعدادها للحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (عدوان ١٩٦٧).

ب ـ المباغتة الاسرائيلية في عدوان (١٩٦٧).

ما إن فرغت القيادة الصهيونية من (حرب السويس) حتى أخذت في إعادة التنظيم الشامل لمخططاتها وأهدافها وبناء قواتها المسلحة تمهيداً لعدوانها المقبل. وحددت الشروط السياسية والأسس العامة التي يجب اعتمادها في اطار (ذرائعية العدوان) ثم حددت بعدها طرائق خوض الحرب وأساليبها، مركزة جهدها الرئيسي لشن الحرب ضد مصر. ومن أجل ذلك، كان هناك ثلاث عناصر هامةبالنسبة للخطط الاسرائيلية للهجوم على سيناء وهي:

١ ـ المباغتة. ٢ ـ ضمان التفوق الجوي المبكر. ٣ ـ الاشتباك الحاسم مع القوات البرية المصرية الأساسية على أبعد مسافة ممكنة من شرق قناة السويس.

وتقررضمان تحقيق المباغتة عن طريق شن هجوم جوي مسبق قبل أن يكون العرب قد استعدوا لمجابهته، وأما ضمان التفوق الجوي، فيتحقق مع تنفيذ (المباغتة) حيث يتم شن هجوم كثيف بضربات جوية مركزة ومتلاحقة على القوة الجوية المصرية، والقوات الجوية العربية الأخرى، إذا ما تطلب الأمر. وسيعتمد الاشتباك بالقوات المصرية الرئيسية في شرقي سيناء على انتشار القوات انتشاراً فعلياً، وفي ضوء الظروف التي خطط الاسرائيليون لشن هجومهم فيها، فيفترض أن يحشد المصريون قواتهم مسبقاً من أجل هجومهم المخطط، لتحقيق المباغتة، ولاتاحة أكبر فرصة للقيام بضربة جوية ناجحة. ويظهر أن القوات الجوية الاسرائيلية قد بدأت منذ العام (١٩٦٥) بالتدريب المستمر على الطيران في الصباح المبكر بعدد كبير من الاسراب، والتحليق غرباً فوق مياه البحر الأبيض المتوسط.

وضعت القيادة الصهيونية مخططات العمليات لتطويق القوات المصرية وتدميرها في عمق سيناء. كما وضعت خطة خداعية محكمة (نفذت يومي ٣ و٤ حزيران ـ يونيو ١٩٦٧) فبينما كان الجيش الاسرائيلي يقوم بالتعبئة، كانت فرق الهجوم تحتشد في مواقع الانطلاق للهجوم على سيناء متخذة أقصى تدابير السر والحيطة، وفي الوقت ذاته كانت الكتائب والألوية الموجودة في أقصى الجنوب تقوم بتظاهرة عسكرية للفت الأنظار إلى فاعلياتها ونشاطاتها، حتى أن بعض الوحدات التي تحركت إلى الحدود في ٣ حيزران ـ يونيو ـ قد سحبت عدة أميال خلال الليل، ثم كررت هذا التحرك في اليوم التالي بصورة واضحة، بهدف إقناع القيادة المصرية بأن الهجوم الاسرائيلي سيوجه إلى الجنوب لفك الحصار المضروب على المضائق. كما قامت الطائرات الخفيفة والحوامات بممارسة نشاط واضح على هذا القطاع من الحدود، وذلك إمعاناً في الخداع.

لقد كانت خطة العدوان بكاملها، قائمة على المباغتة، وفي ذلك يقول موشي ديان، في يومياته ـ «لقد بدأنا بالطيران، فمن البديهي أن مهمته ستكون جد ثقيلة، وأنه سيستخدم امكاناته حتى أقصى الحدود، حتى إذا لم ينجح بمباغتة ـ العرب ـ منذ بدء القتال، عن طريق تدمير طائراتهم وهي على الأرض، فإن خطتنا بكاملها ستصاب بالفشل»[٧].

لقد ألقيت على القوات الجوية الانسرائيلية مهمة تنفيذ (المباغتة الاستراتيجية). وفي الوقت ذاته كان على القوات البرية أن تندفع في تقدمها، تحت حماية السيطرة الجوية الاسرائيلية الكاملة، لتحقيق (مباغتة العمليات) و(المباغتة التعبوية ـ التكتيكية) وتنفيذاً

---

(٧) موشي ديان (يوميات حملة سيناء).

الهجوم الجوي الإسرائيلي على القواعد الجوية المصرية
الاثنين ٥ حزيران سنة ١٩٦٧

الأسهم أعلاه تبين الضربة الجوية الأولى على ١١ قاعدة جوية مصرية أما القواعد الجوية الأخرى فقد هاجمها العدو بالتقرب إليها من أقصر طريق مباشر .

لذلك، حددت لارتال المدرعات ساعة الانطلاق (س) بالساعة (٤٥ و٨) من صباح اليوم الأول للعدوان، خلافاً للعادة المتبعة في بدء الانقضاض مع الخيوط الأولى لضوء الفجر. وأعد سلاح الهندسة لتحقيق المباغتة التعبوية ـ التكتيكية للعمل بفاعلية كبرى في فتح الثغرات ضمن حقول الألغام، وفي فتح الممرات عبر الحواجز الطبيعية والصناعية. كما أعدت المدفعية الميدانية للتحرك السريع حتى تستطيع مواكبة حركة الدبابات في الانساق الأولى، أو الموجات الأولى من الهجوم، ولتتمكن من نقل نيرانها بسرعة للتمهيد بسدود نارية قتالية تسبق تحرك الدبابات، وبذلك بات باستطاعة المدرعات تحقيق عدد من المباغتات التعبوية. وحتى تتمكن إسرائيل من تطبيق مبدأ المباغتة التعبوية ـ التكتيكية ـ على أوسع نطاق ممكن، فقد خططت لاستخدام أساليب القتال الليلي بكثرة، وتأمين الاستمرار في تنفيذ اعمال القتالية واتصالها في الليل والنهار لكسب الوقت، ولتطوير المبادأة والافادة من المباغتة حتى أبعد الحدود. وعلى هذا فقد تم اجراء التدريب والمناورات طوال السنوات التي سبقت العدوان على تطوير التدريب الليلي ـ على كافة المستويات ـ بداية من التدريب الليلي الفردي وحتى مستوى التشكيلات الكبرى (اللواء ومجموعة الألوية).

باتت قصة (المباغتة) بعد ذلك معروفة، فقد أقلعت طائرات الميراج المقاتلة من قواعدها (القاذفات الاسرائيلية) واتجهت غرباً فوق البحر الأبيض المتوسط، ثم انحرفت جنوباً إلى المطارات المصرية. وذلك في الساعة (٧٤٥) من صباح يوم الاثنين الخامس من حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧. وبعد انقشاع ضباب النيل الصباحي، وبينما كان ضباط القوى الجوية المصرية في الطريق إلى مكاتبهم، قصفت تسع مطارات في أن واحد، تلاها بعد بضع ثوان قصف مطار عاشر، وهذه المطارات هي: مطار العريش، ومطار بئر جفجافة ومطار غرب القاهرة ومطار جبل لبنة ومطار بئر تماده ومطار أبو صوير ومطار كبريت ومطار بني سويف ومطار انشاص ومطار فايد. وطار الطيارون الاسرائيليون على ارتفاعات منخفضة جداً (بين ٣٠ و٥٠٠ قدم) لتجنب الرادارات ـ أجهزة الكشف ـ المصرية ـ.

كان لدى مصر عشرات من محطات الرادار، ففي سيناء وحدها توجد (١٦) محطة، كذلك كان للامريكيين والروس قطع بحرية في المنطقة، بما في ذلك سفينة التجسس الامريكية (ليبرتي). كما استخدم الامريكيون محطات رادار محمولة جواً. وحافظ البريطانيون على الرصد من قواعدهم في قبرص.

عندما وصلت الموجة الأولى من الطائرات الاسرائيلية إلى أهدافها، كانت هناك موجة ثانية تحلق في الجو على الطريق إلى اهدافها، وموجة ثالثة بدأت في الاقلاع. كانت اسراب الطائرات متلاحقة، ويضم كل سرب منها ٤ طائرات، تتوالى بفاصل قدره عشر دقائق، وكان كل سرب يعطى فترة سبع دقائق ليمر فوق أهدافه ٣ ـ ٤ مرات، يسدد في

أحداها صواريخه وقنابله إلى الهدف. ومع ذلك فإن عملية الاقلاع والقصف والعودة لكل رف، لم تكن تستغرق الساعة الواحدة. واستمر الهجوم الجوي الاسرائيلي مدة (٨٠) دقيقة، ثم تبع ذلك فترة توقف لمدة عشر دقائق، وأعيدت بعدها عملية القصف الجوي لمدة ثمانين دقيقة أخرى. ونجم عن ذلك القصف تدمير (٣٠٠) طائرة مصرية كانت جاثمة على الأرض، منها جميع القاذفات المصرية بعيدة المدى (ت. يو-١٦) وعددها ثلاثون طائرة. وقدر عدد الطيارين المصريين الذين استشهدوا في أثناء الهجوم الجوي بمائة طيار (من أصل ٣٥٠ طياراً وكان يضمهم سلاح الجو المصري). كما دمرت ثلاث وعشرون محطة رادار وعدة مواقع مدفعية مضادة للطائرات.

ولقد حاولت (٢٠) طائرة مصرية (٨ - ميغ - ١٩ و ١٢ ميغ - ٢١) الانتقال من مطار الغردقة والتوجه نحو الشمال بعد الاغارة الاسرائيلية الأولى. غير أنها دمرت، اما في الجو، أو أثناء هبوطها على الأرض عندما لم تجد لها مهابط في الشمال. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تدمير رفين (طائرات ميغ - ٢١) أقلعا في أثناء الهجوم على المطارات - في قتال جوي، بعد أن أسقطا طائرتين اسرائيليتين. واعترفت اسرائيل أنها فقدت (١٩) طائرة في الغارات الأولى.

تمكن الاسرائيليون من تحقيق النجاح في عملياتهم بفضل المباغتة والدقة في توجيه نيرانهم. وكانت هذه الدقة بدورها نتيجة استطلاع دقيق للأهداف. وقد عثر المصريون على صور جوية دقيقة جداً كانت بحوزة الطيارين الاسرائيليين الذين أسقطت طائراتهم وأسروا في مصر. وكان من المعروف أن مثل هذه الصور لا يمكن التقاطها إلا بواسطة طائرات أمريكية أو سوفييتية.

ولم يكن هذا هو الشاهد الوحيد على تواطؤ أمريكا مع إسرائيل. فقد كانت سفينة التجسس الامريكية (ليبرتي)* على بعد بضعة أميال فقط خارج المياه الاقليمية المصرية، إلى الشمال من العريش وبورسعيد. وكان من مهمة هذه السفينة مراقبة البث اللاسلكي والراداري للمصريين. والتشويش على الاتصالات اللاسلكية المصرية وعلى رادارات توجيه الصواريخ (سام - ٢) مما أنقص من فاعلية هذه الصواريخ، وأسهم في إنجاح الضربات الجوية الاسرائيلية. وعلى الرغم من كل انكار أمريكي وانكليزي لدعم اسرائيل بالطائرات ووسائط القتال، إلا أن الأمر الثابت هو أنه كان من المحال على إسرائيل القيام بمثل هذا

(*) تعرضت السفينة ليبرتي على ما هو معروف لاغارة خاطئة قامت بها القوات الاسرائيلية بعد ظهر يوم ٨ حزيران - يونيو - وقتل من جراء ذلك (٣٤) أمريكياً كما أصيب (٧٥) فيهم بجراح. وأصيبت السفينة ذاتها باصابات مباشرة، واندلعت فيها النيران لمدة (٣٠) دقيقة الأمر الذي اضطرها للانسحاب الى (مالطا). واعتذرت اسرائيل لأمريكا عن هذا (الخطأ) بزعم الاشتباه بالسفينة على أنها (مصرية). وقبلت أمريكا هذا التفسير، وتجاوزت ما أطلق عليه اسم (الخطأ المحزن).

العدوان لولا الدعم الأمريكي غير المحدود، ولولا الاسهام العملي الذي لا زالت شواهده الثابتة تفتقر إلى التأكيد وكان في جملة ما تلقته إسرائيل من الدعم (التقني) نوع خاص من القنابل لتدمير المهابط (القنابل ذات الرؤوس الباحثة) وهي قنابل يتوقف اندفاعها إلى الامام بصاروخ خلفي حال خروجها من الطائرة. ثم يقوم صاروخ إضافي بدفعها باتجاه عمودي إلى المهبط. وبعد ذلك تقوم صمامة بطيئة بتفجيرها بعد اختراقها أرض المهبط. وقد أتاحت القنبلة للطيارين بالاقتراب من المهابط على ارتفاع منخفض وبسرعة عالية، ولو استعملوا القنابل العادية لكان تأثيرها طفيفاً، ولكان بالمستطاع اصلاح المهابط المدمرة بسرعة. كذلك استخدم الاسرائيليون قنبلة موجهة، من النوع الأمريكي المعروف باسم (الثور الصغير) وهي لا تؤثر إلا على الطائرات الجاثمة على الأرض، ولا تحدث أية أضرار بالمنشآت المجاورة. ولقد كان هذا النوع من القنابل مفيداً، لا سيما في العريش، فهي القاعدة الوحيدة التي لم تدمر مهابطها، لأن خطط الاسرائيليين كانت تتطلب استخدام هذا المطار كمركز متقدم للامداد والاخلاء.

أنهى سلاح الطيران الاسرائيلي هجماته على المطارات المصرية في الساعة (١٢٠٠) ثم أرسل بعض طائراته للاغارة على المطارين الاردنيين (عمان ـ الساعة ١٢٤٥) و(المفرق ـ الساعة ١٣٠٠) ثم أغارت الطائرات الاسرائيلية على المطارات السورية (بين الساعة ١٣٠٠ و١٣١٥) وتبع ذلك اغارة على المطار العراقي (ش ـ ٣) في الساعة (١٥٠٠) وبذلك أصبح معظم الطيران العربي خارج القتال، وبات باستطاعة القوات البرية الاسرائيلية تنفيذ عملياتها البرية في اطار (حرية العمل العسكري) المطلقة، وليست النسبية.

لقد كان للمباغتة الاستراتيجية التي حققتها ضربات سلاح الجو الاسرائيلي، دور حاسم في التأثير على مواقف القيادات العربية (السياسية والعسكرية) ومما زاد من تأثير هذه المباغتة قيام القوات الاسرائيلية بتطوير المباغتة الاستراتيجية عن طريق (مباغتات العمليات). وهي المباغتات التي نتجت عن سرعة تطور الأعمال القتالية. وكذلك عن طريق استخدام القوات المحمولة جواً ـ المظليين ـ كقوات برية أو كقوات محمولة بالطائرات العمودية ـ هيليكوبتر ـ.

عملت القيادة الاسرائيلية على توزيع لواء المظليين (والحاق كتيبة) على كل مجموعة من المجموعات القتالية العاملة على محاور منفصلة ومستقلة. وإن ما يهم البحث هنا التعرض لتلك القوة من المظليين التي استخدمت الطائرات العمودية، لتنفيذ واجباتها في (التقرب غير المباشر) ولتحقيق المباغتة.

ضمت (مجموعة اريئيل شارون) المكلفة بالهجوم على (أبو عجيلة) كتيبة من المظليين. وقد انطلقت مجموعة شارون للهجوم في الساعة (٩٠٠) من يوم ١٩٦٧/٦/٥. ولما كانت المدفعية المصرية القوية تشكل تهديداً خطيراً لتقدم القوات الاسرائيلية، فقد ركزت المدفعية الاسرائيلية نيرانها على مواقع المشاة، بينما قامت طائرتان عموديتان بانزال قوة من المظليين خلف مواقع المدفعية المصرية، وتم بذلك إبطال هذه المدفعية، وعندما حاول المصريون طلب الدعم المدفعي الصديق، كان المظليون الاسرائيليون قد نجحوا في الوصول إلى مستودعات الذخيرة ودمروها، كما دمروا آليات المدفعية، وآثار ذلك مناخاً من الذعر جعل المدفعية المصرية عاجزة عن القيام بدورها. وانسحب المظليون الاسرائيليون بانتظار اخلائهم من ساحة المعركة.

وفي يوم ١٩٦٧/٦/٧ توجهت قوة من المظليين محمولة بالطائرات العمودية لشن هجوم على شرم الشيخ بالتعاون مع ٣ زوارق طوربيد اسرائيلية، وفي الساعة (١٢٠٠) وصل المظليون إلى الموقع الذي تبين لهم أنه بات مهجوراً. فقرروا النزول على المهبط، ووجدوا أن القوة البحرية قد سبقتهم إلى الوصول إليه. فتحرك المظليون على امتداد الساحل، واستولوا على موقع (الطورة) بينما تحركت القوة البحرية عبر مضيق (تيران). وبينما كانت قوة المظليين في الطور تتقدم شمالاً، أسقطت وحدة مظلات ثانية في (رأس سدر) فتوجهت هذه القوة جنوباً واستولت على (أبو زنيمة).

وكانت معركة القدس (٥ - ٧) حزيران - يونيو - هي معركة مظليين بالدرجة الأولى، غير أن لواء المظليين (بقيادة غور) خاض معركته كقوة مشاة عادية، باستثناء قوة صغيرة تم انزالها بالطائرات العمودية في الساعة الأولى من يوم الثلاثاء ١٩٦٧/٦/٦. وذلك فوق المنحدر الواقي فوق وادي الجوز، بمهمة تطويق المواقع الأمامية للقوات الأردنية - على طول طريق نابلس، ومبنى وكالة الغوث، وتل الذخيرة، وتبين أن عدد المظليين الذين تم انزالهم لا يزيد على أربعين مظلياً اسرائيلياً، هبطت بهم طائراتهم العمودية خلف الخطوط الأردنية في أربع مناطق متفرقة. وفي الساعة (٢٠٠) بدأت وحدات لواء المظليين الأخرى بالاندفاع نحو محيط القدس الخارجي (الشمالي). وقد ركزت المدافع الاسرائيلية نيرانها على المواقع الاردنية، كما تحركت كتيبتان اسرائيليتان، واحدة للعمل في منطقة مبنى وكالة الغوث (قرب تل الذخيرة) والثانية للعمل في تدمير الدفاعات الأردنية القائمة على طريق نابلس (في منطقة الشيخ جراح) عبر المنطقة المجردة من السلاح - خلف الدبابات - وتمكن الطيران الاسرائيلي تنفيذ مهام الدعم على مجمع وكالة الغوث وتل الذخيرة، مستخدماً في ذلك المشاعل المضيئة (قنابل الانارة) لتمييز أهدافه.

تكررت هذه الظاهرة على الجبهة السورية. ففي الساعة (١٥٠٠) من يوم السبت (١٠) حزيران ـ يونيو ـ زجت القيادة الاسرائيلية قوة كتيبة من المظليين ومعها طائراتها العمودية للاستيلاء على المواقع الحصينة في (فيق). وبعد ذلك انتقلت الكتيبة بطائراتها إلى (العال) حيث قيادة القطاع الجنوبي، وقامت باحتلاله، الأمر الذي ساعد بقية القوات على التقدم بسرعة، والوصول إلى القنيطرة، حيث انتهى القتال في الساعة (١٨٣٠) من اليوم التالي (الأحد ١١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧).

تلك هي الملامح العامة للمباغتة الاسرائيلية في عدوان (١٩٦٧) وهي تبرز مدى التعقيد الذي وصلته هذه المباغتة، بالمقارنة مع ما كانت عليه في حربي ١٩٤٨) و (١٩٥٦) وقد كان تطور هذه المباغتة مرتبطاً بتطور (هدف الحرب) ذاته. والأمر الواضح هو أن القيادة الاسرائيلية قد أفادت من تجاربها القتالية السابقة لتطوير مبدأ المباغتة، كما أفادت من الدعم الامبريالي غير المحدود بالقوى والوسائط والمعدات التقنية لتحقيق المباغتة وتطويرها.

جـ ـ المباغتة العربية في حرب العاشر من رمضان (١٩٧٣)

قد يكون من المناسب، قبل كل شيء، التوقف عند بعض المقولات التي طرحت خلال فترة الحرب، والتي أبرزت المضمون الحقيقي للمباغتة في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة (٦ ـ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٧٣) ومنها:

«لقد بنيت الخطط العسكرية، استناداً إلى الخطوط الرئيسية التالية:

١ ـ تحقيق عنصر المباغتة على العدو الصهيوني.

٢ ـ بدء الهجوم بآن واحد على الجبهتين السورية والمصرية بغية توزيع جهد العدو الجوي والبري وتشتيت قواه.

٣ ـ الاندفاع في عمق دفاعات العدو في سيناء والجولان، بعد عبور قناة السويس ونطاق الموانع الهندسية وتحصينات الجولان، والمحافظة على وتيرة عالية من التقدم على الجبهتين لارغام العدو على تشتيت قواه طوال المعركة، ومنعه من التركيز على جبهة دون أخرى لارغامه على عدم التعامل مع كل من الجبهتين على انفراد.

وفي مجال المباغتة، فقد تنبه العدو لضخامة الحشد على الجبهة السورية، بالرغم من كل اجراءات التمويه والخداع التي اتخذت لاخفاء ذلك الحشد، بسبب اشراف مراصده الكامل عند خط وقف اطلاق النار ومن جبهتنا طرق التقرب إليها. وقام موشي دايان ـ وزير دفاع العدو حينئذ ـ بزيارة للأراضي السورية المحتلة في هضبة الجولان، قبل بدء الحرب بأيام، وأعطي أوامره بتعزيز الجبهة بالدبابات والمدفعية ، وأطلق تصريحه المشهور

الذي يشير فيه إلى الحشود السورية الضخمة ويهددنا بأن إسرائيل يقظة، وستعرف كيف تعيدنا إلى صوابنا. لقد شعرنا في ذلك الوقت بأن استعداداتنا للحرب قد كشفت من قبل العدو. وأن احتمال قيام إسرائيل بهجوم وقائي قد زاد. لقد جعلتنا تلك الواقعة نعيش ظروفاً حرجة كلها توتر وقلق من أن تحبط خططنا، ولكن لحسن الحظ، وبالرغم من الاستعدادات التي اتخذها العدو، والحشد الذي أجراه أمام جبهتنا، لم يكن متأكداً من عزمنا على الهجوم»[٨].

لم تكن حرب (يوم الغفران) مباغتة لاسرائيل وحدها، وإنما مباغتة للعالم: «فعندما أذاعت إسرائيل ظهر السادس من تشرين الأول ـ اكتوبر ـ أن سوريا ومصر بدأتا الهجوم، لم يصدقها أحد.. فهل جن العرب ... أم تراهم ينتحرون بعد يأس... وتراهنوا فيما بينهم حول المدة اللازمة للجيش الاسرائيلي لاحتلال دمشق والقاهرة. ألم يصرح شارون قبل أشهر قليلة بما يلي: لا أعتقد أن هناك أي هدف عسكرياً كان أم مدنياً بين بغداد والخرطوم، بما في ذلك الأراضي الليبية، لا يستطيع الجيش الاسرائيلي احتلاله* وقد حدد أسبوعاً لذلك. ولكن، ومع الطائرات الاسرائيلية المتساقطة، والدبابات المحترقة، تهاوت اسطورة ـ الجيش الذي لا يقهر ـ وكانت حرب تشرين مباغتة للعالم. دفعت ثمنها اسرائيل. وانقلبت المفاهيم، وتبدلت تصورات وبديهيات كانت شبه راسخة في الأذهان، وأسرع الفكر العسكري لاستخلاص الدروس للمستقبل وما أكثرها»[٩].

وفي الخطاب الذي ألقاه الرئيس السوري حافظ الأسد، في مدرج جامعة دمشق بمناسبة الذكرى الثانية لحرب تشرين، جاء ما يلي: «كانت المباغتة كاملة على الجبهة الغربية ـ جبهة مصر ـ استراتيجياً وتعبوياً ـ تكتيكياً ـ أما بالنسبة للجولان، أو الجبهة الشمالية، فلم تتحقق أية مباغتة تعبوية ـ تكتيكية ـ. بمعنى أن العدو كان يتوقع الهجوم، وقد حشد في الجولان كل ما يجب أن يحشده، مفترضاً أن الحرب واقعة. ومن أجل ذلك استدعوا في يوم الجمعة بعد الظهر، لواء مدرعاً إضافياً، ونقلوه من بئر السبع إلى الجولان، كما أحضروا كوادر هذا اللواء بطائرات الهليكوبتر إلى الجاعونة (روشبينا) وهناك سلموا دبابات جديدة انتقلوا بواسطتها إلى الجولان، وأخذوا أماكنهم الدفاعية.
ومع هذا وعلى الرغم من الحشد الكبير الذي حشده العدو، والذي منعنا من تحقيق المباغتة، ورغم التحصينات الضخمة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل، ورغم

---

(٨) قصة حرب تشرين التحريرية (اللواء الركن مصطفى طلاس) الفكر العسكري ـ السنة الثالثة ـ العدد الرابع ـ ١٩٧٥. ص ٣٤ ـ ٣٥.

(*) معريف ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٧٣.

(٩) حديث للجنرال بوفر ـ مقال اللواء جبرائيل بيطار ـ الفكر العسكري ـ السنة الثالثة ـ العدد الرابع ـ ١٩٧٥ ص ٨٧.

الاستعداد التام من قبل إسرائيل ـ كما أشارت لجنة اغرانات اليهودية ـ فقد اقتحمنا هذا الخط، وحطمنا تحصيناته، ودمرنا قوات العدو على هذا الخط، واندفعنا إلى آخر الشوط. ومن هنا كان عنف القتال في الجولان».

وكتب القائد الافرنسي الجنرال بوفر: «حين أتت حرب تشرين... مفاجأة وعبور واقتحام ومعارك طويلة ومشرفة خاضتها القوات العربية ضد الجيش الاسرائيلي الذي بوغت ليس فقط بالهجوم بحد ذاته، أو بالمفاجأة، بل وباستخدام جيد لأحدث وسائط الصراع المسلح في البر والبحر والجو والحرب الالكترونية، وبعد ذلك، أو بنتيجة كل ذلك، خسائر كبيرة لم يكن أحد في إسرائيل يتصورها»(١٠).

وكتبت صحيفة افرنسية: «يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا، ونعترف بأن أحداً لم يكن يتوقع هذه الحرب، ويمكننا أن نندهش عندئذ من كون المخابرات الاسرائيلية قد جهلت كل ما يجري اعداده في دمشق، لقد مر وقت كانت فيه الأركان الاسرائيلية على علم فوراً بكل ما يجري في سوريا. كان ذلك عندما كان الجاسوس كوهين يستقبل في دمشق كل الضباط السوريين. وحتى في عام ١٩٦٧، كان الجنرال ديان يعرف كل قرار يتخذه الرئيس الاتاسي، إلا أن الأمور قد تغيرت، هذا ما يقول الناس. إن المخابرات الاسرائيلية في سورية لم تعد على علم بشيء، وذلك دون أن يعرف السبب، وهناك في هذا الصدد مثال لا يخلو من مغزى»(١١).

وكتبت صحيفة أفرنسية أخرى: «اضطر الجنرالات الاسرائيليون إلى استخدام كل ما لديهم من سعة الحيلة والعلم التي تتجاوز المألوف والمعتاد، من أجل التوصل إلى وضع حد لهذه الحرب، وحتى يعوضوا عن ضعف الدبلوماسية وشللها. فانتقلوا من الهجوم إلى الدفاع بعد أن كانوا قد بلغوا ذروة النصر. وكان على الاسرائيليين أن يعانوا كل المصاعب والمشاكل التي تنجم عن موقف الدفاع. ورب قائل يقول: إذا كان الاسرائيليون قد اتخذوا أسلوب الدفاع لا أسلوب الهجوم. فذلك لا يعني مطلقاً أن تترك الأمور تفاجئهم وتباغتهم. ولقد كان هجوم السادس من تشرين ـ دون ريب ـ من أكبر مباغتات هذا العصر» «لقد بدأ الجانب العربي في هذه المرة بالهجوم، وأفاد أعداء اسرائيل من المباغتة كعنصر من عناصر قيادة الحرب»(١٢).

وقال موشي ديان: «ما من شخص توقع نشوب الحرب، حتى صباح يوم الغفران،

---

(١٠) الجنرال بوفر ـ في القاهرة ـ أواسط تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٧٣.
(١١) الفيغارو الافرنسية ٣/ ١١/ ١٩٧٣.
(١٢) الفيغارو الافرنسية ٦/١١/ ١٩٧٣.

وهذا هو السبب في عدم تعبئة الاحتياط. ولم أكن أنا نفسي أيضاً أتوقع نشوبها، كما لم أسمع من أي إنسان أن الحرب كانت واضحة، في الوقت الذي تلقيت فيه تقرير المخابرات عن احتمال نشوب الحرب، بدأت بتعبئة الاحتياط»[١٣].

وقال حاييم بارليف: «كانت مخابرات الجيش الاسرائيلي على علم بتطورات الاستعدادات للحرب التي ستشنها مصر وسوريا، ولو أن تقديراتها لم تكن ملائمة للاختبار الملموس، وأن النجاحات العسكرية التي حققتها القوات المصرية والسورية تعود إلى المباغتة وعدم الانذار، ويجب التحقيق فيما حدث يوم الغفران، مهما كانت النتيجة مؤلمة»[١٤].

وقالت غولدا مائير: «علمت استخباراتنا بأنه تم تركيز قوات عسكرية كبيرة على ضفة قناة السويس وفي الجولان، بقصد القيام بالهجوم. وقد تمت دعوة جزئية للاحتياط، وبالنظر لخطورة الوضع، عقدنا جلسة لدراسة الموقف يوم عيد الغفران، إلا أن الهجوم العربي وقع أثناء الجلسة»[١٥].

وقال دافيد اليعازر: «نبهت القيادة إلى احتمال وقوع هجوم عربي قبل بدء الهجوم بعشرة أيام. ووضعت القوات الاسرائيلية في حالة تأهب تام قبل ٢٧ ساعة من وقوع الهجوم»[١٦].

وقال عيزر وايزمن: «لا يجب القاء المسؤولية كلها على التقديرات الخاطئة لأجهزة المخابرات. كان هناك نقص في الرؤية، و صور في الواقعية، على جميع المستويات»[١٧].

وقال (هنري كيسينجر) في رده على سؤال يتعلق بفشل المخابرات الامريكية والاسرائيلية في كشف ما هو وشيك الوقوع، مما أدى إلى (المباغتة) فقال ما يلي: «لم يخطىء أحد فيما يتصل بالحقائق الواقعة. وهناك دائمًا وجهتا نظر بالنسبة للمخابرات. الأولى هي تحديد حقائق واقعة. والثانية هي: تفسير تلك الحقائق. وهناك ميل عام لدى معظم أجهزة المخابرات، وحتى لدى معظم الضباط الكبار، ولدى الصحفيين أيضاً، لملاءمة هذه الحقائق مع آراء سابقة، وأفكار سلفية قائمة، ولعرضها إلى جانب ما يرونه متوقعاً ـ واستمر كيسنجر قائلاً: إذا كنت تنطلق من الفرضية القائلة بأن الحرب ليست أكيدة، وإذا كنت تعلم بأن المصريين يجرون مناورات عسكرية في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ

---

(١٣) جيروزاليم بوست ١٥/ ١١/ ١٩٧٣.
(١٤) اذاعة اسرائيل ١١/٢/ ١٩٧٣.
(١٥) اذاعة اسرائيل ٦/ ١٠/ ١٩٧٣.
(١٦) اذاعة اسرائيل ٩/ ١١/ ١٩٧٣.
(١٧) اذاعة اسرائيل ٩/ ١١/ ١٩٧٣.

من كل سنة ـ خاصة في السنوات الأخيرة، عندها لا بد وأن يكون هناك ميل لملاءمة الحقائق الواقعة مع النظريات التي نؤمن بها. هذا هو أحد أخطاء التقديرات الاستخبارية الخطيرة، لأنه في واقع الأمر، من الأسهل اجراء تقصي لحقائق واقعة من معرفة النوايا»[١٨].

وعبر كاتب امريكي عما أصاب الاسرائيليين من الذهول بنتيجة المباغتة، فكتب ما يلي: «لقد باغتونا، لقد أمسكوا بنا ونحن في سراويلنا الداخلية، لقد أمسكو بنا ونحن في قمة سعادتنا وثقتنا. عندما كنا نثق بقوتنا أكثر مما ينبغي، وعندما كنا نعتقد أننا نستطيع ضرب، أي بلد في ستة أيام»[١٩].

وكتبت صحيفة أمريكية أخرى: «ظهرت في حرب تشرين ـ اكتوبر ـ مباغتات كثيرة، من بينها استخدام جيل صواريخ (سام ٢) و(سام ٣) المعدله وصواريخ (سام ٦) التي تجهل أسرارها حتى المصانع الأمريكية، حيث أسقطت هذه الصواريخ اعداداً كبيرة من الطائرات الاسرائيلية، وقد حطمت حرب تشرين الأسطورة القائلة أن السلاح الجوي له أكبر الأثر في تغيير مجرى الحروب. هذا وقد دخلت مباغتة جديدة في أواسط أيام الحرب، هي استخدام صواريخ (سام ٧) التي تعتمد على التوجيه بالأشعة تحت الحمراء. لقد شلت هذه الصواريخ دبابات السنتوريوم والباتون، ومنعت العربات المصفحة من التأثير، وأسقطت أعداداً كبيرة من الحوامات والطائرات العمودية ـ الهليكوبتر ـ وبالرغم من اهتمام الأوساط الأمريكية في اتخاذ الاجراءات الالكترونية المضادة، للحد من تأثير هذه الأسلحة، إلا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح تماماً»[٢٠].

وكتبت صحيفة اسرائيلية: «عند بدء القتال كنا على أبواب هزيمة كبيرة، كان من الممكن أن نتعرض لها، وهي نابعة من الأسباب التالية: أولاً، كانت هذه هي أول مرة بوغتت فيها إسرائيل استراتيجياً. لقد نجح العدو أحياناً في خداعنا في الماضي، ونجح في تحقيق المباغتة التعبوية ـ التكتيكية ـ بل وحتى المباغتة على مستوى العمليات، ولكن لم يحدث أن تمكن من شن الحرب دون أن نكون أمامه بكل قواتنا. وكان التجديد الثاني: التنسيق الكامل تقريباً بين عدونا في الجنوب وعدونا في الشمال، فكان هذا تنسيقاً فعالاً بشكل لم نشهد مثله من قبل... ولذلك كانت إمكانيات المبادرة لدى جيش الدفاع الاسرائيلي محدودة منذ البداية، واضطر إلى الرقص حسب ناي العدو، بينما كان هذا هو

(١٨) نشرة الأرض ـ السنة الأولى ـ العدد ٥ ـ ٢١ تشرين الثاني ـ ١٩٧٣ ص ٧.

(١٩) ROBERT. R. RODWELL «THE MIDDLE - EAST WAR: ADAMNED CLOSE- RUNTHING» AIR- FORCE MAGAZINE- FEBRUARY 1974

(٢٠) NEW SCIENTIST MAGAZINE, OCT 25, 1973

أحد اللاءات الشديدة في المذهب العسكري الاسرائيلي القائل: بعدم تمكين العدو، تحت أية ظروف، من فرض زمان أو مكان أو حجم العملية العسكرية. لم تكن هذه الحرب هي حرب ١٩٦٧ بالمعكوس، كما يقول البعض، ولكن العدو نجح في هذه المرة بمباغتتنا استراتيجياً وتعبوياً ـ تكتيكياً ـ في آن واحد.. لقد حان الوقت لأن ندرس ببرود انجازات العدو. لقد كان نجاح العرب رائعاً بفضل المباغتة.. ويجب توجيه اللوم الشديد لأولئك الذين استهانوا بالعرب واحتقروهم، مثل ذلك الجنرال المتقاعد ـ عيزر وايزمان ـ الذي تبجّح بعد حرب حزيران ـ يونيو ـ: أن باستطاعته إلحاق الهزيمة بالعرب والسوفييت معاً. ومن جمله الشهيرة: إن العرب لا يليقون للحرب. وإن هذا الجنرال وأمثاله هم المسؤولون عن تدهور الروح المعنوية في الجبهة الداخلية، لأنهم خلقوا لدى الجمهور الإسرائيلي توقعات لم تتحقق... وليس من السهل بعد ذلك أن نعترف: لقد تعلم العرب كثيراً في السنوات الست الماضية»[٢١].

وكتبت صحيفة افرنسية: «... كانت شخصية ـ رئيسة الوزراء ـ غولدا مائير القوية، تحول دون أن تؤدي الانقسامات السياسية إلى حرب بين اليهود، غير أن الاسرائيليين شهدوا مدهوشين مذهولين كيف تهاوت الأساطير التي آمنوا بها طوال ربع قرن كامل: ألا وهي اسطورة تفوق جيشهم تفوقاً مطلقاً، وأسطورة سهر زعمائهم سهراً دائماً لا يهن ولا يفتر أو يكل، وأسطورة العجز العسكري لدى العرب»[٢٢].

وكتبت صحيفة أفرنسية أيضاً: «تختلف المعركة التي بدأها المصريون والسوريون اختلافاً كبيراً عن حرب الأيام الستة. كان الناس يتوقعون أن يأتي الاسرائيليون بالمعجزات، وأن يحرزوا نصراً كنصر (السوبرمان) الذي أحرزوه عام ١٩٦٧، لكن الأمر مختلف اختلافاً جذرياً عن ذلك»[٢٣] «فالاسرائيليون لم يتمكنوا من تلقين العرب درساً لن ينسوه، كما أعلنوا غداة هجوم السادس من تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ولذلك، فلن يلبثوا طويلاً حتى يستخلصوا العبر من هذه الحرب»[٢٤].

وكتبت صحيفة افرنسية أخرى: «انتقل الأمل في يوم ٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٧٣. من معسكر إلى معسكر آخر، وتغيرت روح المعركة للمرة الأولى. وفي خلال أسبوعين كانت الجيوش العربية قد أحبطت كل مساعي الجيش الاسرائيلي. وأنزلت

(٢١) دافار ١٥/ ١٠/ ١٩٧٣.

(٢٢) لوموند الافرنسية ٣/ ١١/ ١٩٧٣.

(٢٣) لوموند الافرنسية ١٥/ ١٠/ ١٩٧٣.

(٢٤) لوموند ـ افتتاحية يوم ٤/ ١١/ ١٩٧٣.

السيطرة الجوية العربية ضربة قوية بالقوات الاسرائيلية التي كانت قد تعودت أن تلقي هي بقنابلها أولاً. إن هذا جعلها بالتأكيد غير مسرورة»(٢٥).

وفي موضوع الصمود الذي باغت الاسرائيليين والعالم، ذكرت صحيفة افرنسية ما يلي: «يقاتل السوريون بتصميم وعناد، إنهم صامدون بشدة أمام الهجوم المعاكس الضخم، وربما شنوا أيضاً بعض الهجمات، وهذا الصمود بحد ذاته يعتبر انتصاراً. وفي سيناء يصمد المصريون. لقد تحلى العرب بالجرأة في هجومهم وبالجرأة في القتال. ولا شك مطلقاً في أنهم قاتلوا وأبلوا بلاء حسناً»(٢٦) «إن هذه الحرب العربية ـ الإسرائيلية هي مهما كان الوضع في ساحة المعركة، تمثل أول نصر عربي، هذا ما يعتقد هنا في فرنسا، لأن العرب شنوا الحرب في اللحظة التي أرادوها، وبتنسيق شامل، في لحظة لم تكن المخابرات الأمريكية ولا المخابرات الإسرائيلية تتوقع ذلك، وإضافة إلى هذا، لم يسحقوا خلال ثلاثة أيام كما أعلن الجميع، وقاتلوا جيداً بل وببسالة، ولا سيما في جبل الشيخ»(٢٧).

وكتبت صحيفة المانية ما يلي: «تختلف الأوضاع في هذه المرة اختلافاً كلياً عن أوضاع حرب حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧. ففي هذه المرة اخطأ الاسرائيليون في تقويم عدوهم العربي. وتبرهن على ذلك الخسائر الاسرائيلية الفادحة. لقد مضى على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى ربع قرن من الزمن، وها هي قوات اليهود اليوم وهي تجابه قوات عربية لا تهرب بمجرد سماعها الطلقة المعادية الأولى، بل أنها تقاتل بكل ضراوة وشراسة. لقد قال لي أحد أعضاء الحكومة الاسرائيلية: لو كنا نعلم ما نعلمه الآن لما قبلنا بكل تأكيد بهذه المجازفة... لقد خرجت إسرائيل من حرب ١٩٦٧ وقد اكتسبت مزيداً من الثقة بنفسها ولازمتها هذه الثقة طوال سنوات عديدة، ولم يكن الجنود المصريون أو السوريون جنوداً جديين في نظر إسرائيل. وقد ساد الاعتقاد أن القوات الاسرائيليةالمسلحة لا تعرف الهزيمة. وقد قال الجنرال السابق (اريئيل شارون) في خطاب له أثناء حملة انتخابية، قبل اندلاع حرب يوم الغفران بفترة قصيرة: «إن إسرائيل هي اليوم قوة عسكرية كبيرة، وجميع القوات المسلحة في الدول العربية هي الآن أضعف منا. إن بامكاننا خلال أسبوع واحد الاستيلاء على منطقة تمتد من الخرطوم إلى بغداد وحتى الجزائر»(٢٨).

---

(٢٥) أومانيتيه الافرنسية ٣/١١/ ١٩٧٣.

(٢٦) لوفيغارو الافرنسية ١٢/ ١٠/ ١٩٧٣.

(٢٧) لوفيغارو ٣/ ١١/ ١٩٧٣..

(٢٨) مجلة شتيرن الألمانية ١٨/ ١١/ ١٩٧٣.

١ ـ سمة المباغتة في حرب تشرين ـ اكتوبر ـ (١٩٧٣)

شنت القوات المصرية والسورية هجوماً كثيفاً، وفي وقت واحد، على الحدود الشمالية والجنوبية للأرض المحتلة من فلسطين، وذلك في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السادس من تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٧٣. العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ المصادف ليوم (عيد الغفران) عند اليهود. وقد نشبت هذه الحرب كنتيجة حتمية للسياسة الاستعمارية الاستيطانية التي مارسها الكيان الصهيوني بدعم من الدوائر الاستعمارية والامبريالية العالمية. ومعروف أن الحروب التي سبقت إقامة الكيان الصهيوني، ورافقت ظهوره (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) وتطورت بعد إقامته في عدوان (١٩٥٦) وعدوان (١٩٦٧) قد تركت جماهير الشعب العربي عرضة لمعاناة مريرة، وفجرت فيه كل مشاعر الغضب الديني والقومي والوطني. فكانت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة والحالة هذه تعبيراً طبيعياً، ورد فعل حتمي على السياسة المتعالية ـ المتغطرسة للطغمة الحاكمة في الكيان الصهيوني، ورفضاً لفكرة الوجود الصهيوني ذاته. غير أن هذه الحرب، تميزت على كل الحروب السابقة التي اضطر العرب لخوضها ضد الكيان الاستعماري ـ الاستيطاني، سواء في حجم القوات والوسائط التي تم زجها في القتال، أو في طرائق خوض الصراع المسلح وطبيعتها، أو حتى في النتائج العسكرية والسياسية لهذه الحرب.

احتلت اسرائيل في سنة ١٩٦٧، وبنتيجة مجموعة من الهجمات المباغتة (الجوية والبرية والبحرية)، صحراء سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية ومدينة القدس، وكانت مساحة الأراضي المحتلة في هذا العدوان ـ على ما هو معروف ـ تزيد على ثلاثة أضعاف المساحة التي احتلتها بنتيجة الحرب العربية ـ الإسرائيلة الأولى في سنة ١٩٤٨. ومضت إسرائيل وقد أثمل قادتها هذا النصر، فعملت على تصعيد استفزازاتها وزيادة حجم أعمالها العدوانية، واستخدام أبشع الأساليب الوحشية البربرية لترويض العرب وارغامهم على قبول الواقع الجديد، متجاهلة في ذلك كافة مقررات مجلس الأمن، والجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة. ووقفت جماهير الشعب العربي ومعها شعوب العالم الإسلامي واحرار العالم وهم يرفضون الاذعان لسياسة القهر والقوة الغاشمة. وتعلن عن استعدادها لقبول الحل السلمي القائم على الحق والعدل ـ ولكن الطغمة العسكرية الحاكمة في إسرائيل لم تذعن لصوت العقل، وأخذت في تهويد الأراضي المحتلة. وإقامة المستوطنات ـ المستعمرات ـ في الأراضي المحتلة. وظهر بوضوح أن الخيار الوحيد الذي بات متاحاً أمام العرب هو الاحتكام إلى السلاح.

تبنت القيادة الصهيونية في الأرض المحتلة سياسة الاحتلال بالقوة، بدعم غير محدود

من الولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات الصهيونية العالمية. ونظمت في إسرائيل جيشاً ضخماً لتنفيذ دورها الوظيفي ضد العالم العربي ـ الإسلامي. وهكذا بلغ تعداد الجيش الاسرائيلي العامل، عشية الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة ما يزيد على (١١٥) ألف جندي وضابط، علاوة على (١٩) ألف جندي في قوة الدفاع الاقليمي. وكان نظام التجنيد والتعبئة المطبق في الكيان الصهيوني يسمح لها بزيادة تعداد قواتها المسلحة إلى (٣٠٠ ـ ٣٢٠) ألف جندي خلال (٧٢) ساعة.

كانت القوات البرية الاسرائيلية تتألف عند بدء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) من (٣٣) لواء، منها (١٠) ألوية مدرعة، وبضع كتائب خدمات وتأمين فني. وكان لديها (١٧٠٠) دبابة أمريكية طراز (م٦٠ وم٤٨) باتون وشيرمان وسوبر شيرمان وانكليزية طراز سنتوريون. وحوالي (٤٥٠) ناقلة جنود مدرعة أمريكية طراز (م١١٣). وكانت المطارات الاسرائيلية تحتوي على (٤٨٨) طائرة مقاتلة، منها (١٠٠) طائرة مقاتلة قاذفة فانتوم و(١٦٠) طائرة مقاتلة قاذفة طراز سكاي هوك. وما يزيد على (٤٠) طائرة مقاتلة افرنسية (ميراج ٣ س) و(٢٤) طائرة مقاتلة من طراز (براك) الاسرائيلية الصنع، إضافة إلى أنواع أخرى. كما كانت القوات البحرية الاسرائيلية تضم (٥٨) سفينة حربية. وكانت القيادات العربية تتابع تطور موازين القوى، فكان اعتمادها على المباغتة أساساً لتحطيم ميزان التفوق الاسرائيلي.

فعلى جبهة الجولان في الشمال: شنت فرقة مشاة سورية هجوماً على اتجاهين شمال مدينة القنيطرة وجنوبها، ودعمت الفرقة في هجومها فرقة مدرعة وفرقة مشاة أخرى. كما تم الاستيلاء على الموقع الذي تحتله اسرائيل (منذ عدوان ١٩٦٧) فوق جبل الشيخ عن طريق مفرزة من القوات المحمولة جواً بالحوامات. وقد حاولت القوات الاسرائيلية إيقاف الهجوم منذ بدء الاشتباكات، ولم تتوصل إلى تخفيف وتيرة الهجوم إلا في نهاية النهار، وبدعم فعال من قبل سلاح الجو الاسرائيلي.

وعلى جبهة قناة السويس في الجنوب: تمت في الساعة (١٤٠٠) عملية عبور قناة السويس، وهي العملية التي جهز لها المصريون بعناية فائقة وبدقة متناهية. وكان على الجانب الاسرائيلي اكثر من ألفي جندي اسرائيلي موزعين على مراكز المراقبة وتحصينات خط بارليف. ومنهم من لم يتلق أي انذار باحتمال وقوع الهجوم. واستطاعت طلائع الفرقة المصرية الخامسة، وهي فرقة مشاة، بالتعاون مع الفرقة المدرعة الثانية، إقامة رؤوس جسور على الضفة الشرقية للقناة بعد تمهيد مدفعي قوي. ولم تتمكن الهجمات المعاكسة الاسرائيلية التي شنتها الألوية المدرعة الاحتياطية في سيناء، بمعاونة الطيران، من منع

المصريين من إقامة رأسي جسرين منذ الليلة الأولى، وبعد (٤٨) ساعة، عبر القناة حوالي (١٠٠) ألف جندي، وألف دبابة، وزعت على خمسة رؤوس جسور تتمون عن طريق عشرة ممرات دائمة.

وأثبتت النتائج التي حصلت عليها القوات السورية والمصرية، خلال اليومين الأولين من المعركة أن الجيش الاسرائيلي وقع ضحية (المباغتة) حتى لو آمنا في لحظة معينة بموقف اسرائيل الذرائعي (الماكيافيلي). وهذه المباغتة التي تمكنت القوات العربية من التخطيط لها وتنفيذها بمهارة كاملة، لم تستطع تحقيق هدفها الكامل إلا بفضل سوء التقدير الذي وقعت به إسرائيل. وقد قاد هذا الخطأ في التقدير، والذي رافقه شعور بثقة مطلقة بقوتها الذاتية، قاد الدولة اليهودية إلى اللعب بورقة خطيرة، دلت عليها الهزائم التي منيت بها إسرائيل، خلال المرحلة الأولى من الحرب. ومن المهم وفقاً لهذا المنظور بحث قضية المباغتة من خلال ما يلي:

١ ـ البحث الدؤوب والماهر عن عوامل تحقيق عنصر المباغتة من جانب العرب.
٢ ـ العوامل المتوافرة في قلب الكيان الصهيوني، والتي ساهمت في إعطاء المباغتة فاعليتها المطلقة.
٣ ـ تأثير المباغتة على مسيرة الأعمال القتالية.

١ ـ البحث عن عوامل المباغتة: أظهر تحليل العدوان الاسرائيلي في العام ١٩٦٧، أهمية عامل المباغتة في الحروب المحدودة، وأكد هذا التحليل للقادة العرب ضرورة الافادة من مبدأ المباغتة في أي عمل عسكري ضد إسرائيل، وبالتالي، فإنه لم يكن هناك أمل كبير في النجاح إذا ما كانت إسرائيل مستعدة للمجابهة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان الرأي العام العربي يطالب دائمًا بمبادرة عسكرية لا يمكن أن تكلل بالنجاح إلا إذا توافر لها عنصر المباغتة. وقد وجدت عناصر ملائمة في تلك الظروف، لعل من أكثرها أهمية مبالغة القادة الاسرائيليين في الاستهتار بالتهديدات العربية التي كانت تغلف نواياهم، وعدم اعطائها قيمة على صعيد الواقع. وهنا لا بد من الاعتراف بمهارة الرئيسين المصري والسوري في اتباع أسلوب الخداع والتضليل اللذين ساهما في دعم عنصر المباغتة. ومن الضروري هنا، تذكر بأن دولتي المواجهة في مصر وسورية كانتا تعتمدان على مخزون ضخم من الأسلحة، وعلى نظام مديد للتجنيد يشكل تعبئة حقيقية مركزة. وذلك على عكس إسرائيل التي كان لا بد لها من اعلان التعبئة الواسعة لدعم قواتها البرية التي تضم في زمن الحرب (٦٥) بالمائة من الجنود الاحتياطيين.

تحققت المباغتة كذلك عن طريق السر الذي أحاط القرار السياسي. ومن المحتمل

أن يكون قرار الهجوم على إسرائيل بخطوطه العامة، قد اتخذ خلال مؤتمر القاهرة الذي عقد في أيلول ـ سبتمبر ـ وكان الرئيسان السادات والأسد على علم بالشروط الدقيقة لقرار بدء الهجوم وموعده.

لقد تم اختيار يوم الهجوم للحصول على أقصى مردود من عنصر المباغتة، على الأقل بالنسبة للروح المعنوية العربية ـ الإسلامية (في شهر رمضان المبارك). وكذلك بالنسبة للروح المعنوية الاسرائيلية، حيث أن (يوم الغفران) هو يوم عزلة وتأمل بالنسبة للمتدينين اليهود ـ الذين لا يخدمون أصلاً في الجيش الإسرائيلي ـ. وفي هذا اليوم، ينعزل اليهود الذين يمارسون تطبيق تعاليمهم الدينية مع باقي أفراد الطائفة، ويحبسون أنفسهم في بيوتهم دون أن يسمحوا لأنفسهم حتى بالاصغاء إلى المذياع. ويصومون يوماً كاملاً عن كل شيء. ولهذا بدت صفارات الانذار التي أطلقت في ذلك النهار غريبة وغير مصدقة.

ولقد تم اختيار ساعة بدء الهجوم أيضاً لتضمن فرصة الحصول على أقصى مردود من عنصر المباغتة. فمن المعروف أن الهجوم يبدأ عادة مع الفجر، أما بعد مرور ساعات الصباح الأولى. فإن احتمالات الهجوم تصبح ضئيلة أو معدومة، وتخف حالة التأهب. كما أن الزمن الواقع بين ساعة الصفر وحلول الظلام قصير جداً، لا يسمح للاسرائيليين بتنظيم هجوم معاكس قوي، كما لا يسمح للطيران الاسرائيلي بممارسة نشاط خطير يتهدد عملية العبور. وكانت ساعة بدء الهجوم أكثر ملاءمة للمصريين، حيث تكون أشعة الشمس القوية وراء ظهورهم. وقد وضع الجيشان المصري والسوري قواتها ووسائطها القتالية في وضع الهجوم، وأحاطوا استعداداتهم بستار كبير من التمويه الهندسي. ومن ذلك ما نفذه المصريون الذين أقاموا حاجزاً ترابياً عالياً على الضفة الغربية من قناة السويس. وكان العمل في الاستعدادات يتم ليلاً، ولكن الأضواء الكاشفة التي تنير المنطقة ليتمكن الجنود من العمل، كانت تدل على أن هناك تحضيراً لعملية عسكرية ضخمة.

على الرغم من كل الجهود التي بذلتها القيادات العربية في مصر وسورية لاخفاء استعداداتهم والتمويه عليها، فقد أدرك الاسرائيليون إمكانية قيام الحرب، عن طريق الاعداد المتواصل لها مما كان يقع تحت سمعهم وبصرهم. وكانت الشواهد المتوافرة على احتمالات الحرب كثيرة، ومنها ما هو مسجل بشكل دقيق وصحيح مثل: كثرة المشاريع والمناورات، وتخريج دورات عديدة من مدرسة العبور في الفيوم الواقعة جنوب غرب القاهرة. واستدعاء الاحتياطيين يوم (٢) تشرين الأول ـ اكتوبر ـ. وتجميع قطع الجسور في (٤) تشرين الأول على ضفة القناة الغربية. وتحرك الارتال المدرعة في الجولان ليلة (٥) تشرين الأول. وهكذا كانت إسرائيل على اطلاع كاف بالنسبة للدلالات التي تشير إلى

وقوع هجوم عربي وشيك، ومع ذلك تركت الحكومة الاسرائيلية نفسها تحت رحمة عنصر (المباغتة) كما تشير الوقائع، قبل أن تتمكن من استدعاء جيشها الاحتياطي. ويتطلب معرفة الأسباب الداعية إلى هذا التقصير التعرض لما كان عليه الوضع داخل الكيان الصهيوني.

ـ **المأزق الصهيوني**: لم تتحقق المباغتة التي وقعت إسرائيل ضحية لها، إلا عن طريق سلسلة الأخطاء في التقديرات السياسية والعسكرية، ومما غذى تلك الأخطاء الثقة المبالغ بها في القوة الذاتية للجيش الاسرائيلي الذي اكتشف العلامات الدالة على هجوم عربي وشيك دون أن ينظر إلى الأمر بعين الجد.

وقد حللت المخابرات الاسرائيلية المعلومات الواردة في شروط قريبة من الواقع، وانطلقت في تحليلها من تقدير شامل للقوتين السورية والمصرية، ولكن هذه التقريرات لامكانيات العرب أهملت من قبل السلطات المسؤولة. كانت كثافة قواعد الصواريخ (سام) كبيرة جداً. كما أن المشاة الذين يحملون صواريخ مضادة للدبابات، لم يقدرهم الاسرائيليون حق التقدير، هذا على صعيد (الكم)، أما على صعيد (الكيف ـ أو النوع) فلم يضع الجيش الاسرائيلي فعالية الأسلحة الممكن استخدامها في موضعها الصحيح. كما لم يقوِّم التدريب الذي خضع له الجنود العرب تقويماً صحيحاً. وقد برهنت القوات العربية على انضباطها الرائع وروحها المعنوية العالية. ويضاف إلى ذلك تعدد الأجهزة الاسرائيلية ـ للاستخبارات ـ وضعف التنسيق فيما بينها وهكذا، فحتى يوم الجمعة (٥) تشرين الأول ـ اكتوبر ـ أي قبل (٢٤) ساعة من بدء الهجوم، لم تكن في إسرائيل أية سلطة عسكرية أو حكومية تؤمن بهذا الاحتمال (بحسب اعترافات الجنرال بارليف، رئيس أركان الجيش السابق ووزير الحكومة الاسرائيلية). ولم يتم استدعاء الجنود الذين منحوا اجازات إلا في مساء (٥) تشرين الأول ـ حوالي الساعة السادسة ـ ويبدو أن حالة الاستنفار الكامل لم تعلن داخل الجيش الاسرائيلي إلا في الساعة العاشرة من صباح يوم (٦) تشرين الأول ـ اكتوبر ـ وحتى لو تمت حالة التعبئة الكاملة، فإنها جاءت متأخرة. ولم تستطع الاستخبارات الاسرائيلية أن تتوقع أبداً يوم الهجوم، وساعة الصفر، وفسرت الاستخبارات الاسرائيلية الاستعدادات العسكرية المصرية على أنها رد فعل ضد محاولة انقلابية لاسقاط نظام حكم السادات.

لقد أصيبت إسرائيل بصدمة المباغتة، نتيجة الافراط في الثقة التي أولتها الدولة اليهودية إلى قوتها الذاتية، وقدرة جيشها على الردع الحاسم. فمنذ عدوان حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧. كانت قوة الجهاز العسكري تبدو، وكأنها تشكل في نظر المواطنين الاسرائيليين شاشة

رادعة فعالة ترتكز على:

١ ـ نظام تعبئة سريعة أثبت فعاليته في كل الأزمات والحروب.

٢ ـ سلاح الجو القادر على التدخل فوق كل شبر من البلاد بأسرع وقت ممكن وبفاعلية عالية.

٣ ـ مساحة الأراضي المحتلة في العام ١٩٦٧، والتي تشكل مسرحاً للعمليات العسكرية الأولية، مما يعطي الفرصة للاسرائيليين لاتخاذ الاحتياطات اللازمة.

إذن، كانت إسرائيل تعتبر نفسها في مأمن ضد أي هجوم (مباغت) وذلك بامتلاكها للمكان والزمان اللازمين لاتخاذ الاحتياطات الضرورية، وتعبئة قواتها الاحتياطية. ولقد مارست الاجراءات المتخذة بكل تأكيد دوراً حاسمًا حتى في ذلك اليوم العصيب بالنسبة لإسرائيل: لقد دقت أجراس الانذار بكل الوسائل الممكنة، وكان العامل الجيد والحالة هذه، وجود كل الاسرائيليين في بيوتهم، ثم حرية السير على كافة الطرق.

من المهم التأكيد بأن العمليات العسكرية العربية التي قامت لشل حركة إسرائيل، لم تحقق هدفها بشكل كامل. وكان باستطاعة القوات العربية إنزال عقاب صارم بإسرائيل لو أنها شنت هجومها قبل بضعة أيام (أي في ٢٧ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٧٣) حيث يوم (روش هاشانا) عيد رأس السنة اليهودية الجديدة. ففي هذا العيد، يوم الخميس، كان أكثر من مليون يهودي ـ إسرائيلي ـ في طريقهم لقضاء عطلة أربعة أيام.

تمكنت إسرائيل من تعبئة قواتها وحشدها في ظروف حسنة. ومع ذلك فقد بقيت هذه التعبئة متأخرة بالنسبة ليوم الغفران: وتلقت الصفعة الأولى تلك القطعات الاسرائيلية التي جهزت بسرعة وبالقليل من العتاد، علاوة على أنها لم تتلق أي إنذار بهجوم القوات العربية. وقد سقطت القنابل المصرية بين العناصر وهي تلعب الكرة، والبعض منها يقوم بعملية غسل الثياب. وفي الحال، زجت بعض الوحدات في المرحلة الأولى ضمن شروط سيئة، وتحملت خسائر جسيمة في قائمة الحسابات النهائية. وكان قادة سلاح الجو الإسرائيلي قد اقترحوا يوم (٦) تشرين الأول ـ اكتوبر ـ القيام بتوجيه ضربات وقائية في تمام الساعة العاشرة صباحاً على الجبهتين، ولكن الحكومة رفضت الاقتراح، ثم وافقت عليه في الساعة الثانية بعد بدء الهجوم السوري ـ المصري، واستطاع الطيران التدخل بشكل فعال، ولكنه لم يكن يملك زمام المبادرة للقيام بهجوم واسع على قوات الجبهتين. أما الطائرات الاسرائيلية المعترضة، فقد كانت تنتظر تدخل الطائرات العربية، ولكن ذلك لم يحدث لأن ‌عرب استفادوا من أخطائهم في عام ١٩٦٧، وأبعدوا وحداتهم الجوية داخل أراضي دول ‌قة مجاورة، وكان من الممكن أن يشكل هذا العمل بادرة جيدة بالنسبة للإسرائيليين.

هذا وقد سمح الموقف الدفاعي للجيش والحكومة الإسرائيلية بتحقيق المباغتة العربية وضمان نجاحها. ويبدو أن حكومة مائير بقيت مترددة في اتخاذ التدابير اللازمة التي أرادت هيئة أركان الجيش وضعها موضع التنفيذ، حتى لو كانت تلك التدابير عاجلة في بعض الأحيان.

المهم في الأمر هو أن الحرب كانت غير متوقعة من جانب الحكومة الاسرائيلية، وحتى أصوات أجراس الانذار بدت غير معقولة. والهدف من ذلك ـ على ما زعمته الدوائر الصهيونية والامبريالية ـ هو عدم الظهور أمام الرأي العام العالمي بمظهر المعتدي بأي حال من الأحوال. فالدروس السياسية لحرب ١٩٦٧ كانت لا تزال ماثلة في الأذهان، كما أن حكومة (مائير) بذلت جهوداً ضخمة حتى لا تجرح الرأي العام الإسرائيلي.

تلزم التعبئة في إسرائيل إلحاق قسم كبير من قوى الشعب العاملة في الجيش، وبشكل خاص بالقوات البرية. ولذلك كانت التعبئة لا تتم إلا في حال التأكد من أن الحرب ستنشب، ونظراً لأن يوم الغفران يشكل لأسباب دينية وسياسية، توقيتاً لا يتناسب مع ظروف قيام الحرب، فقد كانت التعبئة تعني في هذه الحالة خطأ سياسياً جسيماً، وخاصة كون البلاد المحتلة على مشارف انتخابات عامة. وهكذا، ومع أن الحكومة كانت على علم بوجود تهديد بحرب رابعة، فقد فضلت المغامرة باهمال حقائق تشير إلى أن الصراع العسكري بات قريباً جداً مستندة بذلك إلى تقديرات خاطئة لامكانات العرب وإلى توافر قدرة ذاتية رادعة للعرب لا تقف في وجهها أعظم الجيوش وأقواها.

ـ نتائج المباغتة:

لقد صعقت المباغتة إسرائيل والغرب معاً. وكان على دولة اليهود وحدها تحمل النتائج على الصعد العسكرية والمعنوية والسياسية. وكانت تلك النتائج ثقيلة من الناحية العسكرية ـ بصورة خاصة ـ. فقد استطاع الجيشان السوري والمصري استعادة قسم من أراضيهما المحتلة خلال (٤٨) ساعة فقط، ودفعت إسرائيل أعداداً كبيرة من الضحايا البشرية سواء في الدفاع في باديء الأمر، أو في استرداد الأراضي فيما بعد. هذه الخسائر في الأرواح من أطقم الدبابات، والطيارين بشكل خاص، تثقل كاهل الدولة اليهودية التي يبلغ عددسكانها ٢,٦ مليون من اليهود، على عكس العرب الذين يملكون طاقة بشرية هائلة تستطيع تغذية المعركة بوفرة من المقاتلين، وبصورة مستمرة.

وعلى الصعيد الاستراتيجي، وضع الهجوم العربي حداً للمبادرة التي طالما أمسكت بها إسرائيل في عملياتها العسكرية. وكان هدف إسرائيل الأول وقف الزحف العربي

(مرحلة الصد) ثم دفعه باتجاه الخلف وخاصة على جبهة الجولان لأنها قريبة من قلب البلاد، وتهدد مدافعها المدن الاسرائيلية بكاملها، بعد ذلك تعمل القوات الاسرائيلية على الجبهة الجنوبية مستخدمة الأساليب التعبوية ـ التكتيكية ـ ذاتها. ولم تستطع إسرائيل القيام بأي هجوم إلا بعد إبعاد الخطر الذي يهددها، واسترداد المبادرة لتطبيق استراتيجيتها العدوانية القائمة على الهجوم، وعلى نقل الحرب إلى البلاد العربية. وهي الاستراتيجية التي مكنت إسرائيل من تحقيق انتصارها في الحرب العربية ـ الاسرائيلية السابقة (١٩٦٧). وهكذا، وبعد تقدير ابعاد المباغتة ونتائجها العسكرية، استنتجت إسرائيل أن الأمر لا يتعلق بحرب ستة أيام أخرى، إنما بحرب طويلة تلقي بثقلها على عاتق جيش تعود على سرعة الهجوم، وحسم الموقف بأسرع وقت ممكن.

وعلى الصعيد المعنوي، تركت المبادرة العربية آثاراً عميقة في نفوس المحاربين الاسرائيليين. فقد كان هناك ما يمكن تسميته (بأزمة الثقة) في كافة أنحاء البلاد. وسرت الشكوك في كفاءة القادة العسكريين وجدارة الزعماء السياسيين، ووجهت الانتقادات إلى الحكومة والمسؤولين بصورة علنية، واضطرت الحكومة إلى استدعاء المحاربين القدماء بأسرع ما يمكن، لا سيما أولئك الذين قادوا حرب الأيام الستة (١٩٦٧) ونقلوا بعد ذلك إلى مناصب ادارية (مدنية) تاركين الجيش. وقد تم استدعاؤهم لمساعدة قادة حرب الغفران، وتزويدهم بالخبرات العسكريةاللازمة.

لم يتمكن قادة إسرائيل من اخفاء هزيمتهم، والمرارة العميقة التي خلفتها في نفوسهم، واعتبروا النجاح الذي تحقق على الأرض في المرحلة الثانية من الحرب بأنه (نصف نصر) دفع اليهود ثمناً غالياً للحصول عليه. أما في الجانب العربي، فقد تركت الانتصارات الأولية التي حققتها الجيوش العربية خلال (٤٨) ساعة الأولى، أثراً إيجابياً عميقاً. ودبت الحماسة في نفوس المقاتلين العرب، وزادت ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم القتالية، وارتفعت روحهم المعنوية إلى درجة لم يكن يتصوَّرها الاسرائيليون أبداً. أما بالنسبة للزعماء العرب السياسيين منهم أو العسكريين فقد دفعتهم (المباغتة السعيدة) إلى إظهار تضامنهم، وكان في ذلك مباغتة جديدة على مستوى السياسة الاستراتيجية.

لقد كانت السياسة الاستراتيجية للامبريالية العالمية والصهيونية، تعتمد على اللاءات الثلاثة المعروفة وهي أن العرب (لا يتحدون، ولا يبدأون الحرب ولا يستخدمون البترول كسلاح اقتصادي) غير أن حرب تشرين (المباغتة) أدت إلى سقوط اللاءات الثلاثة، وعملت كجرافة لكل الأساطير المتراكمة. وانهارت خرافة عدم إمكانية قهر اسرائيل، وبرزت وحدة الدول العربية بتكاتف مذهل في الصراع ضد المعتدين الاسرائيليين. وتلاحمت المشاعر الدينية بالكبرياء القومي والحماسة الوطنية. فأسرعت القوات العراقية

والقوات المغربية لتأخذ مواقعها على الجبهة السورية جنباً إلى جنب مع القوات الأردنية والسعودية كما هبت لمساعدة مصر وسورية تشكيلات مقاتلة من الكويت والجزائر والسعودية وتونس والسودان. وأعلنت الدول العربية عن استعدادها لتقديم المساعدات المالية الإضافية لمصر وسوريا. وقامت الدول العربية في الوقت ذاته بقطع البترول عن الدول المتضامنة مع إسرائيل والمؤيدة لها، فطوقت بذلك إسرائيل وعزلتها بصورة حادة على مسرح السياسة الخارجية. ويكفي هنا التذكير ـ على سبيل المثال ـ أنه منذ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٢، لغاية منتصف تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٧٣ قامت (٢٨) دولة أفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل (منها ١٩ دولة قطعت علاقاتها بعد بداية حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ) كما أعلن عدد من رؤساء حكومات أوروبا الغربية استنكارهم للعدوان الإسرائيلي على الدول العربية.

انصرفت دوائر صناعة الأسلحة في العالم إلى دراسة حرب العاشر من رمضان، واعتبرت أن صحراء سيناء ومرتفعات الجولان قد استحالت إلى حقل فريد من نوعه للتجارب العسكرية. كشفت فيها فعالية كثير من الأسلحة التقليدية. وتركز الاهتمام بصورة خاصة على (قضية المباغتة) وهي القضية التي تهم إسرائيل وقادتها أكثر من كل ماعداها. فتم تزويد إسرائيل بأجهزة المراقبة (محطات الانذار الامريكية) لكشف كل تحركات مسبقة. كما منحت إسرائيل طائرات التجسس والقيادة، والسفن المجهزة بالأجهزة الالكترونية. كل ذلك بالإضافة إلى اتخاذ مجموعة من التدابير للاقلال من فرص المباغتة والحد من نتائجها في الحروب المقبلة.

٢ ـ المباغتة في الندوة العسكرية ـ الاسرائيلية.

عقدت في القدس المحتلة ندوة عسكرية اسرائيلية في الفترة من ١٢ إلى ١٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٧٥ بهدف دراسة المظاهر العسكرية للصراع العربي ـ الإسرائيلي عامة، واستخلاص دروس حرب تشرين منها بصورة خاصة. وقد حضر الندوة حوالي (٥٠٠) شخص بين عسكري واختصاصي (منهم ١٧٠) أجنبياً، ينتمون إلى عشرين دولة. وقد طرحت في هذه الندوة مواضيع مختلفة. وما يهم البحث منها هو التعرض لقضية (المباغتة) كما عالجها الفريق الاحتياط (حاييم بارليف)* والذي كان يشغل في حينها منصب وزير التجارة والصناعة. وجاء في محاضرته تحت عنوان (المباغتة وحرب يوم الغفران) ما يلي: «... قيل الكثير وكتب حول حرب يوم الغفران، وما زلت أتوقع الكثير، ونجد أن هناك

* جمع هذه المحاضرات (لويس ويليامز) وترجمها اللواء (جبرائيل بيطار) في كتاب (المظاهر العسكرية للصراع العربي ـ الاسرائيلي) اصدار دمشق ـ ١٩٧٨ ص ٣٦٤ ـ ٣٧٣.

إجماعاً حول بعض مظاهر هذه الحرب. في حين أن هذا الاجماع مفقود حول بعضها الآخر. وأود خلال الوقت الذي خصص لي أن أتحدث عن مظهر واحد من كل فئة.

هناك إجماع على أن إسرائيل قد بوغتت تماماً ببدء حرب يوم الغفران، والاجماع حول ذلك تام. لأن كل شخص، قياساً على نفسه وزملائه المباشرين يعرف أن الحرب قد أصابته فجأة، أي كانت مباغتة بالنسبة له. وهذا صحيح بالنسبة لليهودي الذي كان يصلي في الكنيس، وصحيح بالنسبة للجندي الذي كان في الخط الأمامي في يوم الغفران ذاك. ولكن حول أسباب المباغتة، وكيف شملت الجميع، وما هي المظاهر والنتائج التي خلفتها هذه المباغتة على سير الحرب، وما هي نتائج العناصر الأخرى. حول كل هذا، لا يوجد اجماع بالرأي، بل هناك آراء مختلفة، وأنا واثق من أنكم سمعتم عدداً منها.

يعزي بعضهم أسباب المباغتة، وأسباب بعض أحداث الحرب إلى خطأ في العقائد القتالية، ولاختلال ميزان القوى، ولسوء تنظيم القوات، وإلى جمود التفكير لدى المسؤولين عن العمليات، وإلى فقدان الانضباط. إلى آخر ما هنالك من أسباب. وذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من ذلك، وقالوا إن المجتمع الإسرائيلي أصبح متخمًا وكسولاً ومنحلاً، وأنه في دولة سيئة العلاقات العمالية في بعض المؤسسات، ولا يمكن للإنسان أن يتوقع أن يكون جيشها أفضل منها.

إن وجهات النظر هذه برأيي غير واقعية، وهي أساساً نتيجة لعدم تفهم الموقف، ونتيجة للقصور في الاحاطة بالمعنى الكامل للمباغتة في الحرب، وتأثير ذلك على الطرفين المتصارعين. ولا ريب أن هناك بعض من يعرف جيداً ما يمكن للمباغتة أن تحدثه في الحرب من تأثير على هذا الطرف أو ذاك، ومع ذلك فلا زالوا يناقشون مختلف هذه الآراء، ويدافعون عن بعض وجهات النظر هذه، وإن كانت حججهم غير موثوقة، بل هي أعذار سياسية وشخصية.

إذا سألتم أنفسكم ماذا كان سيحدث لو أن جيش الدفاع الإسرائيلي قد أعلن التعبئة العامة لاحتياطه، ونشر قواته في مراكزها الدفاعية قبل يومين أو ثلاثة؟ فإذا كان جوابكم على هذا السؤال هو أن الحرب ستكون مختلفة، أي أن المصريين لم يكونوا ليعبروا القناة بخمس فرق خلال بضعة ساعات، ولم يكن باستطاعة السوريين التوغل إلى المدى الذي وصلوا إليه، وأن هجومنا المعاكس كان يمكن أن يجري قبل العاشر من الشهر... الخ... إذا كان هذا هو جوابكم، عند ذلك يمكنكم الاستنتاج بأن ما جرى كان بتأثير المباغتة.

وطالما أني أوافق أولئك القائلين بأن الأخطاء التي ارتكبت خلال الحرب كانت

أساساً نتيجة للمباغتة. لذلك قررت أن أركز على المباغتة ـ كمبدأ من مبادىء الحرب، وعلى ما حدث وأدى إلى تعرض اسرائيل للمباغتة.

المباغتة مبدأ هام جداً من مبادىء الحرب ، وتدخل في الاطار النفسي. وهي بخلاف المبادىء الأخرى التي تعتمد الوسائط، فإن المباغتة تعتمد أساساً على المهارة في تصور التدابير التي بامكانها خداع العدو، وتحويل أنظاره عما يجري. أنها موجهة ضد الحالة النفسية للعدو، بهدف استغلال نقاط الضعف لديه. ويتمتع الجانب الذي يحقق المباغتة بمزايا هائلة، في حين يواجه الجانب الذي يقع ضحية المباغتة كثيراً من المساوىء، والمصاعب، التي قد تؤدي في غالب الأحيان إلى الهزيمة. وإن المباغتة على المستوى الاستراتيجي وعلى مستوى العمليات وحتى على المستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ تفقد الجانب الذي يتعرض للمباغتة قدرته على التوازن، وتؤدي إلى الفوضى والغموض الذي ينعكس على خطط العمليات وعلى انتشار القوات، وتمركز منظومات الأسلحة، وعلى جهاز القيادة، وعلى توقيتات العمل إلى آخره..

تطبق المباغتة ـ كمبدأ من مبادىء الحرب ـ على كافة أشكال القتال (الهجوم، والدفاع، والانسحاب) ومع ذلك فإن التأثير الأشد حسماً والأشد فاجعة نحصل عليه في الهجوم. ويمكن تحقيق المباغتة بالسرية والخداع والتمويه، والخداع الذاتي.

فالسرية هي (تدبير سلبي) وهي تحاول تحقيق المباغتة بواسطة إخفاء النوايا والأعمال التحضيرية، والقدرة العسكرية والوسائط الحربية وخطط العمليات الخ.. أما (الخداع والتمويه) فهو (تدبير ايجابي) هدفه إتمام عناصر المباغتة عن طريق خلق انطباعات خاطئة حول النوايا والخطط والقوى الخ.. وتبقى عملية الخداع الذاتي نتيجة سوء تقدير للمعلومات الحقيقة، أو نتيجة لمعلومات خاطئة، ليس بسبب نجاح العدو بإخفاء المعلومات، إنما لنقص المهارة المتوافرة لدى الجانب الذي وقع ضحية المباغتة في الحصول على المعلومات وتفسيرها.

كانت المباغتة نتيجة (خداع ذاتي) في الهجوم الياباني على (بيرل هاربور) وفي الهجوم الألماني على الاتحاد السوفييتي وفي هجوم العرب في (يوم الغفران). وكان من المحتمل أن تكون (صاعقة) من حيث الأسلوب، كما في الأردين، من حيث الموقع وبربروسا من حيث التوقيت، أو خليطاً منها كلها.

كانت مباغتة حرب يوم الغفران أساساً هي مباغتة من نوع (المباغتة بالتوقيت). لم تكن هناك أية مباغتة من حيث المكان، طالما أن العدو لا يستطيع الهجوم إلا عبر الحدود. ولم تكن مباغتة بالأسلوب، إذ كانت خطة الهجوم المصرية معروفة حتى أدق التفاصيل. أما

الخطة السورية فكانت معرفتنا بها أقل، وإن كان التشكيل القتالي معروفاً ـ في القسم الشمالي من هضبة الجولان ـ حيث تمركز وانتشر الجيش السوري بترتيب القتال، لذلك لم ينجح السوريون في اختراق الخطوط الدفاعية الأمامية. وهكذا يتضح لنا أن المباغتة كانت في نطاق التوقيت أساساً، وعلى المستوى الاستراتيجي ومستوى العمليات والمستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ بآن واحد.

لنحاول تحليل بعض الأسباب التي تؤدي إلى مباغتة دولة ما، ولنحاول اكتشاف ما ينطبق منها على إسرائيل في حرب يوم الغفران.

سبق أن قلت ان المباغتة هي نفسية أكثر منها ميكانيكية أو تقنية، إذ ان جذور احتمالاتها كامنة في طبيعة الإنسان، وموجودة في ابعاده الإنسانية. إن المباغتة موجهة نحو المعنويات المعادية، ولكن حتى في حالة فقدان المبادأة بالمفاجأة، فيمكن أن نباغت نتيجة لأسلوب التفكير والحالة الذهنية. لذلك فإن أهم هدف للمخابرات وجمع المعلومات هو منع حدوث المباغتة. وتعتمد المهارة في ذلك على امكانية الحصول على المعلومات (تجميع) وعلى حسن تقويمها وتحليلها (أبحاث). وإن نقص المعلومات سبب واضح جداً من أسباب المباغتة. ومع ذلك علمنا تاريخ فن الحرب أن هذا ليس كثير الحدوث. إذ غالباً ما تتمكن الدول والجيوش من الحصول على المعطيات اللازمة للمخابرات. وإنما كان الفشل في تقويم هذه المعلومات: وهذا ما حدث في حرب (يوم الغفران) وفي (بربروسا) وفي الهجوم الياباني على (بيرل هاربور) وفي الحروب الكورية، وفي سلسلة طويلة من الحروب.

إن الاتفاقات السياسية والعسكرية، والتعاون في مختلف الحقول، والعنصر الإنساني المساهم في ذلك، بالإضافة إلى التصاريح العلنية، كل ذلك يحتوي على أخطار التقويم الخاطىء. وقد ساهم الموقف السياسي قبيل حرب يوم الغفران اسهاماً كبيراً في تقدير النوايا العربية الحربية: فقد كان الرأي السائد في إسرائيل قبل الحرب، أن السادات هو نقيض عبد الناصر، وهو قائد دون طموح عربي، رجل عازم على تكريس كل جهوده وإمكاناته إلى مصر وحدها، كما أن طرد الروس من قبل السادات قد فسر في إسرائيل كدليل على انسحاب مصر من الحرب. ولم تعد التصاريح العدائية التي يطلقها السادات بين حين وآخر، تعني في نظر إسرائيل أية جدية في النوايا. واليوم، وبعد حرب يوم **الغفران، نحن نعلم أننا خدعنا في كافة تقديراتنا، إنما قبل الحرب، فإن سوء التقدير قد ساد في ضمائر معظم الاسرائيليين بمن فيهم المخابرات العسكرية والمعلقين العسكريين.** وأنه لميل طبيعي أن تلقوا مفهومكم للقيم على الآخرين، ورغم أننا نعرف أن العدو يختلف عنا، فقد كان من الصعب علينا الامتناع عن الاعتقاد بأنه سيتصرف مثلنا. وعندما نلقي

نظرة على تلك الحالات التي وقعت فيها المباغتة ـ من حيث التوقيت ـ نجد أن معظمها حدث عندما كانت هناك فوارق كبيرة بين الخصمين في النظرة إلى العالم، وفي النظام السياسي، وفي العقلية والدين والعرق.

لقد أصبح من الواضح لدينا الآن، وبعد تجربة حرب يوم الغفران، أن الرغبة بالبدء بحرب، حتى لو كانت خاسرة، بهدف انقاذ الشرف العربي، هي فكرة ثابتة في المنطق والعقلية العربية. وكان معظمنا قبل حرب يوم الغفران يشك بذلك. كما أن الاعتقاد بأن العدو (لن يفعل هذا) أو أنه (عاجز عن فعل ذلك) قد ساعد أيضاً في التقويم الخاطىء. إن الاعتقاد الافرنسي بأنه ما من قوة تستطيع الاختراق (عبر الآردين) قد ثبت بطلانه. كذلك تبين أن القناعة الاسرائيلية بأن مصر لن تقوم بأي هجوم طالما لم تحصل على التفوق الجوي، وأنه لا يمكن أن يقوم العدو بهجوم دون أن نعرف بذلك قبل (٢٤) أو (٤٨) ساعة، أنه خاطىء ولا يستند إلى أسس واقعية. وقد نصل إلى استنتاجات خاطئة انطلاقاً من الشعور بالزهو أو الخوف، مما يؤدي بالدولة إلى عدم الاستعداد، وإذا نظرنا إلى هذه الناحية ـ واقعياً ـ لوجدنا إنها كانت تهيمن على تفكير القادة ورجال المخابرات. وإني أبرز هذه النقطة لأن الموضوع هو إنساني، وبالتاي فهو موجود. وإن الخوف من انذار خاطىء، يجب ألا يحجب صوت الانذار عندما تؤشر المعلومات عليه. إذ من الأفضل الوقوع في عدة انذارات كاذبة، من الوقوع في خطر المباغتة. ومن الواضح جداً أنه خلال حرب (يوم الغفران) كان للخوف من الانذار الكاذب تأثيره، وكذلك بالنسبة لبعض الأشخاص حتى في يوم ٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ عندما أثير موضوع التعبئة. وستذكر القوات المسلحة الاسرائيلية دوماً الانذار الكاذب الذي جرى يوم ١٧ ـ أيار ـ مايو ـ ١٩٧٣. وكان لهذا الانذار بلا شك نتائجه على تأجيل قرار التعبئة في تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٧٣.

إن توقع احتمال وقوع الحرب ـ حتى بأحتمال ضعيف ـ يدفع إلى الشعور بضرورة الاستعداد للحرب. ولكن هناك مع ذلك فرقاً كبيراً بين تنبؤ أدبي بأحتمال وقوع الحرب، وبين رؤيا واضحة لاحتمال ذلك مبنية على معطيات محددة.

إن توقع الحرب كاحتمال قائم لا يتناقض مع تحضير مناسب للقوات استعداداً لها، ولكنه قد يمنع القيام بالاستعدادات الملائمة في الوقت المناسب. وهذا ما يبدو لي أنه حدث لقوات جيش الدفاع الإسرائيلي عشية حرب (يوم الغفران) ولكن من جهة أخرى، فإن الاستنفار الدائم للقوى، والتوتر الذي يرافقه، قد يقود أيضاً إلى اساءة تقدير نوايا العدو. وقد تحدث أخطاء مشابهة لذلك في التقويم عندما لا ينجح العدو في اخفاء تحضيراته،

والمعلومات الواردة ـ عندما تدرس بعد وقوع الحدث ـ تدل على أن الهجوم أصبح وشيكاً. مع العلم أنه من الواجب تقويم المعلومات الواردة بعد الحدث، بشكل واقعي ـ في حين أنها إذا وصلت قبل الحدث فيكون تقويمها افتراضياً، وعندئذ تتأثر بوجهات النظر السابقة والأحكام السلفية، والقناعات الأساسية الخاطئة، وزيادة الثقة بالنفس والطموح الشخصي، والأوهام والخوف، وسائر المؤثرات غير الواقعية التي تقود الإنسان إلى نتائج غير حقيقية وغير واقعية. وعند ذلك، يتم النظر إلى كل المعلومات الجديدة بما يتناسب مع التصور غير الواقعي الذي يستند إلى ما سبق ذكره. وقد أجري اختبار مفيد لايضاح هذه الأفكار في الولايات المتحدة الأمريكية. وعرضت خلال هذه التجربة (٢٠) صورة تمثل (كلباً) يتحول تدريجياً إلى (قطة) وكان التبديل الطارىء بين كل صورة وأخرى طفيفاً جداً، ولكن الصورة الأخيرة كانت صورة (قطة) بدون أدنى شك. وشعر الأشخاص الذين شاهدوا العرض بكامله، بالتبديل، عند الصورة (١٨) أو (١٩) أي أن الكلب قد أصبح (٩٠) بالمائة قطة آنذاك، في الوقت الذي كان الجميع يعتقدون أنه ما زال كلباً.

لقد حدث شيء مماثل لذلك للروس في عملية (بربروسا) عندما اعتقد (ستالين) أن (الأنكلو ساكسون) يعملون على جره إلى الحرب، وأن هتلر نفسه يعارض النوايا الحربية لدى قادته، وكل ما حدث في ساحة القتال يبدو مؤيداً لهذا التصور الخاطىء. .

وأخطأت إسرائيل في حرب يوم الغفران تقدير التحركات المصرية، إذ اعتبرتها مناورات تدريبية، ودخلت كل المعلومات التي وردت بعد ذلك، ضمن هذا التأويل العام. وأن كل من يحاول الآن دراسة الشواهد والمعلومات التي توافرت لدى الإسرائيليين في الأيام الاولى من شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٧٣، لا يستطيع أن يفهم لماذا لم نتمكن من استخلاص الحقائق. ولكن هذا هو ما حصل، وعلينا أن نتعلم منه.

ولكن، ماذا بإمكاننا أن نتعلم مما حصل لنا؟ وللكثيرين عدانا؟ ـ :

أولاً: إن تاريخ البشرية حافل بالحروب والمعارك، التي مارست فيها المباغتة دوراً أساسياً. ولكن يبدو لي أنه بالأمكان الأقلال من احتمالات المباغتة. ومن المؤكد أنه باستطاعتنا اتخاذ الخطوات الكفيلة بالحد من النتائج المؤسفة، إذا ما وقعت المباغتة بالرغم من كل الاحتياطات المتخذة.

ثانياً: طالما أنه لا يوجد أي ضمان مطلق ضد المباغتة، فإن المثل الصيني (الحذر هو أم الحكمة) يجب أن يسود استعداداتنا وتعبئتنا وانتشارنا. والنتائج على مستوى العمليات عديدة جداً ولا ضرورة لذكرها.

ثالثاً: الحصول على معلومات دقيقة هو شرط مسبق لكل استطلاع جديد.

المعلومات الدقيقة عن العدو وعن نواياه وعن خططه وعن ترتيبه القتالي. إلخ... كلها مجموعة يبني عليها تقدير الاستطلاع للموقف: ولا يمكن الوصول إلى تقويم صحيح - إلا بخط كبير - دون الاعتماد على معلومات دقيقة ومناسبة. وفيما يتعلق بعملية جمع المعلومات الدقيقة، فإنه لدى إسرائيل مستوى عال جداً، وموثوق، من الأمكانيات.

رابعاً: إن وجود خطط لضربة وقائية يشكل احياناً (صمام الأمان) صد المباغتة. أي بشكل آخر التصدي للمباغتة بمباغتة أخرى، والشرط المسبق لذلك هو وجود قوة معبأة قادرة في كل وقت على تنفيذ مثل هذه الخطط. ولكن على الرغم من ذلك، يجب علينا ألا نعتمد كثيراً على الهجوم الوقائي (كرد) إذ أننا لا نستطيع دوما اختيار الطريق عبر الموقف السياسي والموقف العسكري.

خامساً: علينا تجنب الأعتبارات المتعلقة بالهيبة والسمعة.

سادساً: إن اسلوب تقويم المعلومات عبر عدة مؤسسات مستقلة قد يفيد في تجنب الأخطاء المتشابكة. ونلجأ أحياناً في العمليات الأحصائية إلى مجموعة تفتيش للتحقق من النتائج المتعلقة بعدد السكان. وربما كانت هناك حاجة لمثل هذا الأسلوب في تقويم معلومات المخابرات.

لقد ذكرت بعض الأساليب التي تقلل من احتمالات التعرض للمباغتة. ولكن أهم ما يجب علينا معرفته هو أنه لا وجود لعلاج سحري. انها مهمة كافة العناصر المكلفة بهذا العمل، وعلى كافة المستويات للعمل على جمع اكبر قدر من المعلومات الدقيقة والمناسبة، وتجنب الانجراف وراء تقويم خاطىء.

وذكرت في مقدمتي أن المباغتة تقدم مزايا كبيرة للجانب الذي نجح في تحضيرها، وأنها تضع الضحية في مواقف صعبة للغاية، مما يضطرها إلى اللجوء إلى عمليات فورية غير مخطط لها. وهذا في الواقع كان موقفنا في حرب يوم الغفران.

إن ما حققته القوات المسلحة المصرية والسورية في الأيام الأولى من الحرب كان نتيجة مباشرة للمباغتة التامة في توقيت هجومها. ولولا ذلك لما استطاعت الجيوش العربية تحقيق أي شيء من ذلك.

كانت المباغتة بالنسبة لأسرائيل تامة، وعلى كافة المستويات: الاستراتيجي والعمليات والتعبوي - التكتيكي - ونتيجة لذلك كان على اسرائيل أن تخوض حرباً غير محضرة، وتسودها الفوضى في كل المجالات.

لم تطبق ولا خطة واحدة من التي كانت قد حضرت مسبقاً: لا خطة الاحتواء الصد ولا خطة استخدام القوى الجوية في تثبيت العدو، ولا خطة الهجوم المضاد، ولا خطة عبور القناة.

حتى اسلوب التعبئة السريعة قد حضر فورياً تبعاً للموقف، مما أدى إلى الأقلال من الزمن المخصص لتسليح الوحدات، وقد تم ذلك بشكل فوضوي، حتى أن بعضهم تحرك للحرب بدون معدات القتال الكاملة، كما خطط لها أن تكون. وهذه التعبئة غير المخططة أدت إلى ظهور تشكيلات مرتجلة للقوات حتى أدنى المستويات ـ سدنة الدبابة أو المدفع ـ حتى القيادة كانت مرتجلة.

ونتيجة للمباغتة، طال أمد الحرب لمدة تزيد كثيراً على ما كان مقدراً لها. . مما كان له انعكاساته على مخزون الذخيرة، وبرزت ضرورة ايجاد حلول ارتجالية هنا أيضاً. ولا أستطيع الدخول في تفاصيل أكثر من ذلك، ولكن يبدو لي أنه ما من مجال سارت فيه الأمور وفقاً لما كان مخططاً لها.

ومع ذلك، وبالرغم من المباغتة والأرتجال في القرارات، أمكن ايقاف العدو يوم الثامن من تشرين الأول ـ اكتوبر ـ على الجبهة السورية. ويوم الرابع عشر من تشرين الأول على الجبهة المصرية. وبذلك نجح الجيش الإسرائيلي في أصعب اختبار يمكن أن يتعرض له أي جيش.

التاريخ مليء بالحالات التي حدث فيها الأنهيار التام، اثر المباغتة، بداية من زمن التوراة، حتى مصر خلال حرب الأيام الستة. وحدث أيضاً أن دولاً على الرغم من حجمها الكبير من حيث المساحة، بوغتت وتمكنت من الصمود بفضل الأمكانيات الهائلة المتوافرة لها فقط. ولكن حتى هذه الدول العملاقة لم تتمكن من استرداد المبادأة إلا بعد فترة طويلة من الزمن.

* * *

تلك وجهة نظر (حاييم بارليف) في مباغتة حرب (يوم الغفران). ويتجاهل (حاييم بارليف) أن التحول الحاسم في مسار الحرب، قد جاء بنتيجة الدعم غير المحدود الذي قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل من أجل مساعدتها على الخروج من مأزقها. والمهم في الأمر هو ما تم اتخاذه بعد الحرب من اجراءات للأقلال من خطر المباغتة. سواء في مجال الاستطلاع وجمع المعلومات وتحليلها، أو في مجال التوسع في استخدام (العقول الألكترونية) أو في مجال التنظيم الدفاعي لاسرائيل، واعادة تنظيم القوى والوسائط لمجابهة

مختلف الاحتمالات. ولكن على الرغم من ذلك، فأن عامل الاتصال الجغرافي، وتطوير وسائط (حرب الحركة) في البر والبحر والجو، سيترك المجال مفتوحاً أمام كل انواع مباغتات الحرب، للوصول إلى عمق مسرح العمليات، وانجاز (هدف الحرب) وتبقى المباغتة ابداً المحور الأساسي في حوار الارادات المتصارعة.

الفهرست

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

تعتبر المباغتة في طليعة الأسلحة التي يتسلح بها المقاتل للقضاء على خصمه وتدمير عدوه. وقد عكفت الأبحاث والدراسات العصرية على تحقيق هدف مزدوج، أولهما: تطوير المباغتة، وثانيهما: انقاص تأثيرها.

وتبقى المباغتة مرتبطة في فكرتها وتنفيذها بعملية الخداع والتمويه على نحو ما كانت عليه منذ آلاف السنين. لكن المباغتة البدائية إذا كانت ترتبط بقدرة المقاتل أو المقاتلين على خداع الخصم وتضليله، فإنها اليوم أشد تعقيداً. وقد قسمت المباغتة (نظرياً) إلى «مباغتة تكتيكية» و «مباغتة عملياتية» و «مباغتة استراتيجية».

ومع تطور أساليب التضليل والخداع بقي حسم الصراع مرتبطاً بالقدرة الإبداعية للقادة والمنفذين من أجل (مباغتة الخصم) أو الحد من تأثير (**مباغتته**). ولقد تطورت الحروب المحدودة بتأثير الرعب من الأسلحة الدفينة، وعرف العالم العربي أشكالاً متلاحقة من هذه الحروب عن طريق الصراع العربي - الاسرائيلي، وكان للمباغتة في هذه الحروب دورها المعروف، من هنا تظهر أهمية دراسة التجربة التاريخية للمباغتة وتطوراتها في الأزمنة الحاضرة وهذا ما تقرؤه مشروحاً في هذا الكتاب.

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير -
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً «موكيالي»
بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت
تلكس: LE/DIRKAY - ٤٠٠٦٧.